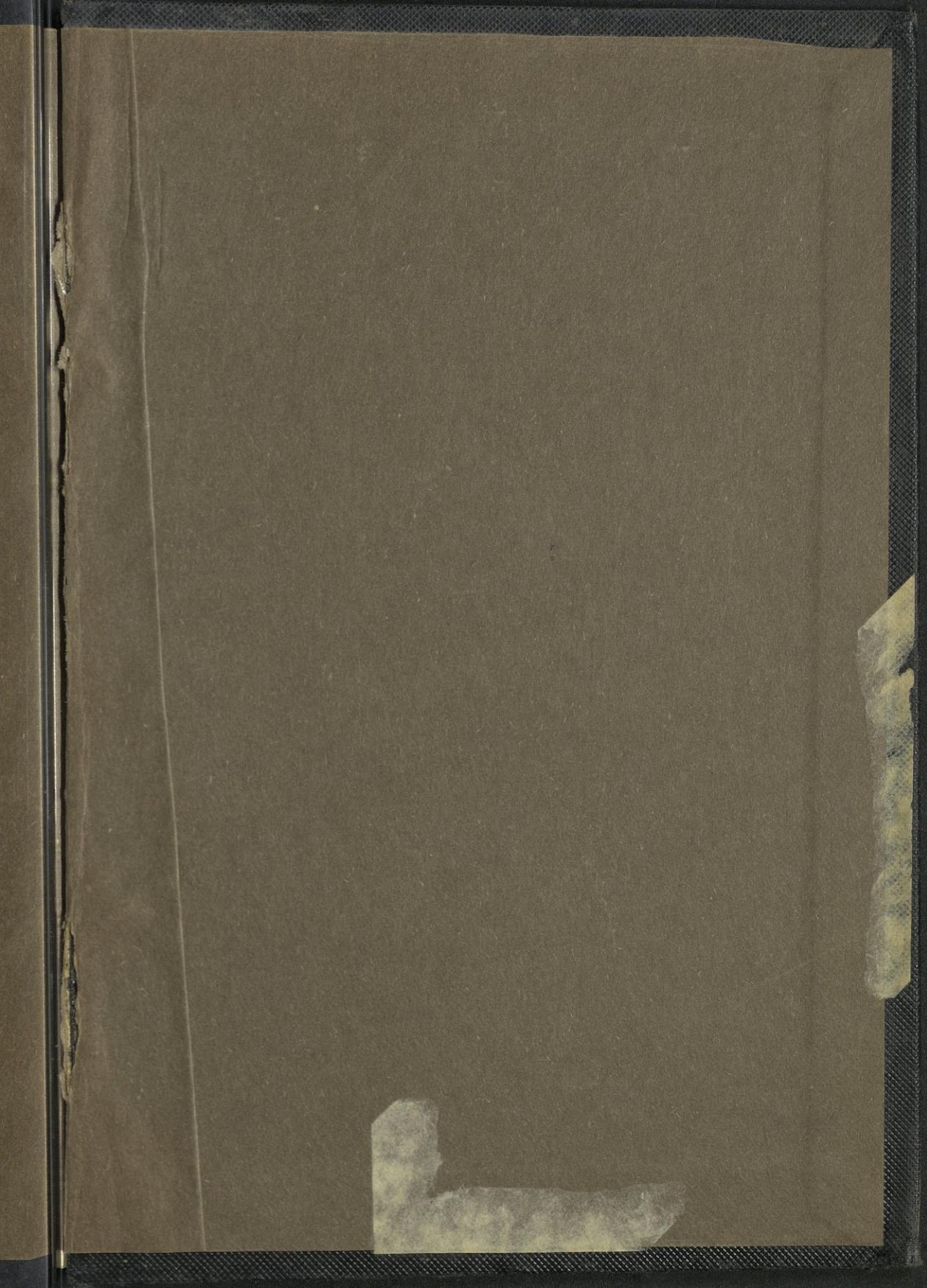


الباطل

جزي

297
I 133
C



297.41: I133sA

ابن الجوزى ، أبو الفرج عبد الرحمن
بن علي .

297.41
I133sA

JAFET LIB.
16 DEC 1992

JAFET LIB.
20 NOV 1992

JAFET LIB.
20 NOV 1982

date June 1934

Carnegie

297.41

I133.1A
C.1

٢/٣

٢٠١

صَدِيقُ الْخَاطِرِ

لَا يَفْتَأِيَ الْفَرَجُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْجُوزِيِّ

عن نشره

محمد ابن الناجي

طبع بنفقة

مِكْتَبَةُ الْجَانِجِيِّ

الصَّحَّابَ أَوْلَادَ مُحَمَّدٍ رَأْبَنِيَّ النَّاجِيِّ

بِسَاعِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَعْدٍ

49563

الطبعة الاولى

سنة ١٣٤٥ = ١٩٢٧ م

(حقوق الطبع محفوظة للمكتبة)

Cat. June 1984

Carnegie

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيد المرشدين
واشرف المسلمين ، سيدنا محمد وآلها وصحبه والتابعين لهم باحسان الى
يوم الدين .

وبعد : فاني أقدم لحضرات العلماء ، وجمهور الأدباء والفضلاء ،
في عموم الاقطارات الإسلامية هذا الكتاب الفيم الموسوم
بصيید الخاطر تأليف امام الوعاظين . وكبير المفسرين . الحافظ
جمال الدين أبي السفرج عبد الرحمن بن الجوزي . والكتاب في جملته
وتفصيله خواطر « بسکولوجیة » جاشت في صدر المؤلف فأرسلها
بالاخلاص والنزاهة اللتين امتاز بها في جميع كتبه متوكيا بها ايقاظ
النفوس . واصلاح السرائر : وقد قال رحمه الله تعالى في الحث على

ج

مطالعة كتابه هذا كلامه التي يوصي بها ولده في آخر رسالته المسماة لفتة
الكبد إلى نصيحة الولد:

« وتلمح كتاب صيد الخاطر ، فانك تقع بواقعات تصلح لك امر
دينك ودنياك »

ولذاك رأينا من الفائدة نشره ليعمل النفع به ان شاء الله تعالى . وقد
اعتمدنا في طبعه على نسختين خطيتين : احداهما تفضل بها حضرة صاحب
السعادة « احمد طاعت بك » متع الله عالم الادب بحياته . والاخري محفوظة
بدار السكتب المصريه وهي من كتب الامير مصطفى فاضل باشا ، ويوجع
الفضل في مشتراكها وحفظها في مصر الى المرحوم احمد طاعت باشا والد
سعادة احمد طاعت بك . فكأنما فضل نشر هذا السكتب راجع اولا
وآخر على « آل طاعت » جزاه الله خيراً عن أهل العلم والأدب .

أما التعريف بالمؤلف فسيجده القارئ مطولا على حدة في رسالة
خاصة - تحت الطبع - عن جمعها وتنسيقها حضرة الاستاذ الفاضل
الشيخ احمد محمد شاكر القاضي الشرعي نجل صاحب الفضيلة الاستاذ
الكبير الشيخ محمد شاكر وكيل مشيخة الازهر سابقا مع استقصاء اسماء
مؤلفاته وذكر ماطبع منها والاشارة الى ما يوجد منها في المكتاب العامة

ومنها يقف القارئ تفصيلاً على سيرة هذا الإمام ويعلم مكانته من العلم
والعمل والله الموفق

مصر - في ١٥ ذى الحجة سنة ١٣٤٥ و ١٥ يونيو سنة ١٩٢٧

كتبه محمد أمين الخانجي
الكتبي عفا الله عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الامام العالم ، أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن الجوزي ، رحمة الله تعالى عليه . الحمد لله حمدًا يبلغ رضاه ، وصلى الله على أشرف من اجيته ، وعلى من صاحبه ووالاه ، وسلم تسليما لا يدرك منهاه . لما كانت الخواطر تجول في تصفح أشياء تعرض لها ، ثم تعرض عنها فتذهب ؛ كان من أولى الأمور حفظ ما يخطر لكيلا ينسى . وقد قال عليه الصلاة والسلام : قيدوا العلم بالكتابة ، وكم قد خطر لي شيء ، فاتشاغل عن أثباته فيذهب ، فأتأسف عليه . ورأيت من نفسي أنني كلما فتحت بصر التفكير ، سمع له من عجائب الغيب ، مالم يكن في حساب فانثال عليه من كثيب التفهيم مالا يجوز التفريط فيه ، فجعلت هذا الكتاب قيدها - لصيده الخاطر - والله ول النفع أنه قريب محب .

١- **فصل** - قد يعرض عند سماع الموعظ للسامع يقطة ، فإذا انفصل عن مجلس الله كر عادت القسوة والغفلة . فتقربت السبب في ذلك فعرفته ثم رأيت الناس يتفاوتون في ذلك ، فالحالة العامة أن القلب لا يكون على صفة من اليقطة عند سماع الموعظة بعدها لسبعين : أحدهما أن الموعظ كالسياط ; والسياط لا تؤلم بعد انقضائها أيامها وقت وقوعها : والثاني ، أن حالة سماع الموعظ يكون الإنسان فيها مزاح العلة ، قد تخلى بجسمه وفكره عن أسباب الدنيا ، وانصرت بحضور قلبه ، فإذا عاد إلى الشواغل اجتنبته بما فاته ، وكيف يصح أن يكون كما كان . وهذه حالة تم الخلق ، لأن أرباب اليقطة يتفاوتون في بقاء الآخر ، فهم من يلزم بلا تردود يضي من غير التفات ، ولو

توقف بهم ركب الطبع لضجوا كما قال حنظلة عن نفسه : نافق حنظلة ،
ومنهم أقوام يميل بهم الطبع الى الغفلة أحياناً ، ويدعوهم ماتقدم من المواقف
الى العمل أحياناً فهم كالسنبلة تهيلها الرياح ، وأقوام لا يؤثر فيهم إلا بقدر
سماعه ، كماء درجة على صفوان .

٢ - فصل - جواذب الطبع الى الدنيا كثيرة ، ثم هي من داخل ،
وذكر الآخرة أمر خارج عن الطابع ، ثم هي ^(١) من خارج ، وربما ظهر من لا علم
له أن جواذب الآخرة أقوى ، لما يسمع من الوعيد في القرآن ، وليس كذلك
لأن مثل الطبع في «يله إلى الدنيا» ، كالماء الجارى فإنه يطاب المبوط ، وإنما
رفعه إلى فوق يحتاج إلى التكاليف ، ولهذا أجاب معاون الشرع : بالترغيب
والترهيب يقوى جند العقل ، فاما الطبع فهو أذبه كثيرة ، وليس العجب أن
يغلب ، إنما العجب أن يُغلب .

٣ - فصل - من عاين بين بصيرته تناهى الأذور في بدايتها ،
نال خيراً ، ونجى من شرها ومن لم ير الموقف غالب عليه الحس ، فعاد
عليه بالألم ، ما طاب منه السلامة ، وبالنحيب مارجاً منه الراحة . وبيان هذا
في المستقبل ، يتبيّن بذلك الماضي وهو إنك لا تخلو ، أن تكون عصيّت
الله في عمرك ، أو أطعنته ، فأين لذة معصيتك ؟ وأين تعب طاعةك : هي هات
دخل كل بما فيه : فليست الذنوب اذ تخلت خلت : وأزيدك في هذا بياناً مثل
ساعة الموت ، وانظر الى مرات الحسرات على التفريط ، ولا أقول كيف
تغلب حلاوة اللذات ، لأن حلاوة اللذات استحالـت حنظلاً ، فبقيت مرارة
الآسي بلا مقاوم . أتراءك ماعلمت أن الأمر بعواقبه . فراقب العواقب

(١) كذا في النسختين ولعله ثم هو

تسلم ، ولا تخل مع هوى الحس تنتم .

٤ - فصل - من تفكك في عواقب الدنيا ، أخذ الخدر ، ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر ، ما أعجب أمرك يا من يوقن بأمر ثم ينساه ، ويتحقق ضرر حال ثم يغشاه : وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه . تغلبك نفسك على ما تظن ، ولا تغلبها على ماتستيقن . أعجب العجائب ، بغرورك بغرورك ، وسهوك في لهوك ، عما قد خبي لك . تفتر بصححتك وتنسى دنو السم ، وتفرح بعافيتها غافلا عن قرب الام ، لقدر ارك مصرع غيرك ، مصرعك ، وأبدى مضجع سواك ، قبل الممات مضجعك ، وقد شغلتك نيل لذاتك ، عن ذكر خراب ذاتك :

كأنك لم تسمع بأخبار من مضي ولم تر في الباقيين ما يصنف الدهر
فإن كنت لا تدرى فتلاك ديارهم محاها مجال الرحيم بعدهك والقبر
كم رأيت صاحب منزل مانزل لحده ، حتى نزل : وكم شاهدت وإلى
قصر ، وليه عدوه لما عزل : فيامن كل لحظة إلى هذا يسرى ، وفعله فعل من
لايفهم ولا يدرى :

وكيف تنام العين وهي قريرة ؟ ولم تدرى من أين المحلين نزل ؟

٥ - فصل - من قارب الفتنة ، بعدت عنه السلامه ومن . ادعى الصبر ، وكل إلى نفسه . ودب نظرة لم تنظر : وأحق الاشياء بالضبط والقهر ، اللسان والعين ، فاياك ايالك أن تفتر بعزمك ، على ترك الهوى ، مع مقاربة الفتنة .. فان الهوى مكايده ، وكم من شجاع في صف الحرب اغتيل .
فاتهاه مالم يحتسب من يأنف النظر اليه ! واذ كر حزنة مع وحشى : (١)

(١) اشارة الى مقتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم بيد وحشى

۷۶

فتبصر ولاشم كل برق
دب برق فيه صواعق حين
وانقضى الطرف تسترح من غرام
تكتسى فيه ثوب ذل وشين
في لاء الفتى موافقة النفه — س وبدىء الهوى طموح العين

٦ - فصل - أعظم العاقبة أن لا يحسن العاقب بالعقوبة . واشدمن ذلك (أن) يقم السرور بما هو عقوبة ، كالفرح بمال الحرام ، والتمكن من الذنوب ومن هذه حاله . لا يفوذ بطاعة (وانى تدبرت أحوال أكثير العلامة والمتنزهدين فرأيتهم في عقوبات لا يحسون بها ، ومعظمها من قبل طلبهم للرياسة : فالعالم منهم ، يغضب أزداد عليه خطاؤه؛ والواعظ متصنف بو عظمه ، والمتنزه منافق أو مرائي . فاول عقوباتهم ، اعراضهم عن الحق شغلا بالخلق ومن خفي عقوباتهم سلب حلاوة المناجاة ، ولذة التعبير / الارجال مؤمنون ، ونساء مؤمنات ، يحفظ الله بهم الارض ، بو اطنهم كظواهراهم ، بل أجي ، وسرائرهم كعلاناتهم ، بل أحل ، وهمهم عند التريا ، بل أعلى ، ان عرفوا تنكروا ، وان ربيت لهم كرامة ، أنكروا . فالناس في غفلاتهم ، وهم في قطع فلاتهم ، تجدهم ، بقاع الارض : وتفرج بهم أملاك السماء نسأل الله عز وجل التوفيق لاتبعهم ، وان يجعلنا من أتباعهم

٧ - فصل - من علامة كمال العقل ، علو المهمة والراضي بالدون دني

ولم أرُف عيوب الناس عيوباً كمنقص القادرِين على التمام
٨ - فصل - سبحان من سبقت محبتة لاحبابه، فدحهم على ما وَهْبَ
لهم، واشتري منهم ما أعطاهم، وقدم المتأخر من أوصافهم، لوضع ايشارهم،
فيماهى بهم في صومهم، وأحب خلوف أفواههم . يالها من حالة مصوّنة

٩ - فصل — الواجب على العاقل أخذ العدة لرحيله ، فإنه لا يعلم متى يفجئه أمر ربه ، ولا يدرى متى يستدعي ، وإن رأيت خلقاً كثيراً غرم الشباب ونسوا فقد الأقران ، وأنهم طول الأمل . وربما قال العالم المغض لنفسه : اشتغل بالعلم ثم أعمل به فيتساهل في الزهد^(١) بمحجة الراحة ، ويؤخر الرجال لتحقيق التوبة ، ولا يتھاشى من غيبة أو سماعها ، ومن كسب شبهة يأمل أن يمحوها بالورع ، وينسى أن الموت قد يبعث . فالعقل من أعطى كل لحظة حقها من الواجب عليه ، فإن بقائه الموت روى مستعداً ، وإن نال الأمل أزداد خيراً .

١٠ - فصل — خطرت لي فكرة فيما يجري على كثير من العالم من المصائب الشديدة ، والبلايا العظيمة ، التي تناهى إلى نهاية الصعوبة فقلت . سبحان الله ! إن الله أكرم الأكرمين ، والكرم يوجب المساعدة فما وجه هذه العاقبة ؟ فتفكرت ، فرأيت كثيراً من الناس في وجودهم كالعدم ، لا يتصفحون أدلة الوحدانية ، ولا ينظرون في أوامر الله تعالى ونواهيه ، بل يجرون على عادائهم كالبيأم ، فإن وافق الشرع مرادهم ، والآفمو لهم على أغراضهم . وبعد حصول الدينار ، لا يبالون أمن حلال كان أم من حرام ! وإن سهلت عليهم الصلاة ، فعلوها وإن لم تسهل تركوها ، وفيهم من يبارز بالذنوب العظيمة ، مع نوع معرفة المنهى ، وربما قويت معرفة عالم منهم ، وتفاهمت ذنبه ، فعلمت أن العقوبات ، وإن عظمت دون اجرائهم ، فإذا وقعت عقوبة لم تمحص ذنبها ، صاح مستغشهم : ترى هذا بأى ذنب ؟ وينسى ما قد كان ، مما تزلزل الأرض لبعضه وقد يهان الشيخ

(١) في الأحمدية : في الزائل .

فـكـبـرـهـ،ـحتـىـتـرـجـمـهـالـقـلـوـبـ،ـوـلـاـيـدـرـىـأـنـذـلـكـلـاـهـمـالـهـحـقـالـلـهـتـعـالـىـفـشـبـابـهـ،ـفـمـقـىـرـأـيـتـمـعـاقـبـاـ،ـفـاعـلـمـأـنـهـلـذـنـوبـ.

١١ - فصل - تأملت التحاسد بين العلماء، فرأيت منشأه من حب الدنيا، فان علماء الآخرة يتوادون ولا يتحاسدون، كما قال عز وجل « ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا » وقال تعالى : « والذين جاؤه من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولا خواتنا الذين سبقونا بالاعيام ولا يجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا » وقد كان أبو الدرداء يدعوك كل ليلة جماعة من اخوانه .

وقال الامام أحمد بن حنبل لولد الشافعي : أبوك من السادة الذين أدعوه لهم كل ليلة وقت السحر . والأمر الفارق بين المفتئتين : أن علماء الدنيا، ينظرون في الرئاسة فيها ، ويحبون كثرة الجمع والثناء ؛ وعلماء الآخرة، بمعزل من ايشار ذلك ، وقد كانوا يتخوفونه ، ويترجمون من بلي به ، وكان النخعى : لا يستند إلى سارية . وقال عاصمة : أكره أن يوطأ عقبى . ويقال عاصمة، وكان بعضهم : اذا جلس إليه أكثر من أربعة ، قام عنهم . وكانوا يتدافعون الفتوى . ويحبون الحمول ، وممثل القوم ، كمثل راكب البحر ، وقد خب ، فعنده شغل إلى أن يوقن بالنجاة ، وإنما كان بعضهم يدعوه البعض ، واستفيفيد منه : لأنهم ركب تصاحبوا فتوادوا ، فالأيام والليالي مراحلهم إلى سفر الجنة .

١٢ - فصل - من أحب تصفية الأحوال ، فليجتهد في تصفية الاعمال . قال عز وجل : « وأن لو استقاموا على الطريقة ، لا سقيناهم ماء غدقا » وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل : او ان عبادى اطاعونى لسميتهم المطر بالليل ، وأطلعت عليهم الشمس بالنهر ، ولم اسمعهم صوت الرعد . وقال صلى الله عليه وسلم : البر لا يبلى ، والأنم

لَا ينسى والديان لا ينام^(١) وكما تدين تدان . و قال ابو سليمان الداراني : من صفتى صفتى له ومن كدر كدر عليه ، ومن احسن في ليلة كوفي عف نهاره ، ومن أحسن في نهاره كوفي في ليله . وكان شيخ يدور في المجالس ، ويقول من نسره أَنْ تدوم لِهِ الْعَافِيَةُ ، فَلِيَقُولَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَانَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ ، يقول : اني لاعصي الله ، فاعرف ذلك في خلق دابتي ، وجاري . واعلم وفقك الله – انه لا يحس بضررها مبينج ، وإنما يعرف الزيادة من النقصان المحاسب لنفسه ، ومتى رأيت تكثيرا في حال فاذكر نعمة ما شكرت ، أو زلة قد فعلت ، واحذر من نثار النعم ، ومفاجأة النقم ، ولا تفتر بسعة بساط الحلم ، فربما عجل انقباضه . وقد قال الله عز وجل : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وكان ابو علي الروذباري ، يقول : من الاغترار أن تسيء ، فيحسن إليك ، فتترك التوبه ، توهمها انك تسامح في المهوأت .

١٢ - فصل - تفكرت يوما في التكليف ، فرأيته ينقسم إلى سهل وصعب ، فاما السهل ، فهو أعمال الجوارح ، إلا أن منه ما هو اصعب من بعض ، فالوضوء والصلاحة أسهل من الصوم ، والصوم ربما كان عند قوم أسهل من الزكاة ، وأما الصعب فيتفاوت ، فبعضها اصعب من بعض ، فمن المستصعب ، النظر والاستدلال الموصلان إلى معرفة الخالق . فهذا صعب عند من غابت عليه أمور الحسن ، سهل عند أهل العقل ، ومن المستصعب غلبة الهوى ، وقهقerno النفوس ، وكيف أكف الطباع عن التصرف فيما يؤثره ، وكل هذا يسهل على العاقل النظر في ثوابه ، ورجاء عاقبته ، وان شق عاجلا

« ١ » وفي رواية : والديان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تداون .

ولنا أصعب التكاليف وأعجوبها ، انه قد ثبتت حكمة الأخلاق عند العقل ، ثم يراه يفقر المنشغل بالعلم ، المقبل على العبادة حتى يغضه الفقر بناجذبه ، فيذل للجاهل في طلب القوت ، ويغى الفاسق مع الجهل ، حتى تفيض الدنيا عليه ، ثم تراه ينشئ الأجسام ويحكمها ، ثم ينقض بناء الشباب في مبدأ أمره ، وعند استكمال بنائه فإذا به قد عاد هشيا ، ثم تراه يوم الاطفال ، حتى يرجهم كل طبع ، ثم يقال له . اياك أن تشتك في انه أرحم الراحمين ، ثم يسمع بارسال وسى الى فرعون ، ويقال له : اعتقاد ان الله تعالى اضل فرعون ، واعلم انه ما كان لا دم بد من كل الشجرة وقد وبح بقوله : « وعصى آدم ربه » وفي مثل هذه الاشياء تغير خلق ، حتى خر جوا الى الكفر والتكذيب ، ولو فتشوا على سر هذه الاشياء ، لعلموا ان تسليم هذه الامور ، تكاليف العقل ليذعن ، وهذا أصل اذا فهم ، حصل السلامه والتسليم . نسأل الله عز وجل أن يكشف لنا الغواص ، التي حيرت من ضل انه قريب محبب .

١٤ - فصل - ينبغي للانسان أن يعرف شرف زمانه ، وقدر

وقته ، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة ، ويقدم الافضل فالافضل من القول والعمل . ولتكن نيتها في الخير قائمه ، من غير فتور بما يعجز عنه البدن من العمل ، كما جاء في الحديث : نية المؤمن خير من عمله . وقد كان جماعة من السلف . يبادرون بالحظات . فنقل عن عامر بن عبد قيس : أن رجلا قال له كلني ، فقال له : امسك الشمس وقال ابن ثابت البناني : ذهبت ألقن أبي ، فقال يا بني دعني ، فانني في وردي السادس . ودخلوا على بعض السلف عند موته ، وهو يصلى ، فقيل له ، فقال : الآن تطوى صحفتي . فإذا علم الانسان وان بالغ في الجد بان الموت يقطعه عن العمل ، عمل في حياته

ما يدوم له أجره بعد موته ، فان كان له شيء من الدنيا ، وقف وقفا ، وغر من غرسا ، واجرى نهرا ، ويسعى في تحصيل ذرية تذكر الله بعده ، فيكون الأجر له ، أو أن يصنف كتابا من العلم ، فان تصنيف العالم ولده المخلد ، وأن يكون عاملا بالخير ، عالما فيه ، فينتقل من فعله ما يقتدى الغير به ، فذلك الذى لم يمت

* قد مات قوم وهم في الناس أحياء *

١٥ - فصل - رأيت من أعظم حيل الشيطان ومكره، أن يخبط ارباب الأموال بالأموال ، والتشاغل باللذات القاطعة عن الآخرة وأعمالها ، فإذا أهلاهم بالمال تحرضا على جمعه ، وحثنا على تحصيله ، أمرهم بحراسته بخلافه ، فذلك من متين حيله ، وقوى مكره . ثم دفن في هذا الأمر من دقائق الحيل الخفية ، أن خوف من جمع المؤمنين ، فنفر طالب الآخرة منه ، وبادر التائب ، يخرج ما في يده ولا يزال الشيطان ، يحرضه على الزهد ، ويأمره بالترك ، ويخوفه من طرقات الكسب ، اظهاراً لنصبه وحفظ دينه . وفي خفايا ذلك عجائب من مكره ، وربما تكلم الشيطان على انسان بعض المشايخ الذين يقتدي بهم التائب ، فيقول له : اخرج من مالك وادخل في ذمة الزهد ومتى كان لك غداء أو عشاء ، فلست من أهل الزهد؛ ولا تزال مراتب العزم ، وربما كرد عليه الاحاديث البعيدة عن الصحة والواردة على سبب ولمعى ، فإذا أخرج ما في يده . وتعطل عن مكاسبه ، عاد يعلق طمه بصلة الاخوان . أو يحسن عنده صحبة السلطان ، لانه لا يقوى على طريق الزهد والترك الا أياما ، ثم يعود الطبع فيقاصر مطلوباته ، فيقع في أقبح مما فر منه ، ويبذل اول السلم في التحصيل دينه وعرضه ، ويصير

متمندلا به، ويقف في مقام اليد السفلـي . ولو أنه نظر في سير الرجال ونبأهم وتأمل صحيح الأحاديث ، عن دوئائهم ، أعلم أن الخليل عليه الصلاة والسلام كان كثير المال ، حتى صنفت بلاده بمواسيه ؛ وكذلك لوط عليه الصلاة والسلام ، وكثير من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . والحمد الغفير من الصحابة . وإنما صبروا عند العدم ، ولم يتنعوا من كسب ما يصلحهم ، ولا من تناول المباح عند الوجود . وكان أبو بكر رضي الله عنه : يخرج للتجارة والرسول صلى الله عليه وسلم حـى . وكان أكثرهم : يخرج فاضل ما يأخذ من بيت المال ، ويسلم من ذل الحاجة إلى الأخوان . وقد كان ابن عمر : لا يرد شيئا ، ولا يسأل . وإن تأملت أكثر أهل الدين والعلم على هذه الحال ، فوجدت العلم شغلاً عن المكاسب في بداياتهم ، فلما احتاجوا إلى نفوسهم ذلوا ، وهم أحق بالعز ، وقد كانوا قد عـا يكتفيـمـ من بيت المال فضلات الأخوان ، فلما عـدـتـ فيـ هـذـاـ الاـواـزـ ، لمـ يـقـدـرـ مـتـدـينـ عـلـىـ شـيءـ الاـ يـذـلـ شـيءـ مـنـ دـيـنـهـ؛ـ وـلـيـتـهـ قـدـرـ فـرـجـانـتـفـ الدـيـنـ وـلـمـ يـحـصـلـ لـهـ شـيءـ .ـ فـالـوـاجـبـ عـلـىـ العـاقـلـ انـ يـحـفـظـ مـاـمـعـهـ ،ـ وـاـنـ يـجـتـهـدـ فـيـ الـكـسـبـ لـيـرـجـعـ مـدارـاـةـ ظـالـمـ ،ـ اوـ مـداـهـنةـ جـاهـلـ ،ـ وـلـاـ يـلـهـفـتـ إـلـىـ تـرـهـاتـ الـمـصـوـفـةـ ،ـ الـذـيـنـ يـدـعـونـ فـيـ الـفـقـرـ مـاـيـدـعـونـ .ـ ذـاـ الـفـقـرـ الـاـمـرـضـ الـعـجـزـةـ ،ـ وـلـلـصـابـرـ عـلـىـ الـفـقـرـ ثـوـابـ الـصـابـرـ عـلـىـ الـمـرـضـ .ـ اللـهـمـ اـلـاـنـ يـكـوـنـ جـيـبـاـنـاـ عـنـ التـصـرـفـ ،ـ مـقـتـنـعـاـ بـالـكـفـافـ ،ـ فـلـيـسـ ذـلـكـ مـرـاتـبـ الـاـبـطـالـ ،ـ بـلـ هـوـ مـنـ مـقـامـاتـ الـجـبـنـاءـ الزـهـادـ ،ـ وـاـمـاـ الـمـكـاسـبـ لـيـكـوـنـ الـمـعـطـيـ لـاـمـعـطـيـ ،ـ وـالـتـصـدـقـ لـاـمـتـصـدـقـ عـلـيـهـ ،ـ فـهـىـ مـنـ مـرـاتـبـ الشـجـعـانـ الـفـضـلـاءـ .ـ وـمـنـ تـأـمـلـ هـذـاـ عـلـمـ شـرـفـ الـغـنـىـ وـمـخـاطـرـةـ الـفـقـرـ .ـ

١١ - فـصـلـ - تـأـمـلـ اـحـوـالـ الـفـضـلـاءـ ،ـ فـوـجـدـهـمـ فـيـ الـاغـلـبـ

قد يخسوا من حظوظ الدنيا، ورأيت الدنيا - غالباً - في أيدي أهل النقص، فنظرت في الفضلاء، فإذا هم يتأسفون على مفاسدهم مما ناله أولوا النقص، وربما تقطع بعضهم أسفًا على ذلك. فمخاطبت بعض المتأسفين فقلت له: ويحلك ندبر أمرك، فانت غالط من وجوه أحدتها: انه ان كانت لك همة في طلب الدنيا، فاجتهد في طلبها ترسيخ التأسف على فوتها، فان قمودك متأسفا على ما ناله غيرك، مع قصور اجتهادك غاية العجز، والثاني: ان الدنيا إنما تراد لغير لا اتعمـر، وهذا هو الذي يدلك عليه عالمك ويلـغـه فـهمـكـ، وما يـنـالـهـ أـهـلـ النـقـصـ من فـضـوـلـهاـ يـؤـذـىـ اـبـدـاهـ وـاـدـيـاهـ،ـ فـاـذـاـ عـرـفـتـ ذـلـكـ ثـمـ تـأـسـفـتـ عـلـىـ فـقـدـ مـاـ فـقـدـهـ أـصـلـحـ لـكـ،ـ كـاـنـ تـأـسـفـكـ عـقـوـبـةـ لـتـأـسـفـكـ عـلـىـ مـاـ تـعـلـمـ المـصـلـحةـ فـيـ بـعـدـهـ،ـ فـاقـنـعـ بـذـلـكـ عـذـابـاـ جـلاـ،ـ أـنـ سـاـمـتـ مـنـ العـذـابـ الـآـجـلـ،ـ وـالـثـالـثـ:ـ انـكـ قـدـ عـاـمـتـ بـخـسـ حـظـ الـآـدـمـيـ فـيـ الـجـمـلةـ،ـ مـنـ مـطـاعـمـ الدـنـيـاـ وـلـذـاـهـاـ بـالـاضـافـةـ إـلـىـ إـلـحـيـوـانـ الـبـهـيـمـ،ـ لـاـنـهـ^(١) يـنـالـ ذـلـكـ أـكـثـرـ مـقـدـارـاـ مـعـ أـمـنـ،ـ وـاـنـتـ تـنـالـهـ مـعـ خـوفـ وـقـلـةـ مـقـدـارـ،ـ فـاـذـاـ ضـوـعـ فـحـظـكـ مـنـ ذـلـكـ جـنـسـكـ كـانـ لـاحـقاـ بـالـحـيـوـانـ الـبـهـيـمـ مـنـ جـهـةـ أـنـهـ يـشـغـلـهـ ذـلـكـ عـنـ تـحـصـيـلـ فـضـائـلـ،ـ وـتـخـمـيـفـ الـمـؤـنـ يـحـثـ صـاحـبـهـ عـلـىـ نـيـلـ مـرـاتـبـ،ـ فـاـذـاـ آـثـرـتـ مـعـ قـلـةـ الـفـضـولـ الـفـضـولـ،ـ عـدـتـ عـلـىـ مـاـ عـاـمـتـ بـالـأـزـرـاءـ فـشـنـتـ عـالـمـكـ وـدـلـلـتـ عـلـىـ اـخـتـلاـطـ رـأـيـكـ

١٧ - فـصلـ - تـأـمـلـتـ أـقـدـامـ الـعـالـمـاءـ بـالـعـقـابـ عـلـىـ شـهـوـاتـ النـفـسـ المـهـىـ عـنـهـاـ،ـ فـرـأـيـهـاـ مـرـتـبـةـ تـرـاحـمـ الـكـفـرـ لـوـلـاـ تـلـوـحـ مـعـنـيـ:ـ وـهـوـ أـنـ النـاسـ عـنـدـ مـوـاـقـعـةـ الـمـحـظـورـ يـنـقـسـمـونـ،ـ فـنـهـمـ جـاهـلـ بـالـمـحـظـورـ اـنـهـ مـحـظـورـ،ـ فـهـذـاـ نوعـ عـذـرـ،ـ وـمـنـهـمـ مـنـ يـظـنـ الـمـحـظـورـ مـكـرـوـهـاـ،ـ لـاـ مـحـرـمـاـ فـمـذـاـ قـرـيبـ مـنـ

(١) فـيـ الـأـحـمـدـيـةـ لـاـنـهـ لـاـ يـنـالـ الخـ

الأول، وربما دخل في هذا القسم آدم صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من يتأول فيغليط ، كما يقال إن آدم عليه الصلاة والسلام . نهى عن شجرة بعينها ، فا كل من جنسها ألم عينها ، ومنهم من يعلم التحرير ، غير أن غلبات الشهوة أنسنته تذكر ذلك ، فشغله مارأى عما يعلم ، وهذا لا يذكر السارق القطع بل . يغيب بكليته في نيل الحظ ، ولا يذكر راكب الفاحشة الفضيحة ولا الحمد ، لأن ما يرى يذهله عما يعلم . ومنهم من يعلم الخطير ويذكره ، غير أن الأخذ بالحزم أولى بالعاقل ، كيف وقد علم أن هذ الملوك الحكيم قطع اليد في ربع دينار ، وهدم بناء الجسم المحكم بالرجم بالحجارة ، لالتذاذ ساعة . وخسف . ومسخ . وأغرق .

١٨ - فصل - من تأمل افعال البادي سبحانه ، رآها على قانون العدل ، وشاهد الجزاء مراصدا للمجازاة ، ولو بعد حين . فلا ينبغي أن يفتر مسامح . فالجزاء قد يتاخر . ومن أقبع الذنوب التي قد أعد لها الجزاء العظيم الاصرار على الذنب ، ثم يصانع صاحبه باستغفار وصلوة وتعبد ، وعنه ان المصانعة تنفع . وأعظم الخلق اغترارا من أني ما يكرره الله . وطلب منه ما يحبه هو ، كاروئ في الحديث . والعاجز من اتبع نفسه هو اها وتنى على الله الأمانى . وما ينبغي للعقل أن يتصدح ، وقوع الجزاء ، فان ابن سيرين قال : عيرت رجلا فقلت : يامفلس ، فأفلست بعد أربعين سنة . وقال ابن الجلاد : رآني شيخ لي وانا انظر الى أمرد ، فقال : ما هذا تتجددن غبها ، ف נשمت القرآن بعد أربعين سنة . وبالضد من هذا كل من عمل خيرا أو صحيح نية ، فلينظر جزاءها الحسن ، وان امتدت المدة . قال الله عز وجل : « انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين » وقال عليه الصلاة

والسلام : من غضٌّ بصره عن محسن امرأة اثابه الله ايمانا ، يجد حلاوهه في قلبه . فليعلم العاقل أن ميزان العدل لا يحابي .

١٩ - فصل / تأملت أحوال الصوفية والزهاد، فوجدت أكثرها منحرفاً عن الشريعة ، بين جهل بالشرع، وابتداع بالرأي ، يستدلون بآيات لا يفهمون معناها ، وبأحاديث لها أسباب ، وجمهورها لا يثبت . فمن ذلك ، انهم سمعوا في القرآن العزيز : « وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » « انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة » ثم سمعوا في الحديث : للدنيا أهون على الله من شاة ميتة على أهلها ، فبالنفوس في هجرها من غير بحث عن حقيقتها ، وذلك أنه مالم يعرف حقيقة الشيء فلا يجوز أن يمدح ولا أن يذم . فإذا بحثنا عن الدنيا رأينا هذه الأرض البسيطة التي جعلت قرار للخلق ، يخرج منها أقواتهم ، ويدفن فيها أمواتهم . ومثل هذا لا يندم لوضع المصالحة فيه ورأينا ما عليها من ماء ، وزرع ، وحيوان ، كلها لمصالح الآدمي ، وفيه حفظ لسبب بقائه ، ورأينا بقاء الآدمي سبباً لمعروفة ربه ، وطاعته إياه وخدمته ، وما كان سبباً لبقاء المارف العابد يمدح ولا يذم . فبيان لنا أن الذم إنما هو لافعال الجاهل ، أو العاصي في الدنيا ، فإنه إذا اتقى المال المباح؛ وأدى زكاته ، لم يلزم ؛ فقد علم مخالف الزير ، وابن عوف وغيرهما ، وببلغت صدقته على - رضي الله عنه - أربعين ألفاً . وخلف ابن مسعود : تسعين ألفاً ، وكان الليث بن سعد : يشتغل كل سنة عشر بن الفاً . وكان سفيان : يتجر بالمال ، وكان ابن مهدي . يشتغل كل سنة الفى دينار . وإن أكثر من النكاح والسرارى كان ممدوحاً لا ملوماً ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم زوجات ، وسراري . وجمهور الصحابة ، كانوا على الأكثار من ذلك وكان

لمي بن أبي طالب - رضى الله عنه - اربع حراير ، وسبعين عشرة امة ،
 وتزوج ولده الحسن نحوا من اربعينه . فان طلب التزوج للولاد ، فهو
 الغاية في التعبيد ، وان أراد التلذذ فباح ، يندرج فيه من التعبيد مالا يمحى ،
 من اعفاف نفسه والمرأة ، الى غير ذلك . وقد أنفق موسى - عليه
 السلام - من عمره الشرييف عشر سنين في مهر بنت شعيب ، فلو لا أن
 الفكاح من أفضل الأشياء ، لما ذهب كثير من زمان الانبياء فيه . وقد قال
 ابن عباس رضى الله عنهما : خيار هذه الامة كثرا نساء ، وكان يطأ
 جارية له وينزل في أخرى . وقالت سريعة الريبع بن خيم : كان الريبع يعزل .
 وأما المطعم فالمراد منه تقوية هذا البدن خدمة الله عز وجل ، وحق على ذي
 الناقة أن يكرمه لتحمله ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم : يأكل ما وجده ،
 فان وجد اللحم أكله ، ويأكل لحم الدجاج ، وأحب الأشياء إليه الحلوي
 والعسل . وما نقل عنه انه امتنع من مباح . وجىء على رضى الله عنه
 بغالوذج فاك كل منه ، وقال ما هذا ؟ قالوا : يوم النوروز ، فقال : نوروزنا كل
 يوم وإنما يكره الا كل فوق الشبع ، والابس على وجه الاختيال والبطر .
 وقد اقتنع اقوام بالدون من ذلك ، لأن الحلال الصافي لا يكاد يذكر في تحسيل
 المراد ، والا فقد ليس النبي صلى الله عليه وسلم : حلقة اشتريت لها - بسبعين
 وعشرين بييرا - وكان ثمين الداري : حلقة اشتريت بألف درهم ، يصلى فيها
 بالليل . جاء اقوام ، فاظهروا التزهد ، وابتسموا طريقة زينة لهم الهوى ، ثم
 تطلبوها الدليل ، وإنما ينبغي للإنسان أن يتبع الدليل لأن يتبع طريقا
 ويطلب دليلا ، ثم انقسموا : فنهم متصنون في الظاهر ، ليث الشرى في
 الباطن ، يتناول في خلواته الشهوات ، وينعكف على اللذات . ويرى الناس

بزيم أنه متصوف متزهد، وما تزهد إلا القميص . وإذا نظر إلى أحواله
 فعنده كبر فرعون . ومنهم سليم الباطن ، إلا أنه بالشرع جاهل . ومنهم
 من تصدر وصف فاقتدي به الجاهلون في هذه الطريقة ، وكانوا كعبي
 اتبعوا أعمى ، ولو أنهم تلمعوا للأمر الأول ، الذي كان عليه الرسول صلى
 الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم ، لما زاغوا . ولقد كان جماعة من
 المحققيين ، لا يبالون بمعظم في النفوس إذا حاد عن الشريعة ، بل يوسعونه
 لوما . فنقل عن أحمد أنه قال له المروزي : ما تقول في النكاح ؟ فقال سنة النبي
 صلى الله عليه وسلم ، فقال فقد قال إبراهيم . قال : فصاح بي وقال جئتنا يننيات
 الطريق : وقيل له أن سريا السقطي قال : لما خلق الله تعالى الحروف ،
 وقف الآف وسبعين سجدة للباء ، فقال . نفروا الناس عنه . واعلم أن الحق
 لا يهوله اسم عظيم ، كما قال رجل لعلى بن أبي طالب رضي الله عنه : أتظن
 أنا نظن أن طلاحة والزبير ، كانوا على الباطل ؟ فقال له : إن الحق لا يعرف
 بالرجال ، اعرف الحق تعرف أهله . ولعمري أنه قد وقر في النفوس تعظيم
 أقوام ، فإذا نقل عنهم شيء فسمعه جاهل بالشرع ، قبله لتعظيمهم في نفسه
 كما ينقل عن أبي يزيد رضي الله عنه ، انه قال : ترأفت على نفسى خلقت
 لا أشرب الماء سنة وهذا اذا صحي عنه ، كان خطأ قبيحا ، وزلة فاحشة ،
 لأن الماء ينفذ الأغذية إلى البدن ، ولا يقوم مقامه شيء ، فإذا لم يشرب
 فقد سعى في إذى بدن ، وقد كان يستعبد الماء لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، افترى هذا فعل من يعلم : أن نفسه ليست له ، وأنه لا يجوز التصرف
 فيها الا عن اذن مالكتها وكذلك ينقلون عن بعض الصوفية ، أنه قال :
 سرت الى مكة على طريق التوكل حافيا ، فكانت الشوكة تدخل في رجلي

فاحكها بالأرض ولا أرغمها، وكان على مسح، فكانت غيّي إذا ألمتني
 أدلكم بالمسح فذهبت أحدي عيني وأمثال هذا كثير وربما حملها القصاص
 على الكرامات، وعظموها عند العوام، فيخايل لهم أن فاعل هذا أعلى
 مرتبة من الشافعى، وأحمد. ولعمرى أن هذا من أعظم الذنب وأقبح
 العيوب، لأن الله تعالى قال: «ولا تقتلوا أنفسكم» وقال النبي صلى الله عليه
 وسلم: إن لنفسك عليك حقاً: وقد طلب أبو بكر رضى الله عنه، فى
 طريق الهجرة للنبي صلى الله عليه وسلم، ظلا حتى رأى صخرة فقرش له
 فى ظلها. وقد نقل عن قدماء هذه الأمة بدايات هذا التفريط، وكان سبباً
 من وجهين. أحدهما الجهل بالعلم، والثانى: فرب العهد بالرهبة وقد كان
 الحسن يعيّب فرقاً السنجى، ومالك بن دينار، فى زهدهما، فرمى عنده
 طعام فيه لحم، فقال: لارغيف مالك، ولا محننا فرقـ . ورأى على فرقـ
 كـاء، فقال: يا فرقـ ان أكـرـ أهـلـ النـارـ أصـحـابـ الاـكـسـيةـ . وكم قد زوقـ
 قاص مجلسـه بـذـكـرـ أـقوـامـ خـرـجوـاـ إـلـىـ السـيـاحـةـ بلاـ زـادـوـلـامـ ، وـهـوـ
 لاـ يـعـلـمـ أـنـ هـذـاـ مـنـ أـقـبـحـ الـأـفـعـالـ : وـاـنـ اللهـ تـعـالـىـ لـاـ يـحـرـبـ عـلـيـهـ ، فـرـيـماـ
 سـعـهـ جـاهـلـ مـنـ التـائـبـينـ ، فـخـرـحـ فـهـاتـ فـيـ الطـرـيقـ ، فـصـارـ لـلـقـائـلـ نـصـيبـ
 مـنـ اـنـهـ . وـكـمـ يـرـوـونـ عـنـ ذـىـ النـوـنـ : أـنـ لـقـىـ اـمـرـأـ فـيـ السـيـاحـةـ فـكـلـمـهـاـ
 وـكـلـمـتـهـ ، وـيـنـسـونـ الـاحـادـيـثـ الصـحـاحـ : لـاـ يـحـلـ لـاـمـرـأـ أـنـ تـسـافـرـ يـوـمـ اوـ لـيـلـةـ
 الاـ بـحـرـمـ : وـكـمـ يـنـقـلـوـنـ : أـنـ أـقـوـاماـ مـشـواـ عـلـىـ المـاءـ وـقـدـ قـالـ اـبـرـاهـيمـ الـحـرـبـيـ:
 لـاـ يـصـحـ أـنـ أـحـدـاـ مـشـىـ عـلـىـ المـاءـ قـطـ ! فـاـذـاـ سـمـعـواـ هـذـاـ قـالـوـاـ : أـنـكـرـوـنـ
 كـرامـاتـ الـأـولـيـاءـ الصـالـحـينـ ؟ فـنـقـولـ: لـسـنـاـ مـنـ الـنـكـرـيـنـ لـهـاـ ، بـلـ تـبـعـ
 مـاصـحـ ، وـالـصـالـحـوـنـ هـمـ الـذـيـنـ يـتـبـعـوـنـ الشـرـعـ ، وـلـاـ يـتـبـعـوـنـ بـآـرـاءـهـمـ . وـفـ

الحديث: ان بني اسرائيل شددوا، فشدد الله عليهم. وكم يجرون على الفقر حتى
حملوا خلقا على اخراج اموالهم، ثم آل بهم الامر اما الى التسخط عند
الحاجة، واما الى التعرض بسؤال الناس. وكم تأذى مسلم بأمرهم الناس
باتقليل: وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ثلث طعام، وثلث شراب،
وثلث نفس، فما قعوا حتى امروا بالمباغنة في القتل. فذكر ابو طالب المكي
في قوت القلوب: ان فيهم من كان يزن فوهه بكره^(١) رطبة، ففي كل ليلة
يذهب من رطوبتها قليل، وكتبت ان من اقتدى بقوله في الصبا، فضاق
المعى وأوجب ذلك، مرض سنيز. أفترى هذا شىء تقتصيه الحكمة، أو ندب
إليه الشرع؟ وانما مطية الآدمى قواه، فإذا سعى في تقليلها ضعف عن
العبادة. فانا لو دخلنا ديار الروم، فوجدنا أثماناً خمود واجر الفجور،
كان لنا حلالاً بوصف الغنيمة. أفترى حلالاً على معنى أن الحياة من الذهب
لم تنتقل مذ خرجت من المعدن، على وجه لا يجوز: فهذا شىء لم ينظر فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم: او ليس قد سمعت أن الصدقة عليه حرام،
فاما تصدق على بريءة باحتم فاهذه، جازله كل تلك العين لتغيير الوصف.
وقد قال احمد بن حنبل: اكره التقليل من الطعام، فات اقواماً فعلوه
فعجزوا عن الفرائض، وهذا صحيح. فان المتقليل لا يزال يتقليل، الى أن
يعجز عن النوافل ثم الفرائض، ثم يعجز عن مباشرة اهله واعفافهم، وعن
بذل القوى في الكسب لهم، وعن فعل خير قد كان يفعله، ولا يهوننك
ما تسمعه من الاحاديث، التي تحدث على الجوع، فان المراد بها إما الحث
على الصوم، واما النهي عن مقاومة الشبع. فاما تنقيص المطعم على الدوام،

(١) في الاحمدية: بكره رطبة. وهي كربة النخل

فَوْرٌ فِي الْقُوَىٰ ، فَلَا يَجُوزُ . ثُمَّ فِي هُؤُلَاءِ الْمَذْمُونِ مِنْ يَوْمِ هَجْرِ الْأَحْمَمِ ،
 وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَوْدُ أَنْ يَأْكُلَهُ كُلَّ يَوْمٍ ، وَاسْمَعْ مِنِي بِلَا
 حَمَايَا ، لَا تَحْتَاجُنَّ عَلَىٰ بِإِسْمَاءِ الرِّجَالِ ، فَتَقُولُ قَدْ قَالَ بَشَرٌ وَقَالَ إِبْرَاهِيمَ
 ابْنَ آدَمَ ، وَانْ مَنْ احْتَجَ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاصْحَابِهِ رَضْوَانَ اللَّهِ
 عَلَيْهِمْ أَفْوَى حِجَةً ، عَلَىٰ أَنْ لَا فَعَالٌ أَوْلَئِكَ وَجْهُهَا تَحْمِلُهُمْ بِخَيْرٍ
 الظَّنْ . وَلَقَدْ ذَاكَرَتْ بَعْضُ مَشَايِخِنَا مَا يُرَوَى عَنْ جَمَاعَةِ مِنِ السَّادَاتِ ،
 أَنَّهُمْ دَفَنُوا كِتَبَهُمْ ، فَقَلَّتْ لَهُ : مَا وَجَهَ هَذَا ؟ فَقَالَ : أَحْسَنَ مَا تَقُولُ أَنْ
 نَسْكَتْ ، يَشِيرُ إِلَى أَنَّ هَذَا جَهْلٌ مِنْ فَاعِلِهِ ، وَتَأْوِلَتْ إِنَّا لَهُمْ : فَقَلَّتْ ، لَعْلَهُ
 مَا دَفَنُوا مِنْ كِتَبَهُمْ ، فِيهَا شَيْءٌ مِنِ الرَّأْيِ ، فَإِنْ رَأُوا أَنْ يَعْمَلَ النَّاسُ بِهِ ،
 وَلَقَدْ رَوَيْنَا فِي الْحَدِيثِ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْحَوَارِيِّ : أَنَّهُ أَخْذَ كِتَبَهُ فَرَمَى
 بِهَا فِي الْبَحْرِ : وَقَالَ ، نَعَمْ الدَّلِيلُ كَنْتَ : وَلَا حَاجَةُ لَنَا إِلَى الدَّلِيلِ ، بَعْدَ
 الْوَصْوَلِ إِلَى الْمَدْلُولِ . وَهَذَا إِذَا أَحْسَنَنَا بِالظَّانِ ، قَلَّنَا كَانَ فِيهَا مِنْ كَلَامِهِمْ
 مَا لَا يُرْتَضِيهِ ، فَإِنَّمَا إِذَا كَانَتْ عِلْمًا صَحِيحَةً ، كَانَ هَذَا مِنْ أَخْشَى الاضْطَاعَةِ
 وَإِنَّا وَانْ تَأْوِلْتُمْ هَذَا ، فَهُوَ تَأْوِيلٌ صَحِيحٌ فِي حَقِّ الْعَالَمِينَ ، لَا نَأْنَدُ
 رَوَيْنَا عَنْ سَفِيَّانَ الثُّوْرَىِّ : أَنَّهُ قَدْ أَوْصَى بِدُفْنِ كِتَبِهِ ، وَكَانَ نَدْمُ عَلَى أَشْيَاءِ
 كِتَبِهَا ، عَنْ قَوْمٍ ، وَقَالَ : حَمَلْنَا شَهْوَةَ الْحَدِيثِ — وَهَذَا لَانَّهُ كَانَ يَكْتُبُ
 عَنِ الْضَّعَافِ وَالْمُتَرَوِّكِينَ — فَكَانَهُ لِمَا عَسَرَ عَلَيْهِ التَّمِيزُ ، أَوْصَى بِدُفْنِ الْكُلِّ .
 وَكَذَلِكَ مِنْ كَانَ لَهُ رَأْيٌ مِنْ كَلَامِهِ ثُمَّ دَرَجَ عَنْهُ ، جَازَ أَنْ يَدْفَنَ الْكِتَبَ
 الَّتِي فِيهَا ذَلِكُ ، فَهَذَا وَجْهُ التَّأْوِيلِ لِلْعَالَمِينَ . فَإِنَّمَا الْمُتَرَزِّهُونَ ، الَّذِينَ رَأُوا
 صُورَةً فَعَلَ الْعَالَمِينَ ، وَدَفَنُوا كِتَبًا صَالِحةً لِتَشْغُلِهِمْ عَنِ التَّعْبِدِ ، فَانَّهُ جَهْلٌ
 مِنْهُمْ ، لَا نَأْنَمُ شَرْعَوْنَ فِي اطْفَاءِ مَصْبَاحٍ يُضِيِّعُ لَهُمْ ، مَعَ الْأَقْدَامِ عَلَى تَضْيِيعِ

مال لا يدخل . ومن جملة من عمل بواقعة دفن كتب العلم ، يوسف بن أسباط
 ثم لم يصبر عن التحدث خاطفعد في الضعفاء . أنبأنا عبد الوهاب بن
 المبارك ، قال أخبرنا محمد بن المظفر الشامي ، قال أخبرنا أحمد بن محمد
 العتيقي ، قال حدثنا يوسف بن أحمد ، قال حدثنا محمد بن عمرو العتيلي ،
 قال حدثنا محمد بن عيسى ، قال أخبرنا أحمد بن خالد الخلال . قال : سمعت
 شعيب بن حرب يقول قلت ليوسف بن أسباط كيف صنعت بكتبك ؟ قال :
 جئت إلى الجزيرة ، فلما نصب الماء دفنتها حتى جاء الماء عليها ، فذهبت . قلت :
 ما حملت على ذلك ؟ قال : اردت أن يكون لهم واحدا . قال العتيلي : وحدتني
 آدم ، قال سمعت البخاري قال قال صدقة : دفن يوسف بن أسباط كتبه ،
 وكان بعد يغلب عليه ، فلا يحيى كائين بغي ، وقال المؤلف قلت : الظاهر أن هذه
 كتب علم ينفع ، ولكن قلة العلم أو جبت هذا التفريط ، الذي قصد به
 الخير ، وهو شر . فلو كانت كتبه من جنس كتب الثورى ، فان فيها عن ضعفاء
 لم يصح له التمييز قرب الحال . إنما تعامله بجمع الهم ، هو الدليل على أنها
 ليست كذلك ، فانظر إلى قلة العلم ، ماذا تؤثر مع أهل الخير . ولقد بلغنا
 في الحديث عن بعض من نعاظمه ، وزروره ، انه كان على شاطئ دجلة ، فبالي
 ثم تيمم ، فقيل له الماء قريب منك ، فقال خفت ان لا أبلغه ، وهذا وإن
 كان يدل على قصر الامل ، الا ان الفقهاء اذا سمعوا مثل هذا الحديث تلاعبوا
 به ، من جهة ان التيمم ، إنما يصح عند عدم الماء ، فإذا كان الماء موجوداً
 كان تحريك اليدين ، بالتيمم عبيضاً . وليس من ضرورة وجود الماء ان
 يكون الى جانب المحدث ، بل لو كان على اذرع كثيرة ، كان موجوداً ،
 فلا فعل للتيمم ، ولا اثر حينئذ . ومن تأمل هذه الاشياء ، علم ان فقيها

واحداً، وان قل اتباعه، وخفت اذمات أشياعه، أفضل من ألف تمسح
 العوام بهم تبركاً، ويشع جنائزهم مالا يحصى . وهل الناس إلا صاحب
 أثر تبعه، أو فقيه يفهم مراد الشرع ويفتي به؟ نعوذ بالله من الجهل ، وتعظيم
 الاسلاف تقليداً لهم بغير دليل ! فان من ورد المشرب الاول رأى سائر
 المشارب كدرة، والحننة العظمى مدائح العوام . فكم غرت كما قال على رضي
 الله عنه : ما أبقى خفق النعال وراء الجمفي ، من عقولهم شيئاً / ولقد رأينا
 وسمعنا من العوام ، أنهم يدحون الشخص ، فيقولون : لا ينام الليل ، ولا
 يفطر النهار ، ولا يعرف زوجة ، ولا يذوق من شهوات الدنيا شيئاً ، قد
 نخل جسمه ، ودق عظمه ، حتى انه يصلى قاعداً ، فهو خير من العلماء الذين
 يأكلون ويتمتعون . ذلك مبالغة من العلم ، ولو عماوا ان الدنيا لو اجتمعت
 في لقمة فتناولها عالم يفتى عن الله ، ويخبر بشريعته ، كانت فتوى واحدة
 منه يرشدها الى الله تعالى خيراً وأفضل من عبادة ذلك العابد باقي عمره ! وقد
 قال ابن عباس رضي الله عنهما : فقيه واحد ، أشد على ابليس من ألف
 عابد . ومن سمع هذا الكلام فلا يظن أنى أمدح من لا يعمل بعلمه ، وإنما
 أمدح العاملين بالعلم ، وهو أعلم بمصالح أنفسهم ، فقد كان فيهم من يصلح
 على خشن العيش ، كأحمد بن حنبل ، وكان فيهم ، من يسـتعمل دقيق
 العيش ، كسفيان الثورى ، مع ورده ، ومالك مع تدینه ، والشافعى مع قوة
 فقهه ، ولا ينبغي أن يطالب الانسان بما يقوى عليه غيره ، فيضعف هو
 عنه ، فان الانسان أعرف بصلاح نفسه . وقد قالت رابعة : ان كان
 صلاح قلبك في الفالوذج فكله ، ولا تكون أنها السامع من يرى صور
 الزهد . فرب متنعم لا يريد التنعم ، وإنما يقصد المصلحة . وليس كل بدن

يقوى على الخشونة خصوصاً من قدراتي الكدّ وأجهذه الفكر ، أو مضنه الفقر ، فإنه إن لم يرافق نفسه ، ترك واجباً عليه من الرفق ، فهذه جملة لو شرحتها بذكر الأخبار والمنقولات ، لطالت غير اني سطرتها على عجل حين جلت في خاطري ، والله ولى النفع برجته .

٢٠ - فصل - قد أشكل على الناس أمر النفس وما هيها ، مع اجماعهم على وجودها ، ولا يضر الجهل بذاتها مع اثباتها ، ثم أشكل عليهم مصيرها بعد الموت ، ومذهب أهل الحق أن لها وجوداً بعد موتها ، وإنما تنعم وتعدب ، قال أحمد بن حنبل : أرواح المؤمنين في الجنة ، وأرواح الكفار في النار ، وقد جاء في أحاديث الشهداء : إنها في حوصل طير خضر تعلق من شجر الجنة . وقد أخذ بعض الجهة بظواهر أحاديث النعيم ، فقال : إن الموتى يأكلون في القبور ، وينكحون ، والصواب من ذلك ، إن النفس تخرج بعد الموت إلى نعيم أو عذاب ، وإنها تجده ذلك إلى يوم القيمة ، فإذا كانت القيمة ، أعيدت إلى الجسد ليتكامل لها التنعم بالوسائل وقوله - في حوصل طير خضر - دليل على أن النفوس لا تناولندة إلا بواسطة ، إلا أن تلك المذلة مطعم أو مشرب ، فأما الذات المعرف والعلوم فيجوز أن تناها بذاتها ، مع عدم الوسائل . والمقصود من هذا المذكور أن رأيت بعض الأزعاج من الموت ، وملحظة النفس بعين العدم عنده ، فقلت لها : إن كنت مصدقة للشريعة فقد أخبرت بما تعرفي ، ولا وجه للإنكار ، وإن كان هناك ريب في أخبار الشريعة ، صار الكلام في بيان صحة الشريعة . فقالت : لا ريب عندي ، قلت : فاجتهدي في تصحيح الإيمان ، وتحقيق التقوى ، وابشرى حينئذ بالراحة من ساعة الموت ، فإني لا أخاف عليك

الا من التقصير في العمل ، واعلمي ان تفاوت النعيم بقدر درجات الفضائل
فارتفعى باجنحة الجد الى أعلى أبرا جها ، واحذرى من قانص هوى ، أو شرك
غرة والله ، الموفق .

٢١ - فصل - قلت يوماً في مجلسى : لو ان الجبال حملت ما حملت

اعجزت ، فلما عدت الى منزلى ، قالت لي النفس : كيف قلت هذا ، وربما
أوهم الناس ان بك بلاء وأنت في عافية في نفسك وأهلك ؟ وهل الذي
حملت الا التكاليف الذى يحمله اخلق كلامهم ؟ فما وجه هذه الشكوى . فأجبتها
انى لما عجزت عمما حملت ، قلت هذه الكلمة لا على سبيل الشكوى ، ولكن
للاسترواح ، وقد قال كثير من الصحابة والتابعين قبلي : ليتنا لم نخلق :
وما ذاك الا لانفصال عجزوا عنها ، ثم من ظن ان التكاليف سهلة فما عرفها
أترى يظن الظان ان التكاليف غسل الاعضاء ببرطل من الماء ، او الوقوف في
محراب ، لاداء ركعتين ؟ هيهات ! هذا أسهل التكاليف ، وان التكاليف هو
الذى عجزت عنه الجبال ، ومن جملته : أننى اذا رأيت الفدر يجري بما لا يفهمه
العقل ، أزمت العقل الاذعان المقدر ، فيكان من أصعب التكاليف ،
وخصوصاً فيما لا يعلم العقل معناه كابلام الاطفال ، وذبح الحيوان ، مع
الاعتقاد بأن المقدر لذلك والا أمر به أرحم الراحمين . فهذا مما يتغير العقل
فيه ، فيكون تكاليف التسليم ، وترك الاعتراض . فكم بين تكاليف البدن
وتكاليف العقل ! ولو شرحت هذا الطال غير انى أعذر عمما قلته ، فاقول
عن نفسي ، وما يلزمني حال غيري : أننى رجل حب الى العلم من زمان
الطفولة فتشاغلت به ، ثم لم يحبب الى فن واحد منه ، بل فنونه ، ثم
لاتقتصر همي في فن على بعضه ، بل أدورم استقصاءه ، والزمان لا يسع ،

والعمر أضيق، والسوق يقوى، والعجز يظهر^(١) ففيق وقوف بعض المطلوبات
حسرات، ثم ات العلم دلني على معرفة العبود، وحشني على خدمته، ثم
صاحت بي الأدلة عليه اليه، فوقفت بين يديه، فرأيته في نعمة وعرفته
بصفاته، وعاينت بصيرتي من ألطافه مادعاني إلى الهميـان في محبيـه، وحركتـي
إلى التخلـي خدمـته، وصار يملـكـنـي أمرـ كالـ وجـدـ كـلـاـ ذـ كـرـتـهـ، فـعـادـتـ خـلـوـتـيـ
فـخـدمـتـ لـهـ، أـحـلـيـ عـنـدـيـ مـنـ كـلـ حـلاـوةـ، فـكـلـاـ مـاتـ إـلـىـ الـاـنـقـطـاعـ عـنـ
الـشـوـاغـلـ إـلـىـ الـخـلـوـةـ، صـاحـ بـيـ الـعـلـمـ أـيـنـ تـضـيـ؟ـ أـتـعـرـضـ عـنـيـ وـأـنـ سـبـبـ
مـعـرـفـتـكـ ؟ـ فـاقـولـ لـهـ :ـ أـنـاـ كـيـنـتـ دـلـيـلـاـ وـبـعـدـ الـوـصـولـ يـسـتـغـنـيـ عـنـ الدـلـيـلـ،ـ
قـالـ :ـ هـيـهـاتـ !ـ كـلـاـزـدـتـ، زـادـتـ مـعـرـفـتـكـ بـحـبـوـبـكـ، وـفـهـمـتـ كـيـفـ الـقـرـبـ مـنـهـ
مـنـهـ، وـدـلـيـلـ هـذـاـ، إـنـكـ تـعـلـمـ غـدـاـ، إـنـكـ الـيـوـمـ فـيـ تـقـصـانـ، أـوـ مـاسـعـتـهـ يـقـولـ
بـنـبـيـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ :ـ «ـ وـقـلـ رـبـ زـدـنـيـ عـلـيـاـ»ـ،ـ ثـمـ السـمـتـ تـبـغـيـ الـقـرـبـ مـنـهـ
فـاشـتـغـلـ، بـدـلـالـةـ عـبـادـهـ عـلـيـهـ، فـهـىـ حـالـاتـ الـأـنـبـيـاءـ عـاـيـهـمـ الـصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ،ـ
أـمـاـعـامـتـ أـنـهـ آـتـرـواـ تـعـلـيمـ اـخـلـقـ، عـلـىـ خـلـوـاتـ التـعـبـدـ، لـعـاهـمـ أـنـ ذـلـكـ آـثـرـ
عـنـدـ جـبـيـهـمـ ؟ـ أـمـاـ قـالـ الرـسـوـلـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، لـعـلـىـ رـضـيـ اللـهـعـنـهـ :ـ لـأـنـ
يـهـدـيـ اللـهـ بـكـ رـجـلـاـ، خـيـرـ لـكـ مـنـ حـمـرـ النـعـمـ ؟ـ فـلـمـ فـهـمـتـ صـدـقـ هـذـهـ الـمـقـالـةـ،ـ
تـهـوـسـتـ عـلـىـ تـلـكـ الـحـالـةـ، وـكـلـاـ تـشـاغـلـتـ بـجـمـعـ النـاسـ، تـفـرـقـ هـمـيـ، وـإـذـاـ
وـجـدـتـ مـرـادـيـ مـنـ نـفـعـهـمـ، ضـعـتـ أـنـاـ، فـأـبـقـيـ فـيـ حـيـزـ التـحـيـرـ مـتـرـدـداـ،ـ
لـأـدـرـىـ عـلـىـ أـيـ الـقـدـمـيـنـ أـعـتـمـدـ، فـإـذـاـ وـقـفتـ مـتـحـيـرـاـ صـاحـ الـعـلـمـ، قـمـ لـكـسـبـ
الـعـيـالـ، وـادـأـبـ فـيـ تـحـصـيـلـ وـلـدـ يـذـكـرـ اللـهـ، فـإـذـاـ شـرـعـتـ فـيـ ذـلـكـ قـاـصـ ضـرـعـ
الـدـنـيـاـ وـقـتـ الـحـلـبـ، وـرـأـيـتـ بـابـ الـمـعـاشـ مـسـدـوـدـاـ فـيـ وـجـهـيـ، لـأـنـ صـنـاعـةـ

(١) في الأحمدية : يُتعد .

العلم شغلتني عن تعلم صناعة ، فإذا التفت إلى أبناء الدنيا ، رأيتهم لا يبیعون شيئاً من سلعة إلا بدين المشترى أوليت من ناقتهم أو رايتها نال من دينها .
 بل ربما ذهب دينه ولم يحصل مراده ، فان قال الضجر اهرب . قال :
 الشرع كفى بالمرء إنما أن يضيع من يقوت . وان قال العزم انفرد . قال :
 فكيف بن تعول . فغاية الامر انى اشرع في التقلل من الدنيا ، وقد
 دبرت في نعيمها ، وغذيت بلبانها ، ولطف مزاجي فوق لطف وضعه
 بالعادة . فإذا غيرت لباسي وخشت مطعمي ، لأن القوت لا يحتمل
 الانبساط نفر الطبع لفارق العادة ، فل المرض فقط عن واجبات ، وأوقع
 في آفات . وملعون ان لين اللقمة بعد التجھیل من الوجوه المستطابه
 وتخسينه الممن لم يألف سعى في تلف النفس فأقول : كيف اصنع وما الذى
 افعل ؟ واخلو ؟ بنفسي في خلواني وازيد من البكاء على تقص حالاتي .
 واقول : اصف حال العلاماء : وجسمى يضعف عن اعادة العلم ، وحال
 الزهاد ، وبدنى لا يقوى على الزهد ، وحال المحبين ، ومخالطة اخلاق تشتت
 همى ، وتنفس صور المحبوبات من الهوى في نفسي . فقصدأ مرآة قلبى
 وشجرة المحبة تحتاج الى تریة في تربة طيبة ، لتسق ماء الخلوة . من
 دولاب الفكره ، وان آثرت التکسب لم اطق . وان تعرضت لابناء الدنيا
 مع ان طبع الأنفة من الذل ، وتدیني يعني ، فلا يبيق لمييل مع هذين
 الجاذبين أثر . ومخالطة اخلاق تؤذى النفس مع الانفاس ، ولا تتحقق
 التوبة اقدر عليه ، ولا نيل مرتبة من علم أو عمل أو محبة يصح لى . فإذا
 رأيتني كما قال القائل :

القاه في الماء مكتوفا وقال له اياك اياك انت تقتل بالماء

تحيرت في أمرى ، وبكىت على عمرى ، وأنادى في فلوات خلواتي بما سمعته
من بعض العوام وكأنه وصف حالى :

واحسنتى كم ادارى فيك تعيشى مثل الأسير بلا حيل ولا سيرى
ما حيلتى في الهوى قد ضاع تدبيرى لما شكلت جناحى قلت لي طيرى
— ٢٢ — فصل — تأملت أمر الدنيا والآخرة فوجدت حوادث

الدنيا حسية طبيعية ، وحوادث الآخرة إيمانية يقينية . والحسيات أقوى
جذبًا لمن لم يقوى عالمه ويقينه . والحوادث إنما تبقى بكثرة أسبابها
فخالطة الناس ، ورؤيه المستحسنات ، والتعرض بالملذوذات ، يقوى
حوادث الحس والعزلة والتفكير . والنظر في العلم يقوى حوادث الآخرة .
ويبيّن هذا بان الإنسان اذا خرج يمشي في الاسواق ويصر زينة الدنيا ثم
دخل الى المقابر فتفكر ورق قلبه فانه يحس بين الحاتتين فرقاً ييناً ، وسبب
ذلك التعرض بأسباب الحوادث ، فعليك بالعزلة والذكر والنظر في
العلم ، فان العزلة حمية والفكر والعلم أدوية . والدواء مع التخليط لا ينفع ،
وقد تكنت منك اخلاط المخالطة لايخلق ، والتخليط في الافعال . فيليس لك
دواء الا ما وصفت لك ، فاما اذا خالطت الخلق وتعرضت للشهوات ،
ثم رمت صلاح القلب رمت المقتنع .



— ٢٣ — فصل — تأملت حرص النفس على ما منعت منه ، فرأيت
حرصها يزيد على قدر قوة المنع ، ورأيت في السرب الاول أن آدم عليه
السلام لما نهى عن الشجرة حرص عليه اعم كثرة الاشجار المغنية عنها وفي
الامثال : المرأة حريص على ما منع ، وتوافق الى مالم ينزل . ويقال : لو أمر
الناس بالجوع لاصبروا ، ولو نهوا عن تفتت البعير لرغبووا فيه ، وقالوا

ما هبنا عنه الا شىء . وقد قيل :

* أحب شىء الى الانسان ما منعا *

فلا بحثت عن سبب ذلك وجدت سببين ، أحدهما : ان النفس لا تصير على الحصر فانه يكفى حصرها في المبدن صورة : فإذا حصرت في المعنى يمنع زاد طيشها ولهذا لو قعد الانسان في بيته شهرالم يصعب عليه ، ولو قيل له : لا تخرج من بيتك يوما طال عليه . والثانى : انها يشق عليها الدخول تحت حكم ، وهذا تستلزم الحرام ، ولا تكاد تستطيب المباح . ولذلك يسهل عليها التعبد على ماترى وتؤثر لا على ما يؤثر .

٢٤ - فصل - ما زالت نفسي تنازعني بما يوجبه مجلس الوعظ ،

وتوبه التائبين ، ورؤيه الزاهدين . الى الزهد والانقطاع عن الخلق والانفراد بالآخرة ، فتأملت ذلك فوجدت عمومه من الشيطان فان الشيطان يرى انه لا يخلو مجلس من خلق لا يمحضون ، يبكون ويندبون على ذنبهم ، ويقوم في الغالب جماعة يتوبون ويقطعون شعور الصبا . وربما اتفق خمسين ومائة . ولقد تاب عندي في بعض الايام اكثر من مائة ، وعمومهم صبيان قد نشأوا على اللعب والاتهام في المعاصي . فكان الشيطان وبعد غوره في الشر رأني اجتذب الى من اجتذب منه ، فأراد ان يشغلني عن ذلك بما يخرقه ليخلو هو من اجتذبه من يده ، ولقد حسّن الى الانقطاع عن المجالس وقال : لا يخلو من تصنّع للخلق . فقلت : اما زخرفة اللفاظ وتزويقها ، واحراج المعنى من مستحسن العبارة ففضيلة لارذيلة : وأما ان أقصد الناس بما لا يجوز في الشرع فعاذ الله ، ثم رأيتها يريني في التزهد قطع اسباب . ظاهرها الاباحة من الاكتساب . فقلت : له فان طاب

لى الزهد ، وتمكنت من العزلة ، فنفذ ما يمدى أو يحتاج بعض حاجتى ،
 ألسنت اعود القهقرى ؟ فدعنى اجمع ما يسد خلتي ويصونى عن مسئلة
 الناس ، فإن مد عمرى . كان نعم السبب . والا كان للعائنة . ولا اكون
 كراكب أراق ماءه لرؤيه سراب ، فلما ندم وقت الفوات لم ينفع بالندم ،
 وإنما الصواب توطئة المضجع قبل النوم ، وجمع المال الساد لغاية قبل
 الكبر ، اخذا بالحزم ، وقد قال الرسول صلى الله عاليه وسلم : لأن ترك
 ورثتك أغنياء خير لك من أن تركهم عالة يتکففون الناس . وقال : نعم
 المال الصالح ، الرجل الصالح . وأما الانقطاع فينبغي ان تكون العزلة عن
 الشر لاعن الخير ، والعزلة عن الشر واجبة على كل حال . وأما تعليم الطالبين
 وهداية المربيين ، فازء عبادة العالم . وان من تفضيل بعض العلماء إيثاره
 للتنفل بالصلة والصوم ، عن تصنيف كتاب ، أو تعليم علم ينفع لأن ذلك
 بذر يكثر دفعه ، ويعتد زمان نفعه . وإنما تميل النفس الى ما يزخر به الشيطان
 من ذلك لمعنيين . أحدهما : حب البطالة لأن الانقطاع عن دها اسهل .
 والثانى : حب المدح فانها اذا توسمت بالزهد كان ميل العوام اليها أكثر ،
 فعليك بالنظر في السرب الاول ، فكن مع السرب المقدم . وهم الرسول صلى
 الله عاليه وسلم واصحابه ، رضى الله تعالى عنهم فهل نقل عن أحد منهم
 ما ابتدعه جهله المترهدين والتصوفة ، من الانقطاع عن العلم ؟ والانفراد
 عن الخلق ، وهل كان شغل الانبياء الا معانات الخلق ؟ وحthem على اخير
 ونهم عن الشر . إلا أن ينقطع من ليس بعالم يقصد الكف عن الشر ،
 فذاك في مرتبة الحتمي يخاف شر التخليل . فاما الطبيب العالم بما يتناول
 فإنه ينفع بما يناله .

٢٥ - فصل - تأملت المراد من الخلق فإذا هوا الذل واعتقاد التقصير والعجز، ومثلت العلامة والزهاد العلاميين صنفيفيز، فاقت في صفات العلامة مالك وسفيان وأبا حنيفة والشافعى وأحمد، وفي صفات العباد مالك بن دينار ورابعة ومعروفا السكري وبشر بن الحارث . فكلما جد العباد في العبادة وصاحب لسان الحال عباداتكم لا يتعداكم نفعها وإنما يتعدى نفع العلامة وهو ورثة الانبياء ، وخلفاء الله في الأرض وهم الذين عليهم المعمول ، ولهم الفضل ، إذا أطروا وانكسرموا وعمدوا صدق تلك الحال وجاء مالك بن دينار إلى الحسن يتعلم منه ويقول : الحسن استاذنا ، وإذا رأى العلماء لهم بالعلم فضلاً صاح لسان الحال بالعلماء وهو مراد من العلم لا العمل . وقال أحمـد بن حنبـل . وهـل يـراد بالعلم إلا ما وصلـ إليه مـعروف ؟ وصحـ عن سـفيـان الثورـي قال : وددـتـ أنـ يـدىـ قـطـعـتـ وـلـمـ اـكـتبـ الـحـدـيـثـ . وـقـالتـ اـمـ الدـرـداءـ لـرـجـلـ : هـلـ عـمـلـتـ بـعـامـتـ ؟ قـالـ لاـ . قـالـ : فـلـمـ تـسـتـكـثـرـ مـنـ حـجـةـ اللـهـ عـلـيـكـ ؟ وـقـالـ أـبـوـ الدـرـداءـ : وـيـلـ لـمـ يـعـلـمـ وـلـمـ يـعـمـلـ مـرـةـ ، وـوـيـلـ لـمـ عـلـمـ وـلـمـ يـعـمـلـ سـبـعـيـنـ مـرـةـ . وـقـالـ الـفـضـيـلـ : يـغـفـرـ لـلـجـاهـلـ سـبـعـوـنـ ذـنـبـاـ . قـبـلـ انـ يـغـفـرـ لـالـعـالـمـ ذـنـبـ وـاحـدـ ، فـاـيـلـغـ مـنـ الـكـلـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : « أـفـنـ يـعـلـمـ كـمـ لـاـ يـعـلـمـ ». وـجـاءـ سـفـيـانـ إـلـىـ رـابـعـةـ : خـلـسـ بـيـنـ يـدـيـهاـ يـنـتـفـعـ بـكـلـامـهاـ ، فـدـلـ الـعـلـمـ عـلـىـ أـنـ الـمـقـصـودـ مـنـهـ الـعـلـمـ بـهـ ، وـإـنـ آـلـهـ فـاـنـكـسـرـواـ وـاعـتـرـفـواـ بـالـتـقـصـيرـ . فـخـصـلـ الـكـلـ عـلـىـ الـاعـتـرـافـ وـالـذـلـ ، فـاسـتـخـرـ جـتـ الـعـرـفـ مـنـهـمـ حـقـيقـةـ الـعـبـودـيـةـ بـاعـتـرـافـهـمـ ، فـذـلـكـ هـوـ الـمـقـصـودـ مـنـ التـكـلـيفـ .

٢٦ - فصل - تأملت قوله تعالى « يحبهم ويحبونه ». فإذا النفس تأبـيـ ، إـنـبـاتـ مـحـبـةـ لـالـخـالـقـ تـوـجـبـ قـلـقاـ ، وـقـالـتـ مـحـبـتـهـ طـاعـتـهـ فـتـدـبـرـتـ ذـلـكـ

فإذا بها قد جهلت ذلك لغلبة الحس وبيان هذا : أن محبة الحس لا تتعدي
 الصور الذاتية ، ومحبة العلم والعمل ترى الصور المعنوية فتجهها . فانا نرى
 خلقاً يحبون أباً بكر رضي الله عنه ، وخلقًا يحبون علياً ابن أبي طالب
 رضي الله عنه ، وقوماً يعصبون لأحمد بن حنبل ، وقوماً للأشعرى ، ولا
 فيقتلون ويذلون النفوس في ذلك وليسوا من رأى صور القوم ، ولا
 صور القوم توجب المحبة . ولكن لما تصورت لهم المعانى فدلتهم على كمال
 القوم في العلوم ، وقع الحب لتلك الصور التي شوهدت بأعين البصائر ،
 فكيف بمن ضيق تلك الصور المعنوية وأخذها ، وكيف لا أحب من وهب
 لي ملذوات حسى ، وعرفني ملذوات عالمي ، فان التذاذى بالعلم وادراك
 العلوم أولى من جميع الملذات الحسية ، فهو الذى علمنى وخلق لي ادراكاً
 وهداى الى ما أدركته . ثم انه يتجلى لي في كل لحظة في مخلوق جديد
 أراه فيه باتفاق ذلك الصنع وحسن ذلك المصنوع . فكل محبوباتي منه
 وعنده وبه ، الحسية والمعنى ، وتسهيل سبل الادراك به ، والمدركات منه ،
 وأذى من كل لذة عرفاني له ، فلو لا تعليمه ماعرفة ، وكيف لا أحب من
 أنا به ، وبقائى منه ، وتدبرى بيده ، ورجوعى اليه ، وكل مستحسن محبوب
 هو صنعه وحسنه وزينه واعطف النفوس اليه ، فكذلك الكامل القدرة
 أحسن من المقدور ، والعجيب الصنعة أكمل من المصنوع ، ومعنى الادراك
 احلى عرفاً من المدرك ، ولو اننا رأينا نقشاً عجيبة لاستغرقنا تعظيم النقاش
 وتهويل شأنه ، وظريف حكمته عن حب المنقوش ، وهذا مما ترقى اليه
 الافكار الصافية ، اذا خرق نظرها الحسيات ونفذ الى ماورائها ، فحينئذ
 تقع محبة اخلاق ضرورة ، وعلى قدر رؤية الصانع في المصنوع يقع الحب له .

فإن قوى أوجب فلقا وشوقا، وإن مال بالعارف إلى مقام المهيأة أوجبت خوفاً، وإن انحرف به إلى تامح الكرم أوجب رجاء قوياء « وقد علم كل اناس مشر بهم » .

٢٧ - فصل - تأملت حالاً عجيبة، وهي أن الله سبحانه وتعالى قد بني هذه الأجسام متقنة على قانون الحكمة فدل بذلك المصنوع على كمال قدرته، ولطيف حكمته. ثم عاد فنقتضيها فتحير العقول بعد اذعانها له بالحكمة في سر ذلك الفعل. فاعلمت أنها استعاد للمعاد وإن هذه البنية لم تخلق إلا لتجاوز في مجال المعرفة، وتتجز في موسم المعاملة، فسكنت العقول بذلك. ثم رأت أشياء من هذا الجنس أظرف منه، مثل اخترام شاب ما بلغ بعض المقصود بنائه، وأعجب من ذلك أخذ طفل من أكف أبيه يتململان. ولا يظهر سر سلبه والله الغنى عن أخيه، وهو أشد الخلق فقرًا إلى بقاءه. وأظرف منه ابقاء هرم لا يدرى معنى البقاء، وليس له فيه إلا مجرد أذى. ومن هذا الجنس تقدير الرزق على المؤمن الحكيم، وتوسيعه على الكافر الأحمق، في نظائر لهذه المذكورات يتحير العقل في تعليمه، فيبيق مبهوتاً. فلم أزل أتمح جملة التكاليف، فإذا عجزت قوى العقل عن الاطلاع على حكمة ذلك وقد ثبت لها حكمة الفاعل، علمت قصورها عن درك جميع المطلوب فاذعننت مقرة بالعجز. وبذلك يؤدى مفروض تكليفها، فلو قيل للعقل: قد ثبت عندك حكمة الخالق بما يجيئك أن ينقدح في حكمته أنه نقض؟ لقال: لأنني عرفت بالبرهان أنه حكيم، وأنا أعجز عن ادراك علل، فاسلم على رغمي مقرأ بعجزى .

٢٨ - فصل - تأملت في فوائد النكاح ومعاناته وموضوعه .
 فرأيت ان الأصل الأكبر في وضعه وجود النسل ، لأن هذا الحيوان لا يزال يتحمل ثم يخاف التحمل الغذا ، ثم يتحلل من الأجزاء الاصلية مala يخلفه شيء . فإذا لم يكن بد من فنائه ، وكان المراد امتداد أزمان الدنيا جعل النسل خلفا عن الأصل ، ولما كانت صورة النكاح تأبى لها النفوس الشريفة من كشف العورة ومخالفة مala يستحسن لنفسه ، جعلت الشهوة تحت ليحصل المقصود ثم رأيت هذا المقصود الأصلي يتبعه شيء آخر ، وهو استفراغ هذا الماء الذي يؤذى دوام احتقانه ، فإن المني ينفصل من المضم الرابع فهو من اصفى جوهر الغذا ، وأجوده ، ثم يجتمع . فهو أحد الذخائر للنفس فانها تدخل ببقائها وقوتها الدم ، ثم المني ، ثم تدخل التفل الذي هو من اعمدة البدن كأنه لخوف عدم غيره فإذا زاد اجتماع المني اقلق على نحو اقلاق البول لاحفاز ، الا أن اقلاقه من حيث المعنى أكثر من اقلاق البول من حيث الصورة ، فتتوجب كثرة اجتماعه ، وطول احتباسه ، امراضا صعبة . لانه يترقي من بخاره الى الدماغ فيؤذى - وربما أحدث سمية -
 وهي كان المزاج سليما فالطبع يطاب بروز المني اذا اجتمع كما يطلب بروز البول ، وقد ينحرف بعض الامزجة فيقل اجتماعه عنده فيندر طلبه لا خراجه ، واما تكلم عن المزاج الصحيح . فاقول : قد يبنت انه اذا وقع به احتباسه اوجب امراضا وجدد افكارا رديئة ، وجلب العشق والوسوسة الى غير ذلك من الآفات . وقد نجد صحيح المزاج يخرج ذلك اذا اجتمع وهو بعد متقلقل ، فكان انه الا كل الذي لا يشبع فبحشت عن ذلك فرأيته وقوع اخلال في النكوح اما الدمامته ، وقبح منظره ، او لآفة فيه او لآن

غير مطلوب للنفس ففيئذ يخرج منه ويبقى بعضه فإذا أردت معرفة ما يدلك على ذلك نفس مقدار خروج الماء في محل المشهري . وفي محل الذي هو دونه ، كالوطء بين الفخذين بالإضافة إلى الوطء في محل النكاح ، وكوطء البكر بالإضافة إلى وطء الثيب . فعلم حينئذ أن تخيير المنكوح يستقصى فضول الماء ، فيحصل للنفس كمال اللذة ، لموضع كمال بروز الفضول . ثم قد يؤثر هذاف الولد أيضاً فانه اذا كان من شابين قد جبسا انفسهما عن النكاح مديدة كان الولد أقوى منه من غيرهما ، او من المدمن على النكاح في الأغلب؛ ولهذا كره نكاح الأقارب لأنَّه مما يقبض النفس عن انبساطها ، فيتخيل الإنسان أنه ينكح بعضه ومدح نكاح الغرائب لهذا المعنى ، ومن هذا الفن يحصل كثير من المقصود من دفع هذه الفضول المؤذية بمنكوح مستجد ، وإن كان مستقبع الصورة مالا يحصل به في العادة . ومثال هذا إن الطاعم إذا متلاً خبراً وحماً حيث لم يبق فيه فضل لتناول لقمة ، قدمت إليه الحلوى فيتهاوَل ، فلو قدم أعجب منها لتناول لأن الجدة لها معنى عجيب . وذلك لأن النفس لا تميل إلى ما الفت ، وتطلب غير ما عرفت ، ويتخايل لها في الجديد نوع مراد فإذا لم تجد مرادها صدفت إلى جديد آخر ، فـكأنها قد عامت وجود غرض تام بلا كدر ، وهي تتخيالية فيما تراه . وفي هذا المعنى دليل مدفون على البعث لأن خلق همتة متعلقة بلا متعلق نوع عبث . ففهم هذا ، فإذا رأت النفس عيوب ماخالطت في الدنيا عادت تطلب جديدة ، ولذلك قال الحكيم : العشق العمى عن عيوب الحبيب . فمن تأمل عيوبه سلا ، ولذلك يستحب للمرأة أن لا تبعد عن زوجها بعداً تنسيه ايها ، ولا تقرب منه قرباً يملها ، وكذلك يستحب له لثلا

يملاها أو يظهر لديه مكتنوات عيوبها، وينبغي له أن لا يطلع منها على عورتها، ويتجه في أن لا يشم منها الأطيب ريح، إلى غير ذلك من الخصال التي تستعملها النساء الحكيمات . فانهن يعلمون ذلك بفطرهن من غير احتياج ، فاما الجاهلات فانهن لا ينظرن في هذا فيه مجل التفات الازواج عنهن . فمن اراد نجابة الولد وقضاء الوتر فليتخيير المنكوح ان كان زوجة نلينهظر اليها فإذا وقعت في نفسه فليتزوجهها، ولیننظر في كيفية وقوعها في نفسه . فان عالمة تعلق جهها بالقلب انه لا يكاد يصرف الطرف عنه، فإذا اذصرف الطرف فلما القلب بتقاضى النظرة . فهذا الغاية ودونه مراتب على مقاديرها يكون بلوغ الاغراض ، وان كان جارية تسترى فلينهظر اليها البالغ من ذلك النظر، ومن قدر على مناطقة المرأة او مكالمتها بما يوجب التنبيه ثم ليمر ذلك منها فان الحسن في الفم والعينين . وقد نص احمد : على جواز ان يبصر الرجل من المرأة التي يريد نكاحها ما هو عورة يشير الى ما يزيد على الوجه، ومن امكانه ان يؤخر العقد او شراء الجارية لينظر كيف توافق قلبه فانه لا يتحقق على العاقل توافق النفس لأجل المستجدة، وتوافقها لأجل الحب، فإذا رأى قلق الحب اقدم . فانه قد أخبرنا محمد بن عبد الباق قال اخبرنا محمد بن احمد قال اخبرنا أبو نعيم قال حدثنا سليمان بن احمد قال حدثنا عبد الجبار بن ابي عامر قال حدثني ابي قال حدثني خالد بن سلام قال حدثنا اعطاء الخراساني قال : مكتوب في التوراة كل توبيح على غير هوئ حسرة وندامة الى يوم القيمة . ثم ينبعى للمتخير أن يتفرس الاخلاق فانها من الخلفي فان الصورة اذا خلت من المعنى كانت كخضراء الدمن ، فان نجابة الولد مقصودة ، وفراغ النفس من الاهتمام بود محبوس اصل عظيم . يوجب اقبال القلب على المهمات . ومن فرغ من المهمات

العارضة اقبل على المهمات الاصلية . ولهذا جاء في الحديث : لا يقضى القاضى
 بغير اثنين وهو غضبان . واذا وضع العشاءو حضرت المشاء حضر فابدأ بالعشاء .
 فن قدر على امرأة صالحة في الصورة والمعنى فليغمض عن عورتها ، ولترجمتها في
 مراضيه من غير قرب يمل ، ولا بعد ينسى ; ولتقديم على التصنعن له يحصل الغرضان
 منها الولد وقضاء الوطر ، مع الاحتراز الذى أوصيت به . تدوم الصحبة ويحصل
 الغناء بغيرها . فان قدر على الاستثناء فأضاف اليها سواها عالمانه يبلغ
 الغرض الذى يفرغ قلبه زبادة تفريح كان أفضل حاله ، فان خاف من وجود الغيرة
 ما يشغل القلب الذى قد اهتممنا بجمع همةه ، أو خاف وجود مسحة حسنة
 تشغله عن ذكر الآخرة ، أو يطلب منه ما يجب خروجه عن الورع ،
 ويدخل فيما أوصيت به انه يبعد في المستحسنات العفاف . فليما ياخذ الواحد
 لهن في حفظهن وسترهن ، فان وجدهما لا يرضيه عجل الاستبدال ، فانه سبب
 السلو فان قدر على الاقتصار فان الاقتصار على الواحدة أولى . فان كانت
 على الفرض قناع ، وان لم تكن استبدل ونکاح المرأة المحبوبة يستفرغ الماء
 المجتمع ، فيوجب نجابة الولد ونمامه ، وقضاء الوطر بكل الله ومن خاف وجود
 الغيرة فعليه بالسراري فانهن أقل غيرة . والاستظراف لهن أمكن من
 استظراف الزوجات ، وقد كان جماعة يكتنهم الجمجم وكان النساء يصبرن
 فكان لداود عليه الصلاة والسلام مائة امرأة ، ولسيمان عليه الصلاة والسلام
 ألف امرأة ، وقد علم حال نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقد كان لا مير
 المؤمنين على رضى الله عنه أربع حراء ، وسيع عشرة سريعة . وتزوج ابنه
 الحسن رضي الله عنه بنحو من أربع مائة الى غير هذا مما يطول ذكره . فافتهم
 ما أشرت اليه تفز به ان شاء الله تعالى .

٢٩ - فصل -- كل شيء خلق الله تعالى في الدنيا فهو أنموذج في الآخرة، وكل شيء يجري فيها أنموذج ما يجري في الآخرة . فأما المخلوق منها فقال ابن عباس رضي الله عنهما : ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا إلا الأسماء . وهذا لأن الله تعالى شوق بنعيم إلى نعيم وخوف بعذاب من عذاب ، فأما ما يجري في الدنيا فكل ظالم معاقب في العاجل على ظلمه قبل الآجل وكل مذنب ذنب ، وهو معنى قوله تعالى : « من يعمل سوءاً يجز به » . وربما رأى العاصي سلامة بدنه وماله فظن أن لاقوته ، وغفلته عمما عوقب به عقوبة ، وقد قال الحكماء : المعصية بعد العصبية عقاب المعصية ، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة ، وربما كان العقاب العاجل معنوياً كما قال بعض أحباد بني إسرائيل : ياربكم اعصيك ولا تعاقبني : فقيل له : كم أعقابك وأنت لا تدرى ، اليك قد حرمتك حلاوة مناجاتي ! فلن تأمل هذا الجنس من العاقبة وجده بالمرصاد ، حتى قال وهب بن الورد : وقد سئل أيجد لذلة الطاعة من يعصي ؟ فقال : ولا من هم . فرب شخص اطلق بصره خرم اعتبار بصيرته ، أو لسانه خرم صفاء قلبه ، أو آخر شبهة في مطعمه فاظلم سره ، وحرم قيام الليل وحلوة المناجاة إلى غير ذلك . وهذا أمر يعرفه أهل محاسبة النفوس ، وعلى ضده يجد من يتق الله تعالى من حسن الجزاء على التقوى عاجلاً ، كما في حديث أبي إمامه عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى : النظرة إلى المرأة سهم مسحوم من سهام الشيطان ، من توكله ابتغاء مرضاي آيتها أيامنا يجد حلاوه في قلبه ، فهذه نبذة من هذا الجنس تتبه على مغفلتها . فاما المقابلة الصريحة في الظاهر فقل ان تحبس ، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : الصبيحة تمنع الرزق ، وإن العبد ليحرم الرزق

بالذنب يصيبه . وقد روى الفسرون : أن كل شخص من الأسباط جاء بائني عشر ولدا وجاء يوسف بـ أحد عشر بالهمة ^(١) . ومثل هذا اذا تأمله ذو بصيرة رأى الجزاء وفهم كما قال الفضيل : انى لاعصى الله عز وجل فاعرف في خلق دابتي وجاربتي ، وعن ^(٢) عمأن النيسابوري : انه انقطع شمع نعله في مضييه الى الجمعة فتعمق لا صلاحه ساعة . ثم قال : انم انقطع لأنى ما إغتنست غسل الجمعة . ومن عجائب الجزاء في الدنيا انه لما امتدت أيدي الظلم من اخوه يوسف وشروعه بشمن بخنس امتدت أكفهم بين يديه بالطلب ، يقولون : « وتصدق علينا » ولما صبر هو يوم المهمة ملك المرأة حلالا ، ولما بعث عليه بدعواها : « ما جراء من أراد به ملك سوءا » انطقها الحق بقولها : « انارا ودته » ولو أن شخصا ترك معصية لأجل الله تعالى لرأى ثمرة ذلك وكذلك اذا فعل طاعة . وفي الحديث : اذا ملقم فتاجروا الله بالصدقة . أي عاملوه لزيادة الارباح العاجلة ، ولقد رأينا من سامح نفسه بما يمنع منه الشرع ، طلبا للراحة العاجلة ، فانقلب أحواله الى التنفس العاجل ، وعكسه عليه المقاصد . حتى بعض المشائخ : انه اشتري في زمن شبابه جارية قال فلما ملكتها تاقت نفسى اليها فازلت اسأل الفقهاء اعمل مخلوقا يرخص لي . فكلهم قال : لا يجوز النظر اليها بشهوة ، ولا لمسها ، ولا جماعها الا بعد تحيضها . قال : فسألتها فأخبرتني أنها اشتريت وهي حائض . فقلت : قرب الأمر ، فسألت الفقهاء فقالوا : لا يعتقد بهذه الحيستة حتى تحيض في ملکه ، قال : فقلت لنفسي وهي شديدة التوقان لقوة الشهوة ، وتمكنت القدرة ، وقرب المصاقبة . ما تقولين فقالت : اليمان بالصبر على الجمر

(١) يشير الى قصته مع امرأة العزيز (٢) في الاحمية أبي عمأن .

شئت او أؤيت ، فصبرت الى ان حان ذلك فاثابني الله تعالى على ذلك الصبر
بنيل ما هو اعلا منها وارفع .

٣٠ - فصل - نظرت في الاَدلة على الحق سبحانه وتعالى فوجدها
أكثُر من الرمل ، ورأيت من أجيها ان الانسان قد يخفى مالا يرضاه الله
عز وجل ، فيظهره الله سبحانه عليه ولو بعد حين ، وينطق الاَلسنة به وان
لم يشاهده الناس . وربما أوقع صاحبه في آفة يفضحه بها بين الخلق فيكون
جواباً لـ الكل ما اخفي من الذنوب ، وذلك ليعلم الناس ان هنالك من يجازى
على الزلل ، ولا ينفع من قدره وقدرته حجاب ولا استثار ، ولا يضاع
لديه عمل . وكذلك يخفى الانسان الطاعة فتظهر عليه ويتحدى الناس
بها وبـ كثـر منها ، حتى أنهم لا يعرفون له ذنبـا ولا يذكرونـه الا بالمحاسن ،
ليعلم أن هنالـك ربـا يـضـعـ عـمـلـ عـامـلـ ، وـانـ قـلـوـبـ النـاسـ لـتـعـرـفـ حالـ
الـشـخـصـ وـتـحـبـهـ ، او تـأـبـاهـ ، وـتـذـمـهـ ، او تـمـدـحـهـ . وـربـماـ لمـ يـتـحـقـقـ ماـ يـأـيـدـهـ وـبـينـ
الله تعالى فـانـهـ يـكـفـيهـ كلـ هـمـ ، وـيـدـفـعـ عـنـهـ كلـ شـرـ ، وـماـ أـصـلـحـ عـبـدـ ماـ يـأـيـدـهـ
وـبـينـ الـخـلـقـ دـوـنـ الـحـقـ ، الـاـنـعـكـسـ مـقـصـودـهـ وـعـادـ حـامـدـهـ ذـاماـ .

٣١ - فصل - تأملت الارض ومن عليها بعين فكري ، فرأيت
خرابـهاـ أـكـثـرـ منـ عمرـانـهاـ ، ثمـ نـظـرـتـ فـيـ المـعـمـورـ مـنـهاـ ، فـوـجـدـ الـكـفـارـ
مـسـتـوـلـيـنـ عـلـىـ اـكـثـرـهـ ، وـوـجـدـ أـهـلـ الـاسـلـامـ فـيـ الـارـضـ قـلـيـلاـ باـالـاضـافـةـ
إـلـىـ الـكـفـارـ ، ثـمـ تـأـمـلـتـ الـمـسـلـمـيـنـ فـرـأـيـتـ الـاـكـسـابـ قـدـ شـغـلـتـ جـهـوـرـهـمـ عـنـ
الـراـزـقـ ، وـأـعـرـضـتـ بـهـمـ عـنـ الـعـلـمـ الدـالـ عـلـيـهـ . فـالـسـلـطـانـ مشـغـولـ باـالـأـمـرـ
وـالـنـهـىـ وـالـذـنـبـاتـ الـمـعـارـضـةـ لـهـ ، وـمـيـاهـ أـغـرـاصـهـ جـارـيـةـ لـاـ شـكـرـ لـهـ . وـلـاـ يـتـلـقـاهـ
أـحـدـ بـمـوـعـظـةـ بـلـ بـالـمـدـحـةـ الـتـيـ تـقـوىـ هـوـيـ النـفـسـ ، وـانـماـ يـنـبـغـيـ انـ تـقاـومـ

الامراض بآضداتها . كما قال عمر بن المهاجر : قال لي عمر بن عبد العزيز ، اذا
 رأيتني قد حدثت عن الحق خذ بياني وحزني ، وقل مالك ياعمر . وقال عمر
 ابن الخطاب رضي الله عنه . رحم الله من اهدى اليانا عيوبنا ، فاحوج الخلق
 الى النصائح والمواعظ ، السلطان . وأما جنوده فهو رهم في سكر الهوى ،
 وزينة الدنيا ، وقد انضاف الى ذلك الجهل ، وعدم العلم ، فلا يؤلمهم ذنب ،
 ولا ينزعجون من ليس حريرو ، أو شرب خمر ، حتى ربما قال بعضهم : ايش
 يعمل الجندي . اي بلس القطن ؟ ثم اخذهم لأشياء من غير وجهها ، فالظلم معهم
 كالطبع . وأرباب البوادي قد غمرهم الجهل وأهل القرى . فكذلك تغلبهم في
 الانجاس ، والتهوين لأمر الصلوات ، وربما صلت المرأة منهن قاعدة . ثم
 نظرت في التجار فرأيتهم قد غلب عليهم الحرص ، حتى لا يرون سوى
 وجوه الکسب كيف كانت ؟ وصار الربا في معاملاتهم فاشيا ، فلا يبالى
 أحدthem من أين حصل له الدنيا ، وهم في باب الزكاة مفرطون ، ولا
 يستوحشون من تركها إلا من عصم الله . ثم نظرت في أرباب المعاش ،
 فوجدت الغش في معاملاتهم عاما ، والتطفيف والبخس ، وهم مع هذا
 مغمورون بالجهل . ورأيت عامة من له ولد يشغله ببعض هذه الأشغال
 طلبا للكسب قبل ان يعرف ما يجب عليه وما يتأنب به . ثم نظرت في
 النساء ، فرأيتهن قليلات الدين ، عظيمات الجهل ، ما عندهن من الآخرة
 خبر الامن عصم الله . فقلت : واعجبنا من يقى خدمة اللئزر وجل ؛ ومعرفته
 فنظرت فإذا العلماء ، والمعامون ، والعباد ، والمتزهدون . فتأملت العباد ،
 والمتزهدين فرأيت جمهم يتبع بدغير علم ، ويأنس الى تعظيمه ، وتقبييل بده
 وكثرة اتباعه ، حتى ان أحدهم لو أضطر الى أن يشتري حاجة من السوق لم يفعل ،

لثلا ينكسر جاهه ، ثم تترقي بهم رتبة الناموس الى ان لا يعودوا من ابناء ولا
 يشهدوا جنازة ، الا ان يكون عظيم القدر عندهم . ولا يتزاورون ، بل ربما
 ظن بعضهم على بعض ، فقد صارت النواميس كالاً ونان يعبدونها ولا يعلمون
 وفيهم من يقدم على الفتوى بجهل لثلا يخل ناموس التصدر ، ثم يعييروا العامة
 لحرصهم على الدنيا ولا يعلمون أن المذموم من الدنيا ما هم فيه ، لاتناول
 المباحث . ثم تأملت العلامة والمعامين . فرأيت القليل من المتعلمين من عليه
 أمارة النجابة ، لأن أمارة النجابة طلب العلم للعمل به ، وجمهورهم يطلب
 ما يصيره شبكة للكسب . اما لما يأخذ قضاء مكان او ليصير قاضي بلد او قدر
 ما يتميز به عن ابناء جنسه ثم يكتفى . ثم تأملت العلماً فرأيت اكثراهم
 يتلاعب به الهوى ويستخدمه ، فهو يؤثر ما يصدحه العلم عنه ، ويقبل على
 ما ينهاه ، ولا يكاد يجد ذوق معاملة الله سبحانه ، وانما همته ان يقول . الا
 ان الله لا يخل الارض من قائم له بالحجۃ ، جامع بين العلم والعمل . عارف
 بحقوق الله تعالى ، خائف منه . فذلك قطب الدنيا ، ومتي مات اختلف الله عوضه ،
 وربما لم يمت حتى يرى من يصلح للنيابة عنه في كل نائبه . ومثل هذا لا يخلو
 الارض منه . فهو في مقام النبي في الأمة ، وهذا الذي أصفه يكون قائما
 بالاصول ، حافظا للحدود ، وربما قل علمه او قلت معاملته . فاما الكاملون
 في جميع الادوات فيندر وجودهم ، فيكونون في الزمان بعيد منهم واحد .
 ولقد سبرت السلف كلهم فاردت ان استخرج منهم من جمع بين العلم حتى
 صار من المجهدين ، وبين العمل حتى صار قدوة للعبادين ، فلم ار أكثر من
 ثلاثة : او لهم الحسن البصري ، وثانيهم سفيان الثورى ، وثالثهم احمد بن حنبل ،
 وقد افردت لاخبار كل واحد منهم كتابا ، وما انكر على من ربهم

بسعيد بن المسيب ، وان كان في السلف سادات ، الا ان اكثراهم غالب عليه
فن ، فنقصر من الآخر ، فنهنم من غاب عليه العلم ، ومنهم من غالب عليه
العمل ، وكل هؤلاء كان له الحظ الوافر من العلم ، والنصيب الاولى من
المعاملة والمعرفة ، ولا يؤيس من وجود من يحذو حذوهم ، وان كان الفضل
بالسبق لهم . فقد اطلع الله عز وجل الخضر على ما خفي من موسى عليهمما
السلام . نخزائن الله مملوءة وعطاؤه لا يقف على شخص . ولقد حكى لي
عن ابن عقيل انه كان يقول عن نفسه : انا عملت في قارب ثم كسر ، وهذا
غلط فمن اين له ؟ فكم معجب بنفسه كشف له من غير دماعاد يحقر نفسه
على ذلك ، وكم من متاخر سبق متقدما ، وقد قيل :

ان الليل والايام حاملة وليس يعلم غير الله ماتلد

٣٢ - فصل - رأيت ميل النفس الى الشهوات زائدا في المقدار

حتى انها اذا مالت مالت بالقلب والعقل والذهن ، فلا يكاد ينتفع بشيء من
البدن . فصاحت بها يوماً وقد مالت بكليتها الى شهوة ، ويحك قفي لحظة
اكلعك كلامات ثم افعل مابدالك . قالت : قل أسمع . قلت : قد تقرر قلة
مليك الى المباحات من الشهوات ، واماجل ميلك الى المحرمات . فانا اكشف
لك عن الامرين ، فربما رأيت الحلوين مريئين . اما المباحات من الشهوات:
فطلقة لك ولكن طريقها صعب ، لأن المال قد يهجز عنها ، والكسب
قد لا يحصل معظمها ، والوقت الشريف يذهب بذلك . ثم شغل القلب
بها وقت التحصيل ، وفي حالة الحصول ، ويحذر الفوات . ثم ينفصلا من
النقص مالا يخفى على مميز إن كان مطعمما فالشبع يحدث آفات ، وإن كان
شخصاً فالمملأ أو الفراق ، او سوء الخلق . ثم أخذ النكاح أكثراه أيامنا للبدن ،

إلى غير ذلك مما يطول شرحه . وأما المحرمات : فيشتمل على ما أشرنا إليه من المباحثات . ويزيد بآياتها آفة العرض وخوف عقاب الدنيا وفضيحتها ، ووعيد الآخرة ، ثم الجزع كلما ذكرها النائب ، وفي قوة قهر الهوى لذلة تزيد على كل لذة . ألا ترى إلى كل مغلوب بالهوى كيف يكون ذليلًا ، لأنَّه قُهر . بخلاف غالب الهوى فإنه يكون قوي القلب ، عزيزًا لأنَّه قَهْرٌ فالمخدر الحذر من رؤية المشتهى بعين الحسن ، كما يرى اللص لذلة أخذ المال من الحرز ، ولا يرى بعْيـز فكره القطع . وليفتح عين البصيرة لتأمل العواقب واستحالة المذلة نفحة ، وانقلابها عن كونها لذلة إما ملل أو لغيره من الآفات ، أو لانقطاعها بامتناع الحبيب . فتكون المعصية الأولى كلاممة تناولها جائع ، فاردت كاب الجوع ، بل شهت الطعام . وليتذكـر الإنسان لذلة قهر الهوى مع تأمل فوائد الصبر عنه ، فمن وفق لذلك كانت سلامته قريبة منه .

٣٣ - فصل - خطر لي خاطر والمجلس قد طاب ، والقلوب قد حضرت ، والعيون جارية ، والرؤس مطرقة ، والنفوس قد ندمت على تغريتها ، والعزم قد نهضت لاصلاح شؤنها ، وألسنة اللوم تعامل في الباطن على تضييع الحزم وترك الحذر . فقلت لنفسي : ما بال هذه اليقظة لادوم ، فاني أرى النفس واليقظة في المجلس متتصافان متتصاد قان ، فإذا قمنا عن هذه التربة ، وقعت الغربة ، فتأملت ذلك فرأيت أن النفس ما تزال متقيظة ، والقلب ما زال عارفا ، غير أن القواطع كثيرة ، والتفكير الذى ينبغي استعماله فى معرفة الله سبحانه وتعالى قد كل . مما يستعمل فى اجتلاف الدنيا ، وتحصيل حوايج النفوس ، والقلب منغمس فى ذلك ،

والبدن أسير مستخدم . بينما الفكر يجول في اجتلاف الطعام والشراب والكسوة ، وينظر في صدد ذلك ، وما يدخله لغده وستنه ، اهتم بخروج الحدث وتشاغل بالطهارة ، ثم اهتم بخروج الفضلات المؤذية - ومنها التي - فاحتاج إلى النكاح ، فعلم أنه لا يصح إلا باكتساب كسب الدنيا . فتفكر في ذلك وعمل بقتضاه ، ثم جاء الولد فاهم به وله ، وإذا الفكر عامل في أصول الدنيا وفروعها ، فإذا حضر الإنسان المجلس فإنه لا يحضر جائعاً . ولا حافناً . بل يحضر جاماً لحمةه ، ناسياً ما كان من الدنيا على ذكره . فيخلو الوعظ بالقلب فيذكره بما ألم ، ويجدبه بما عرف ، فينهض عمال القلب في زوارق عرفاته . فيحضرون النفس إلى باب المطالبة بالتفسير ، ويؤاخذون الحس بما مضى من العيوب ، فتجرى عيوب الندم ، وتنعقد عزائم الاستدراك . ولو أن هذه النفس خلت عن المعهودات التي وصفتها ، لنشغلت بخدمة باديتها . ولو وقعت في سورة حبه ، لاستوحشت عن الكل شغلاً بقربه . ولهذا اعتمد الزهاد الخلوات ، وتشاغلوا بقطع المعوقات ، وعلى قدر مجاهدتهم في ذلك نالوا من الخدمة مرادهم ، كما ان الحصاد على مقدار البذر . غير أنني تأمنت في هذه الحالة - دقيقة - وهو أن النفس لو دامت لها اليقظة لوقعت فيها هو شر من فوت مافاتها . وهو العجب بحالها ، والاحتقار بجنسها ، وربما ترقى بقوة عالمها وعرفانها ، إلى دعوى لي ، وعندي ، واستحق . فتركتها في حومة ذنوبها تخبط ، فإذا وقفت على الشاطئ قامت بحق ذلة العبودية أولى لها . هذا حكم الغالب منخلق ، ولذلك شغلا عن هذا المقام . فمن بذر فصلح له : فلا بد له من هفوة يراقبها عين الخوف من عقابها رفقاً بها ، تصح له عبوديته ، وتسليم له

وَجَاءَ بِقَوْمٍ يَذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ .

٣٤ - فصل - تفکرت فرأيت أن حفظ المال من المتعين، وما يسميه

جهمة المترهدين توكلـا من اخراج مافـي الـيد لـيس بالـمشروع . فـانـالـنبي صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قالـ لـكـعبـ بـنـ مـالـكـ : اـمـسـكـ عـلـيـكـ بـعـضـ مـالـكـ ؟ اوـكـاـ قالـ لـهـ . وـقـالـ لـسـعـدـ : لـأـنـ تـرـكـ وـرـثـتـكـ أـغـنـيـاءـ خـيـرـ مـنـ أـنـ تـرـكـهـمـ عـالـةـ يـتـكـفـفـونـ النـاسـ . فـأـنـ اـعـتـرـضـ جـاهـلـ فـقـالـ : فـقـدـ جـاءـ أـبـوـ بـكـرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ بـكـلـ مـالـهـ . فـاجـلـوـابـ : أـنـ أـبـاـ بـكـرـ صـاحـبـ جـاشـ وـتـجـارـةـ ، فـإـذـاـ أـخـرـجـ الـكـلـ اـمـكـنـهـ أـنـ يـسـتـدـيـنـ عـلـيـهـ ، فـيـتـعـيـشـ . فـنـ كـانـ عـلـىـ هـذـهـ الصـفـةـ لـاـ اـذـمـ اـخـرـاجـهـ مـالـهـ وـأـنـاـ الـذـمـ مـتـطـرـقـ إـلـىـ مـنـ يـخـرـجـ مـالـهـ وـلـيـسـ مـنـ أـرـبـابـ الـمـاعـاشـ اوـيـكـوـنـ مـنـ أـوـنـكـ إـلـاـ أـنـهـ يـنـقـطـعـ عـنـ الـمـعـاـشـ فـيـبـيـقـ كـلـاـ عـلـىـ النـاسـ ، يـسـتـعـطـيـهـمـ وـيـعـقـدـ اـنـهـ عـلـىـ الـفـتوـحـ ، وـقـلـبـهـ مـتـعـلـقـ بـالـخـلـقـ ، وـطـمـعـهـ نـاـشـبـ فـيـهـ . وـمـتـىـ حـرـكـ بـاـهـ نـهـضـ قـلـبـهـ . وـقـالـ : رـزـقـ قـدـجـاءـ . وـهـذـاـ أـمـرـ قـبـيـحـ عـنـ يـقـدـرـ بـهـ عـلـىـ الـمـعـاـشـ ، وـاـنـ لـمـ يـقـدـرـ كـانـ اـخـرـاجـ مـاـيـمـلـكـ أـقـبـحـ ، لـأـنـهـ يـتـعـلـقـ قـلـبـهـ بـمـاـفـيـ أـيـدـيـ النـاسـ . وـرـبـاـذـلـ لـبـعـضـهـمـ ، اوـتـزـينـ لـهـ بـالـزـهـدـ ، وـاقـلـ اـحـوـالـهـ أـنـ يـزـاحـمـ الـفـقـراءـ وـالـمـكـافـيفـ وـالـزـمـنـيـ فـيـ الـزـكـاـةـ . فـعـلـيـكـ بـالـشـرـبـ اـلـأـولـ ، فـانـظـرـ هـلـ فـيـهـمـ مـنـ فـعـلـ مـاـيـفـعـلـهـ جـهـمـةـ المـتـرـهـدـينـ . وـقـدـ أـشـرـتـ فـيـ اـوـلـ هـذـاـ إـلـىـ أـنـهـمـ كـسـبـواـ وـخـلـفـواـ الـأـمـوـالـ ، فـرـدـ إـلـىـ الشـرـبـ اـلـأـولـ الـذـىـ لـمـ يـطـرـقـ فـاـنـهـ الصـافـىـ ، وـاـحـذـرـ مـنـ الـمـشـارـعـ الـمـطـرـوـقـةـ بـالـأـرـاءـ الـفـاسـدـةـ اـخـارـاجـةـ فـيـ الـمـعـنـىـ كـالـكـمـيـنـ عـلـىـ الشـرـيـعـةـ ، مـذـعـنـةـ بـلـسـانـ حـالـهـ أـنـ الشـرـعـ نـاقـصـ يـحـتـاجـ إـلـىـ مـاـتـمـتـ بـهـ بـمـاـتـمـتـ بـهـ .

واعلم وفقك الله تعالى ان البدن كالمطية ، ولا بد من علف المطية ، والاهتمام
 به . فإذا أهملت ذلك كان سبباً لوقوفك عن السير وقد روى سليمان رضي الله عنه :
 يحمل طعاماً على عاتقه فقيل له : اتفعل هذا وانت صاحب رسول الله ﷺ ؟
 فقال : ان النفس اذا احرزت قوتها اطمأننت . وقال سفيان الثورى : اذا حصلت
 قوت شبر فتعبد . وقد جاء اقوام ليس عندهم سوى الدعاوى فقالوا : هذا
 شك في الرّازق والثقة به أولى . فياك واياهم . وربما ورد مثل هذا عن
 بعض صدّور الزهاد من السلف فلا يعول عليه ، ولا يهونك خلافهم .
 فقد قال أبو بكر المرزوقي / سمعت أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلَ يُرْغِبُ فِي النِّكَاحِ . فَقَالَتْ
 لَهُ : قَالَ أَبْنَ أَدْمَنَ هَذَا تَرْكِيَّتِي أَتَمْ حَتَّى صَاحَ عَلَى ، وَقَالَ : أَذْ كَرْ لَكَ حَالَ
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ ، وَتَأْتِيَنِي بِيَمِينَاتِ الطَّرِيقِ / واعلم
 وفقك الله : انه لو رفض الاسباب شخص يدعى التزهد . وقال : لا آكل
 ولا أشرب ، ولا أقوم من الشمس في الحر ، ولا أستدفء من البرد ، كان
 عاصيا بالاجماع . وكذلك لو قال وله عائلة : لا أكتسب ورزقهم على الله
 تعالى ، فأصحابهم أذى كان آثما . كما قال عليه الصلاة والسلام : كفى بالمرء
 إنما أن يضيع من يقوت . واعلم ان الاهتمام بالكسب يجمع الهم ، ويفرغ
 القلب ، ويقطع الطمع في الخلق ، فان الطبع له حق يتقاده . وقد بين
 الشرع ذلك فقال : إن لنفسك عليك حقاً ، وأن لعينك عليك حقاً .
 ومثال الطبع مع المريد السالك ، كمثل كلب لا يعرف الطارق ، فكل من
 رأاه يشى نبح عليه ، فان القى اليه كسرة سكت عنه . فالمراد من الاهتمام
 بذلك جمع الهم لغير فافهم هذه الاصول فإن فهمها مهم .

٣٥ - فصل - تأملت في شهوات الدنيا فرأيتها مصائد هلاك ،

٣٦- فصل - باغي عن بعض زهاد زماننا انه قدم اليه طعام ف قال : لا آكل . فقيل له : لم ؟ قال : لأنّ نفسي تشهي ، وانا منذ سنتين ما بلغت نفسي ماتشهي . فقلت : لقد خفيت طريق الصواب عن هذا من وجوهين ، وسبب خفائها عدم العلم . أما الوجه الاول : فان النبي صلي الله عليه وسلم لم يكن على هذا ولا أصحابه ، وقد كان عليه الصلاة والسلام يأكل لحم الدجاج ، ويحب الحلوي والمعسل ، ودخل فرقد السننجي على الحسن وهو يأكل الفالوذج . فقال : يا فرق دماتقول في هذا ؟ فقال لا آكله

ولأحب من أكله . فقال الحسن : لعاب النحل . بباب البر . مع سمن البقر .
 هل يعييه مسلم ؟ وجاء رجل إلى الحسن فقال : إن لي جارا لا يأكل
 الفالوذج . فقال : ولم ؟ قال يقول لا أؤدي شكره ، فقال : إن جارك جاهل
 وهل يؤدى شكر الماء البارد ؟ وكان سفيان الثورى : يحمل في سفره
 الفالوذج . والحمل المشوى . ويقول : إن الدابة إذا أحسن إليها عملت ، وما
 حدث في الزهاد بعدهم أمور من هذا الفن مسروقة من الرهبانية وأنا
 خائف من قوله تعالى : « لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم » . « ولا
 تعقدوا » . ولا يحفظ عن أحد من السلف الأول من الصحابة من هذا
 الفن شيء إلا أن يكون ذلك لعارض ، وسبب مayırovi عن ابن عمر رضي
الله عنهما : أنه اشتهر شيئا فا ثر به فقيرا ، واعتق جاريته رمية ، وقال :
 إنها أحب أخلاق إلى ، فهذا وأمثاله حسن ، لأنه ايشار بما هو أجدود عند
 النفس من غيره ، واكثر لها من سواه ، فإذا وقع في بعض الأوقات ،
 كسرت بذلك الفعل سودة هواها أن تطغى بنيل كل ماتريد ، فأما
 من دام على مخالفتها على الاطلاق ، فإنه يعم قلبها ، وينبلد خواترها ،
 وليشتت عزائمها ، فيؤذنها أكثر مما ينفعها ، وقد قال ابراهيم بن أدهم :
 أن القلب إذا أكره عمي ، وتحت مقالته سراطيف . وهو ان الله عز وجل
 قد وضع طبيعة الآدمي على معنى عجيب . وهو أنها تختار الشيء من
 الشهوات مما يصلحها ، فتعلم باختيارها له صلاحه . وصلاحها به . وقد
 قال حكماء الطب : ينبغي أن يفسح للنفس فيما تشتهي من الطعام . وإن
 كان فيه نوع ضرر . لأنها إن اختارت ما يلايهما ، فإذا قمعها الزائد في مثل هذا
 عاد على بدنها بالضرر ، ولو لا جواذب في الباطن من الطبيعة ما باقي البدن ؟

فان الشهوة ل الطعام تبود ، فإذا وقعت الغنية بما يتناول كفمت الشهوة ،
 فالشهوة مرید ورائد ، ونعم الباعث على مصلحة البدن ، غير أنها اذا
 أفرطت وقع الأذى ، ومتى منعت ما تريده على الاطلاق مع الأمن من فساد
 العاقبة عاد ذلك بفساد أحوال النفس ، ووهن الجسم . واختلاف السقم .
 الذى تداعى به الجملة / مثل ان ينبع الماء عند اشتداد المطش ، والغذاء
 عند الجوع ، والجماع عند قوة الشهوة ، والنوم عند غلبته ، حتى ان المفترم
 اذا لم يتزوج بالشكوى قتله الــكمد ، فهذا أصل اذا فهمه هذا الزاهد . علم
 انه قد خالف طريق الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه / من حيث
 النقل ، وخالف الموضوع في الحكمة ، ولا يلزم على هذا قول القائل : فمن
 اين يصفو المطعم ؟ لانه اذا لم يصفو كان الترك ورعا ، وانما الكلام في
 المطعم الذى ليس فيه ما يؤذى في باب الورع ، وكان ما شرحته جوابا
 للسائل — ما أبلغ نفسي شهوة على الاطلاق ، والوجه الثاني : انني أخاف على
 الزاهد ان تكون شهوته انقلبت الى الترك . فصار يشتهى ان لا يتناول ،
 ولنفس في هذا مكر حقي ، ورياء دقيق ، فان سامت من الرياء للخلق ،
 كانت الافة من جهة تعلقها بمثل هذا الفعل ، وادلالها في الباطن به ، فهذه
 خاطرة وغلط ، وربما قال بعض الجهل : بهذا صد عن الخير والزهد ،
 وليس كذلك . فان الحديث قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
 قال : كل عمل ليس عليه اصر فهو رد ، ولا ينبغي ان يغتر بعيادة جريح ،
 ولا يقوى ذي الخويصة ، (ولقد دخل المزهدون في طرق لم يسلكها
 الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا أصحابه . من اظهار التخشع الزائد في
 الحمد ، والتنوّق في تحشين الملبس ، وأشياء صاد العوام يستحسنونها ،

وصارت لاقوام كالماش يجتنون من ارباحها ، تقبيل اليد ، وتوفير التوقير ، وحراسة الناموس ، وأكثرون في خلوته ، على غير حاليه في جلوته ، وقد كان ابن سيرين يضحك بين الناس قهقهه ، وإذا خلا بالليل فكانه قتل أهل القرية . فنسأله تعالى عالماً نافعاً فهو الأصل ، فتى حصل أوجب معرفة العبود عز وجل ، وحرك إلى خدمته بمقتضى ما شرعه واحبه ، وسلك بصاحبه طريق الأخلاق ، وأصل الأصول — العلم ، وانفع العلوم النظر في سير الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه . « أولئك الذين هدى الله بهداهم اقتده » .

٣٧ - فصل — تأملت جهاد النفس فرأيتها أعظم الجهاد ، ورأيت خلقاً من العلماء والزهاد لا يفهمون معناه ، لأنّ فيهم من منعها حظوظها على الاطلاق ، وذلك غلط من وجهين ، أحدهما : أنه رب مانع لها شهوة اعطتها بالمنع اوى منها ، مثل أن يمنعها مباحاً فيشتهر بمنعه ايها ذلك فيرضى النفس بالمنع لأنها قد استبدلت بالمدح ، واخفى من ذلك أن يرى بمنعها ايها مامنع انه قد فضل من سواه من لم يمنعها بذلك ، وهذه دفائن تحتاج الى مناقش فهم يخلصها ، والوجه الثاني : أنا قد كلّفتنا حفظها ومن أسباب حفظها ميلها الى الاشياء التي تقييمها ، فلا بد من اعطائهما ما يقييمها ، وأكثر ذلك أو كله ما تشتهي ، ونحن كالأكلاع في حفظها . لأنها ليست لنا بل هي وديعة عندنا ، فمنعها حقوقها على الاطلاق خطر ، ثم رب شد أوجب استرخاء ، ورب مضيق على نفسه فرت منه فصعب عليه تلافيه ، وانا الجهاد لها كجهاد المريض العاقل ، يحمها على مكر وها في تناول ما ترجو به العافية ، ويذوب في المراة قليلاً من الحلاوة ، ويتناول من الأغذية مقدار ما يصفه

الطيباب . ولا تحمله شهوته على موافقة غرضها من مطعم ربما جرّ جوعاً ، ومن لقمة ربما حرمك لقيمات ، فكذلك المؤمن العاقل لا يترك لجامها ، ولا يهمل مقودها ، بل يرخي لها في وقت والطول ^(١) بيده ، فما دامت على الحادثة لم يضايقها في التضييق عليها ، فإذا رأها قد مالت ردها باللطف ، فإن ونت وأبت ، والا في العنف ، وينجسها في مقام المداراة ، كالزوجة التي مبني عقلها على الضعف والقلة ، فهى تدارى عند نشوذها بالوعظ ، فإن لم تصلح فبالمجر ، فإن لم تستقم فبالضرب . وليس في سياط التأديب أجدود من سوط عزم — هذه مجاهدة من حيث العمل ، فاما من حيث وعظها وتأنيتها ، فينبغي لمن رأها تسكن للاخلاق ، وتتعرض بالدناءة من الاخلاق أن يعرفها تعظيم خالقها لها . فيقول : السست التي قال فيك خلقتك بيدي ، واسجدت لك ملائكتي ، وارتضاك للخلافة في أرضه ، وراسلك ، واقترض منك واشترى ؟ فإن رأها تكبر ، قال لها : هل أنت الا قطرة من ماء مهizin ، تقتلك شرفة ، وتوئلها بقة . وأن رأى تقصيرها عرفها حق المولى على العبيد ، وإن ونت في العمل ، حدثها بجزيل الأجر . وإن مالت إلى الهوى ، خوفها عظيم الوزر . ثم يحذرها عاجل العقوبة الحسية ، كقوله تعالى : « قل أرأيت ان أخذ الله سمعكم وأبصركم ». والمعنى فيه كقوله تعالى : « ساصرف عن آياتي الذين يتکبرون في الأرض بغير الحق » فهذا جهاد بالقول ، وذلك جهاد بالفعل .

٣٨ - فصل — رأيت من البلاء العجب . أن المؤمن يدعوا فلا يجاب ، فيذكر الدعاء وتطول المدة ولا يرى أثر اللاحاجة ، فينبغي له أن

(١) في الهندية : والطواب بيده .

يعلم أن هذا من البلاء الذى يحتاج الى الصبر ، وما يعرض للنفس من الوسواس فى تأخير الجواب . مرض يحتاج الى طب ، ولقد عرض لي من هذا الجنس . فإنه نزات بي نازلة ، فدعوت وبالغت ، فلم أرى الاجابة ، فأخذ أبابيليس يحول فى حلبات كيمده ، فتارة يقول : الكرم واسع والبخل معذوم ، فما فائدة تأخير الجواب ؟ فقلت له : احسأ يالعين ، فما أحتاج الى تقاضى ، ولا أرضاك وكيملا ، ثم عدت الى نفسي قلت : اياك ومساكنة وسوسته ، فإنه لوم يكن فى تأخير الاجابة الاأن يبلوك المقدر فى محاربة العدو لكتفى فى الحكمة . قالت : فسلنى عن تأخير الاجابة فى مثل هذه النازلة . قلت : قد ثبت بالبرهان ان الله عزوجل مالك ، والممالك التصرف بالمنع والعطاء ، فلا وجہ للاعتراض عليه ، والثانى : انه قد ثبتت حكمته بالادلة القاطعة ، فربما رأيت الشيء مصلحة والحكمة لا تقضيه ، وقد يخفى فى الحكمة فيما يفعله الظبيب ، من أشياء تؤذى فى الظاهر يقصد بها المصالحة ، فلعل هذامن ذاك . والثالث : انه قد يكون التأخير مصلحة ، والاستعجال مضرة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا يزال العبد فى خير ما لم يستعجل ، يقول دعوت فلم يستجب لي . والرابع : انه قد يكون امتناع الاجابة لآفة فيك فربما يكون فى ما كوكوك شبهة ، أو قلبك وقت الدعاء فى غفلة ، أو تزداد عقوتك فى منع حاجتك لذنب ما صدقت فى التوبة منه ، فابحثي عن بعض هذه الاسباب لعلك تقعى بالمقصود ، كما دوى عن أبي يزيد رضى الله عنه : انه نزل بعض الاعاجم فى داره ، فجاء فرآه ، فوقف بباب الدار ، وأمر بعض أصحابه فدخل ، فقلع طينا جديدا قد طينه ، فقام الاعجمى وخرج ، فسئل أبو يزيد عن ذلك فقال : هذا

٣٩ - فصل - من نزلت به بلية ، فاراد تحقيقها ، فليتحقق صورها
أكثر مما هي تهن . وليتخايل ثوابها وليتتوهم نزول أعظم منها ، يرى الربع
فلا يقتصر على سرعة زواهها ، فإنه لو لا كرب الشدة ،

ماروجيت ساعات الراحة ، وليعلم أن مدة مقامها عنده ، كمدة مقام الضيف فليتفقد حواجه في كل لحظة ، فيما سرعة انتصانه مقامه ، ويأخذ مذاقه وبشره في المغافل ، ووصف الضيف بالكرم . فكذلك الشدة ، ينبغي أن تراعي الساعات ، ويتفقد فيها أحوال النفس ، ويتمام الجوارح ، خفافة أن يبدو من الإنسان كلمة ، أو من القلب تسخط ، فكأن قد لاح بغير الاجر ، فأنجحأب ليل البلاء ، ومدح السادس بقطع الدجى ، فما طلعة شمس الجزاء ، الا وقد وصل منزل السلام .

٤ - فصل - لما رأيت رأى نفسي في العلم حسناً ، فهى تقدمه على كل شئ وتعتقد الدليل ، وتفضل ساعة التشاغل به على ساعات النوافل ، وتقول : أقوى دليل على فضله على النوافل . إنى رأيت كثيراً من شغلهم نوافل الصلاة والصوم عن نوافل العلم ، عاد ذلك عليهم بالقبح في الأصول ، فرأيتها على الجادة السليمية^(١) والرأى الصحيح ، إلا أنى رأيتها واقفة مع صورة التشاغل بالعلم ، فصاحت بها فما أفادك العلم ؟ أين الخوف ، أين القلق ، أين الخدر ، أو ما سمعت بأخبار أخيار الأخبار في تعبدهم واجتهادهم ؟ أما كان الرسول صلى الله عليه وسلم سيد الكل ، ثم انه قام حتى ورمت قدماه ، أما كان أبو بكر رضي الله عنه شجي النشيج ، كثير البكاء ، أما كان في خد عمر رضي الله عنه خطيب من آثار الدموع ، أما كان عثمان رضي الله عنه يختتم القرآن في ركعة ، أما كان على رضي الله عنه يبكي بالليل في محاربه حتى تخصل لحيته بالدموع ، ويقول : يادني أغري غيري ، أما كان الحسن البصري على قوة القلق ، أما كان سعيد بن المسيب ملازمـ

للمسجد فلم تفته صلاة في جماعة أربعين سنة، أما صام الأسود بن يزيد حتى أخضر واصفر؟ أما قالت بنت الربيع بن خيم له: مالى أرى الناس ينامون وأنت لاتنام؟ فقال: أن أباك يخاف البيمات، أما كان أبو مسلم الخولاني يعلق سوطاً في المسجد يؤدب نفسه إذا فتر؟ أما صام يزيد الرقاشى أربعين سنة، وكان يقول: والمفاه سبقنى العابدون، وقطع بي. أما صام منصور بن المعتمر أربعين سنة؟ أما كان سفيان الثورى يبكي الدم من الخوف؟ أما كان إبراهيم بن أدهم يقول الدم من الخوف؟ أما تعامين أخيار الأئمة الاربعة في زهدهم وتعبدهم، أبو حنيفة، ومالك، والشافعى، وأحمد. أحذرى من الأخلاق إلى صورة العلم، مع ترك العمل به، فانها حالة الكسالى الزمنى:

وخذ لك منك على مهلة ومقبـل عيشـك لم يدبر

وخف هجمة لا تقيـل العـثـا روتـطـوى الـورـودـ على المصـدرـ

ومـثـلـ لنـفـسـكـ أـيـ الرـعـيـهـ لـ^(١) يـضـمـكـ فـيـ حـلـبـةـ الحـشرـ

٤١ - فصل - مما يزيد العلم عندي فضلاً، إن قوماً شاغلوا بالتعبد عن العلم. فوقفوا عن الوصول إلى حقائق الطلب، فرروى عن بعض القدماء انه قال لرجل: يا أبا الوليد، ان كنت أبا الوليد، يتورع ان يكنيه ولا ولده. ولو أوجل هذا في العلم لعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم: كفى صهيبياً ابا يحيى، وكفى طفلاً يا ابا عمير، ما فعل النغير. وقال بعض المزهدين: قيل لي يوماً كل من هذا الابن. فقلت: هذا يضرني، ثم وقفت بعد مدة عند الكعبة فقلت: اللهم اذك تعلم انى ما أشركت بك طرفة عين، فهتف

«١» في هامش الهندية: الرعيل بالعين المهمة والياء المشاة التحتية. قال في النهاية

يقال للقطعة من الفرسان رعلة وجماعة الخيل رعيل. وفيها: الروابي بدل الورود.

بـي هـاتـف - وـلـا يـوـم الـلـبـن - وـهـذـا لـو صـح جـاز أـن يـكـون تـأـديـبـا لـه ،
 ثـلـاثـا يـقـف مـع الـاسـبـاب نـاسـيـا لـالـمـسـبـب ، وـالـفـارـسـوـل صـلـى اللـهـ عـلـيـه وـسـلـمـ
 قـدـقـال : مـا زـالـت أـكـلـة خـيـر تـعـاـوـدـنـى حـتـى الـأـزـقـطـعـتـ اـبـهـرـى . وـقـالـ : مـا نـفـعـنـى
 مـالـكـالـ أـبـى بـكـرـ ، وـمـنـ الـمـتـزـهـ دـيـنـ اـقـوـامـ يـرـوـنـ التـوـكـلـ قـطـعـ الـاسـبـابـ
 كـلـهـاـ ، وـهـذـا جـهـلـ بـالـعـلـمـ . فـانـ النـبـىـ صـلـى اللـهـ عـلـيـه وـسـلـمـ : دـخـلـ الغـارـ ، وـشـاـورـ
 الطـبـيـبـ ، وـلـبـسـ الدـرـعـ ، وـحـفـرـ الـخـنـدقـ ، وـدـخـلـ مـكـةـ فـيـ جـوـارـ المـطـعـمـ بـنـ
 عـدـىـ وـكـانـ كـافـرـاـ ، وـقـالـ لـسـعـدـ : لـأـنـ تـدـعـ وـرـثـتـكـ اـغـنـيـاءـ خـيـرـ لـكـ مـنـ اـنـ
 تـدـعـهـمـ عـالـةـ يـتـكـفـفـونـ النـاسـ ، فـالـوقـوفـ مـعـ الـاسـبـابـ مـعـ نـسـيـانـ الـمـسـبـبـ
 غـلـطـ ، وـالـعـمـلـ عـلـىـ الـاسـبـابـ مـعـ تـعـلـقـ الـقـلـبـ بـالـمـسـبـبـ هـوـ الـشـرـوـعـ ، وـكـلـ
 هـذـهـ الـظـلـمـاتـ اـنـمـا تـقـطـعـ بـصـبـاحـ الـعـلـمـ ، وـلـقـدـ ضـلـ مـنـ مـشـىـ فـيـ ظـلـمـةـ الـجـهـلـ
 اوـ فـيـ زـاقـ الـهـوىـ .

٤٣ - فـصـلـ - مـا أـزـالـ اـتـعـجـبـ مـنـ يـرـىـ تـفـضـيـلـ الـمـلـائـكـةـ عـلـىـ
 الـأـنـبـيـاءـ وـالـأـوـلـيـاءـ ، فـانـ كـانـ التـفـضـيـلـ بـالـصـورـ . فـصـورـةـ الـأـدـمـىـ أـعـجـبـ
 مـنـ ذـوـيـ اـجـنـحةـ ، وـانـ تـرـكـتـ صـورـةـ الـأـدـمـىـ لـاجـلـ اوـسـاخـهاـ الـنـوـطـةـ بـهـاـ
 فـالـصـورـةـ لـيـسـتـ الـأـدـمـىـ ، اـنـمـاـ هـىـ قـالـ . ثـمـ قـدـ اـسـتـمـحـنـ مـنـهـاـ مـاـ يـسـتـقـبـحـ
 فـيـ الـعـبـادـةـ ، مـثـلـ خـلـوفـ فـيـ الصـائـمـ ، وـدـمـ الشـهـداءـ ، وـالـنـوـمـ فـيـ الصـلـاـةـ ، اوـ
 فـقـيـتـ صـورـةـ مـعـمـورـةـ ، وـصـارـ الـحـكـمـ لـمـعـنـىـ . أـلـهـمـ صـرـتـبـةـ يـحـبـهـمـ ، اوـ
 فـضـيـلـةـ يـيـاهـىـ بـهـمـ . وـكـيـفـ دـارـ الـأـمـرـ فـقـدـ سـجـدـواـ لـنـاـ . وـهـوـ صـرـيحـ فـيـ
 تـفـضـيـلـنـاـ عـلـيـهـمـ ، فـانـ كـانـ الـفـضـيـلـةـ بـالـعـلـمـ فـقـدـعـاـمـتـ الـقـصـةـ ، يـوـمـ «ـلـاـعـلـمـ لـنـاـ»ـ . «ـيـآـدـمـ
 اـنـبـئـهـمـ»ـ . وـانـ فـضـلـتـ الـمـلـائـكـةـ بـحـوـهـرـيـةـ ذـوـاتـهـمـ بـجـوـهـرـيـةـ اـرـواـحـنـاـ مـنـ ذـلـكـ
 الـجـنـسـ ، وـعـلـيـنـاـ اـنـقـالـ اـعـبـاءـ الـجـسـمـ ، بـالـلـهـ لـوـلاـ اـحـتـيـاجـ الـرـاكـبـ إـلـىـ النـافـةـ فـهـوـ

يتوقف لطلب علها ، ويرفق في السير ، بها طرق أرض من قبل العشر .
 واعجبا اتفضل الملائكة بكثرة التعبد ! فما ثم صعاد ^(١) ، أو يتعجب من الماء
 اذا جرى ، او من منحدر يسرع ، انما العجب من مصاعد ؟ بلى قد يتصور
 منهم اخلاق ، ودعوى الالهية . لقدرتهم على ذلك الصعود ، وشق الارض
 لذلك توعدوا : « ومن يقل منهم انى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم » ، لكنهم
 يعلمون عقوبة الحق فيحدروه . فاما بعدنا عن المعرفة الحقيقة وضعف يقيننا
 بالناهى ، وغلبة شهوتنا مع الغفلة . تحتاج الى جهاد اعظم من جهادهم ، تالله
 لو ابتنى احد المقربين بما ابتلينا به ، لم يقدر على التماسك ، يصبح احدنا وخطاب
 الشرع يقول له : السكب لعائلك ، واحذر في كسبك . وقد تكون منه
 ما ليس من فعله ، كحب الاهل ، وعلق الولد بنياط القلب ، واحتياج
 بدنك الى مالا بدمنه ، فتارة يقال للخليل عليه السلام : اذبح ولدك بيده ؟
 واقطع ثمرة فؤادك بكفتك ، ثم قم الى المنجنيق لترمى في النار . وتارة يقال
 لموسى عليه السلام : صم شهر اليلانهارا ، ثم يقال للغضيبان : اكظم ، وللبصير
 اغضض ، ولذى المقول اصم ، ولستاذ النوم تهجد ، ولمن مات حبيبه
 اصبر ، ومن أصيب في بدنك اشكر ، ولو اوقف في الجهاد بين اثنين لا يحيل
 ان تفر . ثم اعلم أن الموت يأتي باصعب المرارات فينزع الروح عن البدن ،
 فاذا نزل فثبتت ، واعلم أنك ممزق في القبر فلا تتسرّط لانه مما يحرى به
 القدر ، وان وقع بك صرط فلا تشک الى اخلاق ، فهل للملائكة من
 هذه الاشياء شيء ؟ وهل ثم إلا عبادة ساذجة ليس فيها مقاومة طبع ، ولا
 رد هوى ، وهل هي إلا عبادة صورية بين ركوع وسجود وتسبيح ، فain

عبادتهم المعنوية من عبادتنا ؟ ثم أكثُرُهم في خدمتنا بين كتبة علينا ، ودافعيَنَّ
عنا ، ومسخرين لارسال الريح والمطر ، وأكْبَرُ وظائفهم الاستغفار لنا ،
فـ كييف يفضلون علينا بلا علة ظاهرة ؟ وأما حكَّت على محك التحارب
منهم هاروت وماروت ، فرجوا أَقْبِحَ من بُهْرَج ، ولا تظننَّ أَنِّي أعتقد
في تعبد الملائكة نوع تقدير ، لأنَّهم شدیدوا الاشفاق والخوف . اعلمهم بعظامه
الأخلاق لكن طمأنينة من لم يخطِّ ، تقوى نفسه . وانزعاج الغاير في الزلل ترقى
روحه إلى التراقي ، فاعرفوا الأخوانى شرف اقداركم ، وصونوا جواهركم عن
تدنيسها بلوم الذنوب . فاتم معرضِ الفضل على الملائكة ، فاحذروا أن تحطكم
الذنوب إلى حضيض البهائم ، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم .

٤٣ - فصل - رأيت كثيرا من الخلق وعالما من العلماء ، لا ينتبهون
عن البحث عن اصول الاشياء التي أمروا بعلم جهابها ، من غير بحث عن
حقايقها . كالروح مثلا . فإن الله تعالى سترها بقوله : « قل الروح من أمر
ربِّي » فلم يقنعوا . وأخذوا يبحثون عن ماهيتها ولا يقعون بشيء . ولا
يثبت لأحد منهم بوهان على ما يدعوه ، وكذاك العقل . فإنه موجود بلا
شك ، كما ان الروح موجودة بلا شك كلامها يعرف بآثاره لابحثيقه ذاته
فإن قال قائل : فما السر في كتم هذه الاشياء : قلت : لأن النفس ماتزال تترقى
من حالة إلى حالة فلو طلت على هذه الاشياء لتركت إلى خالقها . فكان ستر
مادونه زيادة في تعظيمه لانه اذا كان بعض مخلوقاته يعلم جملة ^(١) فهو أجل واعلا ،
ولو قال قائل : ما الصوابع . وما البرق . وما الزلازل ؟ فلنا : شيء مزتعج ،
ويكفى . والسر في ستر هذا . أنه لو كشفت حقائقه خف مقدار تعظيمه .

(١) في السجدين « يعلم جملة » وفي الهندية يجهل يعلم جملة .

ومن تامح هذا الفصل علم أنه فصل عزيز فإذا ثبت هذافي المخلوقات فالخالق
أجل وأعلا. فينبغي أن يوقف في اثباته على دليل وجوده، ثم يستدل على
جواز بعثة رسالته، ثم تلقي أوصافه من كتبه ورسله، ولا يزيد على ذلك.
ولقد بحث خلق كثير عن صفاته بأدائهم فعاد وبالذلك عليهم، وإذا
قلنا: أنه موجود وعلم من كلامه أنه سميع، بصير، حي، قادر. كفانا هذا
في صفاتيه، ولا نخوض في شيء آخر. وكذلك نقول: متكلم والقرآن كلامه. ولا
تتكلف ما فوق ذلك، ولم يقل السلف تلاوة ومتلو، وقراءة ومقروه، ولا
قالوا استوى على العرش بذاته، ولا قالوا ينزل بذاته، بل أطلقوا ماءورده من
غير زيادة، ونقول لما ثبت بالدليل مالا يجوز عليه، وهذه كلامات كالمثال
فقس عليها جميع الصفات. لفسليا من تعطيل، متخلاصا من تشبيه.

٤٤ - فصل - رأيت أكثر الخلق في وجودهم كالمعدومين، فنهم
من لا يعرف الخالق، ومنهم من يثبته على مقتضى حسه، ومنهم من لا يفهم
المقصود من التكليف / فترى المترسجين بالزهد يبدأون في القيام والقعود،
ويتركون الشهوات، وينسون ما قد أنسوا به من شهوة الشهرة، وتقبيل
الإيدي / ولو كلام أحدهم قال: المثل يقال هذا؟ ومن فلان الفاسق، فهو لاء
لایفهمون المقصود. وكذلك كثير من العلامة. في احتقارهم غيرهم،
والتكبر في نفوسهم، فتعجبت كيف يصلح هؤلاء لجاورة الحق، وسكنى
الجنة؟ فرأيت أن الفائدة في وجودهم في الدنيا، تجانس الفائدة في دخولهم
الجنة، فإنهم في الدنيا بين معتبر به. يعرف عارف الله سبحانه نعمة الله عليه.
بما كشف له مما غطى عن ذاك، ويتم النظام بالاقتداء. أتصور أولئك، فإن
العارف لا يتسع وقته لخالطة من يقف مع الصورة، فالزاهد كراعي البهـم.

والعالم كؤدب الصبيان ، والعارف ملئن الحكمة ، ولو لا نفاط ^(١) الملك
وحارسه . ووقاد أتونه . ما تم عيشه ، فمن تمام عيش العارف استعمال أولئك
بحسبهم ، فإذا وصلوا إليه حرر مانعهم ^(٢) ، وفيهم من لا يصل إليه ، فيكون
وجود أولئك كزيادة لا في الكلام . هي حشو ، وهي مؤكدة ، فان قال
سائل : فهل هذا يصح في الدنيا . فكيف في الجنة ؟ والجواب . ان الانس
بالجيران مطلوب ، ورؤيه القاصر من تمام لذة الكلام ^(٣) ، ولكل شرب .
ومن تأمل ما اشرت اليه كفاه رمز لفظي عن تطويل الشرح ،

٤٤ - فصل - لما تامت تدبير الصانع في سوق رزقي . بتسيير
السحاب ، وإنزال المطر برق ، والبذر تحت الأرض . كالموتي ، قد دفعن
يلتظر نفخة من صور الحياة ، فإذا به اهتز خضرأً ، وانقطع عنه الماء ، مدید
الطلب يستعطى ، وأمال رأسه خاضعاً ، ولبس حلل التغير ، فهو يحتاج إلى
ما أناحتاج إليه من حرارة الشمس ، وببرودة الماء ، ولطف النسم ، وترية
الارض . فسبحان من أرانى فيما يرينى به . كيف تریتني في الاصل ، فيما أيتها
النفس التي قد اطلعت على بعض حكمه ، قبيح بك والله الاقبال على غيره ،
ثم العجب كيف تقبلين على فقير مثلك ، ينادى لسان حاله بي مثل ما بك ،
يا حمام ! فارجعى الى الاصل الاول ، واطلبى من المس McB ، ويأطوبى لك أن
عرفتنيه ، فان عرفانه ملك الدنيا والآخرة .

٤٦ - فصل - كنت في بداية الصبوة . قد اهتمت سلوك طريق
الزهد ، بادامة الصوم والصلة ، وحبست الى الخلوة . فكنت أجده قلباً

«١» في الأحمدية : نفاظ بالغين المعجمة والظاء المشالة . «٢» في الهندية : مامعهم .

«٣» في المصريه والاحمدية لذة الكلام .

طيباً . وكانت عين بصيرتى قوية الحدة تتأسف على لحظة تضى في غير طاعة ، وتبادر الوقت في اغتنام الطاعات ، ولن نوع انس وحلوة مناجاة . فاتتهى الأمر إلى ان صار بعض ولاة الامور يستحسن كلامي ، فأمالني إليه فالطبع ، ففقدت تلك الحلاوة ، ثم استمالني آخر . فكنت أتقى مخالطته ومطاعمه ، خلوف الشبهات . وكانت حالي قريبة ، ثم جاء التأويل فانبسست فيما يباح ، فعدم ما كنت أجد . وصارت الخالطة توجب ظلمة في القلب إلى أن عدم النور كله ، فـكان حنيبي إلى ما ضاع مني يوجب ازعاج أهل المجلس ، فيتوبون ويصلحون . وآخر مفلساً فيما يبني وبين حالى . وكثير ضجيجي من مرضي ، وعجزت عن طب نفسي ، فلجاجات إلى قبور الصالحين ، وتوسلت في صلاحى ، فاجتذبني لطف مولاى بي إلى الخلوة على كراهة مني ، ورد قلبي على بعد نفوره عنى ، وأراني عيب ما كنت أوثره ، فافتقت من مرض غفلتى ! وقلت في مناجاة خلوتى ، سيدى كيف أقدر على شكرك ؟ وبأى لسان انطق بمحنك ؟ اذا لم تؤاخذنى على غفلتى ، ونبهتى من رقدتى ، واصلحت حالى على كره من طبعى ، فـما أرجو فيهم سلب مني إذ كانت ثمرته الاجأ إليك ، وما أوفر جمعي إذ ثمرته اقبالك^(١) على الخلوة بك ، وما أغنانى إذ أفقرتني إليك ، وما آنسنى إذ أوحشتنى بالتجارب خلقك ، آه على زمان ضاع في غير خدمتك ! أسفًا لوقت مضى في غير طاعتك : قد كنت اذا انتبهت وقت الفجر لا يؤلمى نومي طول الليل ، واذا انسليخ عنى النهار لا يوجدعنى ضياع ذلك اليوم ، وما عامت ان عدم الاحساس لقوة المرض . فالآن قد هبت نسائم العافية ، فاحسست

«(١) كذا في الأصول ولعلها : اقبالى الخ .

بالآلم فاستدللت على الصحة . فياعظيم الانعام ثملى العافية ، آه من سكر
 لم يعلم قدر عربته الا في وقت الافاقة ؛ لقد فتقت ما يصعب رتفه . فوا اسفا
 على بضاعة صناعت ، وعلى ملاح تعب في موج الشمال مصاعداً مدة ثم
 غلبه النوم فرد الى مكانه الاول ، يا من يقرأ تحذيرى من التخليلط . فانى
 وان كنت خنت نفسي بالفعل ، نصيح لاخوانى بالقول ، احذروا اخوانى
 من الترخص فيما لا يؤمن فساده : فان الشيطان يزين المباح في أول مرتبة .
 ثم يحر الى الجناح . فتلامحو المآل ، وافهموا الحال ، وربما أراكم الغاية الصالحة ،
 وكان في الطريق اليها نوع مخالفة ، فيكفى الاعتبار في تلك الحال . بايسكم
 «هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلي» ؟ انا تأمل آدم الغاية وهي الخلد .
 ولكنه غلط في الطريق . وهذا أعجب مصايد أبليس يصيده بها العلماء ،
 يتاولون لعواقب المصالح ، فيستجلبون ضرر المفاسد . مثاله أن يقول للعالم
 ادخل على هذا الظالم فاشفع في مظلوم ، فيستجعل الداخل رؤية المنكرات ،
 وينزل دينه . وربما وقع في شرك صار به أظلم من ذلك الظالم ، فمن لم يشق
 بدينه فليحذر من المصائد ، فانها خفية . واسلم ما للجبان العزلة ، خصوصا
 في زمان قد مات فيه المعروف ، وعاش المنكر ، ولم يبق لاهل العلم وقع
 عند الولاة . فن داخليم دخل معهم فيما لا يجوز ، ولم يقدر على جذبهم مما
 هم فيه . ثم من تأمل العلماء الذين يعملون لهم في الولايات يراهم منسلحين
 من نفع العلم قدصاروا كالشرط . فليس الا العزلة عن اخلق . والاعراض
 عن كل تأويل فاسد في الخلطة ، ولا ان انفع نفي وحدى . خير لي من
 أن انفع غيري واتضرر ، فالحذر الحذر من خوادع التأويلات ، وفواسد
 الفتاوي ، والصبر الصبر على ما توجيه العزلة . فانه ان انفردت بمولاك

فتح لك باب معرفته . فهان كل صعب ، وطاب كل مر ، ويسرا كل عسر ، وحصلت كل مطلوب ، والله الموفق بفضله ، ولا حول ولا قوة الا به .

٤٧ - فصل — تأمات على نفسي تأويلاً مباح انال به شيئاً من الدنيا ، الا انه في باب الورع كدر . فرأيتها أولاً قد احتلب در الدين فذهبت حلاوة المعاملة لله تعالى ، ثم عاد فقاصل ضرع حلبي له فوقع فقد الحالين ، فقلت لنفسي : ما مثلك الا كمثل وال ظالم جم من غير حله ، فصودر . فأخذ منه الذي جم واجتر مالم يجمع . فالحذر الحذر من فساد التأويل ، فان الله تعالى لا يخادع ، ولا ينال ماعنته بعصيته .

٤٨ - فصل — رأيت نفسي كلما صفا فكرها ، أو اتعظت بدارج ، أو زارت قبور الصالحين ، تتحرك همتها في طلب العزلة . والاقبال على معاملة الله تعالى . فقلت لها يوماً : وقد كلتني في ذلك . حدثني ما مقصودك ؟ وما نهاية مطلوبك ؟ أتراك تريدين مني أن اسكن قفراً لا أنيس به ، فتفوتني صلاة الجماعة . ويضيع مني ما قد عانته لفقد من أعلمـه ، وان آكل الخشب الذي لم اتعوده ، فيقع نضوى طلحا في يومين . وان البس الخشن الذي لا اطيقه فلا أدرى من كرب محولى أين أنا ؟ وان أتشال عن طلب ذرية تعبد بعدى مع بقاء القدرة على الطلب . بالله ! ما نفعي العلم الذي بذلت فيه عمرى ان وافقتك ، وانا اعرفك غلط ما وقع لك بالعلم . ااعمى ان البدن مطية ، والمطية اذا لم يرفق بها لم تصل برها الى المنزل ، وليس مرادى بالرفق الا كثار من الشهوات ، واما اعني أخذ البلغة الصالحة للبدن ، فحينئذ يصفو الفكر ، ويصح العقل ، ويقوى الذهن ،

ألا ترى الى تأثير المعوقات عن صفاء الذهن في قوله عليه الصلاة والسلام:
 لا يغنى القاضي بين اثنين وهو غضبان ، وقادس العلماء على ذلك الجموع
 وما يجرى مجراه من كونه حاقنا . أو حاقبا^(١) . وهل الطبع الا ككلاب
 يشغله الا كل ، فإذا دمى له ما يتشارغل به طاب له الا كل . فاما
 الانفراد والعزلة فمن الشر لاعن الخير . ولو كان فيها لك وقع خير لنقل
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن اصحابه رضي الله عنهم . هيهات
 لقد عرفت ان اقواماً دام بهم التقلل والييس الى ان تغير فكرهم ، وقوى
 الخلط السوداوي عليهم ، فاستوحشوا من الناس ، ومنهم من اجتمعوا له من
 المآكل الرديئة اخلاقاً مجده . فيبقى اليوم واليومين والثلاثة لا يأكّل وهو
 يظن ذلك من امداد الاطف ، واذا به من سوء الهضم . وفيهم من ترق
 به الخلط الى رؤية الاشباح فيظنهما الملائكة ، فالله الله في العلم . والله
 الله في العقل ، فان نور العقل لا ينبغي ان يتعرض باطئاته ، والعلم لا يجوز
 الميل الى تنقيصه ، فاذا حفظا حفظا وظائف الزمان ، ودفعا ما يؤذى ،
 وجلبوا ما يصلح ، وصارت القوانين مستقيمة في المطعم والشرب والمحالطة .
 فقالت لى النفس : فو ظف لى وظيفة واحسبنى مريضا قد كتبت له شرية .
 فقلت لها : قد دلتكم على العلم وهو طيب ملازم . يصف كل لحظة لكل
 داء يعرض دواء يلام ، وفي الجملة ينبغي لك ملازمته تقوى الله عز وجل في
 المنطق والنظر ، وجميع الجوارح ، وتحقق الحلال في المطعم ، وايداع كل
 لحظة ما يصلح لها من الخير ، ومناهبة الزمان في الافضل ، ومحابية ما يؤدى
 الى ما يؤذى من نقص دريح او وقوع خسران . ولا تعملي عملا الا بعد

(١) الحاقن : بالبول والحاقد : بالغائط .

تقديم النية ، وتأهلي لزعج الموت فكأن قد ، وما عندك من مجئه في أي وقت يكون ، ولا تتعرضي لمصالح البدن . بل وفريها عليه وناوليه ايها على قانون الصواب ، لا على مقتضى الموى ، فان اصلاح البدن سبب لاصلاح الدين : ودعى الرعونة التي يدل عليها الجهل لالعلم ، من قول النفس فلان يا كل اخل والبقل ، وفلان لا ينام الليل ، فاحمل ماطبيقين . وما قد عامت قوة البدن عليه فان البهيمة اذا قبلت الى ساقية . فضررت لتتفجر . لم تفعل حتى تزن نفسها ، فان عامت فيها قوة الطفر طفرت ، وان عامت أنها لا تطبيق لم تفعل ، ولو قتلت . وليس كل الابدان تتساوى في الاطاقة ، ولقد حمل اقوام من المجاهدات في بداياتهم اشياء اوجبت امراضا قطعواهم عن خير ، وتسخطت قلوبهم بوقوعها ، فعليك بالعلم . فانه شفاء من كل داء ، والله الموفق .

٤٩ - فصل - عجبت من اقوام يدعون العلم ، ويملون الى التشبيه بحملهم الاحاديث على ظواهرها ، فلو أنهم أمروها كما جاءت سلموا . لأن من أمر ماجاء وصر من غير اعتراض ولا تعرض ، فما قال شيئا لاله ولا عليه ، ولكن اقواما قصرت علومهم ، فرأيت أن حمل الكلام على غير ظاهره نوع تعطيل ، ولو فهموا سعة اللغة لم يظنووا هذا . وما هي الا بثابة قول الحجاج لكتبه وقد مدحته الخمساء فقالت :

اذ اهبط الحجاج ارض امر يضية تتبع اقصى داءها فشفافها
شفافها من الداء العضال الذي بها غلام اذا هز القناة شفافها
فاما امنت القصيدة . قال: لكتبه اقطع لسانها . بخاء ذاك الكاتب المغفل
بالموسى . فقالت له: ويلك ابا قال اجزل لها العطاء . ثم ذهبت الى الحجاج

فَقَالَتْ : كَادُوا اللَّهُ يَقْطِعُ مَقْوِلِي . فَكَذَلِكَ الظَّاهِرِيَّةُ الَّذِينَ لَمْ يَسْلِمُوا بِالْتَّسْلِيمِ ،
 فَإِنَّهُ مِنْ قَرَا الْأَيَّاتِ وَالْأَحَادِيثِ وَلَمْ يَزِدْ بِإِيمَانِهِ إِلَّا هُوَ . وَهَذِهِ طَرِيقَةُ السَّافِ .
 فَأَمَّا مَنْ قَالَ : الْحَدِيثُ يَقْتَضِي كَذَّا ، وَيَحْمِلُ عَلَى كَذَّا ، مَثَلًا إِنْ يَقُولَ أَسْتَوِي
 عَلَى الْعَرْشِ بِذَاتِهِ ، وَيَنْزَلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِذَاتِهِ فَهَذِهِ زِيَادَةُ فَهْمِهَا قَاتِلَهَا مِنْ
 الْحَسْنَ لِأَمْنِ النَّقْلِ ، وَلَقَدْ عَجِبَتْ لِرَجُلِ أَنْدَاسِي يَقَالُ لَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ . صَنْفُ كِتَابِ
 التَّهْمِيدِ . فَذَكَرَ فِيهِ حَدِيثَ النَّزُولِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَقَالَ : هَذَا يَدِلُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ
 تَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ . لَا نَهُ لَوْلَا ذَلِكَ مَا كَانَ لِقَوْلِهِ يَنْزَلُ مَعْنَى . وَهَذَا كَلَامٌ
 جَاهِلٌ بِعِرْفَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . لَا إِنْ هَذَا إِسْتِسْلَافٌ مِنْ حَسْبِهِ مَا يَعْرِفُهُ مِنْ نَزُولِ
 الْأَجْسَامِ . فَقَاسَ صَفَةَ الْحَقِّ عَلَيْهِ : فَإِنْ هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَلَقَدْ تَكَلَّمُوا
 بِأَبْيَحِ مَا يَتَوَلَّونَ ، ثُمَّ عَابُوا الْمُتَكَامِلِينَ ،
 وَاعْلَمُ أَيْهَا الطَّالِبُ لِلرِّشَادِ . أَنَّهُ قَدْ سَيِّقَ إِلَيْنَا مِنَ الْعُقْلِ وَالنَّقْلِ اصْلَانِ
 رَاسِخَانَ . عَلَيْهِمَا مِنَ الْأَحَادِيثِ كُلُّهُمَا ؛ أَمَّا النَّقْلُ فَقَوْلُهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى :
 « لَيْسَ كَمِثْلَهُ شَيْءٌ ». وَمِنْ فَهْمِ هَذَا مِنْ يَحْمِلُ وَصَفَالَهُ عَلَى مَا يَوْجِبُهُ الْحَسْنُ . وَأَمَّا
 الْعُقْلُ فَإِنَّهُ قَدْ عَلِمَ مِبَايِنَةِ الصَّانِعِ لِلْمَصْنُوعَاتِ ، وَاسْتَقْدَلَ عَلَى حَدِيثِهَا بِتَغْيِيرِهَا ،
 وَدُخُولِ الْأَنْفُعَالِ عَلَيْهَا ، فَثَبَّتَ لَهُ قَدْمُ الصَّانِعِ ، وَاعْجَبَهَا كُلُّ الْعَجَبِ مِنْ
 رَدِّهِ لِيَفْهَمَ : أَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ . أَنَّ الْمَوْتَ يَذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ،
 أَوْ لَيْسَ الْعُقْلُ إِذَا اسْتَغْنَى فِي هَذَا صِرَاطُ الْأَمْرِ عَنْ حَقِيقَتِهِ لِمَا ثَبَّتَ عَنْهُ مِنْ
 يَفْهَمُ مَاهِيَّةَ الْمَوْتِ فَقَالَ : الْمَوْتُ عَرَضٌ يُوجَبُ بِطْلَانَ الْحَيَاةِ . فَكَيْفَ يَمَّاتُ
 الْمَوْتُ ؟ فَإِذَا قِيلَ لَهُ فَهَا تَصْنَعُ بِالْحَدِيثِ . قَالَ : هَذَا ضَرْبٌ مِثْلُ بِإِقَامَةِ صَوْرَةِ لِيَعْلَمُ
 بِتَلْكَ الصَّوْرَةِ الْحَسِيَّةِ فَوَاتَ ذَلِكَ الْمَعْنَى . قَلَّنَا لَهُ : فَقَدْ روَى فِي الصَّحِيحِ .
 تَأْتَى الْبَقْرَةُ وَآلُ عُمَرَانَ كَانُوكُمْ غَامِتَانَ . فَقَالَ : الْكَلَامُ لَا يَكُونُ غَامِمًا ، وَلَا

يتشبه بها ، قلنا له افتعطل النقل ، قال : لا ، ولكن يأتي ثوابه ما ، قلنا : فما الدليل الصارف لك عن هذه المقاائق . فقال : علمي بأن الكلام لا يتشبه بالجسام ، والموت لا يذبح ذبح الانعام ، ولقد علمت سمعة لغة العرب . ما ضاقت اعطاؤكم من سماع مثل هذا ، فقال العلامة صدقـت . هكذا تقول في تفسير مجىء البقرة ، وفي ذبح الموت ، فقال : واعجب بالكلام صرفـم عن الموت الكلام مالـا يليق بهما ، حفظـما علمـت من حـقـاـيـةـهـما فـكـيفـ لم تـصـرـفـواـعـنـالـاـلـهـالـقـدـيمـ ماـيـوجـبـ التـشـيهـ لـهـ بـخـالـقـهـ ، بماـقـدـدـلـ الدـلـيـلـ عـلـىـ تـنـزـيـهـهـ عـنـهـ ، فـماـ زـالـ يـجـادـلـ الخـصـومـ بـهـذـهـ الـادـلـةـ . ويـقـولـ : لـأـقـطـعـ حـتـىـ أـقـطـعـ ، فـإـقـطـعـ حـتـىـ قـطـعـ .

٥٠ - فصل — تفكـرتـ فـيـ السـرـ الذـىـ أـوـجـبـ حـذـفـ آـيـةـ الرـجـمـ منـ القـرـآنـ لـفـظـاـ . معـ ثـبـوتـ حـكـمـهاـ اـجـمـاعـاـ ، فـوـجـدـتـ لـذـلـكـ مـعـنـيـيـنـ . أـحـدـهـاـ : اـطـفـ اللهـ تـعـالـىـ بـعـيـادـهـ فـيـ أـنـهـ لـاـ يـوـاجـهـهـمـ بـاعـظـمـ الشـاقـ . بـلـ ذـكـرـ الجـلدـ ، وـسـتـرـ الرـجـمـ ، وـمـنـ هـذـاـ الـمـعـنـىـ قـالـ بـعـضـ الـعـلـمـاءـ : إـنـ اللهـ تـعـالـىـ قـالـ فـيـ الـمـكـرـوـهـاتـ «ـ كـتـبـ عـلـيـكـمـ الصـيـامـ »ـ . عـلـىـ لـفـظـ لـمـ يـسـمـ فـاعـلـهـ . وـاـنـ كـانـ قـدـ عـلـمـ أـنـهـ هـوـ الـكـاتـبـ ، فـلـمـ جـاءـ إـلـىـ مـاـيـوجـبـ الـرـاحـةـ قـالـ «ـ كـتـبـ عـلـىـ نـفـسـهـ الرـحـمةـ »ـ . وـالـوـجـهـ الثـانـىـ : أـنـهـ بـيـنـ بـذـلـكـ فـضـلـ الـأـمـةـ فـيـ بـذـلـكـ الـنـفـوسـ قـنـوـعـاـ بـعـضـ الـادـلـةـ فـإـنـ الـنـفـاقـ لـمـ وـقـعـ عـلـىـ ذـلـكـ الـحـكـمـ كـانـ دـلـيـلـاـ . إـلـاـ أـنـهـ لـيـسـ كـالـدـلـيـلـ التـقـقـ لـأـجـلهـ ، وـمـنـ هـذـاـ الـجـنسـ شـرـوعـ الـخـلـيلـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ . فـيـ ذـبـحـ وـلـدـهـ بـنـانـ ، وـاـنـ كـانـ الـوـحـىـ فـيـ الـيـقـظـةـ آـكـدـ .

٥١ - فصل — عـرـضـتـ لـىـ حـالـةـ جـائـتـ فـيـهاـ بـقـلـبـيـ إـلـىـ اللهـ تـعـالـىـ وـحـدهـ ، عـالـمـاـ بـاـنـهـ لـاـ يـقـدـرـ عـلـىـ جـلـبـ تـقـعـىـ وـدـفـعـ ضـرـىـ سـوـاهـ ، ثـمـ قـتـ أـتـعـرضـ بـالـاسـبـابـ .

فانكر على يقيني . وقال : هذاقدح في التوكل ، فقلت : ليس كذلك . فأن
الله تعالى وضع من الحكم وكان معنى حال اى ما وضعت لايفيد وان وجوده
كالعدم . ومازاللت الاسباب في الشرع كقوله تعالى : « اذا كنت فيهم
فاقت لهم الصلاة فلتهم طائفه منهم معك ولماخذوا اسلحتهم » وقال تعالى
« فذروه في سنبه » وقد ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم بغير درعين ، وشاور
طبيبين ، ولما خرج الى الطائف . لم يقدر على دخول مكة . حتى بعث الى
المطعم بن عدى فقال أدخل في جوارك ، وقد كان يمكنه ان يدخل متوكلا بلا
سبب . فاذا جعل الشرع الامور منوطه بالاسباب . كان اعراضي عن
الاسباب دفما للحكمة ، ولهذا ارى أن التداوى مندوب اليه ، وقد ذهب
صاحب مذهبى ^(١) الى أن ترك التداوى افضل ، ومنعني الدليل من اتباعه
في هذا فان الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما أنزل الله
داء الا وأنزل له دواء فتقداوا ومرتبة هذه اللفظة الامر ، والامر ما ان
يكون واجبا . او ندبنا . ولم يسبقه حظر . فيقال : هو امر اباحة ، وكانت
عائشة رضي الله عنها تقول : تعلمت الطب من كثرة امراض رسول الله
صلى الله عليه وسلم . وماينعت له ، وقال عليه الصلاة والسلام لعلى بن أبي
طالب رضي الله عنه : « كل من هذا فاته أوفق لك من هذا » ومن ذهب الى
أن تركه افضل احتاج بقوله عليه الصلاة والسلام : « يدخل الجنة سبعون
الفا بلا حساب » ثم وصفهم فقال « لا يكتنون ، ولا يسترقون ، ولا
يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » وهذا اينافي التداوى . لانه قد كان اقوام
يكتنون لثلاث مرضوا ويسترقون لثلاث صيبهم نكبة ، وقد كوى عليه الصلاة

(١) يعني به الامام احمد بن حنبل

٥٢ - فصل - تلمحت على خلق كثير من الناس اهمال ابدانهم ، ف منهم من لا ينضف فمه بالخلال بعد الاكل . و منهم من لا ينقى يديه في غسلها من الزهم ، و منهم من لا يكاد يستاك و فيهم من لا يكتحل ، وفيهم من لا يراعي الابط الى غير ذلك فيعود هذا الاهتمام بالخلال في الدين والدنيا ؛ أما الدين فانه قد امر المؤمن بالتنظف والاغتسال للجامعة لاجل اجتماعه بالناس ، ونهى عن دخول المسجد اذا أكل الثوم ، وأمر الشرع بتنقية البراجم . و قص الاظفار . والسواك . والاستحداد . وغير ذلك من الــآداء ، فاذا

أهمل ذلك ترك مسنون الشرع . وربما تبعى بعض ذلك الى فساد العبادة ،
 مثل ان يهمل اظفاره فيجمع تحته الوسخ المانع للاء في الوضوء ان يصل ،
 وأما الدنيا فاني رأيت جماعة من المهملين انفسهم . يتقدمون الى السراد .
 والغفلة التي أوجبت اهالهم انفسهم . أوجب جهلهم بالاذى الحادث عنهم .
 فاذاً أخذوا في مناجاة السر . لم يكن ان أصدق عنهم ، لأنهم يقصدون السر .
 فالقى الشدائند من دفع افواههم ، ولعل اكثراهم من وقت انتباهم ما أمر
 أصبعه على اسنانه ، ثم يوجب مثل هذا نفور المرأة ، وقد لا تستحسن ذكر
 ذلك للرجل ، فيشمر ذلك التفاتها عنه وقد كان ابن عباس رضي الله عنهمما
 يقول : اني لا أحب ان أزيين المرأة . كما أحب ان قتزني لى ، وفي الناس من
 يقول : هذا تصنع وليس بشيء . فان الله تعالى زيننا ما خلقنا . لأن العين
 حظا في النظر ، ومن تأمل اهداب العين والمحاجبين . وحسن ترتيب
 الخلقة . علم أن الله تعالى زين الآدمي ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم
 أنظف الناس وأطيب الناس وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم يرفع يديه .
 حتى تبين عفرة ابطيه ، وكان ساقه ربما انكشف فكلذها جمارة وكان لا
 يفارقها السواك وكان يكره ان يشم منه ريح ليست طيبة . وفي حديث أنس
 الصحيح : ما شانه الله بيضاء . وقد قالت الحكماء : من نذف ثوبه تل
 هه ، ومن طاب ريحه زاد عقله ، وقال عليه الصلاة والسلام لاصحابه
 : «مالكم تدخلون على» فلحا . استاكوا « وقد فضلت الصلاة بالسواك ،
 على الصلاة بغير سواك ، فالمتنة ظفيف نعم نفسه ، ويعرف منها عتها ،^(١) وقد
 قال الحكماء : من طال ظفره قصرت يده . ثم أنه يقرب من قلوب الخلق ،

(١) في المصرية «عبدها» كذا مهملة وفي الاحدية عندها . وفي الهندية عدتها وليحرر

وتحبّه النّفوس ، لنّظافته وطبيّه وقد كان النّبِي صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحبّ
الطيب . ثم انه يؤنس الزوجة بتلك الحال . فان النساء شقائق الرجال ، فكما
أنه يكره الشيء منها فكذلك هى تكرهه ، وربما صبر هو على ما يكره
وهي لا تصرّ ، وقد رأيت جماعة يزعمون أنهم زهاد . وهم من اقدر الناس ،
وذلك أنهم ما قوّتهم العلم . وأما ما يحكى عن داود الطائي : أنه قيل له لو
سرحت لحيتك ، فقال : انى عنها مشغول ، فهذا قول معتقد عن العمل
بالسنة ، والأخبار عن غيابته عن نفسه بشدة خوفه من الآخرة ، ولو
كان مفيقاً كذلك لم يتركه ، فلا يحتاج بحال المغلوبين ومن تأمل خصائص
الرسول صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى كاملاً في العلم والعمل ، فيه يكون الاقتداء
وهو الحجّة على الأخلاق .

٥٣- فصل - تأملت مبالغة ارباب الدنيا في اتقاء الحر والبرد . فرأيتها
تمكس القصود في باب الحكمة . وانما تحصل مجردة ولا خير في لذة تعقب ألمًا
فاما الحر فانهم يشربون الماء المثلوج . وذلك على غایة في الضرر ، واهل الطب
يقولون : انه يحدث امراضاً صعبة يظهر اثارها في وقت الشيشوخة . ويصنعون
الخيوش المضاعفة ، وفي البر يصنعون للبو دلماعنة للبرد ، وهذا من حيث الحكمة
مضاد ما وصفه الله تعالى . فانه جعل الحر لحل الاختلاط ، والبرد بجمودها ،
فيجعلون هم جميع السنة دريعا . فتنعكس الحكمة التي وضع الحر والبردها ، ويرجع
الاذى على الابدان ، ولا يظنن سامع هذا انى امره بخلافة الحر والبرد وانما قوله :
لا يفرط في التموي . ويعرض في الحر لما يحمل بعض الاختلاط ، الى حد لا يؤثر في
القوة . وفي البر بأن يصيبك منه الامر القريب لا المؤذى ، فان الحر
والبرد لمصالح البدن . وقد كانت بعض الامراء يصونون نفسه من الحر

والبرد أصلًا فزاد^(١) جوفه فات عاجلاً، وقد ذكرت قصته في كتاب لقط المنافع في علم الطب.

٥٤ - فصل - ليس في التكليف أصعب من الصبر على القضاء، ولا فيه أفضل من الرضى به، فاما الصبر: فهو فرض. واما الرضا فهو فضل واما صعب الصبر لأن القدر يجرى في الأغلب بـمـكـرـوـهـ النـفـسـ ، وليس مـكـرـوـهـ النـفـسـ يـقـفـ علىـ المـرـضـ وـالـأـذـىـ فـيـ الـبـدـنـ ، بلـ هوـ يـتـنـوـعـ حـتـىـ يـتـحـيـرـ الـعـقـلـ فـيـ جـرـيـانـ الـقـدـرـ؛ فـنـ ذـلـكـ : أـنـكـ اـذـارـأـيـتـ مـغـمـورـاـ بـالـدـنـيـاـ قـدـسـالـتـ لهـأـوـدـيـتـهاـ حـتـىـ لاـ يـدـرـىـ ماـ يـصـنـعـ بـالـمـالـ . فـهـوـ يـصـوـغـهـ أوـانـىـ يـسـتعـمـلـهـاـ . وـمـعـلـومـ أـنـ الـبـلـوـرـ وـالـعـقـيقـ وـالـشـبـهـ ، قـدـ يـكـوـنـ أـحـسـنـ مـنـهـاـ صـوـرـةـ ، غـيرـ أـنـ قـلـةـ مـبـالـاتـهـ بـالـشـرـيـعـةـ جـعـلـتـ عـنـهـ وـجـودـ النـبـىـ كـعـدـمـهـ ، وـيـلـبـسـ الـحـرـيرـ . وـيـظـلـمـ النـاسـ . وـالـدـنـيـاـ مـذـصـبـةـ عـلـيـهـ؛ ثـمـ يـرـىـ خـلـقـاـ مـنـ أـهـلـ الدـيـنـ . وـطـلـابـ الـعـلـمـ . مـغـمـورـينـ بـالـفـقـرـ وـالـبـلـاءـ ، مـقـهـوـرـينـ تـحـتـ وـلـاـيـةـ ذـلـكـ الـظـالـمـ ، فـخـيـثـذـ يـبـدـ الشـيـطـانـ طـرـيـقـاـ لـلـوـسـوـاسـ وـيـتـنـدـيـ بـالـقـدـحـ فـيـ حـكـمـةـ الـقـدـرـ ، فـيـتـحـاجـ لـلـؤـمـ إـلـىـ صـبـرـ عـلـىـ مـاـ يـلـقـىـ مـنـ الضـرـ فـيـ الدـنـيـاـ ، وـعـلـىـ جـدـالـ اـبـلـيـسـ فـيـ ذـلـكـ؛ وـكـذـلـكـ فـيـ تـسـلـيـطـ الـكـفـارـ عـلـىـ الـمـسـامـيـنـ وـالـفـسـاقـ عـلـىـ أـهـلـ الدـيـنـ . وـاـبـلـغـ مـنـ هـذـاـ إـيـلـامـ الـحـيـوانـ ، وـتـعـذـيـبـ الـأـطـفـالـ ، فـنـيـ مـثـلـ هـذـهـ الـمـوـاطـنـ يـتـمـحـضـ الـإـيـانـ ، وـمـاـ يـقـوـىـ الصـبـرـ عـلـىـ الـحـائـتـيـنـ الـنـقـلـ وـالـعـقـلـ . أـمـاـ الـنـقـلـ فـالـقـرـآنـ وـالـسـنـةـ . أـمـاـ الـقـرـآنـ فـنـقـسـ إـلـىـ قـسـيـنـ . اـحـدـهـماـ يـبـيـانـ سـبـبـ إـعـطـاءـ الـكـافـرـ وـالـعـاصـىـ ، فـمـنـ ذـلـكـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : «إـنـاـ نـعـلـىـ لـهـمـ لـبـزـادـوـ إـنـاـ» ، «وـلـوـ لـأـنـ يـكـوـنـ النـاسـ أـمـةـ وـاحـدـةـ . لـجـعـلـنـاـ لـمـنـ يـكـفـرـ بـالـحـمـنـ لـبـيـوـتـهـمـ سـقـفـاـ مـنـ

(١) كـذـاـ فـيـ الـإـجـمـيـةـ وـالـهـنـدـيـةـ . وـفـيـ الـمـصـرـيـهـ فـبـرـدـ الـحـرـ

فضة»؛ «وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقو افيفها». وفي القرآن من هذا كثير ، والقسم الثاني : أبتلا المؤمن بما يليق لقوله تعالى: «أَمْ حسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ» «أَمْ حسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَا يَأْتِكُمْ . مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزوا» «أَمْ حسِبْتُمْ أَنْ تَرْكُوا وَلَمَا يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوكُمْ» وفي القرآن من هذا كثير . وأما السنة فمنقسمة إلى قول وحال . اما الحال : فإنه عليه السلام كان يتقلب على رمال حصى يرتجف في جنبه ، فبكى عمر رضي الله عنه . وقال : كسرى وقيصر في الحرير والديباج ، فقال له صلى الله عليه وسلم : «أَفَيْ شَكَ إِنْتَ يَا عَمَّر؟ أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمُ الدِّنُّ؟» وأما القول فكقوله عليه الصلاة والسلام : «لَوْ أَنَّ الدِّنَّيْا تَسَاوَى عَنْدَ اللَّهِ جَنَاحٌ بِعَوْضَنَةٍ مَّا سُقِيَ كَافِرٌ أَمْ هَاشِرَةٌ بِمَاءٍ» . وأما العقل : فإنه يقول عساكر الصبر بمحمود منها أن يقول : قد ثبتت عندي الأدلة القاطعة حكمة المقدر . فلا اترك الأصل الثابت لما يظننه الجاهل خللا . ومنها أن يقول : ما قد استهولته أيها الناظر من بسط يد العاصي هي قبض في المعنى ، وما قد أثر عندي من قبض يد الطاغي بسط في المعنى ، لأن ذلك البسط يوجب عقابا طويلا ، وهذا القبض يؤثر انبساطا في الأجر جزيلا ، فزمان الرجالين ينقضى عن قريب . والمراحل تطوى . والركبان في الحديث . ومنها أن يقول : قد ثبتت أن المؤمن بالله كالاجر ، وأن زمن التكليف كبياض نهار ، ولا ينبغي للمستعمل في الطين أن يلبس نظيف الثياب ، بل ينبغي أن يصابر ساعات العمل ، فإذا فرغ تنظف وليس أجود ثيابه . فمن تره ووقت العمل ندم وقت تفريق الاجرة . وعوقب على التوانى فيما كلف ، فهذه النبذة تقوى أزر الصبر . وأزيدها

بسطًا فاقول : أترى اذا أريد اتخاذ شهداء ، فكيف لا يخلق اقوام يسطوا
ايدיהם لقتل المؤمنين ، أفيجوز ان يفتلك بعمر الامثل أبي لؤلؤة ؟ وبعلـ الـ
مـثـلـ اـبـنـ مـلـجـمـ : أـفـيـصـحـ انـ يـقـتـلـ يـحـيـ بـنـ زـكـرـيـاـ الـاجـبـارـ كـافـرـ ، وـلوـ أـنـ عـيـنـ
الـفـهـمـ زـالـ عـنـهـ اـغـشـاءـ العـشـاـ . لـرأـيـتـ لـمـسـبـ لـاـسـبـابـ ، وـلـمـقـدـرـ لـاـقـدـاـ ،
فـصـبـرـتـ عـلـىـ بـلـائـهـ . اـيـثـارـاـ لـمـايـرـيدـ ، وـمـنـ هـنـاـ يـنـشـأـ الرـضـىـ . كـاـقـيلـ لـبـعـضـ
اهـلـ الـبـلـاءـ : اـدـعـ اللـهـ بـالـعـافـيـةـ ، فـقـالـ : أـحـبـهـ إـلـىـ اـحـبـهـ إـلـىـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ
انـ كـانـ رـضـاـ كـمـ فـسـلـامـ اللـهـ عـلـىـ وـسـنـىـ

٥٥ - فصل - لما نهيت كتابة الفصل المتقدم . هتف بي هاتف
من باطنى . دعنى من شرح الصبر على القدر ، فاني قد اكتفيت بانوذج
ما شرحت . وصف حال الرضى . فاني أجد نسيما من ذكره فيه روح للروح ،
فقلت : أيها الهاتف اسمع الجواب . وافهم الصواب . ان الرضى من جملة
مرات المعرفة ، فإذا عرفته رضيت بقضائه ، وقد يجرى في ضمن القضاء
مرارات . يجد بعض طعمها الراضى ، أما العارف فتفعل عنده المرارات
لقوة حلاوة المعرفة ، فإذا ترقى بالمعرفة إلى الحبة ، صارت مرارة القدر .
حلاوة كما قال القائل :

عـذـابـهـ فـيـكـ عـذـبـ
وـبـعـدـكـ فـيـهـ قـرـبـ
وـاـنـتـ عـنـدـيـ كـرـوـحـ
بـلـ أـنـتـ مـنـهـ أـحـبـ
حـسـبـيـ مـنـ الـحـبـ أـنـ
لـمـ تـحـبـ أـحـبـ

وقال بعض المحبين في هذا المعنى :

ويقبح من سواك الفعل عندي فتفعله فيحسن منك ذاك
فصاح بي الهاتف . حدثني ياذا أرضي ، قدر انى أرضي في اقداره بالمرض

والفقر ، فأُفرضى بالكسيل عن خدمته ، والبعد عن أهل محبته ؟ فيين لى
مالذى يدخل تحت الرضى ، مما لا يدخل . فقلت له : نعم مسألت . فاسمع
الفرق سمع من القى السمع وهو شهيد ، أرض بامنه . فاما الكسل والتخلص
فذ الاك منسوب اليك ، فلا ترض به من فعلك ، وكن مستوفيا حقه عليك ،
مناقشا نفسك فيما يقربك منه ، غير راض منها بالتوانى في المجاهدة ، فاما
ما يتصدر من اقضيتها المجردة التي لا كسب لك فيها . فكن راضيا بها كما
قالت رابعة رحمة الله عليها : وقد ذكر عندها رجل من العباد يلتقطر من
مزبلة فیا كل ، فقيل هل لأسأل الله تعالى ان يجعل رزقه من غير هذا ؟
فقالت : ان الراضي لا يخbir ومن ذاق طعم المعرفة . وجده فيه طعم الحبطة ،
فوقع الرضى عنده ضرورة ، فينبغي الاجتهد في طلب المعرفة بالادلة ، ثم
العمل بمقتضى المعرفة بالجهد في الخدمة ، لعل ذلك يورث الحبطة ، فقد قال
سبحانه تعالى ، لا يزال العبد يتقارب الى بالنواقل حتى أحبه . فإذا احببته
كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به . فذلك الغنى الا كبير ،
ووافراه .

٥٦ - فصل - رأيت جهور العامة يشغلهم طلبهم للعلم في زمن
الصبا عن المعاش ، فيحتاجون الى مالا بد منه . فلا يصلهم من ييت المال
شىء ، ولا من صلات الاخوان ما يكفى ، فيحتاجون الى التعرض بالاذل ، فلم اؤر
في ذلك من الحكمة الاسيبين . احدهما : قع اعجبهم بهذا الاذلال ، والثانى:
نفع اوئل بثوابهم ، ثم امعنت الفكر فتمحث نكتة لطيفة ، وهو أن
النفس الاية اذا رأت حال الدنيا كذلك . لم تسأكها بالقلب ، ونبت
عنها بالعزم ، ورأت اقرب الاشياء شبها بها . مزبلة عليها الكلاب ، أو

غائطاً يُؤْتَى لِضُرُورَةٍ ، فَإِذَا نَزَلَ الْمَوْتُ بِالرَّحْلَةِ عَنْ مُشَكِّلِ هَذِهِ الدَّارِ . لَمْ يَكُنْ
لِلْقَلْبِ بِهَا مَتَعْلِقٌ مَمْكُنٌ فَتَهُونُ حِينَئِذٍ .

٥٧ - فَصْلٌ - مازال جماعة من المترهددين يزدرون على كثيرون من
العلماء اذا انبسطوا في مباحثات والذى يحملهم على هذا الجهل . فلو كان
عندهم فضل علم ما عابوه؛ وهذا لأن الطباع لا تتساوى ، فرب شخص
يصلح على خشونة العيش ، وآخر لا يصلح على ذلك ، ولا يجوز لاحدان
يحمل غيره على ما يطيقه هو . غير أن لنا ضابطاً هو الشرع ، فيه الرخصة
وفيه العزيمة . فلا ينبغي ان يلام من حصر نفسه في ذلك الضابط ، ورب
رخصة كانت افضل من عزائم . لتأثير نفعها ، ولو علم المترهدون أن العلم
يوجب المعرفة بالله تعالى . فتنبت القلوب من خوفه ، وتنحل الاچسام
للحذر منه فوجب التاطف بالاچسام حفظاً لقوه الراحلة . ولأن آلة العلم
والحفظ . القلب والفكر ، فإذا رفعت الآلة جاد العمل ، وهذا أمر لا يعلم
الا بالعلم . فلتجهل المترهددين بالعلم أنكروا ما لم يعلموا . وظنوا أن المراد
إيتاب الابدان ، وانضاء الرواحل ، وما عاملوا أن الخوف المضنى يحتاج الى
راحة مقاومة ، كما قال القائل : روحوا القلوب تعى الذكر .

٥٨ - فَصْلٌ - ليس في الوجود شيء اشرف من العلم ، كيف لا
وهو الدليل . فإذا عدم وقع الضلال ، وإن من خفي مكانه الشيطان إن
يزين في نفس الانسان التبعيد . ليشغله عن افضل التبعيد وهو العلم ، حتى أنه
زيَّن بجماعة من القدماء أنهم دفنتوا كتبهم ورمواها في البحر . وهذا قدورد
عن جماعة . وأحسن ظني بهم ان أقول : كان فيها شيء من رأيهم وكلامهم فما
أحبوا انتشاره ، والا فتي كان فيها علم مفيد صحيح لا يخاف عواقبه . كان

رميها اضاعة للال لايحلى ، وقد دنت حيلة ابليس الى جماعة من المتصوفة حتى منعوا من حمل المحابر تلامذتهم ، حتى قال جعفر الخلدى : لو تركنى الصوفية جمّة كم باسناد الدنيا ، كتبت مجلسا عن أبي العباس الدورى فلقينى بعض الصوفية فقال : دع علم الورق ، وعليك بعلم الخرق . ورأيت محبرة مع بعض الصوفية . فقال له صوفى : استر عورتك وقد انشدوا لاسبيلي :

اذا طالبوني بعلم الورق بربت عليهم بعلم الخرق

وهذا من خفي حيل ابليس ولقد صدق عليهم ابليس ظنه ، واما فعل وزينه عندهم اسبابين . احدهما : أنه أرادهم يشون في الظلامة ، والثاني : ان تصفح العلم كل يوم يزيد في العالم . وبكشف له ما كان خفي عنه ، ويقوى ايمانه ومعرفته ، ويريه عيب كثير من مسائله . اذا تصفح منهاج الرسول صلى الله عليه وسلم . والصحابة . فأراد ابليس سد تلك الطرق باخفي حيلة ، فاظهر أن المقصود العمل لا العلم لنفسه ، وخفى على المخدوع أن العلم عمل وأى عمل ، فاحذر من هذه الخلديعة الخفية ، فان العلم هو الاصل الاعظم ، والنور الاكبر . وربما كان تقليل الاوراق افضل من الصوم والصلوة . والحج والغزو ، وكم من معرض عن العلم يخوض في عذاب من الهوى في تعبده . ويضيع كثيرا من الفرض بالنفل ويشتغل بما يزعمه الافضل عن الواجب ، ولو كانت عنده شعلة من نور العلم لاهتدى ، فتأمل ما ذكرت لك ترشد ان شاء الله تعالى .

٥٩ - فصل - مربى حـ الان تحت جذع ثقيل وهو ما يت捷أوبان بانشاد التنغم . وكلمات الاستراحة ، فاحدهما يصفعى الى ما يقوله الآخر ثم يعيده او يجيئه بمثله ، والا آخر همته مثل ذلك . فرأيت انهم لم يفعلوا

هذا زادت المشقة عليهم ، وثقل الأمر ، وكلما فعلوا هذا هان الأمر ، فتأملت السبب في ذلك . فإذا به تعليق فكر كل واحد منها بما يقوله الآخر ، وطرب به ، وحالته فكره في الجواب بيشل ذلك . فينقطع الطريق ، وينسى ثقل الحمول ، فأخذت من هذا اشارة عجيبة ورأيت الانسان قد حمل من التكاليف اموراً صعبة ، ومن اثقل ما حمل مداراة نفسه ، وتكليفها الصبر عمّا تحب . وعلى ما تذكره . فرأيت الصواب قطع طريق الصبر بالسلبية والتاطف للنفس ، كما قال الشاعر :

فإن تشكت فعلها المجرة من ضوء الصباح وعدها بالرواح ضحى

ومن هذا ما يحكى عن بشر الخافق رحمة الله عليه : سار و معه رجل في طريق
فقط شمش طلاقه . فقال له أنشرب من هذا البير قال بشر اصبر إلى البير الآخر ،
فلا وصل إليها قال له البير الآخر . فما زال يعلم . ثم التفت إليه فقال له :
هكذا تنقطع الدنيا . ومن فهم هذا الأصل علل النفس وتلطف بها وعودها
الجميل لتصبر على ما قد حملت كما كان بعض السلف يقول لنفسه : والله ما
أريد بمنعك من هذا الذي تحبين الا الشفاق عليك ، وقال ابو يزيد رحمة الله
عليه : مازلت أسوق نفسي الى الله تعالى وهي تبكي . حتى سقطها وهي
تضحك ، واعلم أن مداراة النفس والتلطف بها الازم ، وبذلك ينقطع الطريق
فهذا رمز الى الاشارة . وشرحه يطول .

- ٦٠ - **فصل** - تأملت اشياء تجري في مجالس الوعظ . يعتقدوها
العوام وجهاً للعلماء قربة وهي منكر وبعد ، وذاك أن المقرى يطرب
ويخرج الى احان الى الغنا ، والواعظ ينشد بتطريب اشعار الجنون وليلي ،
فيصيغ هذا . ويخرق ثوبه هذا . ويعتقد ان ذلك قربة ومعلوم أن هذه

الاحزان كالموسيقى . يوجب طرب للنفوس ، فالتعرض بما يوجب الفساد غاط
 عظيم . وينبغي الاحتساب على الوعاظ في هذا . وكذلك المقابريون .
 منهم فانهم يهيجون الاحزان ليكثر بكاء النساء . فيعطون على ذلك الاجرة ،
 ولو أنهم أصروا بالصبر لم تردا النسوة ذلك ، وهذه اضداد للشرع ، قال ابن عقيل :
 حضرنا عزاء رجل قد مات له ولد ، فقرأ المقرئ ياً سفي على يوسف ، فقلت له :
 هذه نياحة بالقرآن . وفي الوعاظ من يتكلم على طريق المعرفة والمحبة ،
 فترى الحائط والسوق الذي لا يعرف فرائض تلك الصلاة يزق انواعه
 دعوى لمحبة الله تعالى ، والصافى حالاً منهم وهو أصلح لهم يتخايل بوهمه شخصاً
 هو الخالق ، فيبيكى شوقه إليه لما يسمع من عظمته ورحمته وجماله ، وليس
 ما يتخايلونه المعبد ، لأن المعبد لا يقع في خيال ، وبعد هذا فالتحقيق مع
 العوام صعب ، ولا يكادون ينتفعون بغير الحق . الا أن الوعاظ مأمور بأن
 لا يتعدى الصواب ، ولا يتعرض لما يفسدهم . بل يجذبهم إلى ما يصلح
 بالطف وجه ، وهذا يحتاج إلى صناعة ، فان من العوام من يعجبه حسن
 اللفظ ، ومنهم من يعجبه الاشارة ، ومنهم من ينقاد بيت من الشعر ، واحوج
 الناس إلى البلاغة الوعاظ ليجمع مطابتهم ، لكنه ينبغي أن ينظر في اللازم
 الواجب ، وان يعطيهم من المباحث في اللفظ . قدر الملاح في الطعام ، ثم يحيط بهم
 والى العزائم . ويعرفهم الطريق الحق وقد حضر احمد بن حنبل : فسمع
 كلام الحارث الحاسبي فبكى . ثم قال : لا يعجبني الحضور . وانا بكى لأن
 الحال اوجبت البكاء ، وقد كان جماعة من السلف يرون تحليم القصاص .
 فينهون عن الحضور عندهم . وهذا على الاطلاق لا يحسن اليوم ، لا انه كان
 الناس في ذلك الزمان متشاغلين بالعلم ، فرأوا حضور القصاص صاداً لهم ،

والليوم كثُر الاعراض عن العلم ، فانفع ما للعامي مجلس الوعظ ، يرده عن ذنب ، ويحركه الى توبه ، وانما الخلل في القاص . فليتحقق الله عز وجل .

٦١ - فصل - من أضر الاشياء على العوام كلام المتأولين . والنفاة للصفات والاضافات ، فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام . بالغوا في الاثبات ليتقرر في أنفس العوام وجود الخالق ، فإن النفوس تأنس بالاثبات فإذا سمع العامي ما يوجب النفي . طرد عن قلبه الاثبات ، فكان أعظم ضرر عليه ، وكان هذا المزه من العمامء على زعمه ، مقاوماً لاثبات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالمحوه ، وشارع في إبطال ما يقتون به ، وبيان هذا أن الله تعالى أخبر باستوانه على العرش . فأنا نسنت النفوس الى اثبات الله وجوده ، قال تعالى « ويقى وجه ربك » وقال تعالى « بل يداه مبسوطتان » وقال « غضب الله عليهم » « رضي الله عنهم » وأخبر أنه ينزل الى السماء الدنيا و قال : قلوب العباد بين أصبعين ، وقال كتب التوراة يده ، وكتب كتاباً فهو عنده فوق العرش ، الى غير ذلك مما يطول ذكره . فإذا امتلاء العامي والصبي من الاثبات . وقاد يأنس من الاوصاف بما يفهمه الحسن قيل له : « ليس كمثله شيء » فبحى من قلبه ما نقشه الخير ، وتبقى الفاظ الاثبات متمكنة ، وهذه أقرب الشرع على مثل هذا ، فسمع منشدأ يقول : وفوق العرش رب العالمينا ، فضحوك و قال له آخر : أو يضحك ربنا ؟ فقال نعم ، وقال : إنه على عرشه هكذا ، كل هذا ليقدر الاثبات في النفوس ، وأكثر الخلق لا يعرفون الاثبات الاعلى ما يعلمون من الشاهد ، فيقنع منهم بذلك إلى أن يفهموا التنزية ، وهذه صحيحة أسلام^(١) من القتل بالسجود ، فاما اذا ابتدأ بالعامي الفارغ من فهم الاثبات . فقلنا : ليس في السماء . ولا

على العرش . ولا يوصف بيد . وكلامه صفة قاتمة بذاته . وليس عندنا منه
 شيء . ولا يتصور نزوله ، أنيحي من قلبه تهظيم المصحف ، ولم يترصد في
 سره أثبات إله ، وهذه جنائية عظيمة على الانبياء . توجب نقض ما تبعوا في
 بيانه ، ولا يجوز لعالم أن يأْتِي إلى عقيدة عامى قد أنس بالآيات فيوشها ،
 فإنه يفسد ويصعب صلاحه ، فاما العالم فانا قد امناه لأن لا يخفي عليه أستحالة
 تجدد صفة الله تعالى ، وأن لا يجوز أن يكون أستوى كا يعلم ، ولا يجوز أن
 يكون ممولا ، ولا أن يوصف بملائقة ومس ، ولا أن ينتقل ولا يخفي عليه
 أن المراد بتقليل القلوب بيز أصعبين الاعلام بالتحكم في القلوب فإن ما يدبره
 الإنسان بين أصابعه هو متتحكم فيه إلى الغاية ، ولا يحتاج إلى تأويل من قال
 الأصعب الآخر الحسن ، فالقلوب بين أتون من آثار الروبية ، وهذا الاقامه :
 والازاغه . ولا إلى تأويل من قال : يداه نعمتها ، لأنه اذا فهم أن القصود
 الآيات . وقد حدثنا بما نعقل . وضررتنا الأمثال بما نعلم ، وقد ثبت عندنا
 بالأصل المقطوع به انه لا يجوز عليه ما يعرفه الحسن ، عاملنا القصود بذكر
 ذلك ، واصبح ما نقول للعوام : أمرروا هذه الاشياء كما جاءت ، ولا تتعرضوا
 لتأويلها ، وكل ذلك يقصد به حفظ الآيات ، وهذا الذى قصده السلف :
 وكان احد يمنع من ان يقال : لفظي بالقرآن مخلوق او غير مخلوق ، كل ذلك
 ليحمل على الاتباع ، وتبقى الفاظ الآيات على حالها ، واجهل الناس من
 جاء الى ما قصد النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه . فاضعف في النفوس قوى
 التعظيم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تسافروا بالقرآن الى ارض العدو
 - يشير الى المصحف - ومنع الشافعى ان يحمله الحديث بعلاقته تعظيمها له ،
 فإذا جاء متحدلق فقال : الكلام صفة قاتمة بذات التكلام . فمعنى قوله هذا

ان ما هنالك يحترم ، فهذا قد ضاد بما اتي به مقصود الشرع ، وينبغي ان يفهم او ضاح الشرع ومقاصد الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقد منعوا من كشف ما قد قنع الشرع ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلام في القدر . ونهى على الاختلاف . لأن هذه الاشياء تخرج الى ما يؤذى ، فان الباحث عن القدر اذا بلغ فهمه الى أن يقول قضى وعاقب تزلزل ايمانه بالعدل ، وان قال : لم يقدر ولم يقض تزلزل ايمانه بالقدرة ، والملك ، فكان الاولى ترك الخوض في هذه الاشياء ، ولعل قائلا يقول : هذا منع لنا عن الاطلاع على الحقائق ، وأمر بالوقوف مع التقليد ، فاقول : لا . إنما أعلمك أن المراد منك الامان بالجمل ، وما أمرت بالتنقير مع أن قوى فهمك تعجز عن ادراك الحقائق فان الخليل عليه الصلاة والسلام قال : ادنى كيف تحيي ، فاراهميتها حي ، ولم يره كيف احياء . لأن قواه تعجز عن ادراك ذلك . وقد كان النبي ﷺ بعث ليبين للناس مانزل اليهم . يقنع من الناس بنفس الاقرار واعتقاد الجمل ، وكذلك كانت الصحابة . فانقل عنهم أنهم تكلموا في تلاوة ومتلو ، وقراءة ومقروء ولا أنهم قالوا استوى بمعنى استوى وينزل بمعنى يرحم ، بل قنعوا بآيات الجمل التي ثبنت التعظيم عند المفوس ، وكفوا كف الخيال بقوله : « ليس كمثله شيء ». ثم هذا منكر ونکير انما يسألون عن الاصول الجملة فيقولان . من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ ومن فهم هذا الفصل سلم من تشبيه الجسمة ، وتعطيل المعطلة ، ووقف على جادة السلف الاول ، والله الموفق .

٦٢ - فصل - قرأت هذه الآية . « قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وابصاركم و ختم على قلوبكم من إله غير الله يأتكم به » ، فلاحت لي منها اشاره

كدت أطيش منها ، وذلك أنه ان كان عنِي بالآية نفس السمع والبصر فان السمع آلة لادراك المسموع ، والبصر آلة لادراك المبصرات ، فهـما يعـرضان ذلك على القلب ، فيتـدبر . ويعـتبر . فإذا عـرـضـتـ المـخلـوقـاتـ عـلـىـ السـمعـ وـالـبـصـرـ ، فـاـوـصـلـاـ إـلـىـ الـقـلـبـ اـخـبـارـهـ مـنـ أـنـهـ تـدـلـ عـلـىـ الـخـالـقـ ، وـتـحـمـلـ عـلـىـ طـاعـةـ الصـانـعـ ، وـيـحـذـرـ مـنـ بـطـشـهـ عـنـدـ مـخـافـتـهـ ، وـانـ عـنـيـ مـعـنـيـ السـمعـ وـالـبـصـرـ . فـذـلـكـ يـكـونـ بـذـهـولـهـاـ عـنـ حـقـائـقـ مـاـ دـرـكـاـ ، شـغـلاـ بـالـهـوـيـ . فـيـعـاقـبـ الـأـنـسـانـ بـسـلـبـ مـعـانـيـ تـلـكـ الـآـلـاتـ ، فـيـرـىـ وـكـأـنـهـ مـارـأـيـ وـيـسـمـعـ وـكـأـنـهـ مـاسـعـ ، وـالـقـلـبـ ذـاهـلـ عـنـ مـاـ يـتـأـدـيـ بـهـ ، قـيـقـىـ الـأـنـسـانـ خـاطـئـاـ عـلـىـ نـفـسـهـ لـاـ يـدـرـىـ مـاـ يـرـادـهـ . لـاـ يـؤـرـ عـنـدـهـ أـنـ يـبـلـىـ ، وـلـاـ تـنـفـعـهـ مـوـعـظـةـ تـجـلىـ ، وـلـاـ يـدـرـىـ اـينـ هـوـ . وـلـاـ مـرـادـمـهـ ، وـلـاـ إـلـىـ اـينـ يـحـمـلـ ، وـانـماـ يـلـاحـظـ بـالـطـبـعـ مـصـاحـلـ عـاجـلـتـهـ وـلـاـ يـتـفـكـرـ فـيـ خـسـرـانـ آـجـاتـهـ ، لـاـ يـعـتـبـرـ بـرـفـيقـهـ ، وـلـاـ يـتـعـظـ بـصـدـيقـهـ ، وـلـاـ يـزـوـدـ لـطـرـيقـهـ كـمـاـ قـالـ الشـاعـرـ :

الناس في غفلة والموت يوقفهم
يسعون أهاليهم بجمعهم
ويرجعون إلى أحلام غفلتهم
وهذه حالة أكثر الناس ، فنعود بالله من سلب فوائد الآلات ، فانها أسباب
الحالات .

وـمـاـ يـفـيـقـونـ حـتـىـ يـنـفـدـ الـعـمـرـ
وـيـنـظـرـوـنـ إـلـىـ مـاـ فـيـهـ قـدـفـتـرـوـاـ^(١)
كـأـنـهـمـ مـارـأـيـاـ وـأـشـيـاءـ وـلـاـ نـظـرـوـاـ

٦٣ - فصل - نظرت فيما تكلم به الحكماء في العشق وأسبابه وأدويته وصنفت في ذلك كتاباً باسمته بذم الهوى؛ وذكرت فيه عن الحكماء أنهم قالوا : سبب العشق حرقة نفس فارغة ، وأنهم اختلفوا . فقال قوم منهم

(١) في الأحمدية : قد قبروا .

لا يعرض العشق الا لظراف الناس . وقال آخر : بل لا هُل الغفلة منهم عن تأمل الحقائق ، الا أنه خطير بعد ذلك معنى عجيب أشرحه هنا . وهو أنه لا يمكن العشق الا مع واقف جامد . فاما ارباب صمود الهم فانها كلها تخايلات مانوجبه الحببة فلاحت عيوبه لها ، إما بالفكر فيه أو بالخالطة له ، تسليت وتعلق بطلوب آخر فلا يقف على درجة العشق الموجب للتمسك بتلك الصورة ، العامى عن عيوبها ، الا جامد واقف ، وأما ارباب الأنفة من النقاء ، فانهم أبدا في الترقى ، لا يصلون صاد ، فإذا علقت الطبيع محبة شخص لم يبلغوا مرتبة العشق المستأثر ، بل ربما مالوا ميلا شديدا ؛ أما في البداية لقلة التفكير أو لقة الخالطة والاطلاع على العيوب ، واما لتشتت بعض الأخلال المدوحة بالنفوس من جهة مناسبة وقعت بين الشخصين ، كالظريف مع الظريف ، والفطنة مع الفطن ، فيوجب ذلك الحببة ، فاما العطبع متعلقا لأنجده في الدنيا ، لأنّه يروم الطبع يتبع حادى الفهم ؛ قان للطبع متعلقا لأنجده في الدنيا ، لأنّه يروم مالا يصح وجوده من الآجال في الاشخاص ، فإذا تامح عيوبها نفر ، وأما متعلق القلوب من محبة الخالق الباري . فهو مانع لها من الوقوف مع سواه ، وإن كانت محبتة لاتجاهنـس محبة المخلوقين ، غير أن ارباب المعرفة ولهم قد شغفهم حبه عن حب غيره ، وصارت الطبيع مستغرقة لقوـة معرفة القلوب ومحبتها كما قالت رابعة :

أحب حبيبا لا أعب بحبه وأحييهم من ف هواء عيوب
ولقد روى عن بعض فقراء الزهد أنه مسر باصرأة فاعجبته ، نخطبها إلى ابها ،
فزوجه وجاء به إلى المنزل والبسه غير خلقانه ، فلما جن الليل صاح الفقير

ثيابي ثيابي . فقدت ما كنت أجد ، فهذه عترة في طريق هذا الفقير دلته على أنه منحرف عن الحادة ، وإنما تعرى هذه الحالات ارباب المعرفة بالله عز وجل واهل الأنفة من الرذائل . وقد قال ابن سعود : إذا أعجبت أحدكم امرأة فليتذر كر مثانتها ، ومثال هذه الحال أن العقل يغيب عند استخلاءتناول المشتها من الطعام ، عن التفكير في تقبيله في الفم وبلاعه ، ويذهب عند الجماع عن ملاقات القاذورات لقوة غلبة الشهوة ، وينسى عند بلع الرضاب استحالته عن الغذاء ، وفي تغطية تلك الأحوال مصالح ، لأن ارباب اليقظة يغترهم من غير طلب لها في غاب أحواهم ، فينغلص عليهم لذبذ العيش ، ويوجب الأنفة من رذالة الهوى ، وعلى قدر النظر في العواقب يخفف العشق عن قلب العاشق ، وعلى قدر جمود الذهن يقوى القلق ، قال المتنبي :

لوفكر العاشق في منتهى حسن الذي يتباهي لم يتبه

ومجموع ما أردت شرحه . أن طباع المتيقظين ترقى فلا تقف مع شخص مستحسن ، وسبب ترقيتها التفكير في نقص ذلك الشخص وعيوبه ، أو في طلب ما هو أعلم منه ، وقلوب العارفين ترقى إلى معروفها ، فيعتبر في معتبر الاعتبار ، فاما أهل الغفلة فيمودهم في الحالتين ، وغفلتهم عن المقاميز ، يجب اسرهم وقسرهم وحرthem .

٦٤ - فصل - عرض لي أمر يحتاج إلى سؤال الله عز وجل ودعائه ، فدعوت وسائل . فأخذ بعض أهل الخير يدعون معى ، فرأيت نوعاً من أثر الإجابة ، فقالت لي نفسي : هذا سؤال ذلك العبد لا سؤالك ، فقلت لها : أما أنا فاني أعرف من نفسي من الذنوب والتقصير ما يوجب منع الجواب ، غير أنه يجوز أن يكون أنا الذي أجبت ، لأن هذا الداعي الصالح سليم مما أظنه

من نفسي ، اذ معى انكسار تقديرى ومعه الفرح بمعاملته ، وربما كان الاعتراف بالتقدير أبى في الحوائج ، على أننى أنا وهو نطلب من الفضل لا باماننا ، فإذا وقفت أنا على قدم الانكسار معترضاً بذنبي . وقات أعطوني بفضلكم فالي في سؤالي شيء أجبت به ، وربما تلمح ذلك حسن عمله وكان صاداً له . فلا تكسرني أيتها النفس فيكفيني كسر عالى بيلى ، ومعى من العلم الموجب للإدبار ، والاعتراف بالتقدير ، وشدة الفقر إلى مأسالت ، ويقيني بفضل المطلوب عنه ، ما ليس مع ذلك العابد ، فبارك الله في عبادته ، فربما كان اعترافي بتقديرى أوفى .

٦٥ - فصل - قرأت من غرائب العلم . وعجبات الحكم . على بعض من يدعى العلم ، فرأيته يتلوى من سماع ذلك ، ولا يطلع على غوره ، ولا يشرأب إلى ما يأتى ، فصرفت عن اسماءه شيئاً آخر وقلت : إنما يصلح مثل هذا لب يتقاه تلقى العطشان الماء ، ثم أخذت من هذه اشارة - جعلت - لو كان هذا يفهم ماجرى ومدى حسنه ما صنعت لعظم قدره عندى ، ولا ديتها محاسن مجموعاتي وكلامي ، ولكن لما أردت اهلاً صرفتها عنه ، وصدت بنظرى إليه وكانت الاشارة أن الله عز وجل : قد صنف هذه المخلوقات فاحسن التركيب ، وأحكم الترتيب ثم عرضها على الآلباب ، فأى لها أوغل في النظر مدح على قدر فهمه فاحبه المصنف ، وكذلك أنزل القرآن يحتوى على عجائب الحكم ، فمن فتشه ييد الفهم . وحادته في خلوة الفكر . استجلب رضى المتكلم وهو حظى الزلفى لديه ، ومن كان للذهن مستغرق الفهم بالحسينيات . صرف عن ذلك المقام ، قال الله عز وجل : « سأصرف عن آياتي الذين يتکبرون في الأرض بغير الحق » .

٦٦ - فصل - دعوت يوماً قلت اللهم بلغى آمالى من العلم والعمل، واطل عمرى لا بلغ ما أحب من ذلك ، فعارضنى وسواس من ابليس ، فقال : ثم ماذا أليس الموت ، فما الذى ينفع طول الحياة : فقلت له : يا أبلاه . لو فهمت ما تحدث سؤالى عامت أنه ليس بعثت ، أليس في كل يوم يزيد عالمي ومعرفتى ، فتكثر ثمار غرسى ، فاشكر يعني يوم حصادى ؟ ^(١) أفيسرنى أننى مت منذ عشر سنين ، لا والله ؟ لأنى ما كنت أعرف الله تعالى عشر معرفتى به اليوم وكل ذلك ثمرة الحياة التي فيها الجتنية أدلة الوداد ، وارتقيت عن حضيض التقليد إلى يفاع البصيرة ، واطلعت على علوم زاد بها قدرى ، وتجوهرت بها نفسي ، ثم زاد غرسى لآخرتى ، وقويت تجاراتى في إنقاذ المباحثين من المتعامين ، وقد قال سيد المرسلين : « وقل ربى زدني علاما » وفي صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه . عن النبي عليهما السلام أنه قال : لا يزيد المؤمن عمره الا خيرا ، وفي حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . إن من السعادة ان يطول عمر العبد ويوزقه الله عز وجل الانابة ، فيما يتبين قدرت على عمر نوح ، فإن العلم كثير ، وكلما حصل منه حاصل رفع ونفع .

٦٧ - فصل - قلوب العارفين يغار عايهما من الاسباب وان كانت لاتساكها لأنهما انفرد لمعرفتها انفرد لها تولى امورها ، فإذا عرضت بالاسباب محي او الاسباب : « ويوم حنين اذا اعجبتكم كثير تكم فلم تقن عنكم شيئا ». وتأمل في حال يعقوب وحذره على يوسف عليهمما السلام . حتى قال : أخاف ان يأكله الذئب . فقالوا : « أكله الذئب » فلما جاء اوان الفرج ،

(١) في الهندية : فاستكثر بنرى يوم حصادى

خرج يهودا بالقميص فسبقه الرَّبُّ «أَنِّي لَا جَدَرْ بِي حِلٌّ لِيُوسُفَ» وكذلك قول يوسف عليه السلام للساقي: «إذْ كُرْنَى عِنْدَ رَبِّكَ» فعوقب بان لبيت سبع سنين، وان كان يوسف عليه السلام يعلم أنه لا خلاص إلا بذن الله، وأن التعرض بالأسباب مشروع، غير أن الغيرة أثربت العقوبة، ومن هذا قصة صريم عليها السلام «وَكَفَلُهَا زَكْرِيَا» فغار المسبب من مساكنة الأسباب: «كَلَّا دَخْلَ عَلَيْهِ ازْكَرْيَا الْمَحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا» ومن هذا القبيل ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أَبِي اللَّهِ أَنْ يُرْزَقَ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنُ الْأَمِنُ مِنْ حِيثِ لَا يَحْسَبُ . والأسباب طريق، ولا بد من سلوكيها . والعارف لا يساكها غير أنه يحلى لها أمرها مالا يحلى لغيره من أنها لاتساكن ، وربما عرفت أن مال إليها وان كان ميله لا يقبله ، غير أنه أقل المفوات يوجب الادب ، لاطوفن الليلة على مائة امرأة ، تلد كل واحدة منهن غلاما ، ولم يقل ان شاء الله . فما حملت الا واحدة جاءت بشق غلام ، ولقد طرقني حالة أوجبت التشبت ببعض الأسباب . الا أنه كان من ضرورة ذلك لقاء بعض الظلمة ، ومداراته بكلمة . فبينما أنا أفكر في تلك الحال دخل على قاريء فاستفتح . فتفاءلت بما يقرأ فقرأ : «وَلَا تُرْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونَ اللَّهِ مِنْ أُولَيَاءِ ثُمَّ لَا تَنْتَصِرُونَ» . فبهرت من اجابتي على خاطري ، وقلت لنفسي : اسمعي فاني طلبت النصر في هذه المدارة فاعلمي القرآن أني اذا دكنت الى ظالم فاتني ماركت لا جله من النصر ، فياطوبي لمن عرف المسبب وتعلق به ، فانها الغاية القصوى ، فنسأله أن يرزقنا .

٦٨ - فصل - المؤمن لا يبالغ في الذنب وإنما يقوى المهوى ويتوقد نيران الشهوة فيتحدر ، ولمداد لا يعزز المؤمن على مواقعته ، ولا على العود

بعد فراغه ، ولا يستحقى فى الانتقام ان غضب ، وينوى التوبة قبل الزلل ، وتأمل اخوة يوسف عليهم السلام . فانهم عزموا على التوبة قبل ابعاد يوسف فهالوا : «اقتلو يوسف» ثم زاد ذلك تعظيمًا فقالوا : «أو اطرحوه ارضًا» . ثم عزموا على الانابة فقالوا : «وتكونونا من بعده قوما صالحين» . فلما خرجوا به الى الصحراء همروا بقتله بمقتضى ما في القلوب من الحسد ، فقال كثيرهم : «لاتقتلوا يوسف والقوه في غياب الجب» ولم يردا نموت بل يلقطه بعض السيارة ، فاجابوا الى ذلك ، والسبب في هذه الاحوال أن الايمان على حسب قوته : فتارة يردها عند الهم ، وتارة يضعف فيردها عند العزم ، وتارة عن بعض الفعل ، فاذغلبت الغفلة ، ووقع الذنب ، فترالطبع ، فذهب الايمان العدل ، فينقص بالندم اضعاف ما ألتذ .

٦٩— فصل — افضل الاشياء التزييد من العلم ، فانه من اقتصر على ما يعلم به فظننه كافيا استبد برأيه ، وصار تعظيمه لنفسه ما نعاله من الاستفادة والمذاكرة تبين له خطاؤه ، وربما كان معظمها في النفوس فلم يتجرأ على الرد عليه ، ولو انه اظهر الاستفادة لا بد اتيت اليه مساويه فعاد عنها ، ولقد حكى ابن عقييل عن أبي المعالي الجوني انه قال : ان الله تعالى يعلم جمل الاشياء ولا يعلم التفاصيل ، ولا ادرى أى شبهة وقعت في وجه هذا المسكين حتى قال هـذا ، وكذلك ابو حامد حين قال : النزول التنقل ، والاستواء مماسة — وكيف اصف هذا باتفاقه والزهد وهو لا يدرى ما يجوز على الله ما لا يجوز ، ولو انه ترك تعظيم نفسه لرد صبيان الكتاب رأيه عليه . فبيان له صدقهم . ومن هذا الفتن ابو بكر بن مقس : فانه عمل كتاب الاحتجاج للقراء ، فاتى فيه بفوائد ، الا انه افسد علمه باجازته

ان يقرأ بما لم يقرأ به ، ثم تفاقم ذلك منه حتى اجاز ما يفسد المعنى ، مثل قوله تعالى : « فلما استيأسوا منه خلصوا ». فقال : يصلاح ان يقال هنا بنجيم اي خلصوا كراما براء من السرقة ، وهذا سوء فهم للقصة ، فان الذى نسب الى السرقة ظهرت معه ما خلص ، فما الذى ينفع خلاصهم ، وانما سيقت القصة لبيان انهم انفردوا وتشاوروا فيما يصنعون ، وكيف يرجعون الى أيديهم وقد احتبس اخوهم ، فأى وجه للنجاة هاهنا ، ومن تأمل كتابه رأى فيه من هذا الجنس ما يزيد على الاحصاء أكثر من هذا الفن القبيح ، ولو انه اصنف الى علماء وقته . وترك تعظيم نفسه لبان له الصواب ، غير ان اقتصار الرجل على عالمه اذا مازجه نوع رؤية للنفس حبس من ادراك الصواب ، نعوذ بالله من ذلك .

٧٠ - **فصل** - تأملت قوله عزوجل : « ينون عليك أن اسمعوا قل لاتعنوا على اسلامكم بل اللذين عليكم أن هداكم للإيمان ». فرأيت فيه معنى عجيبا . وهو أنهم لما وهبت لهم العقول فتدبروا بها عيب الاصنام ، وعلموا أنها لا تصلح للعبادة ، فوجهوا العبادة الى من فطر الاشياء . كانت هذه المعرفة ثمرة العقل الموهوب لهم الذى به باینوا البهائم ، فإذا آمنوا بفعلهم الذى ندب اليه العقل الموهوب ، فقد جهلوا قدر الموهوب ، وغفلوا عن من وهب . وأى شيء لهم في الثمرة والشجرة ليست ملائكة لهم ، فعلى هذا كل متعبد ومجتهد في علم وعمل انماراً لنور اليقظة ، وقوة الفهم والعقل ، صواب . فوقع على المطلوب ، فينبغي ان يوجه الشكر الى من بعث له في ظلام الطبع القبيس ، ومن هذا الفن حديث ثلاثة الذين دخلوا الغار ، فانحطت عليهم صخرة فسدت باب الغار ، فقالوا : تعالوا نتوسل بصالح

اعمالنا ، فقالوا كل منهم : فعلت كذا وكذا ، وهؤلاء ان كانوا لاحظوا نعمة الواهب للعصمة عن اخطأ فتوسلوا بانعامه عليهم الذى اوجب تخصيصهم بتلك النعمة عن ابناء جنسهم ، فيه فتوسلوا اليه ، وان كانوا لاحظوا افعالهم فلم يحروا جزاءها ظنا منهم انهم هم الذين فعلوا فهم أهل غيبة لا حضور ، ويكون جواب مسألهم لقطع منتهم الدائمة ، ومثل هذا رؤية المقي تقواه حتى انه يرى انه افضل من كثير من اخلق ، وربما احتقر اهل العاصي ونشمخ عليهم . وهذه غفلة من طريق السلوك ، وربما اخرجت . ولا اقول لك خالط الفساق احتقاراً لنفسك ، بل أغضب عليهم في الباطن واعرض عنهم في الظاهر وتامح جريان القدر عليهم في الباطن فاكثرهم لا يعرف من عصى ، وجمهورهم لا يقصد العصيان ، بل يريد موافقة هواه . وعزيز عليه ان يعصى ، وفيهم من غالب عليه تامح العفو والحلم فاحتقر ما يأتى لقوته يقينه بالعفو ، وهذه كلاما ليست باعتقاد لهم . ولكن تامحه أنت يا صاحب التقوى ، واعلم ان الحجة عليك أو في من الحجة عليهم ، لأنك تعرف من تعصى ، وتعلم ماتأنى ، بل انظر الى تقليل القلوب بين اصبعين فربما دارت الدائرة فصرت المنقطع ، ووصل المقطوع ، فالعجب من يدل بخير عامه ، وينسى من انعم ووفق .

٧١ - فصل - اعلم ان شرعاً ضبط اصول ، محروس القواعد ، لا يدخل فيه ولا دخل ، وكذلك كل الشرائع ، انا الآفة تدخل من المبتدعين في الدين او الجهل ، مثل ما اثر عند النصارى حين رأوا احياء الموتى على يد عيسى عليه السلام ، فتأملوا الفعل الخارج للعادة الذى لا يصلح للبشر ، فنسبوا الفاعل الى الالهية ، ولو تأملوا اذاته لعماوا أنها مركبة على النقائص

والحالات ، وهذا القدر يكفي في عدم صلاح إلهيته ، فيعلم حينئذ ان ما جرى على يديه فعل غيره ، وقد يؤثر ذلك في الفروع . مثل ماروى انه فرض على النصارى صوم شهر فزادوا عشرين يوما ، ثم جعلوه في فصل من السنة بآرائهم ، ومن هذا الجنس تخبيط اليهود في الأصول والفروع ، وقد قارب الضلال في امتنا هذه المسالك ، وان كان عمومهم قد حفظ من الشرك والشك والخلاف الظاهر الشنيع ، لأنهم أعقل الأمم وفهمها ، غير أن الشيطان قارب بهم ولم يطمع في اغراقهم ، وان كان قد اغرق بعضهم في بحار الضلال فن ذلك ان الرسول صلى الله عليه وسلم : جاء بكتاب عزيز من الله عزوجل قيل في صفتة : « ما فرطنا في الكتاب من شيء ». وبين ماعساه يشكل مما يحتاج الى بيانه بستنته كما قيل له : « لتبيان للناس ما نزل اليهم ». فقال بعد البيان تركتكم على بيضاء نفيه ، فإنه أقوام فلم يقنعوا بتبيينه . ولم يرضوا بطريقه اصحابه ، فبحثوا ثم انقسموا . ففهم من تعرض لما تعب الشرع في انباته في القلوب فجاء منها ، فان القرآن والحديث يثبتان الا الله عزوجل باوصاف تقرر وجوده في النفوس ، كقوله تعالى « ثم استوى على العرش » وقوله تعالى « بل يداه مبسوطة ان » وقوله تعالى « ولتكن من عيني » وقول النبي صلى الله عليه وسلم : ينزل الله الى السماء الدنيا ويسقط يده لمسى الليل^(١) والنهر ، ويضحك ويغضب . وكل هذه الاشياء وان كان ظاهرها يوجب تخايل التشبيه . فالمراهنها اثبات موجود ، فلما علم الشرع ما يطرق القلوب من التوهمات عند سماعها قطع ذلك بقوله : « ليس كمثله شيء ». ثم ان هؤلاء القوم عادوا الى القرآن الذي هو المعجز الاكبر . وقد قصد الشرع

تقرير وجوده فقال: «انا انزلناه» «نزل به الروح الامين» «فذرني ومن يكذب بهذا الحديث» «وهذا كتاب انزلناه». واثبته في القلوب بقوله تعالى: «في صدور الذين اوتوا العلم» وفي المصاحف بقوله تعالى: «في لوح محفوظ» وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: لانسافروا بالقرآن الى ارض العدو ، فقال قوم من هؤلاء مخلوق فاسقطوا حرمته من النفوس ، وقالوا: لم ينزل ولا يتتصور نزوله . وكيف تتفصل الصفة عن الموصوف . وليس في المصاحف الا حبر وورق ، فعادوا على ما تبع الشارع في اثباته بالمحو ، كما قالوا : ان الله عز وجل ليس في السماء ، ولا يقال استوى على العرش ، ولا ينزل الى السماء الدنيا ، بل ذلك رحمته ، فيحوا من القلوب ما أراد يد اثباته فيها ، وليس هذا مراد الشارع . وجاء آخرون فلم يقفوا على ما حده الشرع ، بل عملوا فيه بأرأهم فقالوا : الله على العرش ، ولم يقنعوا بقوله: «ثم استوى على العرش» ودفن لهم اقوام من سلفهم دفائين ، ووضعت لهم الملائكة احاديث ، فلم يعلموا ما يجوز عليه مما لا يجوز ، فاثبتوها بها صفاتهم . وجمهور الصحيح منها آتى على توسيع العرب فأخذوا هم على الظاهر ، فكانوا في ضرب المثل كجحا ، فان أمه قالت له : احفظ الباب ، فقلعه ومشى به ، فأخذ ما في الدار ، فلامته أمه . فقال : انا قلت احفظ الباب ، وما قلت احفظ الدار ، ولما تخابلووا صورة عظيمة على العرش ، اخذوا يتأنلون ما ينافي وجودها على العرش ، مثل قوله : «ومن اتاني يشى أتيته هرولة» . فقالوا : ليس المراد به دنو الباب ، وإنما المراد قرب المنزل والحظ ، وقالوا في قوله تعالى: «الآن يأتيهم الله في ظلل» . هو محول على ظاهرها في مجىء الذات ، فهم يخلونه عاماً ويحرمونه عاماً ، ويسمون

الاضافات الى الله تعالى صفات ، فانه قد أضاف اليه النفح والروح ،
 وابتدا خلقه باليدي ، فلو قالوا خلقه لم يكن اذكار هذا بل قالوا هي صفة
 تولى بها خلق آدم دون غيره فأى مزية كانت تكون لا آدم فشغلهم النظر
 في فضيلة آدم ، عن النظر الى ما هو يليق بالحق ؟ لا يليق به فانه لا يجوز
 عليه المس ، ولا العمل بالآلات ، وإنما آدم اضافه اليه . فقالوا نطلق على
 الله تعالى اسم الصورة لقوله : خلق آدم على صورته وفهموا هذا الحديث
 وهو قوله عليه السلام : اذا ضرب احدكم فليتجنب الوجه ، ولا يقل قبح
 الله وجهك ولا وجهها أشبه وجهك . فان الله خلق آدم على صورته . فلو
 كان المراد به الله عز وجل لكان وجه الله سبحانه يشبه وجه هذا الخاص
 لان الحديث كذا جاء - ولا وجهها أشبه وجهك - ورووا حديث خولة
 بنت حكيم : وان آخر وطئة وطئها الله بوج وما علموا النقل ولا السير
 وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : اللهم اشدد وطأتك على مضر ، وان
 المراد به آخر وقعة قاتل فيها المسلمين بوج . وهي غزاة حنين . فقالوا :
 نحمل الخبر على ظاهره وأن الله وطى ذلك المكان ، ولا شك ان عندهم
 ان الله تعالى كان في الارض ثم صعد الى السماء ، وكذلك قالوا في قوله :
 « ان الله لا يمل حتى تملوا ». قالوا : يجوز ان الله يوصف بالملل فهموا اللغة
 وما علموا أنه لو كانت حتى هناللغاية لم تكن بمحاجة لأنه اذا مل حين
 يمل فأى مدح وإنما هو كقول الشاعر :

جلبت مني هذيل بحرق لاتمل الشر حتى يملوا
 والمعنى لا يمل وان ملوا . وقالوا في قوله عليه الصلاة والسلام : الرحمن
 شجنة من الرحمن تعلق بحقوق الرحمن . فقالوا - الحق - صفة ذات

وذكروا احاديث لو رویت في نقض الوضوء ما قبلت وعمومها وضعيتها
 الملاحضة كما يروى عن عبد الله بن عمرو . قال : خلق الله الملائكة من نور الذراعين
 والصدر . فقالوا : ثبت هذا على ظاهره . ثم أرضوا العوام بقولهم ولا
 ثبت جواز فكأنهم يقولون فلا لأن قائم وما هو قائم ، فاختلف قولهم
 هل يطلق على اللعن وجل أنه جالس أو قائم كقوله تعالى : « قاما بالقسط »
 وهؤلاء أخس فهم من جحلاً لأن قوله قاما بالقسط لا يراد به القيام وإنما
 هو كما يقال الامير قائم بالعدل . وإنما ذكرت بعض أقوالهم لشلا يسكن إلى
 شيء منها فالحذر من هؤلاء عبادة ، وإنما الطريق طريق السلف على أنني
 أقول لك قد قال احمد بن حنبل رحمة الله عليه : من ضيق علم الرجل أن يقلد
 في دينه الرجال . فلا ينبغي أن تسمع من معظم في النفوس شيئاً في الأصول
 فتقليده فيه ، ولو سمعت عن أحد مالا يوافق الأصول الصحيحة فقل هذا
 من الرواى لانه قد ثبت عن ذلك الإمام انه يقول بشيء من رأيه . فلو
 قدر ناصحته عنه فإنه لا يقلد في الأصول ولا أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهمما
 فهذا أصل يجب البناء عليه فلا يهونك ذكر معظم في النفوس ، وكان
 المقصود شرح هذا أن ديننا سليم ، وإنما أدخل أقوام فيه ما تأذينا به ، ولقد
 أدخل المترهون في الدين ما ينفر الناس ، حتى انهم يرون أفعالهم
 فيستبعدون الطريق وأكثر أدلة هذه الطريق القصاص فان العامي اذا
 دخل إلى مجلسهم وهو لا يحسن الوضوء كلّوه بدقايق الجنيد ، وأشارات
 الشيشلي . فرأى ذلك العامي أن الطريق الواضح لزوم زاوية وترك الكسب
 للعائلة ومناجاة الحق في خلوة على زعمه . مع كونه لا يعرف أركان الصلاة
 ولا أدبه العلم ولا قوم أخلاقه مخالطة العلامة ، فلا يستفيد من خلوته إلا كا

يستفيد الحمار من الاصطبل . فأن امتد عليه الزمان في تقلله زاد يبسه فربما
خايلت له الماليخوليا أشياحأيظنمهم الملائكة ثم يطاطيء رأسه ، ويمد يده
للتقبيل . فكم قد رأينا من أكاد ترك الزرع وقعد في زاوية فصار إلى هذه
الحالة فاستراح من تعبه ، فلو قيل له عذر يرضأ قال مالي عادة فلعن الله
عادة تحالف الشريعة . فيرى العامى بما يورده القصاص طريق الشرع هذه
لا التي عليها الفقهاء ، فيقعون في الضلال . ومن المتزهدين من لا يبالى عمل
بالشرع أم لا ثم تتفاوت جهاتهم . فنفهم من سلك مذهب الإباحة ويقول
الشيخ لا يعارض ، وينهى في المعاصي . ومنهم من يحفظ ناموسه فيفتى بغير
علم ، ثلثا يقال الشيخ لا يدرى . ولقد حدثني الشيخ أبو حكيم رحمة الله
عليه : أن الشريف الدحالي وكان يقصد فيزار ويتبرك به حضر عنده يوما
فسئل أبو حكيم — هل تحمل المطلقة ثلاثة اذا ولدت ذكرًا — قال : فقلت
لاإله . فقال لي الشريف : اسكت فواهه لقد افتيت الناس بأنها تحمل من
هنا إلى البصرة . وحكى لي الشيخ أبو حكيم أن جد آذاد^(١) الحداد وكان
يتوسم بالعلم جاءت إليه امرأة فزوّجها من رجل ولم يسأل عن انقضائه
العدة ، فاعتراضها الحكم وفرق بينها وبين الزوج ، وانكر على الزوج
قال : فلقيته المرأة . فقالت : يا سيدي أنا امرأة لا اعلم فكيف زوجتني .
فقال : دعى حديثهم ما انت الا ظاهرة مطهرة . وحدثني بعض الفقهاء عن
رجل من العباد أنه كان يسجد للسمو سنين . ويقول : والله ما سهوت
ولكن افعله احترازاً . فقال له الفقيه : قد بطلت صلاتك كله لأنك زدت
سجوداً غير مشروع

«١» في الهندية : ذا الجذاذ وما أثبتناه فمن الأحمدية

ثُمَّ من الدخل الذي دخل في ديننا طريق المتصوفة فانهم سلوكوا طرقاً
أَكثُرها تناقض الشريعة ؛ وأهل التدين منهم يقللون ويخففون . وهذا ليس
بشرع حتى أَنْ رجلاً كان قريباً من زمانِي يقال له كثيرون دخل إلى جامع
المنصور وقال : عاهدت الله عهداً ونقضته ، فقد الزمت نفسى أَنْ لا تَأْكُل
أَربعين يوماً . فخدتني من رَأَاهُ أَنَّه بقى عشرة أيام ثُمَّ في العشر الرابع . أشرف
على الموت . قال : فَا نقضت حتى تفرغ^(١) فصبب في حلقه ماء فسمعنـا له
نشيشاً كنشيش المقلة ثُمَّ مات بعد أيام . فانظروا إلى هذا المسكيث وما فعله
به جهله . ومنهم من فسح لنفسه في كل ما يحب من التنعم واللذات واقتتنع
من التصوف بالغميص والفوطة والعامة اللطيفة ، ولم ينظر من أين يأتِ كل ولا
من أين يشرب ، وخالف الآمراء من أرباب الدنيا ولباس الحرير ، وشراب
الخمور ، حفظاً لماله وجاهه . ومنهم أقوام عملوا سننا لهم تلقوها من كلمات
أَكثُرها لا يثبت . ومنهم من أكب على سماع الغناء والرقص واللعب ثُمَّ
نقسموا هؤلاء فنهم من يدعى العشق فيه ، ومنهم من يقول بالحلول ، ومنهم
يسمع على وجه المهوى واللعب وكلا الطريقين يفسد العوام الفساد العام .
وهذا الشرح يطول وقد صنفت كتاباً ترى فيها البسط الحسن إن شاء الله
الله تعالى . — منها تلبيس أبيليس — والمقصود أن تعلم أن الشرع قائم كامل فان
درزت فهم الله فانت تتبع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وترك بنيات
الطريق ولا تقلد دينك الرجال . فان فعلت فانك لا تحتاج إلى وصية أخرى ،
واحذر جمود النقلة ، وانبساط المتكلمين ، وجموع المترهددين ، وشره أهل
الهوى ، ووقف العلماء على صورة العلم ، من غير عمل ، وعمل المتعبدين بغير

(١) في الأحمدية هكذا لوع : وفي الهندية تنفع

علم ، ومن أيده الله تعالى بعلمه ورزقه الفهم ، وأخرجه عن ربة التقليد ،
وجعله امة وحده في زمانه . لا يبالي بن عبث ولا ياتفت إلى من لام . قد سلم
زمامه إلى دليل واضح السبيل ، عصمنا الله واياكم من تقليد العظميين .
وألهنا اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنه درة الوجود ، ومقصود
الكون صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه واتباعه ورزقنا اتباعه مع اتباعه .

٧٢ - فصل - اعلم أن الزمان لا يثبت على حال كافل عزوجل : «وتلك
ال أيام نداوها بغير الناس ». فتارة فقر وتارة غنى ، وتارة عز وتارة ذلة ، وتارة يفرج
الموالي وتارة يشمت الأعداء . فالسيد من لازم اصلاحاً واحداً على كل حال .
وهو تقوى الله عزوجل فإنه إن استغنى زانته ، وإن افقر فتحت له أبواب
الصبر ، وإن عو في ثمت النعمة عليه ، وإن ابتلى مجلته ، ولا يضره أن نزل به الزمان
أو صعد ، أو اعراض أو أشباعه أو أجاعه . لأن جميع تلك الأشياء تتزول وتتغير .
والتقوى أصل السلامة حارس لانيما ، يأخذ باليد عند العبرة ، ويوفق على
الحدود والمنكر من غرته لذة حصلت مع عدم التقوى فانها ستتحول وتخليمه
خاسراً . ولازم التقوى في كل حال فإنك لا ترى في الضيق إلا السعة ، وفي
العرض إلا العافية ، هذا نقدها العاجل والأجل معلوم .

٧٣ - فصل - تأملت أمر اعجبني ، واصلاحاً ظريفاً وهو انهيال الابلاء
على المؤمن . وعرض صور اللذات عليه مع قدرته على نيلها . وخصوصاً كان
في غير كلفة من تحصيله كمحبوب موافق في خلوة حصينة . فقلت : سبحان
الله هنا يبيّن أثر الإيمان لا في صلاة ركعتين ، والله ما صعد يوسف عليه
السلام ولا سعد إلا في مثل ذلك المقام ، فبِالله عَلِيهِمْ يَا أَخْوَانِي تأملوا حاله لو
كان وافق هو ومن كان يكُون . وقياسوا بين تلك الحالة وحالة آدم عليه

السلام، ثم زروا بيزان العقل عقبي تملأ الخطية، ومرة هذا الصبر، واجعلوا فهم الحال عدة لكم عند كل مشتهى، وإن المذات تتعرض على المؤمن فتلقاها في صف حربه وقد تأخر عنه عسکر التدبر للعواقب هزم، وكأنى أرى الواقع في بعض اشرا كها ولسان الحال يقول له قف مكانك؟ أنت وما خترت لنفسك، فغاية أمره الندم والبكاء فإن أمن اخراجه من تلك الهوة لم يخرج إلا مدهو نابالخدوش، وكمن شخص ذات قدمه فما ارتقعت بعدها. ومن تأمل ذل أخوة يوسف عليهم السلام يوم : «وتصدق علينا» عرف شؤم الذلل ومن تدبر أحواهم قاس ما يديهم وبين أخيهم من الفروق. وإن كانت توبيهم قبلت لانه ليس من رفع وخطأ كمن ثوبه صحيح. ودب عظم هيسن لم ينجير فان جبرعلى وهي. فتية ظوا أخوانى لعرض المشتبهات على النفوس، واستقو ثقوا من جم الخيل، وانتبهوا لغيم اذا تراكم بالصعود الى تلعة فربما مر الوادى فراح بالركب .

٧٤ - فصل - تأملت حالة عجيبة وهو أن المؤمن تنزل به النازلة فيدعوه وبالمبالغ فلا يوى أثراً للإجابة، فإذا قارب اليأس نظر حينئذ إلى قلبه فان كان راضيا بالقدر غير قنوط من فضل الله عز وجل. فالغالب تعجبيل الإجابة حينئذ لأن هناك يصلح الآية - إن والشيطان ، وهذاك تبين مقدار الرجال، وقد أشير إلى هذا في قوله تعالى : حتى يقول الرسول «والذين آمنوا معه متى نصر الله». وكذلك جرى ليعقوب عليه السلام فانه لما فقد ولداً وطال الأمر عليه لم ييأس من الفرج فاخذ ولده الآخر ولم ينقطع أمله من فضل ربها «أن يأتيني بهم جميعاً». وكذلك قال ذكر ياعليه السلام « ولم أكن بداعائك رب شقيماً». فاياك أن تستطيل مدة الإجابة وكن ناظراً إلى

أَنَّهُ الْمَالِكُ وَإِلَيْهِ الْحَكِيمُ فِي التَّدْبِيرِ وَالْعَالَمِ بِالْمَصَالِحِ، وَإِلَيْهِ يُرِيدُ أَخْتِبَارُكَ لِيَبْلُو
أَسْرَارَكُمْ، وَإِلَيْهِ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُرِيَ تَضْرِعَكَ، وَإِلَيْهِ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَأْجُرَكَ بِصَبْرِكَ إِلَى
غَيْرِ ذَلِكَ. وَإِلَيْهِ أَنَّهُ يُنْتَلِيكَ بِالْتَّأْخِيرِ لِتَحَادِبِ وَسُوسَةً أَبْلِيسِ وَكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ
هَذِهِ الْأَشْيَايَاتِ تَوْيِي الظَّنِّ فِي فَضْلِهِ وَتَوْجِبِ الشَّكْرِ لِهِ إِذَا هَذِلَكَ بِالْبَلَاءِ لِلْاِلْفَاقَاتِ
إِلَى سُؤَالِهِ، وَالْفَقْرِ الْمُضْطَرِ إِلَى اللَّجَأِ إِلَيْهِ غَنِيٌّ. كَاهِ

٧٥ - فَصْلٌ - لِمَا كَانَ بَدْنُ الْأَدْمَى لَا يَقُومُ إِلَّا بِاجْتِلَابِ الْمَصَالِحِ وَدُفْمِ
الْمَؤْذِنِ؛ دَكَّ فِيهِ الْهُوَى لِيَكُونَ سَبِيلًا لِجَابِ النَّافِعِ. وَالْغَضْبُ لِيَكُونَ سَبِيلًا
لِدُفْعِ الْمَؤْذِنِ وَلَوْلَا الْهُوَى فِي الْمَطْعَمِ، مَا تَنَاولُ الطَّعَامَ، فَلَمْ يَقُمْ بَدْنُهُ بِفَعْلِهِ لِهِ إِلَيْهِ
مَيْلٌ وَتُوقٌ . فَإِذَا حَصَلَ لَهُ قَدْرٌ مَا يَقِيمُ بَدْنُهُ زَالَ التُّوقُ، وَكَذَلِكَ فِي الشَّرْبِ
وَالْمَلْبَسِ وَالْمَنْكَحِ . وَفَائِدَةُ الْمَنْكَحِ مِنْ وَجْهِيْنِ . أَحَدُهُمَا: ابْقاءُ الْجَنْسِ وَهُوَ مُعْظَمُ
الْمَقْصُودِيْنِ . وَالثَّانِي: دُفْعُ الْفَضْلَةِ الْمُحْتَقَنَةِ الْمَؤْذِنِ احْتِقَانَهَا، وَلَوْلَا تَرْكِيبُ
الْهُوَى الْمَائِلِ بِصَاحِبِهِ إِلَى النَّكَاحِ مَا طَابَهُ أَحَدٌ: فَفَاتَ النَّسْلُ وَآذِنُ الْمُحْتَقَنِ . فَإِنَّمَا
الْعَارِفُو زَفَانِهِمْ فَهُوَ الْمَقْصُودُ، وَأَمَّا الْجَاهِلُوْنَ فَأَنْتُمْ مَالَوَاعِمُ الشَّهْوَةِ وَالْهُوَى
وَلَمْ يَفْهُمُوا مَقْصُودَ دُوضُعِهَا فَضَاعَ زَمَانُهُمْ فِي الْأَطَائِلِ فِيهِ، وَفَاتُهُمْ مَا خَلَقُوا لِأَجْلِهِ
وَأَخْرَجُهُمْ هُوَاهِمَ إِلَى فَسَادِ الْمَالِ وَذَهَابِ الْعَرْضِ وَالدِّينِ . ثُمَّ ادَّاهُمُ إِلَى التَّلْفِ،
وَكَمْ فَدَرَأُ يَنَامِنَ مُمْتَنَعِمْ يَبَالُغُ فِي شَرَاءِ الْجَوَارِي لِيَحْرُكَ طَبْعَهُ بِالْمُسْتَجَدِ فَإِنَّ كَانَ
بِأَسْرَعِ مِنْ أَنْ وَهَنْتَ قَوَاهِ الْأَصْلِيَّةِ فَتَعْجَلَ تَلْفُهُ، وَكَذَلِكَ رَأَيْنَا مِنْ زَادَ غَضْبَهُ
نَخْرُجَ عَنِ الْحَدْفَقَتِكَ بِنَفْسِهِ وَبِنَيْحَبِهِ . فَمَنْ عَلِمَ أَنْ هَذِهِ الْأَشْيَايَاتِ إِنَّمَا خَلَقَتْ إِعْانَةً
لِلْبَدْنِ عَلَى قَطْعِ مِرَاحِ الدُّنْيَا، وَلَمْ تَخْلُقْ لِنَفْسِ الْإِتْنَادِ وَإِنَّمَا جَعَلَتِ اللَّذَّةَ
فِيهَا كَالْحِيَّةِ لِفِي الْيَصَالِ النَّفْعِ بِهَا، إِذْلُوْكَانَ الْمَقْصُودَ التَّنْعِمَ بِهَا لِمَا جَعَلَتِ
الْحَيَوانَاتِ الْبَهِيمِيَّةَ اَوْ فِي حَظَامِ الْأَدْمَى مِنْهَا، فَطَوْبَى لِمَنْ فَهُمْ حَقَائِقُ

الوضع ، ولم يعل به المهوى عن فهم حكم المخلوقات .

٧٦ - فصل - من تأمل عواقب العاصي رآها قبيحة ، ولقد تفكرت في أقوام اعترفهم يقرّون بالزنادق وغيره ، فارى من تعترض لهم في الدنيا مع جلادتهم مالا يقف عند حد ، وكأنهم قد البسووا ظلمة ، فالقلوب تنفر عنهم . فإن اتسع لهم شيء فاكثره من مال الغير ، وان ضاق بهم أمرأخذوا ليتسخطون على القدر ، هذا وقد شغلوا بهذه الاوساخ عن ذكر الآخرة ، ثم عكست فتفكرت في أقوام صابروا المهوى ، وتركوا مالا يحيل . فهم من قد أينعت له ثمرات الدنيا من قوت مستلزم ، وبهاد مستطاب : وعيش لذيد ، وجاه عريض ، فإن ضاق بهم أمر وسعه الصبر ، وطيبه الرضى ، ففهمت بالحال معنى قوله تعالى : « انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر الحسنين » .

٧٧ - فصل - ينبغي للعامل أن يلازم باب مولاه على كل حال ، وان يتعلّق بذيل فضله ان عصى وان أطاع ، وليكن له انس في خلوته به ، فان وقعت وحشة فليجتهد في رفع الموحش ، كما قال الشاعر :

أمستوحش أنت مما جنيد بت فاحسن اذا شئت واستأنس

فإن رأى نفسه مائلا إلى الدنيا طلبها منه ، أو إلى الآخرة سأله التوفيق للعمل لها ، فان خاف ضرر ما يرميه من الدنيا سأّل الله اصلاح قلبه : وطلب مرضه ، فإنه اذا اصلاح لم يطلب ما يؤذيه ، ومن كان هكذا كان في العيش الرغد غير أن من ضرورة هذه الحال ملازمة التقوى ، فإنه لا يصلح الانس إلا بها ، وقد كان أرباب التقوى يتشاركون عن كل شيء الا عن اللجاج والسؤال وفي الحديث : ان قتيبة بن مسلم لما صاف الترك هاله امرهم فقال : اين محمد

ابن واسع ؛ فقيل هو في أقصى الميمنة جائع على سية قوسه يومي باصبعه نحو السماء ، فقال قتيبة : تلك الأصبع الفاردة . احب الى من مائة الف سيف شهير ، وسنان طرير . فلما فتح عليهم قال له : ما كنت تصنع ؟ قال آخذ لك بمعجم الطرق .

٧٨- فصل — ينبغي لمن تظاهرت نعم الله عزوجل عليه أن يظهر منها ما يبيّن أثرها ، ولا يكشف جملتها ، وهذا من أعظم لذات الدنيا التي يأمر الحزم بتتركها ، فإن العين حق . وإن فقدت النعم فرأيت اظهارها حلواً عند النفس إلا أنها ان أظهرت لوديد لم يؤمن تشمعت باطنه بالغيظ ، وإن أظهرت لعدو فالظاهر اصابةه بالعين لوضع الحسد ، إلا أنني رأيت بعد الحسود كاللازم ، فإنه في حال البلاء يتشفى ، وفي حال النعم يصيب بالعين ولعمري إن النعم عليه يشتهي غيظ حسوده ، ولكنه لا يؤمن أن يخاطر بنعمته ، فإن الغالب اصابة الحاسد لها بالعين ، فلا يساوى الاتذاذ باظهار ما يغطي به ما أفسدت عينه باصابتها ، وكثمان الامور في كل حال فعل الخازم ، فإنه إن كشف مقدار سنه استهر وهو إن كان كبيراً ، أو احتقر وهو إن كان صغيراً ، وإن كشف ما يعتقد ناصبه الأضداد بالعداوة ، وإن كشف قدر ماله استحقروه إن كان قليلاً ، وحسدوه إن كان كثيراً ، وفي هذه الثلاثة يقول الشاعر :

احفظ لسانك لا تبع ثلاثة سن ومال ما تستطعت ومذهب
فعلى ثلاثة تبتلى بشلاء بهموه ومخرق ومكذب
وقس على ما ذكرت مالم اذكره ، ولا تكون من المذاييع الغر الذين لا يحملون
اسرارهم حتى يفشونها الى من لا يصلح ، ودب كلمة جرى بها اللسان ،

هلك بها الانسان .

٧٩ - فصل - رأيت كل من يعبر بشيء أو يزلق في مطر يلتقطت إلى ما عرب به ، فينظر إليه طبعا موضوعا في الخلق . أما ليحذر منه أن جاز عليه مرة أخرى من مثله ، أو لينظر مع احترازه وفهمه كيف فاته التحرز من مثل هذا ، فأخذت من ذلك إشارة وقلت : يا من عرب مراراً هبل لا أبصرت ما الذي عربك فاحترزت من مثله ، أو قبعت لنفسك مع حزمها تلك الواقعية ، فإن الغالب من يلتقطت لأن مني التفاته كيف عرب مثلني مع احترازه بمثل ما رأى ، فالعجب لك كيف عربت بمثل الذنب الفلاني والذنب الفلاني ؟ كيف غرك زخرف تعلم بعقلك باطننه ، وترى بين فكرك ما آل ؟ كيف آثرت فانيا على باق ؟ كيف بعت بوكس ، كيف اخترت لذة رقدة على انتباهة معاملة . آه لك لقد اشتريت بما بعت أحمال ندم لا يقلها ظهر ، وتنكيس رأس أمسى بعيد الرفع ، ودموع حزن على قبح فعل مالمدهها انقطاع ، واقبح الكل لأن يقال لك بماذا ؟ ومن أجل ماذا ؟ وهذا على ماذا ؟ يا من قلب الغرور عليه الصيحة ، وزن له والميزان راكب :

٨٠ - فصل - تأملت قوله تعالى : « فَنَّ اتَّبَعَ هُدَىٰ فَلَا يُضِلُّ وَلَا يُشْقِي ». قال المفسرون : هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابي . فوجده على الحقيقة أن كل من تبع القرآن والسنّة وعمل بما فيهما ، فقد سلم من الضلال بلا شك . وارتفاع في حقه شقاء الآخرة بلا شك ، إذamas على ذلك . وكذلك شقاء الدنيا فلا يشقى أصلا . ويبيّن هذا قوله تعالى : « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مُخْرِجاً ». فان رأيته في شدة فله من اليقين بالجزاء ما يصير الصاب عنده عسلا ، والا غالب طيب العيش في كل حال ، والغالب انه لا ينزل

بـه شـدة إـلا إـذ أـنـحـرـف عـن جـادـة التـقـوـى . فـاـمـا الـلـازـم لـطـرـيـق التـقـوـى فـلـا
آـفـة تـطـرـقـه ، وـالـأـبـلـيـة تـنـزـل بـه ، هـذـا هـو الـأـغـلـب . فـان نـدـر مـن تـطـرـقـه
الـبـلـاـيـا مـع التـقـوـى . فـذـاكـ فـي الـأـغـلـب لـتـقـدـم ذـنـب يـجـازـى عـلـيـه ، فـان قـدـرـنا
عـدـم الذـنـب . فـذـاكـ لـا دـخـل ذـهـب صـبـرـه كـيـر الـبـلـاء حـتـى يـخـرـج تـبـرا أحـمـرـ
فـهـو يـرـى عـذـوـبـة العـذـاب . لـا نـه يـشـاهـد المـبـتـلـى فـي الـبـلـاء الـأـلـم . قـال الشـبـيلـى :
أـحـبـكـ النـاسـ لـنـعـائـكـ . وـاـنـاـحـبـكـ لـبـلـائـكـ .

٨١ - فـصـل - لـا يـنـال لـذـة الـمـاعـصـى إـلـا سـكـرـانـ الغـفـلـة ، فـاـمـا الـمـؤـمـن
فـاـنـه لا يـلـقـى لـأـنـه عـنـدـ التـذـاذـه يـقـفـ باـزـائـه عـلـمـ التـحرـيم ، وـحـذـرـ العـقـوبـة ،
فـاـنـ قـوـيـتـ مـعـرـفـتـه رـأـى بـعـيـنـ عـاـمـهـ قـرـبـ النـاـهـي فـيـتـغـصـ عـيـشـهـ فـيـ حـالـ
الـتـذـاذـه ، فـاـنـ غـلـبـ سـكـرـ الـهـوـى كـاـنـ الـقـلـبـ مـتـنـغـصـاـ بـهـذـهـ الـمـراـقـبـاتـ ، وـاـنـ
كـاـنـ الـطـبـعـ فـيـ شـهـوـتـهـ وـمـاـهـىـ الـاحـلـظـةـ ، ثـمـ خـذـمـنـ غـرـيـمـ نـدـمـ مـلـازـمـ ، وـبـكـاءـ
مـتـواـصـلـ ، وـاـسـفـ عـلـىـ ماـكـانـ مـعـ طـوـلـ الزـمـانـ ، حـتـىـ أـنـهـ لـوـ تـيـقـنـ الـعـفـوـ
وـقـفـ باـزـائـهـ حـذـرـ الـعـتـابـ ، فـافـ لـلـذـنـوبـ مـاـقـبـحـ آـثـارـهـاـ ، وـمـاـسـوـأـ أـخـبـارـهـ ،
وـلـاـكـانتـ شـهـوـةـ لـاـ تـنـالـ إـلـاـ بـقـدـارـ قـوـةـ الـغـفـلـةـ .

٨٢ - فـصـل - بـكـرـتـ يـوـمـ اـطـلـبـ الـخـلـوـةـ إـلـىـ جـامـعـ الرـصـافـةـ .
جـعـلـتـ اـجـولـ وـحـدـىـ وـاـتـفـكـرـ فـيـ ذـلـكـ الـمـكـانـ وـمـنـ كـانـ بـهـ مـنـ الـعـلـمـاءـ
وـالـصـالـحـينـ ، وـرـأـيـتـ أـقـوـاـمـاـ قـدـ جـاؤـرـاـ فـيـهـ فـسـأـلـتـ اـحـدـهـ : مـنـذـكـمـ أـنـتـ هـاـهـنـاـ
فـاـمـاـ إـلـىـ قـرـيبـ مـنـ اـرـبـعـيـنـ سـنـةـ ، فـرـأـيـتـهـ فـيـ بـيـتـ كـثـيرـ الدـرـنـ وـالـوـسـخـ
وـجـعـلـتـ اـتـفـكـرـ فـيـ حـبـسـهـ لـنـفـسـهـ عـنـ النـكـاحـ هـذـهـ الـمـدـةـ . فـاـخـذـتـ الـنـفـسـ
تـحـسـنـ ذـلـكـ ، وـتـذـمـ الدـنـيـاـ وـالـاغـرـارـ بـهـاـ . فـاقـبـلـ الـعـلـمـ يـنـكـرـ عـلـىـ الـنـفـسـ ، وـنـهـضـ
الـفـهـمـ لـحـقـائـقـ الـأـمـورـ ، وـمـوـضـوعـ الـشـرـعـ يـقـوـىـ مـاـ قـالـ الـعـلـمـ . فـيـنـحـلـ مـنـ

ذلك ان قلت للنفس : اعلمى أن هؤلاء على ضربين : منهم من يجاهد نفسه في الصبر على هذه الاحوال فتفوته فضائل المخالطة لاهل العلم والعمل وطلب الولد ، ونفع الخلق ، وانتفاع نفسه بمحالسة أهل الفهم ، فيحدث له من نفسه حالة تشابه فيها الوحش فتؤثر الانفراد لنفس الانفراد . وربما حبس النطع ، وسأء الخلق . وربما حادث من حبس ما آله المحتقن سمينة أفسدت بدنها وعقلها ، وربما أورثها الخلوة وسوسنة ، وربما ظن انه من الاولياء واستغنى بما يعرفه ، وربما خيل له الشيطان أشياء من الخيالات وهو يعدها كرامات ، وربما ظن أن الذي هو فيه الغاية ولا يدرى أنه الى الكراهة اقرب ، فان رسول الله صلي الله عليه وسلم : نهى ان يبيت الرجل وحده ، وهؤلاء كل منهم يبيت وحده ، ونهى عن التبخل وهذا تبقل ، ونهى عن الرهبانية وهذا من خفي خدع ابليس التي يوقع بها في ورطات الضلال بالطف وجه وآخفاه والضرب الثاني : مشايخ قد فنوا فانقطعوا ضرورة ، اذ ليس لاحدهم مأوى فهم في مقام الزمني ، وان كان الضرب الاول قد قطعوا حبل نفوسيهم في العلم والعمل والكسب وتعلقت بهمهم بفتح يطرق عليهم الباب ، فرضوا بالعمى بعد البصر . وبالزمن بعد الاطلاق . فقالت لي النفس : لا ارضى لك هذا الذي تقوله ، فانك انت تميل الى ايشار نكاح المستحسنات والمطاعم المشتهيات فاذا لم تكون من أهل التعبد فلا تعطن فيهم . فقلت لها : ان فهمت حدثتك وازكنت تقلدين صور الاحوال فلابطعن لك . اما المستحسنات فان المقصود من النكاح اشياء منها طلب الولد ، ومنها شفاء النفس بخارج الفضلة المؤذية ، وكمال خروجه لا يكون الا بوجود المستحسن . واعتبر هذا بالوطء دون الفرج فانه يخرج من الفضلات

مالا يخرج بالوطء في الفرغ وب تمام خروج تلك الفضلة تفرغ النفس عن
 شواغلها فتدرك اين هي كما نأمر القاضي بالا كل قبل الحكم . ونهاء عن الحكم
 وهو عصبان او حاقن . وبكمال بلوغ هذا الغرض يكون كمال الولد تمام النطفة
 التي تخلق منها ، ثم للنفس حظ فهو يستوفي اسميفاء الناقة حذها من العلف
 في السفر ، وذلك يعين على سيرها ، واما المطاعم فالجهال من يطلبها الذاتها
 او لنفس الذاتها . واما المراد اصلاح عدم الناقة بجمع هبها . ونيل مرادها من
 غرضها الصارف لها عن الفكر في هواها : و اذا تأمات حال السرب الاول
 رأيت من هذا عجبا ، فان النبي صـلى الله عليه وسلم اختار لنفسه عائشة
 رضى الله عنها وكانت مسـنة حسنة ، ورأى ذنب فاستحسنـها فـنزـوحـها ،
 وكذلك اختيار صـفـية . وكان اذا وصف له امرأة بـعـثـ يـخـطـبـها . وكان اعلى
 رضى الله عنه اربع حـرـائر . وسبـعـ عشرـةـ سـرـيرـةـ مـاتـعـنـهنـ ، وـقـبـلـ هـذـهـ الـامـةـ
 فـقـدـ كانـ لـداـودـ عـلـيـهـ السـلـامـ مـائـةـ اـمـرـأـةـ وـلـسـلـيـانـ عـلـيـهـ السـلـامـ الفـ اـمـرـأـةـ .
 فـمـنـ اـدـعـيـ خـلـلـاـ فـهـذـهـ الطـرـقـ . اوـ انـ هـؤـلـاءـ رـوـاـ هـوـاـمـ . وـانـفـقـواـ بـضـائـعـ
 الـعـمـرـ فـهـذـهـ الـاـغـرـاضـ وـغـيـرـهـاـ أـفـضـلـ . فـقـدـ اـدـعـيـ عـلـىـ الـكـامـلـينـ
 الـنـفـصـانـ وـانـاـ هـوـ الـنـاقـصـ فـمـهـ لـاـمـ ؟ وـقـدـ كانـ سـفـيـانـ الثـوـرـىـ اـذـ سـافـرـ فـفـىـ
 سـفـرـتـهـ جـمـلـ مـشـوـيـةـ وـفـلـوـذـجـ ، وـكـانـ حـسـنـ الـمـطـعـمـ ، وـكـانـ يـقـولـ إـنـ الدـابـةـ
 اـذـ لـمـ تـحـسـنـ لـيـهـاـ لـمـ تـعـمـلـ ، وـهـذـهـ الـفـنـونـ الـتـيـ اـشـرـتـ لـيـهـاـ اـنـ قـصـادـتـ
 لـلـحـاجـةـ لـيـهـاـ . اوـ لـقـضـاءـ وـطـرـ النـفـسـ مـنـهـاـ . اوـ لـبـلـوـغـ الـاـغـرـاضـ الـدـينـيـةـ
 وـالـدـينـيـةـ مـنـهـاـ . فـكـلـاهـ قـصـدـ صـحـيـحـ لـاـ يـعـكـرـ عـلـيـهـ حـالـهـ ، وـمـنـ يـقـومـ وـيـقـعـدـ
 فـرـكـعـاتـ لـاـ يـفـهـمـ مـعـنـاهـاـ . وـفـيـ تـسـيـحـاتـ اـكـثـرـ الـفـاظـهـارـيـةـ ، كـلـاـ لـيـسـ
 اـلـعـلـمـ الـذـيـ هـوـ اـفـضـلـ الصـفـاتـ ، وـأـشـرـفـ الـعـبـادـاتـ ، وـهـوـ الـاـمـرـ

بالمصالح . والناطق بالنصح ، ثم منفعة العلم معروفة ، وزهد الزاهد لا يتعدي
عتبة بابه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : لأن يهدى الله بك رجال خير لك
مما طلعت عليه الشمس ، ثم اعتبر فضل الرسل على الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام . والجوارح على التي لا تصيد . والطين الذي يعمل منه ما ينتفع به
على الطين في المقام ، وغاية العلاماء تصرفهم بالعلم في المباح ، وأكثر المترهدين
جملة يسمونهم تقبيل اليدين لاجسل توكلهم مائياً يبع ، فكم فوت العزلة على
يصلح به أصل الدين ، وكم أوقعت في بلية هلك بها الدين ، وإنما عزلة العالم
عن الشر خسب ، والله الموفق .

٨٣- فصل — ينبعى لكل ذى اب وفظنة أن يحذر عواقب
المعاصى . فإنه ليس بين الآدمى وبين الله تعالى قرابة ولا رحم ،
وانما هو قائم بالقسط . حاكم بالعدل : وإن كان حلمه يسع الذنوب .
الآن إذا شاء عفافاً كل كثيف من الذنوب ، وإذا شاء واخذ باليسir ،
فالحذر الحذر . ولقد رأيت أقواماً من المترفين كانوا يتقلبون في الظلم
والمعاصى باطننة وظاهره ، فتبعوا من حيث لم يحتسبوا . فقلعت اصولهم .
ونقض ما بنوا من قواعد حكموها لذريتهم ، وما كان ذلك إلا أنهم
أهملوا جانب الحق عز وجل ، وظنوا أن ما يفعلونه من خير يقاوم ما يجري
من شر ، فالت سفينة ظنونهم . فدخلها من ماء الكيد ما أغرقهم ، ورأيت
أقواماً من المنتسبين إلى العلم أهملوا انظر الحق عز وجل إليهم في الخلوات .
فمحى محاسن ذكرهم في الخلوات . فكانوا موجودين كالمعدومين ، لا حلاوة
لرؤيتهم ، ولا قلب يحن إلى لقاءهم ، فالله الله في مرآبة الحق عز وجل . فان ميزان
عدله تبين فيه النرة ، وجزاؤه مراصد للمختطيء ولو بعد حين ، وربما ظن

الغزو وهو أمهال وللذنب عواقب سيئة ، فالله الله . الخلوات . البواطن
 البواطن . النيات النيات . فان عليهكم من الله علينا ناظرة ، واياكم والاغترار
 بحمله وكرمه ، فكم استدرج . وكونوا على مراقبة الخطايا مجهدين في
 محوها ، وما شئتم ينفع كالالتضرع مع الجمיה عن الخطايا ، فلعله .
 وهذا فصل اذا تأمل المعامل لله تعالى نفسه ، ولقد قال بعض المراقبين
 لله تعالى : قدرت على لذته هى غاية وليس بكبيرة . فنازعتني نفسى اليها اعتمادا
 على صغرها . وعظم فضل الله تعالى وكرمه . فقلت لنفسى : إن غابت هذه
 فأنت أنت ، وإذا أتيت هذه فمن أنت ! وذكرتها حالة أقوام كانوا يفسحون
 لأنفسهم في مسامحة كيف انطوت اذكارهم ، ونكثت عقوبة الاعراض
 عنهم ، فبهم فارعوت ورجعت عما همت به والله الموفق .

٨٤ - فصل - كثير من الناس يتسامرون في امور يظنونها فريدة .
 وهي تقدح في الأصول ، كاستعارة طلاب العلم جزءاً لا يردونه ، وقد حد
 الدخول على من يأكلي يؤكل معه ، وتناول طعام لميدع الأنسان إليه ، والتسامح
 بعرض العدو التذاذ بذلك ، واستصغاراً مثل هذا الذنب ، واطلاق
 البصر في الحرم هوانا بتلك الخطيبة ، وفتوى من لا يعلم لثلا يقال هو
 جاهل ، ونحو ذلك مما يظن صغيراً وهو عظيم ، واهون ما يصنع ذلك بصاحبها
 أن يحيطه من مرتبة المتميزين بين الناس ، ومن مقام رفعة القدر عند الحق ،
 وربما قيل له بالسان الحال : يامن أو تن على امر يسير خنان ، ما بليلة حظك
 فانوبه ، قال بعض السلف : تسامحت بلقمة فتناولتها فانا اليوم اربعين سنة الى
 خلف ، فالله الله اسمعوا من قد جرب ، كونوا على مراقبة . وانظروا في
 العواقب . واعرفوا عظمة الناهي . واحذروا من نفخة تحقر ، وشردة تستصغر

فربما أحرقت بلداً وهذا الذي أشرت اليه يسير يدل على كثير ، وأنموذج
يعرف باق المحررات من الذنوب ، والعلم والمراقبة يعرفانك ما أخللت
بذكره ، ويعلمانك إن تامحت بعين البصيرة أثر شؤم فعله ، ولا حول ولا
قوة إلا بالله العلي العظيم .

٨٥ - فصل — رأيت من نفسي عجباً تأسّل الله عزوجل حاجاتها ،
وتنسى جنابها ، فقلت : يانفس السوء أو مثلك ينطق . فان نطق فينبغي أن
يكون السؤال العفو خسب . فقالت : فمن أطلب مراداتي ؟ قلت : ما أمنعك
من طلب المراد . اما أقول حرق التوبة ، وانطقى كما نقول في العاصي بسفره
اذا اضطر الى المية لايجوز له ان يأكل ، فان قيل لنا أفيموت ؟ قلنا لا
بل يتوب ويأكل ؟ فالله من جراءة على طلب الاغراض مع نسيان
ما تقدم من الذنوب التي توجب تنكيس الرأس ، ولئن تشاغلت باصلاح
ما مضى والندم عليه جاءتك مراداتك ، كما روی : من شغله ذكرى عن
مسائى اعطيته أفضـل ما أعطى السائـلين ، وقد كان بشر الحاف يبسـط
يديه لسؤال ثم يسلـهمـا ويقولـ: مثلـي لا يـسـأـلـ ما أـبـقـتـ الذـنـوبـ لـيـ وجـهاـ ،
وهـذاـ يـخـتـصـ بـيـشـرـ لـقوـةـ مـعـرـفـتـهـ . كان وقت السؤال كالمحاطـبـ كـفـاحـاـ
فاستحيـيـ لـلـزـلـلـ ، فاماـ أـهـلـ الغـفـلـةـ فـسـؤـالـهمـ عـلـىـ بـعـدـ ، فـفـهـمـ مـاـذـ كـرـتـهـ .
وـتـشـاغـلـ بـالتـوـبـةـ مـنـ الزـلـلـ . ثـمـ العـجـبـ مـنـ سـؤـالـ الـإـنـكـ فـانـكـ لـاـ تـكـادـ تـسـأـلـ
مـهـمـاـ مـنـ الدـنـيـاـ . بلـ فـضـولـ الـعـيـشـ ، وـلـأـسـأـلـ صـلـاحـ الـقـلـبـ وـالـدـيـنـ مـثـلـاـ
ماـ تـسـأـلـ صـلـاحـ الدـنـيـاـ ، فـاعـقـلـ أـمـرـكـ فـأـنـكـ مـنـ الـاـبـسـاطـ وـالـغـفـلـةـ عـلـىـ شـفـاـ
جـرـفـ ، وـلـيـكـ حـزـنـكـ عـلـىـ زـلـاتـكـ شـاغـلـ لـكـ عـنـ مـرـادـاتـكـ ، فـقـدـ كـانـ
الـحـسـنـ الـبـصـرـىـ شـدـيدـ الـخـوفـ . فـلـمـاـ قـيـلـ لـهـ فـذـلـكـ قـالـ : وـمـاـيـوـمـنـيـ أـنـ

يكون أطلاع على في بعض ذنوبي فقال اذهب لاغفرت لك .

٨٦ - فصل - أعجب العجب دعوى المعرفة مع البعد عن العرفان بالله ، ما عرفه الا مخالف منه ، فاما المطمئن فليس من أهل المعرفة ، وفى المترهدين اهل نغفيل يكاد أحدهم يوطن على أنه ولى محظوظ ومقبول ، وربما وات عليه الطاف ظنها كرامات ونسى الاستدراج الذى افت مساكنته الاطاف ، وربما احتقر غيره وظن أن محلته محفوظة به . تغره ركيعات ينتصب فيها ، او عبادة ينتصب بها ، وربما اظن أنه قطب الارض وأنه لا يزال مقامه بعده أحد . وكأنه ما عالم أنه يينا موسى متكلم بنىء يوشع ، وبيننا زكريا عليهم السلام مجاب الدعوة نشر بالمنشار ، وبيننا يحيى عليه السلام يوصى بأن سيد سلط عليه كافر احتز رأسه ، وبيننا بلعام معه الاسم الاعظم صار مثله كمثل الكتاب ، وبيننا الشريعة يعمل بها نسخت وبطل حكمها ، وبيننا البدن معهورا خرب وساط البلاء عليه ، وبيننا العالم يبدأ حتى ينال مرتبة يعتقد بها نشأ طفل في زمان ترقى الى سبر عيو به وغاظه ، وكم من متكلم يقول : مامثل لوعاش فسمع ماحدث بعده من الفصاحة عد نفسه آخرسا . هذا وعظ ابن السماك . وابن عمار . وابن سمعون . لا يصلح لبعض تلامذتنا ولا يرضاه ، فكيف يعجب . يتفق شيئاً^(١) وربما في بعد نامن لا يعدنا ، فالله من مساكنة مسكن ، ومخالفة مقام . ول يكن المتقى ظ على ازعاج حتى تقدر للكثير من طاعاته ، خائفا على نفسه من تقلباته ، ونفوذه القدر فيه . واعلم ان تامح هذه الاشياء التي اشرت اليها يضرب عنق العجب ، ويذهب بكر الكبر .

٨٧ - فصل - من عاش مع الله عز وجل طيب العيش في زمن

(١) كذا في الهندية . وفي الاحمية : يتفق شيئاً

السلامة ، خفت عليه في زمن البلاء ، فهناك الحك . إن الملك عز وجل ييننا يبني نقض ، ويننا يعطي سلب ، فطبيب العيش والرضي هناك يبين ، فاما من تواصات لديه النعم فإنه يكون طيب القلب لتواصتها ، فإذا مسّته نفحة من البلاء فبعيد ثباته ، قال الحسن البصري : كانوا يتساولون في وقت النعم فإذا نزل البلاء تباینوا ، فالعاقل من اعد ذخرا ، وحصل زادا ، وازداد من العدد للقاء حرب البلاء . ولا بد من لقاء البلاء ، ولو لم يكن الا عند صرعة الموت ، فانها ان تزالت والعياذ بالله فلم تجده معرفة توجب الرضي او الصبر . اخرجت الى الكفر ، ولقد سمعت بعض من كنت اظن فيه كثرة التلير وهو يقول في ليلي موته : ربى هو ذا يذلمني . فلم ازل متزعجا مهتما بتحصيل عدة التي بها ذلك القرن . كيف وقد روى ان الشيطان يقول لاعوانه في تلك الساعة : عليكم بهذا ، فان فاتكم لم تقدر واعليه ، وأى قلب يثبت عند امساك النفس ، والا خذ بالكم ، ونزع النفس والعلم بفارقة المحبوبات الى ما لا يدرى ماهو ، وليس في ظاهره الا القبر والبلاء ، فسائل الله عز وجل يقينا يقينا شر ذلك اليوم ، لعلنا نصبر للقضاء او نرضى به ونرغب الى مالك الامور في ان يهب لنا من فوائل نعمه على احبابه ، حتى يكون لقاوه احب اليانا من بقائنا ، وتفويضنا الى تقديره اشهى لنا من اختيارنا ، ونعود بالله من اعتقاد الكمال لتدبرنا ، حتى اذا انعكس علينا امر عدنا الى القدر بالتسخط . وهذا هو الجهل الحض ، والخذلان الصريح اعادنا الله منه .

٨٨—فصل — ليس في الدنيا ولا في الآخرة أطيب عيشا من العارفين بالله عز وجل ، فان العارف به مسّة أنس به في خلوته ، فان عمت نعمه علم من أهداتها ، وان مر حلا مذاقه في فيه ، لمعرفته بالمبتقى . وان سأل

فتعوق مقصوده، صار مراده ماجرى بهالقدر، علما منه بالصلحة بعد يقينه بالحكمة، وثقة بحسن التدبير. وصفة العارف ان قلبه مراقب لمعروفة، قائم بين يديه، ناظر بعين اليقين اليه، فقد سرى من بركة معرفته الى الجوارح ما هذبها :

فإن نطقت فلم أنطق بغيركم وإن سكت فاتم عقد اصحابي
 إذا تسلط على العارف أذى أعرض نظره عن السبب، ولم يرسو المسكب،
 فهو في أطيب عيش معه، إن سكت تفكك في إقامة حقه، وإن نطق تكلم
 بما يرضيه، لا يسكن قلبه إلى زوجة ولا إلى ولد، ولا يتسبّث بذيل محبة
 أحد، وإنما يعاشر الخلق بيده وروحه عند مالك روحه. فهذا الذي لا هم
 عليه في الدنيا ولا غم عنده وقت الرحيل عنها، ولا وحشة له في القبر، ولا
 خوف عليه يوم الحشر. فاما من عدم المعرفة فإنه معتر لا يزال يضج من البلاء
 لأنّه لا يعرف المبتلى، ويستتوحش لفقد غرضه لأنّه لا يعرف الصلاحية،
 ويستأنس بجنسه لأنّه لا معرفة يانه وبين ربّه، ويخاف من الرحيل لأنّه
 لا زاده ولا معرفة بالطريق. وكم من عالم وزاهد لم يزقا من المعرفة إلا
 ما رزقه العامي البطل، وربما زاد عليهم. وكم من عامي رزق منها مالم
 يرزقه مع اجهادهما، وإنما هي مواهب وأقسام. ذلك فضل الله يؤتى
 من يشاء

٨٩ - فصل - بِاللَّهِ عَلَيْكَ يَا مَرْءُ الْقَدْرِ بِالْتَّقْوَى لَا تَبْعِي عَزَّهَا بِذَلِّ
 الْمُعَاصِي، وَصَابِرٌ عَطْشُ الْهُوَى فِي هَجِيرِ الْمَسْهَى وَإِنْ أَمْضَ وَأَرْمَضَ،
 فَإِذَا بلغت النهاية من الصبر فاحتكم وقل. فهو مقام من لو أقسم على الله
 لا يبره، تَالَّهُ لَوْلَا صَبَرَ عُمْرًا بَنْسَطَتْ يَدُه بِضَربِ الْأَرْضِ بِالدَّرَّةِ؛ وَلَوْلَا جَدَ

انس بن النضر في ترك هواه . وقد سمعت من آثار عزمه لشن اشهدى الله
 مشهد ليرين الله ما اصنع ، فاقبلي يوم احد يقاتل حتى قتل فلم يعرف الا يدناه .
 فلو لا هذه العزم ما كان انساط — يوم والله لا تكسر سن الريء — وجه ، بالله
 عليك تذوق حلاوة كف الكف عن المنهى ، فانها شجرة تمور عن الدنيا
 وشرف الآخرة ، ومتى استند عطشك الى ماتهوى فابسط انامل الرجاء الى
 من عنده الرى الكامل ، وقل قد عيل صبر الطبع في سنين العجاف ، فعجل
 لى العام الذي فيه اغاث وأعصر . بالله عليك تفكير فيمن قطع اكثرا عمره في
 التقوى والطاعة ثم عرضت له فتنة في الاخير ، كيف نطبع مركب الجرف
 ففرق وقت الصعود ، أفي والله لدينا لا بل للجنة ان أوجب نيلها اعراض
 الحبيب : انما نسب العامي باسمه واسم ابيه ، فاما دارو القدار فالالقاب قبل
 الانساب . قل لي من أنت وما عملك وآلى أي مقام ارتفع قدرك ، يامن
 لا يصبر لحظة عما يشتهي . بالله عليك أتدري من الرجل ؟ الرجل والله من اذا
 خلبا يحب من المحرم وقدر عليه وتقلقل عطشا اليه نظر الى نظر الحق اليه
 فاستحي من احالة هه فيما يكرهه ، فذهب العطش كأنك لا تترك لنا الا ما
 لا تشتهي ، او مالا تصدق الشهوة فيه او مالا تقدر عليه ، كذا والله عادتك
 اذا تصدقت اعطيت كسرة لا تصلح لك ، او في جماعة يدحو ذلك ، هيهات
 والله لانلت ولا يتنا حتى تكون معا ملتك اينا خالصة . تبذل اطاييك .
 وترى مشتھياتك ، وتصبر على مكر وهاتك ، علاما منك ان كنت معاملة
 بانك اجير وما غربت الشمس . فاز كنت محبارأيت ذلك قليلا في جنب
 رضي حبيبك عنك ، وما كلامنا مع الثالث .

٩٠ - فصل - رأيت في العقل نوع منازعة للقطع الى جميع حكم الحق

عزوجل في حكمه، فربما لم يبيئ له بعضاً مما مثل النقض بعد البناء فيقف متغيراً وربما انتهز الشيطان تلك الفرصة، فوسوس اليه أين الحكمة من هذا؟ فقلت له احذر ان تخذل يامسة كين، فإنه قد ثبت بالدليل القاطع لما رأيت من اتقان الصنائع عند حكمة الصانع، فان خفي عليك بعض الحكم فالضعف ادراكك ثم مازالت للملوك اسرار . فن انت حتى تطاع بضعفك على جميع حكمه . يكشفيك الجمل . واياك اياك أن تتعرض لما يخفي عليك . فانك بعض موضوعاته وذرة من مصنوعاته . فكيف تتحكم على من صدرت عنه ؟ ثم قد ثبتت عندك حكمته وحكمه وما كله . فاعمل آياتك على قدر قوتك في مطالعة ما يمكن من الحكم ، فإنه سيورثك الدهش . وغمض عما يخفي عليك خقيق بذى البصر الضعيف الأيقاوي نور الشمس .

٩١- فصل - أتعجب الاشياء مجاهدة النفس . لأنها تحتاج الى صناعة عجيبة . فان أقواماً اطلقواها فيما تحب ، فاوقدتهم فيما كرهوا . وإن اقواماً بالغوا في خلافها حتى منعواها حقها ، وظلموها . وأثر ظالمهم لها في تعبداتهم فنهم من اساء غذاءها فأثر ذلك ضعف بدنها عن اقامة واجبهما ، ومنهم من افردها في خلوة أمرت الوحشة من الناس وآلت الى ترك فرض أو فضل من عيادة مريض ، أو بر والدة . وإنما الحازم من تعلم منه نفسه الجدو حفظ الاصول . فإذا فسح لها في مباح لم تتجاوزه أن تتعداه . فيكون معها كالملك اذا مازح بعض جنده ، فإنه لا ينبعط اليه الغلام . فان انبسط ذكر هيبة الملائكة . فكذلك المحقق يعطيها حظها ويستوفى منها ما عليها .

٩٢- فصل - رأيت عموم الخلاق يدفعون الزمان دفعاً عجيباً . إن طال الليل في الحديث لا ينفع ، أو بقراءة كتاب فيه غزارة وسمراً . وإن طال

النهار في النوم ، وهم في اطراف النهار على دجلة أو في الاسواق . فشبهم بالتحدين في سفينة وهي تجري بهم ، وما عندم خبر . ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود . فهم في تعبية الزاد والتأهب للرحيل ، لأنهم يتفاوتون . وسبب تفاوتهم قلة العلم وكثرة بما ينفق في بلد الاقامة فالميظرون منهم يتطلعون الى الاخبار بالنافق هناك ، فيستكثرون منه فيزيد ربحهم . والغافلون منهم يحملون ما اتفق ، وربما خرجو الامع خغير . فكم من قد قطعت عليه الطريق فبقى مفلسا . فالله الله في مواسم العمر . والبدار البدار قبل القواعد ، واستشهدوا العلم ، واستدلوا الحكمة ، ونفوسوا الزمان ، وناقوشوا النفوس ، واستظهروا بالزاد . فكان قد حدى الحادي فلم يفهم صوته من وقع دمع الندم .

٩٣—فصل — اضر ما على المريض التخليط . وما من أحد الا وهو مريض بالهوى ، والجمية عنه رأس الدواء ، والتخليط يديم المرض . وتخليط أرباب الآخرة على ضرعين : أحدهما تخليط العلماء ، وهو إما لخالطة الأصداد كاسلاطين فانهم يضعفون قوى يقيئهم كلما زادت المخالطة ، ويقدمون دليلا لهم عند المریدين . فاني اذا رأيت طيبا يخلط ويحمى شकكت او وقفت : والثاني تخليط الزهاد ، وقد يكون بخالطه أرباب الدنيا . وقد يكون بحفظ الناموس في اظهار التخشع ، لا جتلاف محبة العوام . فالله الله فان ناقد الجزاء بصير ، والاخلاص في الباطن ، والصدق في القلب ، ونعم طريق السلامة ستر الحال .

٩٤—فصل — لقيت مشائخ أحوالهم مختلفة يتفاوتون في مقدارهم في العلم ، وكان أنفعهم لي في صحبته العامل منهم بعلمه وان كان غيره اعلم (٨—م)

منه ، ولقيت جماعة من علماء الحديث يحفظون ويعرفون ولكنهم كانوا يتسامون بغيبة يخرجونها مخرج بحر وتعديل ، وأخذون على قراءة الحديث أجرة ، وأسرعون الجواب لـ لا ينكسر الجاه وان وقع خطأ ، ولقيت عبد الوهاب الأنطاطي فكان على قانون السلف لم يسمع في مجلسه غيبة ، ولا كان يطلب اجرا على سماع الحديث ، وكنت اذا قرأت عليه أحاديث الرقائق بكى واتصل بكاؤه ، فكنت وانا صغیر السن حينئذ يعمل بكاؤه في قلبي ، ويبني قواعد . وكان على سمت المشايخ الذين سمعنا او صافحهم في النقل ، ولقيت الشيخ ابا منصور الجواييق ، فكان كثير الصمت ، شديد التحری فيما يقول ، متقدماً محققاً ، وربما سئل المسئلة الظاهرة التي يهدى بجوابها بعض علمائه فيتوقف فيها حتى يتيقن ، وكان كثير الصوم والصمت فانتفعت برؤيه هذين الرجلين أكثر من انتفاعي بغيرهما ، ففهمت من هذه الحالة أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول ، ورأيت مشايخ كانت لهم خلوات في انبساط ومزاح ، فراحوا عن القلوب وبدد تبديدهم ما جمعوا من العلم . فقل الانتفاع لهم في حيائهم ، ونسوا بعد مماتهم ، فلا يكاد أحد أن يلتفت إلى مصنفاتهم ، فالله الله في العلم بالعمل فإنه الاصل الاكبر والمسكين كل المسكين من صناع عمره في علم لم يعمل به ، ففاته لذات الدنيا وخيرات الآخرة ، فقدم مفلسا على قوة الحجة عليه .

٩٥ - فصل - سبحان الملك العظيم الذي من عرفه خافه ، ومن أمن مكره فقط ماعرفة . لقد تأملت امراً عظيماً انه عز وجل يحمل حتى كأنه يحمل فيرى ايدي العصابة مطلقة كأنه لامانع ، فإذا زاد الانبساط ولم ترعى العقول أخذ اخذ جبار ؛ وإنما كان ذلك الامهال ليبلو صبر الصابر ، وليملي في

الامهال للظالم ، فيثبتت هذا على صبره . ويجزى هذا بقبیح فعله . مع أن
هناك من الحلم في طي ذلك مالا نعلم . فإذا أخذ أخذ عقوبة رأيت
على كل غلطة بتعة . وربما جمعت فضرب العاصي بالحجر الدامغ . وربما خفي
على الناس سبب عقوبته فقيل لفلان من اهل الخير فما واجه ما جرى له ؟ فيقول
القدر : حدود الذنوب خفية صار استيفاؤها ظاهرة ، فسبحان من ظهر حتى
لا خفاء به ، واستمر حتى كأنه لا يعرف ، وامهل حتى طمع في مسامحة ، وناقش
حتى تغيرت العقول من مؤاخذته . لا حول ولا قوة إلا بالله .

٩٩ - فصل — تأملت العلم والميل إليه والتشاغل به ، فإذا هو يقوى
القلب قوة يميل به إلى نوع قساوة ، ولو لا قوة القلب وطول الأمل لم يقع
التشاغل به ، فاني أكتب الحديث ارجوان أرويه ، وأبتديء بالتصنيف
أرجوان أنه ، فإذا تأملت إلى باب المعاملات قل الأمل ، ورق القلب ،
وجاءت الدموع ، وطابت المناجاة ، وغشيت السكينة ، وصرت كائنة في
مقام المراقبة . الا ان العلم أفضل واقوى حجة ، واعلى درجة ، وان حدث
منه مشكوت منه . والمعاملة وان كثرت الفوائد التي أشرت إليها منها
فانها قريبة إلى أحوال الجبان الكسلان ، الذي قد اقتنع بصلاح نفسه عن
هداية غيره ، وانفرد بعزلته عن اجتناب الخلق إلى ربهم . فالصواب المكوف
على العلم مع تلذيع النفس بأسباب المرفقات تلذيعا لا يقدر في كمال التشاغل
بالعلم . فاني لا أكره لنفسى من جهة ضعف قلبي ورقته أن أكثير زيارة
القبور وان أحضر المحترضين . لأن ذلك يؤثر في فكري ويخربني من
حيز المتشاغلين بالعلم الى مقام الفكر في الموت ، ولا انتفع بنفسى مدة .
وفصل الخطاب في هذا أنه ينبغي ان يقاوم المرض بضده ، فمن كان قلبه

فسيما شديد القسوة وليس عنده من المراقبة ما يكفيه عن الخطاً قاوم ذلك
بذكر الموت ومحاضرة الحاضرين . فاما من قلبه شديد الرقة فيكتفيه ما به
بل ينبغي له أن يتضاعل بما ينسنه ذلك لينتفع بعيشته ، وليفهم ما يفي به ، وقد
كان الرسول عليه السلام يمزح ويسبق عائشة ، ويتطاير بنفسه فن سار سيرته عليه
الصلوة والسلام فهم من مضمونها ما قلته من التطاير بالنفس .

٩٧ - فصل - أظرف الاشياء افاقه المتضرر عند موته ، فانه يتبعه
انتباها لا يوصف ، ويقلق قلقا لا يحمد ، ويتهافت على زمانه الماضى ، ويود لو
ترك والتدارك ، ويصدق توبته على مقدار يقينه بالموت ، ويكرد يقتل نفسه
قبل موتها بالأسف ، ولو وجدت ذرة من تلك الاحوال في أو ان العافية
حصل كل مقصود من العمل بالتقوى ، فالعاقول من مثل تلك الساعة وعمل
بنقتضي ذلك . فان لم يتهما تصوير ذلك على حقيقته تخايله على قدر يقظته ، فانه
يكف كف الهوى ويبعث على الجد . فاما من كانت تلك الساعة نصب
عينيه كان كالأسير لها ، كما دوى عن حبيب العجم انه كان اذا اصبح يقول
لامرأته : اذا مت اليوم فقلان يغسلني . وقلان يحملني . وقال معروفلرجل
صل بنا الظهر . فقال : إن صليت بكم الظهر لم اصل بكم العصر ، فقال : وكأنك
تؤمل أن تعيش إلى العصر . نعوذ بالله من طول الامل . وذكر رجل دجلة
بين يديه بغيبة فجعل معروف يقول له : اذا ذكر القطن اذا وضعوه على
عينيك .

٩٨ - فصل - ربما أخذ المتيقظ بيت شعر فاخذ منه اشاره فانتفع
بها ، قال الجنيد : ناولني سرى رقعة فيها مكتوب سمعت حاديا في طريق مكة
تهربها الله تعالى يقول :

ابكى وما يدريك ما يبكيني ابكي حذاراً أن تفارقني
وتقطعى حبلى وتجربنى

فانظر رحمة الله ووفقاك الى تأثير هذه الآيات عند سرى حتى
احب أن يطلع منها الجنيد على ما اطلع عليه ، ولم يصلح للاطلاع على مثلها
الا الجنيد ، فان أقواماً فيهم كثافة طبع وخشونة فهم . قال بعضهم لما سمع
مثل هذه . الى ما يشار بهذه ؛ أن كان الى الحق فالحق عز وجل لا يشار اليه
بلفظ تأنيث ؛ وان كان الى امرأة فain الزهد ؛ واعمرى ان هذا حدآء أهل
الغفلة اذا سمعوا مثل هذا ، ولذلك ينهى عن سماع القصائد وأقوال أهل
الغناء ، لأن الغائب حمل تلك الآيات على مقاصد النفس ، وغلبات الهوى
ومن اين لنا مثل الجنيد وسرى ، واذا وجدنا منها ما خير ان بما يسمع ان
واما اعتراض هذا الكثيف الطبيع فالجواب : أن سري لم يأخذ الاشارة من
اللفظ ، ولم يقس ذلك على مطلوبه فيصيره تأنيثاً أو تذكيراً ، وإنما اخذ
الاشارة من المعنى ؟ فكانه يخاطب حبيبه بمعنى الآيات ، فيقول : ابكي
حذاراً من اعراضك وابعادك . فهوذا الحال له . وما التفت قط الى تذكير
ولا الى لفظ تأنيث فافهم هذا . وما زال المتيقظون يأخذون الاشارة من مثل
هذا حتى كانوا يأخذونها من هذا الذي تقوله العامة ويلقبونه بكان وكان
فرأيت بخط ابن عقيل عن بعض مشائخه الكبار أنه سمع امرأة تنشد :

غسلت له طول الليل فركت له طول النهار

خرج يعاين غيري زلق وقع في الطين

فاخذ من ذلك اشارة معناها : ياعبدى انى حست خلقك ، وأصلحت
شأنك ، وقومت بنعمتك ، فاقبلت على غيري ، فانظر عواقب خلافك لي ، وقال

ابن عقيل : وسمعت امرأة تقول : من هذا المكان وكان كلمة بقيت في
قلقه مدة :

كَمْ كُنْتَ بِاللَّهِ أَقْلَى لَكَ لَذَا التَّوَانَى غَائِلَهُ
وَلَاقِيَحْ خَسِيرَهُ تَبَيَّنَ بَعْدَ قَلِيلٍ

قال ابن عقيل : فما أوجبه من تحجيم على إهمالنا لأمور غداً تبين خمايرها
بين يدي الله تعالى .

٩٩ - فصل - أمكنني تحصيل شيء من الدنيا بنوع من انواع
الرخص فكنت كلما حصل شيء منه فاتني من قلبي شيء فكلما استنارت لي
طريق التحصيل : تجدد في قلبي ظلمة . ففاقت يانفس السوء - الاثم حزاز
القلوب - وقد قال استفت نفسك فلا خير في الدنيا كلها اذا كان في القلب من
تحصيلها شيء اوجب نوع كدر ، وأن الجنة لوحصلت بسبب يقدر في الدين أو
في المعاملة ما لذت ، والنوم على المزابل مع سلامه القلب من الكدر الزمن تكتأ
الملوك . وما زلت أغلب نفسي تارة وتغلبني أخرى ، ثم تدعى الحاجة الى تحصيل
ما لا بد لها منه . وتقول : فما تعدد في الكسب المباح في الظاهر . فقل لها :
أوليس الورع يمنع من هذا . قالت : بلى . قلت :ليس القسوة في القلب
تحصل به . قالت : بلى . قلت : فلا خير لك في شيء هذا ثمرة ، خلوت يوما
بنفسك فقل لها : ويحك اسمعى احدثك إن جمعت شيئاً من الدنيا من وجه
فيه شبهة أفانت على يقين من اتفاقه . قالت : لا . قلت : فالمحنة أن يحظى به
الغيرة ولا تزالين الا الكدر العاجل ، والوزر الذي لا يؤمن ويحك اتركي هذا
الذى يمنع منه الورع لأجل : الله فعاليه بتركه ، و كانوا لا يزيدون أن لا تركى إلا

ما هو محروم فقط أو مالا يصح وجهه؛ أو ما سمعت أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، أملك عبرة في أقوام جعوا خازه سواهم، وأملوا فما بلغوا امناهم، كم من عالم جمع كتاباً كثيرة مما انفع بها، وكم من منتفع ما عندك عشرة أجزاء. كم من طيب العيش لا يملك دينارين، وكم من ذي قنطرة من غص، أملك فطنة تلهم أحوال من يتراقص من وجهه فيسلب منه من وجهه ربما تزل المرض بصاحب الدار أو بعض من فيها فانفق في سنته اضعاف ما ترقص في كسبه، والمتقى معاف، فضجت النفس من لومي. وقالت: إذا لم اتعذر واجب الشروع فما الذي تريده مني. قلت: لها أحسن بك عن الغبن وانت أعرف بباطن أمرك. قالت: فقل لي ما أصنع. قلت: عليك بالمراقبة لمن يراك، ومثل نفسيك بمحنة معظم من الأخلاق فإنه يزيد يدي الملك الأعظم يرى من باطنك مالا يراه العظيمون من ظاهرك فخذلي بالاحوط. واحد رد من الترقص في بيع اليقين، والتقوى بعاجل المهوى، فإن وقع الطبيع مما تلقين فقولي له: مهلا، فما انقضت مدة الاشارة، والله مرشدك إلى التحقيق. ومعينك بالتفيق.

١٠٠ - فصل - مازلت اسمع عن جماعة من الاكابر وارباب المناصب انهم يشربون الخمور ويفسقون ويظامون، ويعلمون أشياء توجب الحدود فبقيت اتفكر أقول متى ثبتت على مثل هؤلاء ما يجب حدا ؟ فلو ثبت فمن قيمته واستبعد هذا في العادة لأنهم في مقام احترام لاجل مناصبهم، فبقيت اتفكر في تعطيل الحد الواجب عليهم، حتى رأيناهم قد نكبوا وأخذوا مرات، ومررت عليهم العجائب، فقوبل ظاهرون بأخذ أموالهم، وأخذت منهم الحدود مضاعفة بعد الحبس الطويل . والقيد الشديد . والنذل العظيم . وفيهم من قتل بعد ملاقاً كل شدة، فعامت انه ما يحمل شيء . فالحذر الحذر

فإن العقوبة بالمرصاد .

١٥١ - فصل - أجهاد العاقل فيما يصلحه لازم له بمقتضى العقل والشرع ، فمن ذلك حفظ ماله وطلب تنميته والرغبة في زيادته ، لأن سبب بقاء الإنسان - مثاله - فقد نهى عن التبذير فيه : فقيل له « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » فاعلم أنه سبب لبقاءه « التي جعل الله لكم قياماً أى قواماً معاشكم و قال عز وجل « ولا تبسطها كل البسط » و قال تعالى « ولا تبذير تبذيراً » و قال تعالى لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوله « ومن فضيلة المال أن الله تعالى قال « من ذا الذي يفرض الله قرضاً حسناً » و قال تعالى « وأنفقوا في سبيل الله » و قال تعالى « ينفقون أموالهم » و قال تعالى « لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح » و جعل المال نعمة و زكاته تطهيراً . فقام تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم و تركيهم بها » و قال صلى الله عليه وسلم : نعم المال الصالحة لارجل الصالحة . و قال : مانفعني مال كمال أبي بكر . و كان أبو بكر رضي الله عنه يخرج إلى التجارة و يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينهاه عن ذلك . و قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه . لأن أموات يجازي في سبيل الله . و كان جماعة من الصحابة رضي الله عنهم يتجررون ، ومن سادات التابعين سعيد بن المسيب . فهات وخلف مالاً و كان يحتكر الزيت ، وما زال السلف على هذا ثم تعرض نواب كالمرض يحتاج فيها إلى شيء من المال فلا يجد الإنسان بدا من الاغتيال في طلبتها ، قيبدل عرضه أو دينه ، ثم للنفس قوة بدنية عند وجود المال ، وهو محدود عند الأطباء من الأدوية ، حكمة وضعها الواقع ، وإنما ينبع أقوام طلبوا طريق الراحة فادعوا أنهم متوكلاه و قالوا إنهم لأنفسك شيئاً . ولا تزود

لسفر، ودُرْزِقَ الْأَبْدَانَ يَأْتِي، وَهَذَا عَلَى مَضَادَةِ الشَّرْعِ فَإِنْ دَسَوْلَ اللَّهِ عَلَيْهِ
 هُنَى عَنِ اضْعَافَةِ الْمَالِ؛ وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَا سَافَرَ فِي طَلْبِ الْخَضْرِ تَرْزُودَ، وَنَبَيَّنَا
 عَلَيْهِ لَمَا هَاجَرَ تَرْزُودَ، وَابْلَغَ مِنْ هَذَا قَوْلَهُ تَعَالَى «وَتَرْزُودُوا فَازَ خَيْرُ الرَّازِدِ التَّقْوَى»
 تُحِيدُ عَنِ هُؤُلَاءِ الْمَتَصُوفَةِ بِغَضْبِ الدُّنْيَا فَلَا يَفْهَمُونَ مَا الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَبْغِضُونَ،
 وَيَرَوْنَ زِيَادَةَ الْطَّلْبِ لِلْمَالِ حَرْصًا وَشَرْهًا، وَفِي الْجَمَلَةِ إِذَا اخْتَرُوا بَارَائِهِمْ
 طَرِيقًا فِيهَا شَيْءٌ مِنِ الرَّهْبَانِيَّةِ إِذَا صَدَقُوا وَشَيْءٌ مِنِ الْبَهْرَجَةِ إِذَا نَصَبُوا
 شَبَاكَ الصَّيْدِ بِالْتَّرْزُودِ فَسَمُوا مَا يَصِيلُ إِلَيْهِمْ مِنِ الْأَرْزَاقِ فَتَوَحَّا؛ قَالَ ابْنُ قَتِيمِيَّةَ
 فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ^{وَسَلَّمَ} «وَالْيَدُ الْعَلِيَّا». قَالَ . هِيَ الْمَعْطِيَّةُ . قَالَ فَالْعَجْبُ
 عِنْدِي مِنْ قَوْمٍ بِقَوْلِهِنَّ هِيَ الْأَخْذَةُ، وَلَا أَرِي هُؤُلَاءِ الْقَوْمَ الْأَقْوَمَ مَا اسْتَطَابُوا
 السُّؤَالُ، فَهُمْ يَحْتَجُونَ لِلَّدْنَاءَ، فَإِنَّ الشَّرَاعَنَ فَانِّها بِرَئِيَّةٍ مِنْ حَالِهِمْ . وَفِي
 الْحَدِيثِ : ضَاقَ الْبَلْدُ بِعَوَاشِي إِبْرَاهِيمَ وَلَوْطَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَاقْتَرَفَا . وَكَانَ
 شَعِيبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَثِيرُ الْمَالِ . ثُمَّ قَدْ نَدْطَمَهُ فِي زِيَادَةِ الْأَجْرِ مِنْ مُوسَى
 عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : «فَإِنْ أَتَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ»، وَكَانَ ابْنُ عَقِيلٍ رَجُلَ اللَّهِ
 يَقُولُ : مِنْ قَالَ إِنِّي لَا أَحْبُ الدُّنْيَا فَهُوَ كَذَابٌ ، فَإِنْ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامَ
 مَا طَلَبَ مِنْهُ ابْنُهُ يَامِينٌ قَالَ : «هَلْ آمِنْتُمْ عَلَيْهِ» . فَقَالُوا : «وَنَرْدَادَ كَيْلَ بَعِيرٍ» .
 فَقَالَ : خَذُوهُ ، وَقَالَ بَعْضُ الْسَّلْفِ : مِنْ أَدْعَى بِغَضْبِ الدُّنْيَا فَهُوَ عِنْدِي كَذَابٌ
 إِلَى أَنْ يَثْبِتْ صَدْقَهُ ، فَإِذَا ثَبَتَ صَدْقَهُ فَهُوَ مَجْنُونٌ ، وَقَدْ نَفَرَ جَمَاعَةٌ مِنِ
 الْمَتَصُوفَةِ خَلَقَاهَا مِنِ الْخُلُقِ عَنِ الْكَسْبِ ، وَأَوْحَشُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، وَهُوَ دَأْبُ
 الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ . وَإِنَّمَا طَلَبُوا طَرِيقَ الرَّاحَةِ وَجَلَسُوا عَلَى الْفَتْوَحِ . فَإِذَا
 شَبَعُوا رَقْصُوا . فَإِذَا انْهَضُمُ الْطَّعَامَ أَكَلُوا . فَإِنْ لَاحَتْ لَهُمْ حِيلَةٌ عَلَى غَنِيٍّ
 أَوْجَبُوا عَلَيْهِ دُعَوةً ، إِمَّا بِسَبَبِ شَكْرٍ أَوْ بِسَبَبِ اسْتَغْفَارٍ ، وَاطَّمُ الْطَّامَاتَ

ادعاؤهم هذا قربة ، وقد انعقد اجماع العلامة ان من ادعى الرقص قربة الى الله تعالى كفر ، فلو انهم قالوا مباح كان اقرب حالا ، وهذا لأن القرب لا يعرف الا بالشرع . وليس في الشرع امر بالرقص ولا ندب اليه ، ولقد بلغنى عن جماعة منهم كانوا يوقدون الشمع في وجوه المردان وينظرون اليهم ، فاذا سئلوا عن ذلك سخروا بالسائل فقالوا : نعتبر بخلق الله ؛ افتراه أقوى من النبي ﷺ حين اجلس الشاب الذي وفده عليه من وراء ظهره . وقال : وهل كانت فتنة داود الامن النظر ، هيهات لقد تملك الشيطان تلك الازمة فقادها الى ما اراد ، والعجب من يذم الدنيا وهو يا كل فيشبع ، ولا ينظر من اين المطعم ، وما زال صالحوا السلف يفتشون على المطعم حتى كان ابراهيم ابن ادم يسهر هو وأصحابه ويقولون مع من نعمل غدرا ؟ وكان سرى السقطى يعرف بطيب الغذاء . وله في الورع مقامات . فجاء قوم يتسمون بالصوفية يدعون اتباع أولئك السادة ، ويأكلون من مال فلان . وهي عروض أصول تلك الاموال ، ويقولون رزقنا ، فواعجبا اذا كان الاكل لا يبالى به من اين ، ولا امتناع من شهوة ولا تقلل . ولا يخلو الرباط من المطبخ ، ولا ينقطع ايملا . وأصله من مال قد عرف من اين هو ، والحمام دائرة والمغني يدق بدق فيه جلاجل ورفيقه بالشباية ، وسعدى وليلي في الانشاد . والمردان في الشمع . ثم يذم الدنيا بعد هذا ، فقولوا لنا : من يتاهى بالناس ؛ ولكن من صرت عليهم زوجتهم فانه احسن منهم .

١٠٢ - فصل - عرض لي في طريق الحاج خوف من العرب . فسر ناعلى طريق خيبر ، فرأيت من الجبال الهائلة والطرق العجيبة ما اذهاني ، وزادت عظمة الخالق عزوجل في صدرى . فصار يعرض لي عند ذكر تلك الطرق

نوع تعظيم لا اجده عند ذكر غيرها، فصحت بالنفس ويحك اعبرى الى البحر وانظرى اليه والى عجائبه بعين الفكر ، تشاهدى أهوالاهى أعظم من هذه ، ثم اخرجى عن الكون والتقوى اليه فانه ترينه بالإضافة الى السموات والافلاك كذرة في فللا . ثم جولى في الافلاك وطوفى حول العرش وتلمحى ما في الجنان والنيران ، ثم اخرجى عن الكل والتقوى اليه ، فانك تشاهدى نهادك قبضة القادر الذى لا تقدر قدرته عند حد ، ثم التقوى اليك فتلامحى بدايتك ونهايتك ، وتفكرى فيما قبل البداية ، وليس الا العدم ، وفيما بعد البلى وليس الا التراب ، فكيف يأنس بهذا الوجود من نظر بعين فكره المبدأ والمنتهى وكيف يغفل فعل القلوب عن ذكر هذا الاله العظيم ، بالله لو صحت النقوس عن سكر هو اها لذابت من خوفه ، او لغابت من حبه ، غير ان الحس غلب فعاظمت قدرة اخلاق عن درؤية جبل ، وان الفطنة لو تامحت المعانى لدللت القدرة عليه او في من دليل الجبل ، سبحان من شغل اكثر اخلاق بما هم فيه عمما خلقوا الله سبحانه وآله .

١٠٣ - فصل - للبلا بانهايات معلومة الوقت عند الله عز وجل . فلا بد للمبتلى من الصبر الى ان ينفخى او ان البلاء فان تقلقل قبل الوقت لم ينفع التقلقل . كما ان المادة اذا انحدرت الى عضو فانها ان ترجم ، فلا بد من الصبر الى حين البطالة . فاستعجل زوال البلاء مع تقدير مدته لا ينفع . فالواجب الصبر وان كان الدعاء مشرعا ولا ينفع الا به الا أنه لا ينبعى للداعى ان يستعجل بل يتبعيد بالصبر والدعاء والتسليم الى الحكيم ، ويقطع المواد الى كانت سببا للبلاء فان غالب البلاء أن يكون عقوبة . فاما المستعجل فزاحم للمدبر وليس هذا مقام العبودية وانما المقام الاعلى هو الرضى والصبر

هو اللازم . والتلاحم بـ كثرة الدعاء نعم المعتمد ، والاعتراض حرام ،
والاستعجال مزاجة للتدبر ، فافهم هذه الأشياء فأنها تهون البلاء .

٤٠٤ - فصل - ليس في الوجود شيء أصعب من الصبر أما على
المحبوب أو على المكرهات ، وخصوصاً إذا امتد الزمان أو وقع اليأس من
الفرج وتلك المدة تحتاج إلى زاد يقطع به سفرها ، والزاد يتتنوع من اجناس
فنه تلمح مقدار البلاء وقد يمكن أن يكون أكثر . و منه انه في حال فوقها
اعظم منها مثل ان يبتلى بفقد ولد وعنه اعز منه ، ومن ذلك رجاء العوض
في الدنيا ، ومنه تلمح الاجر في الآخرة ، ومنه التلذذ بتصوير المدح والثناء
من الخلق فيما يمدحون عليه والاجر من الحق عز وجل ، ومن ذلك بأن
الجزع لا يفيد بل يضيق صاحبه إلى غير ذلك من الأشياء التي يقدرها العقل
والفكر فليس في طريق الصبر نفقة سواها ، فينبغي للصابر ان يشغل بها
نفسه ويقطع بها ساعات ابتلاءه وقد صبح المنزل .

٤٠٥ - فصل ينبعى لمن وقع في شدة ثم دعا أن لا يحتاج في قلبه
أمر من تأخير الإجابة او عدمها ، لأن الذى إليه أن يدعوه والمدعوه مالك
حكيم ، فان لم يجب فعل ما يشاء في ملكه . وان آخر فعل بمقدار حكمته ،
فالمترض عليه في سره خارج عن صفة عبد مزاحم بمرتبته مستحق ^(١) ثم
ليعلم ان اختيار الله عز وجل له خير من اختياره لنفسه . فربما سأله سؤال سهل
به وفي الحديث : ان رجلا كان يسأل الله عز وجل ان يرزقه الجهد فهتف
به هاتف انك ان غزوت اسرت وان اسرت تنصرت . فإذا سلم العبد

(١) في الامامية : لم ترتبة مستحق .

نحو حكمه وحكمه وايقن ان السكل ملكه طاب قلبه قضيت حاجته او لم تقض وفي الحديث: مامن مسلم دعا الله تعالى الا وأجابه . فاما ان يعجلها واما ان يؤخرها وأما ان يدخل رحاله في الآخرة . فإذا رأى يوم القيمة ان ما احبيب فيه قد ذهب ومالم يجب فيه قد بي ثوابه ، قال : ليتك لم تجتب لي دعوة قط . فافهم هذه الاشياء وقد سلم قلبك من ان يحتاج فيه ريب او استعمال .

١٠٦ - فصل - من اراد ان يعرف رتبة العلماء على الزهاد فلينظر في رتبة جبريل وميكائيل ومن خص من الملائكة بولاية تتعلق بالخلق ، وباقى الملائكة قيام التبعيد في صراتب الرهبان في الصوامع . وقد حظى أولئك بالتقريب على مقادير علمهم بالله تعالى . فإذا صر أحدهم بالوحى انزعج اهل السماء حتى يخبرهم بالخبر ، فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق . كما اذا انزعج الزاهد من حديث يسمعه سائل العلماء عن صحته و معناه . فسبحان من خص الخصوص بخصائص شرفوا بها على جنسهم ، ولا خصيصة اشرف من العلم . بزيادته صار آدم مسجوداً له وبنقصانه صارت الملائكة ساجدة ، فاقرب الخلق من الله العلماء وليس العلم بمجرد صورته هو النافع بل معناه وانما ينال معناه من تعلمه للعمل به ، فكلما دله على فضل اجتهاد في نيله وكلما زاد نهاد عن نقص بالغ في مساعدته ، فحينئذ يكشف العلم له سره ، ويسهل عليه طريقه ، فيصير كمحظى بحث الجاذب فإذا حركه عجل في سيره والذى لا يعمل بالعلم لا يطلعه العلم على غوره ولا يكشف له عن سره ، فيكون كمجذوب لجاذب جاذبه فافهم هذا المثل وحسن قصداك والا فلا تتعب .

١٠٧—فصل—اعلم ان اصلاح الامور الاعتدال في كل شيء وادا رأينا ادباب الدنيا قد غلبت آمالهم ، وفسدت في الخير اعمالهم ، امرناهم بذلك الموت والقبور والآخرة . فاما اذا كان العالم لا يغيب عن ذكره الموت واحاديث الآخرة تقرأ عليه وتتجلى على لسانه فتقذ كاره الموت زيادة على ذلك لا تقيد الا انقطاعه بمرة . بل ينبغي لهذا العالم الشديد الخوف من الله تعالى السكير الذي لا يرى آخرة أن يشاغل نفسه عن ذكر الموت ليتمد نفس امله قليلا فيصنف ويعمل اعمال خيرا ، ويقدر على طلب ولد . فاما اذا لم يج بذكر الموت كانت مفسدته عليه اكبر من مصلحته ، الم تسمع ان النبي ﷺ ساق عائشة رضي الله عنها فسبقته ساقها فسبقاها ، وكان يزح ويشاغل نفسه . فان مطالعة الحقائق على التحقيق تفسد البدن وزرع النفس . وقد روى عن احمد بن حنبل رحمة الله عليه : انه سأله الله تعالى ان يفتح عليه باب الخوف ففتح عليه خاف على عقله . فسأل الله ان يرد ذلك عنه ، فتأمل هذا الاصل فانه لا بد من معالجة النفس وفي ذلك صلاحها والله الموفق والسلام .

١٠٨—فصل—من اعمل فكره الصافي دله على طلب أشرف المقامات ، ونهاه عن الرضى بالنقص في كل حال . وقد قال ابو الطيب المتنبي :

لَمْ أَرْ في عِيُوبِ النَّاسِ عِيَباً كَنْقُصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّامِ

فيينبغى للعقل ان ينتهي الى غاية ما يمكنه ، فلو كان يتصور للإدمي صعود السموات لرأيت من اقبع النهايات رضاه بالارض . ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض ، غير انه اذا لم يكن ذلك فيينبغى ان يطلب الممكن ، والسيره الجميلة عند الحكماء خروج النفس الى غاية كالمكان لها في العلم والعمل . وانا اشرح

من ذلك ما يدل مذكوره على مغفلة . أما في البـــدـــف : فليست الصورة داخلة تحت كسب الآدمي بل يدخل تحت كسبه تحسينها وتنزيتها فقبح بالعقل أهال نفسه وقد نبه الشرع على الكل بالبعض . فامر بقص الأظفار، وتنف الابط، وحلق العانة، ونهى عن اكل الشوم والبصل النيء لاجل الرائحة . وينبغى له أن يقيس على ذلك ويطلب غاية النظافة ونهاية الزينة؛ وقد كان النبي ﷺ يعرف مجئه برح الطيب فكان الغاية في النظافة والزراهة، ولست آمر بزيادة التقشف الذي يستعمله الموسوس أو المترفون ولكن التوسط هو المحمود . ثم ينبغى له أن يرفق بيده الذي هو راحته ولا ينقص من قوتها فتنتقص قوتها . ولست آمر بالشبع الذي يجب الحشا إنما آمر بالتوسط فإن قوى الآدمي كعين جارية كم فيها من منفعة لصاحبتها ولغيره، ويعين صانعا ولا يلتفت إلى قول الموسوسين من المزهدين الذي جدوا في التقلل فضعوا عن الفرائض وليس ذلك من الشرع ولا نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه . إنما كان الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه إذا لم يجدوا جاعوا ، وربما آثروا فصبروا ضرورة ، وكذلك ينبغي أن ينظر لها هذه الراحلة في علفها – فرب لقمة منعت لقمات – فلا يعطيها إما يوؤذها بل ينظر لها في الاصلاح ولا يتلفت إلى مزهد يقول لا أبلغها الشهوات ، فإن النظر ينبغى أن يكون في حل المطعم وأخذ ما يصلح بقدر . ولم ينقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه رضي الله عنهم ما أحدثه الموسوسون في ترك الشهيات على الاطلاق : إنما نقل عنهم تركها سبب إما للنظر في حلها أو لاخوف من مطالبة النفس بها في كل وقت

ويجوز ذلك وينبغي له أن يجتهد في التجارة والكسب ليفضل على غيره ولا يفضل غيره عليه ، وليس من ذلك غاية لاتنفعه عن العلم ، ثم ينبغي له أن يطلب الغاية في العلم . ومن أقبح النقص التقليد ، فإن قويم همته رقته إلى أن يختار لنفسه مذهبًا ولا يتمذهب لأحد . فإن المقلد أعمى يقوده مقلده . ثم ينبغي أن يطلب الغاية في معرفة الله تعالى ومعاملته ، وفي الجملة لا يترك فضيلة يمكن تحصيلها الأحصلها . فإن القنوع بعازل المبارك حالة الارذال .
فكن رجلاً رجله في البرى وهامة همته في الشريا

ولو أمكنك عبور كل أحد من العماماء والزهاد فافعل ، فانهم كانوا رجالاً وانت رجل ، وما قعد من قعد الا لدناءة الهمة وخاستها . واعلم انك في ميدان سباق والوقات تذهب . ولا تخلد الى كسل . فما فات من فات الا بالكسل . ولأنال من نال الا بالجد والعزم ، وأن الهمة لتنعلى في القلوب غليان ماف القدر ، وقد قال بعض من سلف :

ليس لمال سوى كرى فيه أمنى من العدم
قمعت نفسى بما دزقت وتنطت فى العلا هممى

١٠٩ - ذصل - ليس في الدنيا أنسٌ للعلماء من جمع المال للاستغفاء عن الناس ، فإنه اذا ضم الى العلم حيز الكمال ، وأن جهور العلماء شغلتهم العلم عن الحسب ، فاحتاجوا الى مالا بد منه ، وقل الصبر فدخلوا مداخل شانهم وإن تأولوا فيها . الا أن غيرها كان أحسن لهم ، فالزهرى مع عبد الملك ، وأبو عبيدة مع طاهر بن الحسين ، وابن أبي الدنيا مؤدب المعتصد . وابن قتيبة صدر كتابه ب مدح الوزير . وما زال خلف من العلماء والزهاد يعيشون في ظل جماعة من المعروفين بالظلم . وهؤلاء وإن كانوا سلكوا

طريقاً من التأويل فانهم فقدوا من قلوبهم وكالدينهم أكثر ممّا لوا من الدنيا . وقدرأينا جماعة من المتصوفة والعلماء يغشون الولاية لأجل نيل ماف يديهم . فمنهم من يداهن ويراني ، ومنهم من يدح بحالاً يجوز ، ومنهم من يسكت عن منكرات إلى غير ذلك من المداهنة وسببها الفقر فعلمـنا أنـ كالعز وبعد الرياء إنما يكون في البعد عن العمالـظلمـة ، ولم نرـمنـ صـحـلهـ هـذـاـ الـافـ أحدـ رـجـلـينـ . أـمـاـ منـ كـانـ لـهـ مـالـ كـسـعـيدـ بـنـ الـمـسـيـبـ كـانـ يـتـجـرـ فـيـ الـزـيـتـ وـغـيـرـهـ ، وـسـفـيـانـ الـثـوـرـيـ كـانـ لـهـ بـضـائـعـ ؛ وـابـنـ الـمـبارـكـ . وـامـامـ كـانـ شـدـيدـ الصـبـرـ قـنـوـعاـ بـمـاـ رـزـقـ وـانـ لـمـ يـكـفـهـ كـبـشـرـ الـحـافـ ، وـاحـمـدـ بـنـ حـنـبلـ ، وـمـتـىـ لـمـ يـجـدـ الـإـنـسـانـ كـصـبـرـ هـذـيـنـ ، وـلـاـ كـالـأـشـكـ ، فـالـظـاهـرـ تـقـلـبـهـ فـيـ الـمـحـنـ وـالـآـفـاتـ ، وـرـبـماـ تـافـ دـيـنـهـ . فـمـلـيـكـ يـاـ طـالـبـ الـعـلـمـ بـالـاجـتـهـادـ فـيـ جـمـعـ الـمـالـ لـلـغـنـيـ عـنـ النـاسـ فـانـهـ يـجـمـعـ لـكـ دـيـنـكـ . فـمـاـ رـأـيـناـ فـيـ الـأـغـلـبـ مـنـافـقـاـ فـيـ الـتـدـيـنـ وـالـتـزـهـدـ وـالـتـخـشـعـ وـلـاـ آـفـةـ طـرـأـتـ عـلـىـ عـالـمـ الـأـبـحـبـ الـدـنـيـاـ ، وـغـالـبـ ذـلـكـ الـفـقـرـ . فـانـ كـانـ مـنـ لـهـ مـاـ يـكـفـيـهـ ثـمـ يـطـلـبـ بـتـلـكـ الـخـالـطـةـ الـزـيـادـةـ ، فـذـلـكـ مـعـدـودـ فـيـ أـهـلـ الشـرـهـ ، خـارـجـ عـنـ حـيـزـ الـعـلـمـ ، نـعـوذـ بـالـلـهـ مـنـ تـلـكـ الـأـحـوالـ .

١١٠ - فـصـلـ - أـعـظـمـ دـلـيـلـ عـلـىـ فـضـيـلـةـ الشـيـءـ الـنـظـرـ إـلـىـ ثـرـتـهـ . وـمـنـ تـأـملـ ثـرـتـةـ الـفـقـهـ عـلـمـ أـنـهـ أـفـضـلـ الـعـلـمـ . فـانـ أـرـبـابـ الـمـذاـهـبـ فـاقـواـ بـالـفـقـهـ عـلـىـ الـخـلـائقـ أـبـداـ ، وـانـ كـانـ فـيـ زـمـنـ أـحـدـهـمـ مـنـ هـوـ أـعـلـمـ مـنـهـ بـالـقـرـآنـ أـوـ بـالـحـدـيـثـ أـوـ بـالـلـغـةـ ، وـاعـتـبـرـ هـذـاـ باـهـلـ زـمـانـنـاـ فـانـكـ تـرـىـ الشـابـ يـعـرـفـ مـسـائـلـ الـخـلـافـ الـظـاهـرـةـ فـيـسـتـغـنـيـ ، وـيـعـرـفـ حـكـمـ اللـهـ تـعـالـىـ فـيـ الـحـوـادـثـ مـاـلـاـ يـعـرـفـهـ النـحـرـirـ منـ باـقـيـ الـعـلـمـاءـ . وـكـمـ رـأـيـناـ بـرـزاـ فـيـ عـلـمـ الـقـرـآنـ أـوـ فـيـ الـحـدـيـثـ أـوـ فـيـ التـفـسـيـرـ أـوـ فـيـ الـلـغـةـ لـاـ يـعـرـفـ مـعـشـيـخـوـخـةـ مـعـظـمـ أـحـكـامـ الـشـرـعـ . وـرـبـماـ جـهـلـ عـلـمـ مـاـيـنـوـيـهـ

فـ صـ لـ اـ تـهـ ، عـلـىـ أـنـهـ يـنـبـغـىـ لـالـفـقـيـهـ أـلـاـ يـكـوـنـ أـجـنبـيـاـ عـنـ باـقـىـ الـعـلـومـ . فـانـهـ لاـيـكـوـنـ فـقـيـهـابـلـ يـأـخـذـ منـ كـلـ عـلـمـ بـحـظـ ثـمـ يـتـوـفـرـ عـلـىـ الـفـقـهـ فـانـهـ عـزـ الدـنـيـاـ وـالـآـخـرـةـ .

١١١ - فـصـلـ رـأـيـتـ كـثـيرـ اـمـنـ النـاسـ يـتـحـرـزـونـ مـنـ رـشـاشـ بـجـاسـةـ وـلاـ يـتـحـاـشـونـ مـنـ غـيـبةـ ، وـيـكـثـرـونـ مـنـ الصـدـقـةـ وـلاـ يـبـالـفـونـ بـعـامـلـاتـ الـرـبـاءـ وـيـتـهـجـدـونـ بـالـلـيلـ وـيـؤـخـرـونـ الـفـرـيـضـةـ عـنـ الـوقـتـ ، فـأـشـيـاءـ يـطـاـولـ عـدـدـهـ مـنـ حـفـظـ فـرـوعـ وـتـضـيـعـ أـصـوـلـ ، فـبـحـثـتـ عـنـ سـبـبـ ذـلـكـ ، فـوـجـدـهـ مـنـ شـيـئـيـنـ : أـحـدـهـاـ الـعـادـةـ ، وـالـثـانـيـ غـلـبـةـ الـهـوـىـ فـتـحـصـيـلـ الـمـطـلـوبـ . فـانـهـ قـدـ يـغـلـبـ فـلـاـ يـتـرـكـ سـمـاـ وـلـاـ بـصـرـاـ . وـمـنـ هـذـاـ الـقـبـيـلـ أـنـ أـخـوـةـ يـوـسـفـ قـالـواـ حـيـنـ سـمـعـواـ صـوـتـ النـادـيـ : «ـإـنـكـمـ لـسـارـقـونـ»ـ . «ـلـقـدـ عـلـمـتـ مـاـ جـئـنـاـ لـنـفـسـدـ فـيـ الـأـرـضـ وـمـاـ كـنـاـ سـارـقـينـ»ـ ، فـجـاءـ فـيـ التـفـسـيرـ أـهـمـ لـمـاـ دـخـلـوـاـ مـصـرـ كـوـاـفـوـاهـ إـبـلـهـمـ إـثـلـاـ تـنـاـوـلـ مـاـلـيـسـ لـهـمـ فـكـأـهـمـ قـالـوـاـقـدـ رـأـيـمـ مـاـصـنـعـنـاـ بـابـلـاـ فـكـيـفـ نـمـسـرـقـ ، وـنـسـوـاـهـمـ تـفـاوـتـ مـاـبـيـنـ الـورـعـ وـاـخـتـطاـفـ أـكـلـةـ لـأـيـلـكـونـهاـ ، وـبـيـنـ الـقـاءـ يـوـسـفـ عـلـيـهـ السـلـامـ فـيـ الـجـبـ وـيـعـهـ بـشـمـنـ بـخـسـ ، وـفـيـ النـاسـ مـنـ يـطـيـعـ فـيـ صـفـارـ الـأـمـوـرـ دـوـنـ كـبـارـهـاـ ، وـفـيـمـاـ كـلـفـتـهـ عـلـيـهـ خـفـيـفـةـ أـوـ مـعـتـادـةـ ، وـفـيـمـاـ لـيـنـقـصـ شـيـئـاـ مـنـ عـادـتـهـ فـيـ طـعـمـ وـمـلـبـسـ ، نـرـىـ أـقـوـاـمـاـ يـأـخـذـونـ بـالـبـاـ وـيـقـوـلـ أـحـدـهـ كـيـفـ يـرـانـيـ عـدـوـيـ بـعـيـزـانـيـ بـعـتـ دـارـيـ ، أـوـ تـغـيـرـ مـلـبـوـسـيـ وـمـرـكـوبـيـ ؟ـ وـرـىـ أـقـوـاـمـاـ يـوـسـوـسـونـ فـيـ الطـهـارـةـ وـيـسـتـعـمـلـوـنـ الـكـثـيرـ وـلـاـيـتـحـاـشـونـ مـنـ غـيـبةـ ، وـأـقـوـاـمـاـ يـسـتـعـمـلـوـنـ التـأـوـيلـاتـ الـفـاسـدـةـ فـيـ تـحـصـيـلـ أـغـرـاضـهـمـ مـعـ عـلـمـهـمـ أـنـهـ لـاـ تـجـوزـ ، حـتـىـ أـنـيـ رـأـيـتـ دـجـلـاـنـ أـهـلـ الـخـيـرـ وـالـتـعـبـدـ أـعـطـاهـ دـجـلـ مـاـ لـيـبـنـيـ بـهـ مـسـجـداـ ، فـاـخـذـهـ لـنـفـسـهـ وـاـنـفـقـ عـوـضـ الصـحـيـحـ قـرـاـضـةـ ، فـلـمـاـ اـحـتـضـرـ

قال لذلك الرجل اجعلنى في حل فلقي فعلمت كذا وكذا ، ونرى أقواما
يتكون الذنوب بعدم عنها ، فقد ألقوا الترک ، واذا قربوا منها لم يتمالکوا .
وفي الناس من هذه الفنون عجائب يطول ذكرها ، وقد علمنا أن خلقا من
علماء اليهود كانوا يحملون نقل التعبد في دينهم ، فلما جاء الاسلام وعرفوا اصحابه
لم يطيقوا مقاومة أهوائهم في محو رياستهم ، وكذلك قيسرا فانه عرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدليل ثم لم يقدر على مقاومة هواه وترك ملوكه .
فالله الله في تضييع الاول : ومن اهمال سرح الهوى ، فانه أن اهملت
ماشية نفشت في زدوع التقى ، وما مثل الهوى الا كسبع في عنقه سلسلة
فان استوثق منه صابته كفه . وربما لاحت له شهواته الغالية عليه فلم
تقاومها السلسلة فافتلت ، على أن من الناس من يكف هواه بسلسلة ، ومنهم
من يكفه بخيط ، فينبغي للعقل أن يحذر شياطين الهوى ، وأن يكون
بصيراً بما يقوى عليه من أعدائه ، وبين يقوى عليه .

١١٢ - فصل - من أعظم الغلط التيقة بالناس والاسترسال الى الاصدقاء
فان أشد الأعداء وأكثرهم أذى الصديق المقلب عدوا . لانه قد اطلع على
خفى السر ، قال الشاعر :

احذر عدوك مرة واخذر صديفك الف مرره
فلربما انقلب الصديق فكان أدرى بالمضرة
واعلم أن من الأمر الموضع في النفوس الحسد على النعم ، أو الغبطة
وحب الرغمة ، فإذا رأك من يعتقدك مثلا له وقد ارتقيت عليه فلا بد أن
يتآثر وربما حسد ، فإن أخوة يوسف عليهم السلام من هذا الجنس جرى
لهم . فان قلت . كيف يبقى الانسان بلا صديق ؟ قلت لك أترأك ما تعلم أن

المجنس يحسد ، وأنَّ كُثُرَ العوام يعتقدون في العالم أنَّه لا يتبسم ولا يتناول من شهوات الدنيا شيئاً ، فإذا رأوا بعض انبساطه في المباح هبط من أعينهم ، فإذا كانت هذه حالة العوام ، وتلك حالة الخواص ، فمع من تكون المعاشرة ؟ لابل والله ما نصح المعاشرة مع النفس لأنها متلونة ، وليس إلا المدارات للخلق والاحتراز منهم والأخذ بالمعرف من غير طمع في صديق صادق . فان ندر فليكن غير مماثل ، لأن الحسد اليه أسبق . ول يكن مرتفعا عن رتبة العوام ، غير طامع في نيل مقامك . وان كانت معاشرة هذا لا تشفي لأن المعاشرة ينبغي أن تكون بين العلماء للمجنس لزمهن من الاشارات في المخالطة مانطيف به المجالسة ، ولكن لا سبيل الى الوصال ، ومثل هذه الحال انك ان استخدمت الاذ كياء عرفوا باطنك ، وان استخدمت البله انعكست مقاصدك . فاجعل الاذ كياء لحوائجك الخارجة . والبله لحوائجك في منزلك لئلا يعلموا أسرارك . واقنع من الأصدقاء ، بين وصفته لك ، ثم لاتقه الامتداد رع الحذر ، ولا تطاعه على باطن يمكن أن يسترعنه . وكن كما يقال عن الذئب :

ينام بآحدى مقلتيه ويتنقى بأخرى الاعدى فهو يقطن هاجع
 ١١٣ - فصل - رأيت جماعة من أفنى أوائل عمره وريعان شبابه في طلب العلم يصبر على أنواع الأذى ، وبحر فنون الراحات ، أنفة من الجهل ، ورذيلته ، وطلبه للعلم ، وفضيلته ، فلما نال منه طرقا رفعه عن مراتب أدباد الدنيا ، ومن لا علم له إلا بالماجل ضاق به معيشة ، فسافر البلاد يطلب من الاراذل ، ويتواضع للسفالة وأهل الدناءة والمكاس وغيرهم ، خاطببت بعضهم وقلت : ويحك أين تلك الأنفة من الجهل التي سهرت لاجلها ، وأظمأت

نهارك بسببها ، فلما ارتفعت وانتفعت عدت الى أسفل سافلين ، أفا بقى .
 عندك ذرة من الأئفة تنبوه عن مقامات الاراذل ، ولا معك يسير من
 العلم يسير بك عن مناخ الهوى ، ولا حصلت بالعلم قوة تحذب بها زمام
 النفس عن صراعي السوء . غير أنه يبين لي أن سهرك وتعبك كأنه كان
 لنيل الدنيا . ثم إنك تزعم أنك تريد شيئاً من الدنيا تستعين به على طلب
 العلم . فاعلم أن التفاناك الى نوع كسب تستعين به عن الاراذل أفضضل
 من التزيد في عالمك ، فلو عرفت ما ينقصك به لم تر ما قد عزمت عليه زيادة
 مما يحتوى عليه هذا العزم السفر الذى كله مخاطرة بالنفس ، وبذل الوجه
 الذى طال ماصين لمن لا يصلح التفات مثلك الى مثله ، وبعيد أن تقعن بعد
 شروعك في هذا الأمر بقدر الكهاف ، وقد علمت ما في السؤال بعد
 الكفاف من الأثم ، وأبعد منه أن تقدر على الورع في المأخذ ، ومن لك
 بالسلامة والرجوع الى الوطن ، وكم درى فقر في بواديه من هالك ، ^(١) ثم
 ما يحصله يفى ويبيق منه ما أعطى ، وعيوب المتقين إياك ، واقتداء الجاهلين
 بك ، ويكفيك انك عدت على ما علمت من ذم الدنيا بشينه اذا فعلت ما ينافي
 خصوصاً وقد مر أكثر العمر ، ومن أحسن فيما يحيى يحسن فيما يقى .

١١٤ - فصل - رأيت الشره في تحصيل الاشياء يفوت الشره
 مقصوده ، وقد رأينا من كان شرهما في جمع المال فحصل له الكثير منه
 وهو حريص على الازدياد ، ولو فهم علم أن المراد من المال اتفاقه في العمر .
 فإذا أتفق العمر في تحصيله فات المقصودان جميعاً ، وكم رأينا من جمع المال ولم
 يتمتع به فأبقاءه لغيره وأفني نفسه كما قال الشاعر :

(١) في المندية : فقر من فواده من هالك

كدوة القر ماتبنيه يهدما وغيرها بالذى تبنيه ينتفع
 وكذلك رأينا خلقاً كثيراً يحرضون على جمع السكتب فينفقون
 أعمارهم في كتابتها، وكذلك أهل الحديث ينفقون الأعمار في النسخ والسماع
 إلى آخر العمر . نعم ينقسمون ، ف منهم من يتشاغل بالحديث وعمره وتصحیحه
 ولعله لا يفهم جواب حادثة ، ولعله عنده حديث - أسلم سالمها الله - مائة
 طريق . وقد حکى لي عن بعض أصحاب الحديث انه سمع جزء ابن عرفة
 عن مائة شیخ ، وكان عنده سبعون نسخة ، ومنهم من يجمع الكتب ويسمعها
 ولا يدری ما فيها لا من حيث صحتها ، ولا من فهم معناها . فتراه يقول
 الكتاب الفلاںی سماعی وعندي به نسخة ، والكتاب الفلاںی والفلانی فلا
 يعرف علم ما عنده من حيث فهم صحيحه من سقیمه . وقد صدھ اشقاء
 بذلك عن المهم من العلم فهم كما قيل الخطیئة :

زوال للاخبار لاعلم عندها بيتقلها الا كعلم الاباعر

لمرک مايدرى البعير اذا غدا بأوساقه اوراح ما في الغرائر

نعم ترى منهم من يتصدر ويفتقر الزمات الى تصدره للرواية
 فيما يده الى ما ليس من شغله . فان أفتى أخطأ ، وان تكلم في الاصول
 خلط ، ولو لانا لا أحب ذكر الناس لذ كرت من أخبار كبار علمائهم وما
 خلطوا ما يعتبر به ، ولكنه لا يخفى على الحق حالم ، فان قال قائل :ليس
 في الحديث . منهومان لا يشبعان ، طالب علم وطالب دنيا قلت : اما العالم فلا
 أقول له اشبع من العلم ، ولا اقتصر على بعضه ، بل أقول له قدم المهم فان
 العاقل من قدر عمره وعمل بمقتضاه . وان كان لا سبيل الى العلم بمقدار العمر ،
 غير انه يبني على الغلب . فان وصل فقد أعد لكل مرحلة زاداً ، وان

مات قبل الوصول فنفيته تسلك .^(١) فإذا علم العاقل أن العمر قصير ، وان العلم كثير ، فقبیح بالعاقل الطالب لکمال الفضائل أن يتشارغل مثلاً بسماع الحديث ونسخه ليحصل كل طريق ، وكل رواية ، وكل غريب . وهذا لا يفرغ من مقصوده منه في خمسين سنة خصوصاً ان تشاغل بالنسخ . ثم لا يحفظ القرآن ، أو يتشارغل بعلوم القرآن ولا يعرف الحديث ، أو بالخلاف في الفقه ولا يعرف النقل الذي عليه مدار المسئلة . فان قال قائلاً : فدبر لي ما تختار لنفسك . فاقول : ذو الهمة لا يخفي من زمان الصبي كما قال سفيان ابن عيينة : قال لي أبي وقد بلغت خمس عشرة سنة انه قد انقضت عنك شرائع الصبا . فاتبع الخير تكون من أهله . ، بعمل وصيحة أبي قبلة أميل إليها ولا أميل عنها ، ثم قبل شروعى في الجواب أقول : ينبغي لمن له أنفة أن يأنف من التقصير الممكن دفعه عن النفس ، فلو كانت النبوة مثلاً تأني بكسب لم يجز له أن يقنع بالولاية ، أو تصور أن يكون مثلًا خليفة لم يحسن به ان يقتنع بamarah ، ولو صح له ان يكون ملوكاً لم يرض أن يكون بشراً والقصد أن ينتهي بالنفس الى كلها الممكن لها في العلم والمعلم ، وقد علم قصر العمر وكثرة العلم فيبتدى بالقرآن وحفظه ، وينظر في نفس سيره نظراً متوسطاً لا يخفى عليه بذلك منه شيء ، وان صح له قراءة القراءات السبعة وأشياء من النحو وكتب اللغة وابتدأ باصول الحديث من حيث النقل كالصحاح والمسانيد والسنن ، ومن حيث علم الحديث كمعرفة الضمفاء والاسماء ، فلينظر في أصول ذلك ، وقد رتب العلاماء من ذلك ما يستغني به الطالب عن التعب ، ولينظر في التواريخ ليعرف ما لا يستغني

(١) في الهندية : قبل الوصول فحسبه ذلك .

عنه كنسب الرسول صلى الله عليه وسلم وأقاربه وأزواجه وما جرى له ،
ثم ليقبل على الفقه فلينظر في المذهب والخلاف ، وليكن اعتماده على
مسائل الخلاف فلينظر في المسئلة وما تحتوى عليه فيطلبها من مظانه ،
كتفسير آية وحديث وكلمة لغة ، وينشغل باصول الفقه وبالفرائض .
ويعلم أن الفقه عليه مدار العلوم ، ويكتفى من النظر في الاصول ما يستدل
به على وجود الصانع ، فإذا اثبتته بالدليل وعرف ما يجوز عليه مما لا يجوز ،
وأثبتت ارسال الرسل وعلم وجوب القبول منهم ، فقد احتوى على المقصود
من علم الاصول فان اتسع الزمان للتزييد من العلم فلي يكن من الفقه فإنه الافع ،
ومهما فسح له في المهل فأمكنه تصنيف في علم فإنه يختلف بذلك خلفه خلفا
صالحا ، مع اجتهاده في التسبب إلى اتخاذ الولد

ثم يعلم أن الدنيا معبرة فيلتفت إلى فهم معاملة الله عز وجل ، فان مجموع
ما حصله من العلم بده عليه ، فإذا تعرض لتحقيق معرفته ووقف على باب معاملته
فقل أن يقف صادق الا ويجذب إلى مقام الولاية ، ومن أريد وفق وان الله عز
وجل أقواما يتولى تربيعهم ويبعد اليهم في زمن الطفوالية مؤدبا ، ويسمى العقل .
ومقاوما ، ويقال له الفهم . ويتولى تأدیبهم وتنقيفهم ، ويحيى لهم أسباب القرب
منه ، فان لاح قاطع قطعهم عنه . وان تعرضت بهم فتنة دفعها عنهم . فنسأل
الله عز وجل أن يجعلنا منهم ، وننحو به من خذلان لا ينفع معه اجتهاد .

**١١٥ - فصل - إن للخلوة تأثيرات تبين في الجلوة ، كمن مؤمن
بأن الله عز وجل يحترمه عند الخلوات فيترك ما يشهي حذرا من عقابه . أو رجاء
إثوابه ، أو إجلالا له ، فيكون بذلك الفعل كأنه طرح عودا هنديا على مجمر
فيفوح طيبة فيستنشقه الخلاق ولا يدرؤن أين هو . وعلى قدر المجاهدة**

فِي تَرْكِ مَا يَقُولُ مُحْبَّتَهُ، أَوْ عَلَى مَقْدَارِ زِيَادَةِ دَفْعِ ذَلِكَ الْمُحْبُوبِ الْمُتَرَوِّكِ يَزِيدُ
الْطَّيْبُ، وَيَنْفَاقُونَ تَفَاوُتَ الْعَوْدِ، فَيَرَى عَيْوَنُ الْخَلْقِ تَعْظِيمُ هَذَا الشَّخْصِ
وَالسَّنَقُومُ تَمْدِحُهُ وَلَا يَعْرُفُونَ لَمْ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى وَصْفِهِ بَعْدِهِمْ عَنْ حَقِيقَةِ مَعْرِفَتِهِ
وَقَدْ تَقْتَدِ هَذِهِ الْأَرَايِحَ بَعْدَ الْمَوْتِ عَلَى قَدْرِهِا، فَنَمِمُ مِنْ يَذْكُرُ بِالْخَيْرِ مَدْقُدِيَّة
ثُمَّ يَنْسَى، وَمِنْهُمْ مَنْ يَذْكُرُ مائَةَ سَنَةً ثُمَّ يَخْفِي ذَكْرَهُ وَقَبْرَهُ، وَمِنْهُمْ أَعْلَام
يَبْقَى ذَكْرُهُمْ أَبْداً، وَعَلَى عَكْسِ هَذَا مِنْ هَابِ الْخُلُقِ، وَلَمْ يَحْتَرِمْ خَلُوتَهُ
بِالْحَقِّ، فَإِنَّهُ عَلَى قَدْرِ مِبَارَزَتِهِ بِالذُّنُوبِ وَعَلَى مَقَادِيرِ تِلْكَ الذُّنُوبِ، يَفْوَحُ مِنْهُ
رِيحُ الْكُرَاهَةِ فَتَمْقِتُهُ الْقُلُوبُ، فَإِنْ قَلَ مَقْدَارُ مَاجِنِيِّ قَلَ ذَكْرُ الْأَلْسُنِ لَهُ
بِالْخَيْرِ، وَبَقِيَ مُجْرِدُ تَعْظِيمِهِ، وَأَنَّ كَثِيرًا كَانَ قَصَارِي الْأَمْرِ سَكُوتُ النَّاسِ عَنْهُ
لَا يَدْحُونُهُ وَلَا يَذْمُونَهُ، وَرَبُّ خَالِ بَذَنْبٍ كَانَ سَبَبُ وَقْوَعِهِ فِي هُوَّةِ شَقْوَةِ
فِي عِيشِ الدِّنِيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَهُ قِيلَ لَهُ إِبْقَى مَا آتَتْ فِيهِ قُبْيَقَى أَبْدَا فِي التَّخْبِيطِ،
فَانْظُرُوا إِخْوَانِي إِلَى الْمَعَاصِي أُثْرَتْ وَعَرَّتْ، قَالَ أَبُو الدَّرَداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
أَنَّ الْمُبْدِ لِيَغْلُو بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَيَلْقَى اللَّهُ بِغَضَبِهِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حِيثِ
لَا يَشْعُرُ، فَتَلْمِحُوا مَا سَطَرَتْهُ، وَأَعْرَفُوا مَا ذَكَرَتْهُ، وَلَا تَهْمِلُوا أَخْلُواتِكُمْ وَلَا
سَرَائِرِكُمْ، فَإِنَّ الْأَعْمَالَ بِالْنِيَّةِ، وَالْجُزَاءُ عَلَى مَقْدَارِ الْأَخْلَاصِ.

١١٦ - فَصْلٌ - مِنْ عَرْفِ جَرِيَانِ الْأَقْدَارِ ثَبَتْ لَهَا، وَأَجْهَلَ النَّاسَ
بَعْدَ هَذَا مِنْ قَوَاعِدِهَا، لَأَنَّ مَرَادَ الْمُقْدَرِ النَّذْلُ لَهُ، فَإِذَا قَوَّيْتَ الْقَدْرَ فَنَلَتْ
مَرَادُكَ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَبْقَ لَكَ ذَلِكَ . - مَثَلُ هَذَا - أَنْ يَجْوِعَ الْفَقِيرَ فَيَصْبِرُ قَدْرَ
الْطَّاقَةِ، فَإِذَا عَجَزَ خَرَجَ إِلَى سُؤَالِ الْخَلْقِ مَسْتَحِيَا مِنَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْأَلُهُمْ،
وَإِنْ كَانَ لَهُ عَذْرٌ بِالْحَاجَةِ إِلَى الْجَأْتِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ يَرَى أَنَّهُ مَغْلُوبٌ الصَّبْرُ فَيَبْقِيَ
مُعْتَذِراً مَسْتَحِيَا وَذَلِكَ الْمَرَادُ مِنْهُ، أَوْ لَيْسَ بِخَرْوَجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

من مكّة فلا يقدر على العود إليها حتى يدخل في خفارة المطعم بن عدى
وهو كافر ، فسبحان من ناط الأمور بالأسباب ، ليحصل ذل المعرف بالحاجة
إلى التسبب .

١١٧ - فصل - سبحان المتصرف بخلقه بالاعراب والاذلال ليبلو
صبرهم ، ويظهر جواهرهم في الابتلاء ، هذا آدم صلى الله عليه وسلم تسجد له
الملائكة ثم بعد قaimيل يخرج من الجنة ، وهذا نوح عليه السلام يضرب حتى
يغشى عليه ثم بعد قaimيل ينجو في السفينة ويهلك أعداؤه ، وهذا الخايم عليه السلام
يلقى في النار ثم بعد قaimيل يخرج إلى السلام ، وهذا الذي يضجع مسنتسا
ثم يسلم ويبقى المدح ، وهذا يعقوب عليه السلام يذهب بصره بالفرقان ثم
يعود بالوصول ، وهذا الكليم عليه السلام يستغل بالرعى ثم يرقى إلى التكاليم ،
وهذا زيننا محمد صلى الله عليه وسلم يقال له بالامس اليتيم ويقلب في عجائب
يلاقها من الاعداء تارة ومن مكائد الفقر أخرى ، وهو أئبـتـ من جبل حراء
ثم لما تم مراده من الفتح . وبلغ الغرض من أكبر الملوك وأهل الأرض
نزل به ضيف النقلة . فقال : وأكرباء . فنـ تامـ بـ حـ رـ الدـ نـ يـ اـ وـ عـ لـ مـ كـ يـ فـ تـ تـ لـ قـ الـ اـ مـ وـ اـ جـ ، وكـ يـ فـ يـ صـ بـ رـ عـ لـ مـ دـ اـ فـ عـ ةـ الـ اـ يـ اـ مـ لـ يـ سـ تـ هـ وـ لـ زـ وـ لـ بـ لـ اـ ، وـ لـ مـ يـ فـ رـ حـ بـ عـ اـ جـ دـ رـ خـاءـ .

١١٨ - فصل - ينبغي للعامل أن لا يقدم على العزائم حتى يزن نفسه
هل يطيقها ، ويجرب نفسه في ركوب بعضها سرا من الخلق فانه لا يأمن
أن يرى في حالة لا يصبر عليها ، ثم يعود فيفتضح . مثالـهـ - رجل سمع بذكر
الزهد فرمى نياـبهـ الجـمـيلـةـ ولبـسـ الدـونـ وانفردـ فيـ زـاوـيـةـ وغـلـبـ علىـ قـلـبـهـ ذـكـرـ
الموتـ والأـخـرـةـ . فـلـمـ يـلـبـثـ مـتـقـاضـيـ الطـبـعـ أـنـ الـحـ بـ اـ جـ رـتـ بـ الـ عـادـةـ . فـنـ القـوـمـ

من عاد بعراة الى أكثـر ما كان عليه كـل النـاقـة من مـرض ، وـمـنـهمـ من توـسـطـ الحالـ فـبـقـىـ كـالـذـبـبـ ، وـاـنـماـ العـاـقـلـ هوـ الـذـىـ يـسـتـرـ نـفـسـهـ بـيـنـ النـاسـ بـثـوـبـ وـسـطـ لـاـيـخـرـجـهـ مـنـ أـهـلـ اـخـيـرـ ، وـلـاـ يـدـخـلـهـ فـيـ زـىـ أـهـلـ الـفـاقـةـ . فـاـنـ قـوـيـتـ عـزـيـتـهـ عـمـلـ فـيـ يـيـتـهـ مـاـ يـطـيـقـ ، وـتـرـكـ ثـوـبـ التـجـمـلـ لـسـتـرـ الـحـالـ . وـلـمـ يـظـهـرـ شـيـئـاـ لـلـخـلـقـ . فـاـنـهـ أـبـعـدـ مـنـ الـرـيـاءـ ، وـأـسـلـمـ مـنـ الـفـضـيـحـةـ وـفـيـ النـارـ مـنـ غـلـبـ عـلـيـهـ قـصـرـ الـأـمـلـ وـذـكـرـ الـآـخـرـةـ حـتـىـ دـفـنـ كـتـبـ الـعـلـمـ ، وـهـذـاـ الـفـعـلـ عـنـدـىـ مـنـ أـعـظـمـ اـخـطـاـ وـأـنـ كـانـ مـنـقـوـلاـ عـنـ جـمـاعـةـ مـنـ الـكـبـارـ وـلـقـدـ ذـكـرـتـ هـذـاـ لـبـعـضـ مـشـائـخـنـاـ فـقـالـ: أـخـطـاـ وـاـكـلـهـمـ وـقـدـ تـأـولـتـ بـعـضـهـمـ بـاـنـهـ كـانـ فـيـهـ أـحـادـيـثـ عـنـ قـوـمـ ضـعـفـاـ وـلـمـ يـيـزـوـهاـ . كـاـرـوـيـ عنـ سـفـيـانـ فـيـ دـفـنـ كـتـبـهـ . أـوـ كـانـ فـيـهـ شـيـءـ مـنـ الرـأـيـ فـلـمـ يـحـبـواـ أـنـ يـؤـخـذـعـنـهـمـ فـكـانـ مـنـ جـنـسـ تـحـرـيقـ عـهـامـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـ الـمـصـاحـفـ لـلـلـاـ يـؤـخـذـ بـشـىـءـ مـاـ فـيـهـ مـاـنـ الـجـمـعـ عـلـىـ غـيرـهـ وـهـذـاـ التـأـوـيلـ يـصـحـ فـيـ حـقـ عـلـمـاءـهـ فـاـمـاـغـسلـ أـحـمـدـبـنـ أـبـيـ الـحـوارـىـ كـتـبـهـ وـابـنـ أـسـبـاطـ فـتـفـرـيـطـ مـعـضـ . فـاـلـحـذـرـ الـلـذـرـ مـنـ فـعـلـ يـمـنـعـ مـنـهـ الشـرـعـ أـوـ مـنـ اـرـتـكـابـ مـاـيـظـنـ عـزـيـةـ وـهـوـ خـطـيـةـ ، أـوـ مـنـ اـظـهـارـ مـاـلـاـ يـقـوـىـ عـلـيـهـ الـمـظـهـرـ فـيـرـجـعـ الـقـهـقـرـىـ . وـعـاـيـمـ مـنـ الـعـمـلـ بـمـاـقـطـيـقـوـنـ كـاـقـالـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ .

١١٩ - فـصـلـ - اـجـهـلـ الجـهـالـ مـنـ آـنـرـ عـاجـلـاـ عـلـىـ آـجـلـ لـاـيـأـمـ سـوـءـ مـغـبـتـهـ فـكـمـ قـدـ سـمـعـنـاـ عـنـ سـلـطـانـ وـأـمـيرـ وـصـاحـبـ مـالـ أـطـلقـ نـفـسـهـ فـيـ شـهـوـاتـهـ ، وـلـمـ يـنـظـرـ فـيـ حـلـالـ وـحـرـامـ فـنـزـلـ بـهـمـ النـدـمـ وـقـتـ الـمـوـتـ أـضـعـافـ مـاـلـتـذـوـلـقـيـ منـ مـرـيـرـ الـحـسـرـاتـ مـاـلـاـ يـقاـومـهـ وـلـاـ ذـرـةـ مـنـ كـلـ لـذـةـ . وـلـوـ كـانـ هـذـاـ فـسـبـ لـكـنـىـ حـزـنـاـ وـكـيـفـ وـالـجـزـاءـ الدـائـمـ بـيـنـ يـدـيـهـ فـالـدـنـيـاـ مـحـبـوـبـةـ لـلـطـبـعـ لـاـرـيـبـ فـيـ ذـلـكـ . وـلـاـ انـكـرـ عـلـىـ طـالـبـهـاـ وـمـؤـرـ شـهـوـاتـهـ ، وـلـكـنـ يـنـبـغـيـ لـهـ أـنـ يـنـظـرـ فـيـ

كسبها و يعلم وجه أخذها ، ليسلم له عاقبة لذته . والا فلا خير في لذة من بعدها النار . وهل عد في العقلاء فقط من قيل له اجلس في المملكة سنة ثم نقتلك هيبة بل الأمر بالعكس وهو أن العاقل من صابر مرارة الجهد سنة بل سنتين ليس تاريخ في عاقبته ، وفي الجملة أولاً للذلة أعقبت عقوبة وقد أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القرزاوي قال أخبرنا أبو بكر الخطيب قال أخبرنا الحسن ابن أبي طالب قال حدثنا يوسف بن عمر القواس قال حدثنا الحسين بن إسحاق عيل املاء قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن مسلمة البليخي قال حدثنا محمد بن علي الفوهةستاني قال حدثنا دلف بن أبي دلف . قال : رأيت كأن آتني أتنى بعد موتي أباً فقال : أجب الأمير . ففقطت معه فدخلني دار وحشة وعرة سوداء الحيطان مقلعة السقوف والابواب ثم أصعدني درجا فيها ثم أدخلني غرفة فإذا في حيطانها أثر النيران ، وإذا في أرضها أثر الرماد وإذا أبي عريان واضعا رأسه بين ركبتيه فقال لي كالمستفهم : دلف . قلت :

نعم أصلاح الله الامير ؟ فأنشأ يقول :

ما لقينا في البرزخ الخفاف	أبلغن أهلنا ولا تخف عنهم
فارجموا وحشتي وما قد لاقي	قد سئلنا عن كل ما قد فعلنا

أفهمت قلت : نعم ؟ فأنشاء يقول :

فلو انا اذا مقنا تركنا

ولكنا اذا مقنا بعثنا ونسأل بعده عن كل شيء

١٢٠ - فصل - الالذات كلها بين حسي وعقلني : فنهاية الالذات الحسية

واعلامها النكاح . وغاية الالذات العقلية العلم . فن حصلت له الغایتان في الدنيا

فقد نال النهاية وأنا أرشد الطالب إلى أعلى المطلوبين . غير أن لطالب

المرزوق علامه وهو أذ يكرون مرزوقا علو المهمة وهذه المهمة تولد مع
 الطفل فتراه من زمن طفولته يطلب معالى الأمور . كما يروى في الحديث
 أنه كان عبد المطلب مفرش في الحجر فكان النبى صلى الله عليه وسلم يأتي
 وهو طفل فيجاس عليه فيقول . عبد المطلب : أذ لابن هدا شأنا . فان قال قائل
 فإذا كانت لي همة ولم أرْزُق ما أطلب ذا الحيلة ؟ - فالجواب - انه اذا امتنع الرزق
 من نوع لم يتمتنع من نوع آخر ، ثم من البعيد ان يرْزُقك همة ولا يعينك فانظر
 في حالك فاعمله أعطاك شيئا ما شكرته ، او ابتلاك بشيء من الهوى ما صبرت
 عنه . واعلم أنه ربما زوى عنك من لذات الدنيا كثيراً لمؤثرك على لذات العلم
 فانك ضعيف ربما لا تقوى على الجم فهو أعلم بما يصلحك ، وأما ما اردت
 شرحه لك فان الشاب المبتدى في طلب العلم ينبغي له أذ يأخذ من كل علم
 طرفا ويجعل علم الفقه الأهم ، ولا يقصر في معرفة النقل ، فيه تبين سير
 الكاملين وإذا رزق فصاحة من حيث الوضع ثم أضيف إليها معرفة اللغة
 والنحو فقد شحيحت شفارة لسانه على أجواد مسن ومتى أدى العلم لمعرفة الحق
 وخدمة الله عز وجل فتحت له أبواب لافتتاح غيره ، وينبغى له بالتأطيف
 أن يجعل جزءاً من زمانه معمراً وفا إلى توفير الاكتساب والتجارة ، مستعيناً
 فيها غير مباشر لها م التدبير في العيش الممتنع من الاسراف والتبذير
 فان روایة العلم والعمل به الى درجة المعرفة لله عز وجل ، فربما شغلته
 لذة ما وصل اليه عن كل شيء . وبالماء حالة سلية من آفة ، وان وجد من
 طبعه منازعا الى الشوق في النكاح فليتخير السرارى فان الحرائر في الاغاب
 غل وليعزل عن الملوکات الى أذ يجرب خلةهن ودينهن ، فان رضيهم طلب
 الولد منهان والا فالاستبدال بين سهل ولا يتزوج حرة لأن يعام أنها تصبر على

التزويج عليها والتسمرى ، وليمكن قصده الاستمتاع بها لا إيجاد النفس فى
الاتزال . فان ذلك يهدى قوته فيضعف الاصل فهذا الجامعه من لذى
الحس والعقل ذكرتها على وجه الاشارة وفهم الذى يدل عليه مالم أشر

١٢١ - فصل - في تعلم حفظ العلم : أعلم أن المتعلم يفتقر إلى دوام

الدراسة ومن الغلط الانهماك على الاعادة ليلاً ونهاراً فانه لا يابث صاحب هذه
الحال إلا أيام اثنين يفتر أو يمرض . وقد دوينا ان الطبيب دخل على أبي بكر
ابن الانباري في مرض موته فنظر إلى ماشه وقال : قد كنت تفعل شيئاً لا يفعله
احد ثم خرج فقال : ما يجيء منه شيء . فقيل له : ما الذي كنت تفعل ؟ قال : كنت
اعيد كل أسبوع عشرة آلاف ورقة ومن الغلط حفظ الكثير أو الحفظ من
فنون فان القاب جارحة من الجوارح وكما أن من الناس من يحمل المائة
رطل ومنهم من يعجز عن عشرين رطلاً ، فكذلك القلوب فما يأخذ الانسان
على قدر قوته ودونها فانه اذا استنفذها في وقت ضاعت منه أوقات كما أن
الشهره بأكل فضل لقيمات فيكون سبباً الى منع أكلات ، والصواب أن يأخذ
قدر ما يطيق ويعيده في وقتين من النهار والليل ويرفع القوى في بقية الزمان
والدوام أصل عظيم . فكم من ترك بعد الحفظ فضاع زمان طويل في استرجاع
محفوظ قد نسي ، ولا حفظ أوقات من العمر ففضلاها الصبا وما يقاد به من
أوقات الزمان ، وأفضلها اعادة الاسحار وانصاف النهار ، والغدوات خير من
العشيات . وأوقات الجوع خير من أوقات الشبع . ولا يحمد الحفظ بحضوره
حضره وعلى شاطئ نهر ، لأن ذلك ياهى والأماكن العالية للحفظ خير من
السواحل ، والخلوة أصل وجム الهم أصل الاصول ، وتر فيه النفس من الاعادة
يوماً في الأسبوع ليثبت الحفظ وتأخذ النفس قوة كالبنيان يترك أياماً

حتى يستقر ثم يبني عليه ، وتقايميل المحفوظ مع الدوام أصل عظيم ، وان لا يشرع في فن حتى يحكم ما قبله ومن لم يجد نشاطا للحفظ فليتركه . فان مكابرة النفس لاتصلاح ، واصلاح المزاج من الاصول العظيمة فان للأوكولات اثرا في الحفظ قال الزهرى : ما أكلت خلاً منذ عاجلت الحفظ وقيل لابي حنيفة بم يستعان على حفظ الفقه . قال : يجمع الهم . و قال حماد بن سلمة : بقلة الغم وقال مكحول : من نظف ثوبه قل هم ، ومن طابت ريحه زاد عقله ، ومن جمع بينهما زادت مروءته . وأختار للمبتدى في طلب العلم أن يدافع النكاح مما أمكن فان أحمد بن حنبل لم يتزوج حتى تمت له أربعون سنة وهذا الاجل جمع الهم فان غالب عليه الا أمر تزوج واجتهد في المدافعة بالفعل لتتوفر القوة على اعادة العلم ، ثم لينظر ما يحفظ من العلم فان العمر عزيز والعلم غزير . وان أقواما يصرفون الزمان الى حفظ ما غيره أولى منه . وان كان كل العلوم حسنا ولكن الاولى تقديم الهم والفضل ، وأفضل ما تشوش على به حفظ القرآن ثم الفقه وما بعد هذه ابترلة تابع ومن رزق يقطة داته يقطته فالمحتاج الى دليل ، ومن قد ووجه الله تعالى بالعام دله المقصود على الاحسن «واتقوا الله ويعلمكم الله » .

١٢٢ - فصل - من أراد دوام العافية والسلامة فايقظ الله عز وجل ، فانه مامن عبد أطاق نفسه في شيء ينافيه التقوى وأن قل إلا وجد عقوبته عاجلة أو آجلة ، ومن الاغترار أن تسيء فتري احسانا فتظن انك قد سوّيْت ، وتنسى : «من يعمل سوءا يجزبه» وربما قالات النفس انه يغفر فتساحت ولا شك أنه يغفر ولكن من يشاء . وأنا أشرح لك حالا فتأمله بفكرك تعرف معنى المغفرة . وذلك أن من هفا هفوة لم يقصدها ولم يعززها عليه

قبل الفعل ولا عزم على العود بعد الفعل ثم انتبه لما فعل فاستعذر الله كان
 فعله وان دخله عمداً في مقام خطأ، مثلـ ان يعرض له مساعدة حسن في غلبة الطبع
 فيطلق النظر ويتشاغل في حال نظره بالتقاذر الطبع عن تلمح معنى النهي،
 فيكون كالغائب أو كالسكران فإذا انتبه لنفسه ندم على فعله فقام الندم
 بغسل تلك الاوساخ التي كانت كأنها غلطة لم تقصدـ فهذا معنى قوله تعالى:
 « اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذهم مبصرون » . فاما المداوم
 على تلك النظرة المرددها ، المصر عليها ، فكانه في مقام متعمد للنهي مبارزا
 بالخلاف فالعفو يبعد عنه بمقدار اصراره، ومن بعد أن لا يرى الجزاء على
 ذلك كما قال ابن الجلاء: رأى شيخي وأنا قائم أنا ملحدنا نصرانيا فقال:
 ما هذا ؟ اترین غبها ولو بعد حين . فنسقط القرآن بعد أربعين سنة .
 واعلم أنه من أعظم الحن الاغترار بالسلامة بعد الذنب ، فان العقوبة
 تتأخر . ومن أعظم العقوبة الا يحس الانسان بها . وان تكون في سلب
 الدين وطمس القلوب وسوء الاختيار للنفس ، فيكون من آثارها سلامه
 للبدن وبلغه الاغراض . قال بعض المعتبرين اطاقت نظرى فيما لا يحل لي ثم
 كنت انتظر العقوبة فاجتئت الى سفر طويل لانية لى فيه ، فلقيت المشاق .
 ثم أعقب ذلك موت أعز الخلق عندي ، وذهاب أشياء كان لها وقع عظيم
 عندي ، ثم تلافيت اصرى بالتجويه فصلح حالـ ثم عاد الهوى فيحملني على
 اطلاق بصرى مرة أخرى ، فطمس قابي وعدمت رقتـ واستغل مني ما هو
 اكثـر من فقد الاول ، ووقع لي تعويض عن المفقود ما كان فقدـه اصلاحـ فلما
 تأملت ما عوضـت وما سلبـ مني صحتـ من ألم تلك السياطـ فهـا أنا أنا نادـي من
 على الساحـل: اخوانـي احذروا بلـة هذا البحرـ ولا تفتروا بـسكنـه ، وعليكمـ

بـالـسـاحـلـ وـلـازـمـواـحـصـنـ التـقـوـيـ فـالـعـقوـبـةـ مـرـةـ .ـ وـاعـمـواـزـفـ مـلـازـمـةـ التـقـوـيـ
 مـرـارـاتـ منـ فـقـدـ الـأـغـرـاضـ وـالـمـشـتـهـيـاتـ ،ـ غـيرـ انـهاـ فـيـ ضـرـبـ المـثـلـ كـالـجـمـيـةـ
 تـعـقـبـ صـحـةـ .ـ وـالـتـخـلـيـطـ رـبـماـ جـلـبـ مـوـتـ الـفـجـأـةـ وـبـالـلـهـ لـوـ نـقـمـ عـلـىـ المـزـاـبـلـ مـعـ
 الـكـلـابـ فـيـ طـلـبـ دـرـضـيـ الـمـبـتـلـيـ كـانـ قـلـيلـاـ فـيـ نـيـلـ دـضـاهـ ،ـ وـلـوـ بـاغـتـمـ نـهـاـيـةـ
 الـأـمـانـيـ مـنـ أـغـرـاضـ الدـنـيـاـ مـعـ اـعـرـاضـهـ عـنـكـمـ كـانـتـ سـلـامـتـكـمـ هـلـاـ كـاـوـعـافـيـتـكـمـ
 مـرـضـاـ ،ـ وـصـحـتـكـمـ سـقـاـ وـالـأـمـرـ بـآـخـرـهـ وـالـعـاقـلـ مـنـ قـلـمـعـ الـعـوـاقـبـ ،ـ وـصـابـرـاـ
 رـحـمـكـمـ اللـهـ تـعـالـىـ هـجـيـرـ الـبـلـاءـ فـيـ أـسـرـعـ زـوـالـهـ .ـ وـالـلـهـ الـمـوـفـقـ إـذـ لـاحـولـ الـاـيـهـ،ـ
 وـلـاقـوـةـ الـاـ بـفـضـلـهـ .ـ

١٢٣ - فـصـلـ - قـدـمـ إـلـىـ بـغـدـادـ جـمـاعـةـ مـنـ أـهـلـ الـبـدـعـ الـأـعـاجـمـ
 فـارـتـقـواـ مـنـابـرـ التـذـكـيرـ لـلـعـوـامـ ،ـ فـكـانـ مـعـظـمـ مـجـاـسـهـمـ أـنـهـمـ يـقـولـونـ لـيـسـ اللـهـ فـيـ
 الـأـرـضـ كـلـامـ .ـ وـهـلـ الـمـصـحـفـ الـأـورـقـ وـعـفـصـ وـذـاجـ .ـ وـاـنـ اللـهـ لـيـسـ فـيـ السـمـاءـ
 وـاـنـ الـجـارـيـةـ الـتـيـ قـالـ لـهـاـ النـبـيـ عـلـيـهـ السـلـاـمـ اـيـنـ اللـهـ ؟ـ كـانـتـ خـرـسـاءـ فـاشـارـتـ إـلـىـ السـمـاءـ
 أـيـ لـيـسـ هـوـ مـنـ الـأـصـنـامـ الـتـيـ تـعـبـدـ فـيـ الـأـرـضـ ،ـ ثـمـ يـقـولـونـ اـيـنـ الـحـرـوفـيـةـ
 الـذـيـنـ يـرـعـمـونـ أـنـ الـقـرـآنـ حـرـفـ وـصـوـتـ ،ـ هـذـاـ عـبـارـةـ جـبـرـيـلـ .ـ فـاـذـ الـوـاـكـدـ الـكـلـ
 حـىـ هـاـنـ تـعـظـيمـ الـقـرـآنـ فـيـ صـدـورـ أـكـثـرـ الـعـوـامـ ،ـ وـصـارـ اـحـدـهـمـ يـسـمـعـ فـيـقـوـلـ
 هـذـاـ هـوـ الصـحـيـحـ ؟ـ وـالـأـفـقـرـآنـ شـىـءـ يـجـبـيـ بـهـ جـبـرـيـلـ فـيـ كـيـسـ .ـ فـشـكـيـ الـىـ
 جـمـاعـةـ مـنـ اـهـلـ السـنـةـ فـقـلـتـ لـهـمـ اـصـبـرـاـ فـلـابـدـ لـلـشـبـهـاتـ أـنـ تـرـفـعـ رـأـسـهـافـ بـعـضـ
 الـأـوـقـاتـ ،ـ وـاـنـ كـانـ مـدـمـوـغـةـ .ـ وـلـلـبـاطـلـ جـوـلـةـ وـلـلـحـقـ صـوـلـةـ وـالـدـجـالـوـنـ كـهـيـرـ.
 وـلـاـ يـخـلـوـ بـلـدـمـنـ يـضـرـبـ الـبـهـرـجـ عـلـىـ مـيـلـ سـكـكـهـ السـلـطـانـ .ـ قـالـ قـائـلـ :ـ فـاـجـوـاـ بـنـاءـعـنـ
 قـوـاهـمـ .ـ قـلـتـ :ـ اـعـلـمـ وـفـقـكـ اللـهـ تـعـالـىـ اـنـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ وـرـسـوـلـهـ قـنـعـاـ مـنـ اـخـلـقـ
 بـالـيـعـانـ بـالـجـمـلـ وـلـمـ يـكـلـفـاـ مـعـرـفـةـ التـفـاصـيـلـ أـمـاـ لـأـنـ الـاطـلـاعـ عـلـىـ التـفـاصـيـلـ

ينجذب القائد وأما لأن قوى البشر تعجز عن مطالعة ذاك . فأول ماجاء به
الرسول ﷺ إثبات الخالق ونزل عليه القرآن بالدليل على وجود الخالق بالنظر
في صنعه فقال تعالى : « أَمْنَ جَعْلُ الْأَرْضِ قَرَارًا وَجَعْلُ خَلْلَهَا أَنْهَادًا » . وقال
تعالى : « وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفْلَاتٌ بَصَرُونَ ». وما زال يستدل على وجوده بخلوقاته ،
وعلى قدرته بصنوعاته ، ثم اثبت نبوة نبيه بعجزاته ، وكان من اعظمها
القرآن الذي جاء به فعجز الخلق عن مثله واكتفى بهذه الأدلة جماعة
من الصحابة ومضى على ذلك القرن الأول والشرب صاف لم يتکدر . وعلم
الله عز وجل ما سيكون من البدع فيبلغ في إثبات الأدلة وملاها القرآن ،
ولما كان القرآن هو منبع العلوم ، وأكبر المعجزات للرسول ، أكد الأصر
فيه فقال تعالى : « وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مِنْ بَارِكَةٍ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفاءٌ ».
فأخبر أنه كلامه بقوله تعالى : « يَرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ » وأخبر أنه مسموع
بقوله تعالى : « حَتَّى يَسْمَعُ كَلَامَ اللَّهِ ». وأخبر أنه محفوظ فقال تعالى : « فِي لَوْحٍ
مَحْفُوظٍ » . وقال تعالى : « بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْيَانَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أَوْتَوْا الْعِلْمَ » . وآخر
أنه مكتوب ومقلوب فقال تعالى : « وَمَا كَنْتَ تَتَوَلَّ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُطْهُ
بِيَمِينِكَ » ، إلى ما يطول شرحه من تعدد الآيات في هذه المعانى التي توجب
إثبات القرآن .

ثم نزه نبيه صلى الله عليه وسلم عن أن يكون أني به من قبل نفسه .
قال تعالى : « أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ » . وتواتره لفعل
قال تعالى : « وَلَوْ تَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَوِيلِ ». وقال في حق الزاعم انه
كلام الخلق حين قال : « إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ . سَأَصْلِيهُ سَقْرًا ». ولما
عذب كل امة بنوع عذاب تو لاه بعض الملائكة كصيحة جبريل عليه

السلام بشمود ، وإرسال الريح على عاد ، والخسف بقادون ، وقلب جبريل دار لوط عليهما السلام ، وإرسال الطير الأبايل على من قصد تحريب الكعبة .
 تولى هو بنفسه عقاب المكذبين بالقرآن فقال تعالى : « ذرن ومن يكذب بهذا الحديث ». « ذرن ومن خلقت وحيدا ». وهذا لأن أصل هذه الشرائع والمثبت لكل شريعة تقدمت . لأن جميع الملائكة عندهم ما يدل على صحة ما كانوا فيه الاكتتاب بالأن كتبهم غيرت وبدلت . وقد علم كل ذي عقل أن القائل : « إن هذا إلا قول البشر » إنما أشار إلى ما سمعه . ولا يختلف أولوا الألباب وأهل الفهم لاختلافه . لأن قوله « وأنه » كناية عن القرآن ، قوله : « نزل به » كناية أيضاً عنه وقوله : « هذا كتاب » إشارة إلى حاضر وهذا أمر مستقر لم يختلف فيه أحد من القدماء في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم ، ثم دس الشيطان دسائس المدع فقال قوم : هذا المشار إليه مخلوق ، فثبت الإمام أحمد رحمه الله ثبوتاً لم يثبته غيره على دفع هذا القول لثلا يتطرق إلى القرآن ما يمحو بعض تعظيمه في النفوس ، ويخرجه عن الاضافة إلى الله عزوجل . ورأى أن ابتداع مالم يقل فيه لا يجوز استعماله فقال : كيف أقول مالم يقل ، ثم لم يختلف الناس في غير ذلك ، إلى أن نشأ على بن اسماعيل الشعري . فقال مرة : بقول المعتزلة ، ثم عن له فادعى أن الكلام صفة قامة بالنفس . فاوجبت دعواه هذه لأن ماعندها مخلوق وزادت فخطبت العقائد فما زال أهل البدع يجوبون في تمارها إلى اليوم .

والكلام في هذه المسألة مرتب بذكر الحجج والشبه في كتب الأصول فلا أطيل به هنا بل أذكر لك جملة تكفي من أراد الله هداه ، وهو أن الشرع قنع منا بالبيان جملة وبتعظيم الظواهر ، ونهى عن الخوض

فيما يشير غبار شبهته ولا يقوى على قطع طريقه اقدم الفهم ، وإن كان قد
 نهى عن الخوض في القدر فكيف يجوز الخوض في صفات القدر ؟ وما
 ذاك إلا لأحد الأمويin الذين ذكرتهم . إما خوف اثارة شبهة نزل
 العقائد ، أو لأن قوى البشر تعجز عن إدراك الحقائق ، فإذا كانت ظواهر
 القرآن تثبت وجود القرآن فقال قائل ليس هنا قرآن . فـ رد الظواهر
 التي تعب الرسول ﷺ في إثباتها وقرر وجودها في النفوس ، وبماذا يحل
 ويحرم ، وبيت ويقطع ، وليس عندنا من الله تعالى تقدم بشيء ، وهل
 المخالف دليل لأن يقول قال الله فيعود فيثبت مانفي . فيليس الصواب لمن
 وفق الال الوقوف مع ظاهر الشرع فان اعترضه ذو شبهة . فقال : هذا صونك
 وهذا خطرك . فاين القرآن ؟ فليقل له : قد أجمعنا أنا وانت على وجود شيء
 به نحتاج جديما . وكما أنك تنكر على أن أثبت شيئا لا يتتحقق لي اثنانه حسا ،
 فانا أنكر عليك كيف تبني وجود شيء قد ثبت شرعا ، وأما قولهم هل في
 المصحف إلا ورق وعفص وزجاج ، هذا كقول القائل : هل الآدمي الاحم
 ودم ؟ هيهات ان معنى الآدمي هو الروح ، فمن نظر الى الاحم والدم وقف
 مع الحسن . فان قال : فكذا أقول أن المكتوب غير الكتابة ، قلناله : وهذا مما
 تنكر عليه لا أنه لا يثبت تحقيق هذا لك ولا لخصملك ، فان أردت بالكتاب
 الخبر وتخطيطه فهذا ليس هو القرآن ، وان أردت المعنى القائم بذلك فهذا
 ليس هو الكتابة ، وهذه الاشياء لا يصلح الخوض فيها فان مادونها لا يمكن
 تحقيقه على التفصيل كالروح مثلا ، فاما نعلم وجودها في الجملة ، فاما حقيقتها
 فلا . فإذا جهلنا حقيقةها كنه الصفات الحق أجهل ، فوجب الوقوف مع
 السمعيات مع نفي مالا يليق بالحق ، لان الخوض يزيد الخائن تخبيطا ولا

يفيده تحصيلاً بل يوجب عايه نفي ما يثبت بالسمع من غير تحقيق أمر عقلى ، فلا وجہ للسلامة الاطريق السلف والسلام . وكذلك أقول أن اثبات الاله بظواهر الآيات والسنن ألزم للعوام من تحديهم بالتنزيه وان كان التنزيه لازماً . وقد كان ابن عقيل يقول : الأصلح لاعتقاد العوام ظواهر الآی والسنن . لأنهم يأنسون بالاثبات فتى محو ناذلک من قلوبهم زالت السياسات والحسنة وتهافت العوام في الشبهة أحب الى من اغرقوهم في التنزيه . لأن التشبيه يغمضهم في الاثبات . فيطمعوا ويختفوا شيئاً قد أنسوا الى ما يخاف مثله ويرجى . فالتنزيه يرمي بهم الى النفي ولاطعم ولاخافة من النفي ، ومن تدبر الشريعة رأها عامة للمكافئين في التشبيه بالانفاظ الى لا يعطى ظاهرها سواه كقول الاعراني : أو يضحك ربنا ، قال : نعم . فلم يكفر من هذا القول .

١٢٤ - فصل - أعظم البلايا أن يعطيك همة عالية وينعمك من العمل بفتقها ، فيكون من تأثير همتك الانفة من قبول ارافق الخلق امتحنة لا تحمل منهم ، ثم يبتليك بالفقر فتأخذ منهم ويلطف مزاجك ، فلا تقبل من المأكولات ما سهل احضاره ، فتحتاج الى فضل نفقة ، ثم يقلل رزقك ويعلق همتك بالمسحة حسنات . ويقطع بالفقر السبيل اليهن . ويريك العلوم في مقام معشوّق . ويضعف بذلك عن الاعادة ويخلى يديك من المال الذي تحصل به الكتب . ويقوى توشك الى درجات المعارف والشهاد ، ويحوجك الى مخالطة أرباب الدنيا وهذا البلاء المبين ، وأما الخسيس الهمة الذي لا يستنكف من سؤال الخاق ، ولا يرى الاستبدال بزوجته ، وبكتفى يمسير من العلم . ولا يتوقف الى أحوال المعارف . فذاك لا يؤله فقد شيء ، ويرى ما وجد هو الغاية . فهو يفرح فرح الاطفال بالزخارف ، فما أهون

الأمر عليه . إنما البلاء على العارف ذى الهمة العالية الذى قد يدعوه همته الى جمع الاضداد للتزييـد من مقام الكمال ، وتقصـير خطـاه عن مدارك مقصودـه فيـالـلهـ منـ حـالـ يـنـفـذـ فيـ طـرـيقـهـ زـادـ الصـابـرـينـ وـلـوـ لـاـ حـالـاتـ غـفـلـةـ تـعـتـرـىـ هـذـاـ المـبـتـلـىـ يـعـيـشـ بـهـ لـكـانـ دـوـامـ مـلاـحـظـتـهـ لـمـقـامـاتـ يـعـيـ بـصـرـهـ ، وـاجـتـهـادـهـ فـيـ السـلـوكـ يـحـفـيـ قـدـمـهـ ، لـكـنـ مـلاـحـظـاتـ الـامـدـادـ لـهـ تـارـةـ يـلـوـغـ بـعـضـ صـرـادـهـ وـتـارـةـ بـالـغـفـلـةـ عـمـاـ قـصـدـ ، وـهـذـاـ كـلـامـ عـزـيزـ لـاـ يـفـهـمـهـ إـلـاـ أـرـبـابـهـ ، وـلـاـ يـعـلـمـ كـنـهـ الأـصـحـابـ .

١٢٥ - فـصلـ - تـرـاعـتـ عـلـىـ نـفـسـىـ فـيـ طـلـبـهـ شـيـئـاـ مـنـ أـغـرـاضـهـ بـتـأـوـيلـ فـاسـدـ . فـقـلـتـ لـهـ : بـالـلـهـ عـلـيـكـ تـصـبـرـىـ . فـيـ الـعـبـرـ شـغـلـاـ يـحـذـرـ الغـرقـ مـنـ كـثـرـةـ الـمـوـجـ عـنـ التـنـزـهـ فـيـ عـجـائـبـ الـبـحـرـ . اـذـاـ هـمـتـ بـفـعـلـ فـقـدـرـىـ حـصـولـهـ ثـمـ تـامـعـىـ عـوـاقـبـهـ وـمـاـ تـجـتـنـىـ مـنـ ثـمـرـاتـهـ . فـاقـلـ ذـلـكـ النـدـمـ عـلـىـ مـاـ فـعـلـتـ ، وـلـاـ يـؤـمـنـ أـنـ يـشـرـ غـضـبـ الـحـقـ عـزـ وـجـلـ وـإـعـراـضـهـ عـنـكـ ، فـافـ لـلـقـاطـعـ عـنـهـ وـلـوـ كـانـ الجـنةـ ، ثـمـ أـعـلـمـ أـيـتـهـ النـفـسـ أـنـهـ مـاـ يـضـىـ شـيـءـ جـزاـفـ . وـانـ مـيـزانـ العـدـلـ تـبـيـنـ فـيـ الـذـرـةـ فـتـامـحـ الـأـمـوـاتـ وـالـاحـيـاءـ ، وـاـنـظـرـىـ إـلـىـ مـنـ نـشـرـ ذـكـرـهـ بـالـخـيـرـ وـالـشـرـ ، وـزـيـادـةـ ذـلـكـ وـنـقـصـاـنـهـ ، فـسـبـحـانـ مـنـ أـظـهـرـ دـلـيلـ الـخـلـواتـ عـلـىـ أـرـبـابـهـ ، حـتـىـ أـنـ حـبـاتـ الـقـلـوبـ تـتـعلـقـ بـاهـلـ الـخـيـرـ . وـتـنـفـرـ مـنـ أـهـلـ الشـرـ . مـنـ غـيـرـ مـطـالـعـةـ لـشـيـءـ مـنـ أـعـمـالـ السـكـلـ . قـالـ اـبـلـيمـسـ : أـوـتـرـكـ مـرـادـكـ لـأـجـلـ الـخـلـقـ ؟ قـلـتـ : لـاـ ؛ اـنـاهـذـاـ بـعـضـ الـثـرـاتـ الـحاـصـلـةـ مـنـ طـرـيقـ الغـرضـ . وـنـحـنـ نـرـىـ مـنـ يـعـشـيـ ثـلـاثـيـنـ فـرـسـخـاـ لـيـقـالـ سـاعـ ، فـالـمـلـقـ قـدـ نـالـ شـرـفـ الذـكـرـ وـانـ لـمـ يـقـصـدـ نـيـلـ ذـلـكـ مـتـرـجـحـاـلـهـ فـيـ وـزـنـ الـجـزـاءـ «ـسـيـجـعـلـ لـهـمـ الرـحـمـنـ وـدـاـ»ـ . قـالـتـ النـفـسـ : لـقـدـ أـصـرـتـنـىـ بـالـصـبـرـ عـلـىـ الـعـذـابـ ، لـأـنـ تـرـكـ الـأـغـرـاضـ عـذـابـ

قالت: لك عن الفرض عوض، ومن كل متزوج بدل. وأنت في مقام مساعدة
ولا يصح للأجيران يلبس ثياب الراحة في زمان الاستئجار، وكل زمان
المتلقى نهاد صوم، ومن خاف العقاب ترك المشتهى، ومن رام القرب استعمل
الورع، وللصبر حلاوة تبيان في العواقب.

١٢٦ - فصل - من نازعته نفسه إلى لذة محمرة فشغلها نظره إليها
عن تأمل عواقبها وعقابها. وسمع هتاف العقل يناديه ويحث لا تفعل؟ فما لك
توقف عن الصعود. وتأخذ في المبوط ويقال لك أبق بالآخرت فإن شغله
هوه فلم يلتفت إلى ما قيل له، لم ينزل في نزول، وكان مثلك في سوء اختياره
كالمثل المضروب: أن الكلب قال للأسد: يا سيد السبع . غير اسمي فإنه قبيح.
فقال له: أنت خائن لا يصلح لك غير هذا الاسم . قال: فجربني . فاعطاه شقة
لحم وقال: احفظ لي هذه إلى غد و أنا أغير اسمك ، فجاء وجمل ينظر إلى
اللحم ويصبر . فلما غابته نفسه قال: وأى شيء باسمي ، وما كاتب الاسم
حسن . فأكل ، وهكذا أخسيس الهمة ، القنوع باقل المنازل ، الخثار
عاجل الهوى على آجل الفضائل ، فالله في حريق الهوى إذا ثار وانظر
كيف تطفئه، فرب زلة في بُر بوار، ورب أثر لم ينفلع، والفات لا يستدرك
على الحقيقة ، فابعد عن أسباب الفتنة ، فإن المقادير محنة لا يكاد صاحبها
يسلم والسلام .

١٢٧ - فصل - رأيت أخلق كلهم في صفة محاربة ، والشياطين
يرموهم بنبيل الهوى ، ويضررونهم بأسباب اللذة . فاما الخلطون فصرعوا
من أول وقت اللقاء ، وأما المتلقون ففي جهد جهيد من المجاهدة، فلا بد من
طول الوقوف في المحاربة من جراح فهم يجرحون ويداون ، الا ان القتل

محفوظ ، بلى ! أن الجراحة في الوجه شيئاً باق فايحذر ذلك .

١٢٨ - فصل - الدنيا فخ ، والجاهل بأول نظرة وقع ، فاما العاقل المتقي فهو يصابر الماجعة . ويدور حول الحب ، والسلامة بعيدة . فكم من صابر واجتهد سنين ثم في آخر الأمر وقع ، فالحذر الحذر . فقد رأينا من كان على سنن الصواب ، ثم زل على شفير القبر .

١٢٩ - فصل - إعلموا أخوانى ومن يقبل نصيحتى . أن للذنب تأثيرات قبيحة ، مراراً ثنا تزيد على حلاواتها أضعافاً مضاعفة ، والجازى بالمرصاد لا يسبقه شىء ولا يفوته ، أو ليس يروى في التفسير . أن كل واحد من أولاد يعقوب عليهم السلام - كانوا اثنتي عشر - ولد له اثنتا عشر ولدا . الأيوسف فإنه ولد له أحد عشر وجوزى بتلك الهمة فنقص ولدا ، فواأسفاً لمضروب بالسياط ما يحس بالالم ، ولم يخن بالجراح وما عنده من نفسه خبراً ولتقليب في عقوبات ما يدرى بها ، ولعمري أن أعظم العقوبة أن لا يدرى بالعقوبة ، فوا عجباً للمغالط نفسه يرضى رببه بطاعة ويسرق معصية ، ويقول حسنة وسيئة ، ويلك من كيسك تتفق ، ومن بضماعتك تهدم ، ووجه جاهك تشين ، رب جراحة قلت ، ورب عصراً أهلكت ، ورب فارت لا يستدرك ، ويحك انتبه لنفسك ما الذي تنتظر باوبتك ؟ وماذا ترقب بتوبتك الشيب ؟ فها هو أون العظم وهل بعد رحيل الأهل والأولاد والأقارب . إلا اللحاق . قدر أن ما تؤمله من الدنيا قد حصل ، فكان ماذا ؟ أما هو عاجل فشغلك عاجلاً . ثم آخر جرعة اللذة شرقة . إما أن تفارق محبوبك ويفارقك فيالها جرعة مريرة تود عندها أن لو لم تراه .

آه لمحجوب العقل عن التأمل ، ولم يصود عن الورود ، وهو يرى المنهل .

أما في هذه القبور نذير ، أما في كرود الزمان زاجر ؟ أين من ملك وبلغ المني
فيما أمل . نادهم في نادهم . هياهات صموا عن مناديهم . فلو أن ما بهم بالموت ،
أنا القبور هنية . العمل حصل يامعدوما بالآمنس . يامتلائى الاشلاء في الغد .
بأى وجه تلقى ربك . أيساوى ماتناله من الهوى لفظ عتاب ؟ بالله ان الرحمة
بعد العاتية ، ربى لم تستوف قلم البغضة من صميم القلب ، فكيف ان
عقب العتاب عقاب . وقد أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الفراز قال . أخبرنا
أبو بكر الخطيب ، قال أخبرنا محمد بن الحسين المعدل . قال أخبرنا أبو الفضل
الزهري . قال أخبرنا الحمد بن محمد الزعفراني قال حدثنا أبو العباس بن واصل
المقرى . قال سمعت محمد بن عبد الرحمن الصيرفي قال : رأى جار لنا يحيى بن
أكثم بعدهم في منامه فقال : ما فعل بك ربك ؟ فقال : وقفتناه يديه فقال
لي : سوء لك يا شيخ . فقلت يا رب : إن رسولك قال أراك لتستحى من ابناء
الثمانين أن تعذبهم وانا ابن ثمانين أسيير الله في الارض . فقال لي : صدق
رسولي قد عفوت عنك . وفي رواية أخرى عن محمد بن سلم الخواص . قال :
رأيت يحيى بن أكثم في المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفني يين
يديه وقال لي يا شيخ السوء لو لا شبتك لا حرقتك بالنار ، والقصود من هذا
النظر بين الاعتبار ، هل يفي هذا بدخول الجنة فضلا عن لذات الدنيا . فسأل
الله عزوجل أن ينبهنا من رقدات الغافلين . وأن يرينا الاشياء كما هي انعرف
عيوب الذنوب والله الموفق .

١٣٠ - فصل - صاف بي أمر أوجب غالازما داما ، واخذت
أبالغ في الفكر في الخلاص من هذه الهموم بكل حيلة وبكل وجه . فرأيت
طريقا للخلاص . فمرضت لي هذه الآية : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا » .

فعلمت أن التقوى سبب للخرج من كل نم . فما كان إلا أن همت بتحقيق
التصوّر فوجدت المخرج ، فلا ينبعى لخواق أن يتوكّل أو يتسبّب أو يتفكر
إلا في طاعة الله تعالى . وامتثال أمره ، فإن ذلك سبب لفتح كل مرجع ، م
أعجبه أن يكون من حيث لم يقدره المتفكر المحتال المدبر ، كما قال عزوجل :
« ويرزقه من حيث لا يحتسب » . ثم ينبعى المتفقى أن يعلم أن الله عزوجل
كافيه فلا يعاق قابه بالأسباب ، فقد قال عزوجل : « ومن يتوكّل على الله فهو
حصنه » .

١٣١ - فصل - من العجب الحاتك في طلب أغراضك وكل أزاد
تعويقه أزاد الحاتك . وتنسى أنها قد تمنع لا حد أصررين ، املصالحتك فربما
معجل أذى ، وأما لذوبك فان صاحب الذنب بعيد من الاجابة ، فنظف
طرق الاجابة من أوساخ العاصي ، وانظر فيما تطلب هل هو لصلاح دينك ،
أولجرد هو لك . فان كان للهوى الجرد . فاعلم ان من اللطف بك والرحمة لك ،
تعويقه . وانت في الحاتك بثبات الطفل يطلب ما يؤذيه فيمنع رفقائه ، وان
كان صلاح دينك فربما كانت المصلحة تأخيره ، أو كان صلاح الدين بعدمه
وفي الجملة تدبر الحق عزوجل لك خير من تدبرك ، وقد يمنعك ما تهوى
ابتلاء ليبلو صبرك . فاره الصبر الجميل ترى عن قرب مايسرك ، ومتى نظفت
طرق الاجابة من ادران الذنب ، وصبرت على ما يقضيه لك . فكل ما يجري
اصلاح لك ، عطاء كان أو منعا .

١٣٢ - فصل - يجب على من لا يدرك متى يبعثه الموت أن يكون
مستعدا . ولا يغتر بالشباب والصحة ، فان أقل من يموت الاشياخ ، واكثر
من يموت الشبان . ولهذا ينذر من يكبر ، وقد انشدوا :

يُعمر واحد فيغير قوماً وينسى من يهوت من الشباب
ومن الاغترار طول الأمل ، وما من آفة أعظم منه . فانه لو لا طول
الأمل ما وقع اهمال اصلاً . وانما يقدم المعاشر ويؤخر التوبة لطول الأمل
وبتادر الشهوات ونسى الانابة لطول الأمل . وان لم تستطع قصر الأمل
فاعمل عمل قصير الأمل ، ولا تمس حتى تنظر فيما مضى من يومك ، فان رأيت
زلة فاصحها بتوبة ، او خرقاً فارقه باستغفار ، واذا أصبحت فتاً مل ماضى
في ليك ، واياك التسويف فانه أَكْبَر جنود ابليس :

وَخَذْ لَكَ مِنْكَ عَلَى مَهْلَةٍ
وَمَقْبِلٍ عِيشَكَ لَمْ يَدْبُرْ
وَخَفْ هَجْمَةٍ لَا تَقْبِيلُ العَثَّا
وَوَتَطْوِي الْوَرَدَدَ عَلَى الْمَصْدَرِ
وَمِثْلٌ لِنَفْسِكَ أَئِ الرَّعِيلِ يَضْمَكَ فِي حَلْبَةِ الْحَشَرِ
ثُمَّ صُورَ لِنَفْسِكَ قَصْرَ الْعَمَرِ . وَكَثِيرَةُ الْأَشْغَالِ . وَقُوَّةُ النَّدَمِ عَلَى التَّفْرِيَطِ
عِنْدَ الْمَوْتِ . وَطُولُ الْحَسْرَةِ عَلَى الْبَدَارِ بَعْدَ الْفَوْتِ . وَصُورَ ثَوَابَ الْكَامِلِينَ
وَانْتَ نَاقِصٌ ، وَالْمُجْتَهِدِينَ وَانْتَ مُتَكَاسِلٌ ، وَلَا تَخْلُ نَفْسِكَ مِنْ مَوْعِظَةٍ
تَسْمِعُهَا ، وَفَكْرَةٌ تَحَادُثُهَا بِهَا ، فَانَّ النَّفْسَ كَالْفَرْسِ الْمُتَشَيْطِنِ اَنَّ اَهْمَاتِ جَامِهِ
لَمْ تَأْمُنْ اَنْ يَرْمِي بِكَ ، وَقَدْ وَاللهِ دَنْسَتَكَ اَهْوَاؤُكَ ، وَضَيَّعَتْ عَمْرَكَ . فَالْبَدَارُ
الْبَدَارُ فِي الصَّيَانَةِ ، قَبْلَ تَلْفِ الْبَاقِي بِالصَّيَابَةِ . فَكُمْ تَرْقَلُ فِي فَخِ الْهَوَى
جَنَاحٌ حَازِمٌ ، وَكُمْ وَقَعَ فِي بَرْ بُوَادِ مُخْمُورٍ . وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ الاَللَّهُ .

١٣٣ - فصل - الحذر الحذر من المعاشر . فان عواقبها سيئة . وكم
من معصية لا يزال صاحبها في هبوط ابدا مع تعثير اقدامه ، وشدة فقره
وحسراته على ما يفوته من الدنيا ، وحسرة لمن نالها فلو قارب زمان جزائه
على قبيحه الذي ارتكبه كان اعتراضه على القدر في فوات اغراضه يعيد

العذاب جديدا ، فواأسفا لمعاقب لا يحس بعقوبته ، وآه من عقاب يتأخر حتى ينسى سببه ، أو ليس ابن سيرين يقول : عيرت رجلا بالفقر فافتقرت بعد أربعين سنة . وابن الجلا يقول : نظرت إلى شاب مستحسن فسيت القرآن بعد أربعين سنة فواحسرة لمعاقب لا يدرى أن أعظم العقوبة عدم الاحساس بها . فالله الذي تجويه التوبة عساهاتكف كف الجزاء . والحد من الحذر من الذنوب خصوصا ذنوب الخلوات . فإن المبارزة لله تعالى تسقط العبد من عينه ، واصلح ما يدينك وبينه في السر وقد اصلاح لك أحوال العلانية ولا تفتر بستره أيها العاصي فربما يجذب عن عورتك ، ولا يحمله فربما بعث العقاب ، وعليك بالقلق والاجال إليه والتضرع . فإن نفع شيء فذلك ، وتقوت بالحزن ، وتمزكأس الدمع ، واحفر بعمول الآسى قايب قلب الهوى لعلك تنبط من الماء ما يغسل جرم جرمك .

١٣٤ - فصل - اخواني : اسمعوا نصيحة من قد جرب وخبر ، أنه بقدر اجلالكم لله عز وجل يجلكم ، وبقدر تعظيم قدره واحترامه يعظم اقداركم وحرمتكم ، ولقد رأيت والله من أنفق عمره في العلم إلى أن كبرت سنّه ، ثم تعدى بعض الحدود فهان عند الخلق . وكانوا لا يتفتون إليه مع غزاره عامه وقوه مجاهده . ولقد رأيت من كان يراقب الله عز وجل في صبوته مع قصوره بالإضافة إلى ذلك العالم . فعظم الله قدره في القاوب حتى علقته النفوس ، ووصفته بما يزيد على مافيه من الخير ، ورأيت من كان يرى الاستقامة اذا استقام فاذا زاغ مال عنه اللطف . ولو لا يوم السر وشمول رحمة الكريم لافتضح هؤلاء المذكورون ، غير أنه في الأغلب تأديب أو تلطيف في العقاب كما قيل :

ومن كان في سخطه محسناً فكيف يكون إذا مارض

غير أن العدل لا يحابي . وحاكم الجزاء لا يجور . وما يضيع عند الأمين شيء .

١٣٥ - فصل - أيها المذنب إذا أحسست نفحات الجزاء فلا تكثرن

الضجيج ، ولا تقولن قد بيت وندمت فهل لازال عنى من الجزاء ما أكره

فأعل توبيك ما تتحقققت . وان للمجازاة زماناً يتداوم تدابير المرض الطويل .

فلا تنجم فيه الحميم حتى ينقض أوانه ، وان بين زمان : «وعصى» الى ابان :

«فتلقى» مدة مديبة . فاصبر أيها اخاطيء حتى يتحلل ماء عينيك خلال ثوب

القلب المتنجس . فإذا اعصرته كف الامي . ثم تكررت دفع الغسلات .

حكم بالطهارة ، بقى آدم يبكي على زله ثلات مائة سنة ، ومكت أیوب عليه

السلام في بلائه ثمانية عشرة سنة ، وأقام يعقوب يبكي على يوسف عليهما

السلام ثمانين سنة وللبلايا أوقات ثم تنصرم ، ورب عقوبة امتدت الى

زمان الموت . فاللازم لك أن تلائم محراب الانابة ، وتجلس جلسة المستجدى .

وتجعل طعامك القلق ، وشرابك البكاء ، فربما قدم بشير القبول فارتدي يعقوب

الحزن بصيراً . وان مت في سجن سجنك فربما ناب حزن الدنيا عن حزن

الآخرة ، وفي ذلك ربع عظيم .

١٣٦ - فصل - الواجب على العاقل ان يحذر مغبة المعاصي فان نارها

تحت الرماد . وربما تأخرت العقوبة ثم فجأت . وربما جاءت مستعجلة .

فليبادر باطفاء ما أودق من نيران الذنب ، ولا ماء يطفى تلك النار الا ما كان

من عين العين ، اعمل خصم الجزاء يرضى قبل أن يبت المحاكم في حكمه .

١٣٧ - فصل - واعجب من عارف بالله عز وجل يخالفه ولو في تلف

نفسه . هل العيش الامعنه ؟ هل الدنيا والآخرة الا الله ؟ ألم ترخص في

فعل ما يكره لنيل ما يحب ، قال لـ قـد فـاته اضـعاف ما حـصل ، أـقبل عـلى مـا أـقوله
يـادـا النـوـق هـل وـقـع لـك تـعـيـرـي عـيـش ، وـتـحـبـيـطـي حـال ، الا حـال مـخـالـفـته :

ولـانـثـى عـزـمـى عـن بـابـكـم الـاعـثـرـت بـاذـيـالـى

اما سمعت تلك الحكاية عن بعض السلف انه قال : رأيت على سور
بيروت شابا يذكر الله تعالى فقلت له : الاك حاجة ؟ فقال : اذا وقعت لي
حاجة سألته ايها بقلبي فقضتها ، يا ربـاـبـ المـعـاملـة بالـلـهـ عـاـيمـكـ لاـ تـكـدرـواـ
المـشـرـبـ قـفـواـ عـلـىـ بـابـ المـراـقبـةـ وـقـوـفـ الـحرـاسـ وـدـفـعواـ مـاـلاـ يـصـلـحـ أـنـ يـلـجـ
فيـفـسـدـ ، وـاهـجـرـواـ اـغـرـاضـكـ لـتـحـصـيـلـ مـحـبـوبـ الـحـبـيـبـ ، فـانـ اـغـرـاضـكـ تـحـصـلـ
عـلـىـ أـقـولـ أـفـ لـمـنـ تـرـكـ بـقـصـدـ الـجـزـاءـ اـهـذـاـ شـرـطـ الـعـبـودـيـهـ ، كـلاـ ؟
إـنـماـ يـنـبـغـيـ لـيـ اـذـاـ كـنـتـ مـلـوـكـاـ أـنـ أـفـعـلـ لـيـرـضـيـ لـاـ لـأـعـطـيـ ، فـانـ كـنـتـ مـحـبـاـ
رأـيـتـ قـطـعـ الـأـرـابـ فـيـ رـضـاهـ وـصـلـاـ . أـقـبـلـ نـصـحـيـ يـاـخـدـوـعـاـ بـغـرـضـهـ اـنـ
ضـعـفـتـ عـنـ حـمـلـ بـلـاوـهـ فـاسـتـغـثـ بـهـ . وـاـنـ آكـلـ كـرـبـ اـخـتـيـارـهـ فـانـكـ بـينـ يـدـيهـ .
وـلـاـ تـيـأسـ مـنـ روـحـهـ وـاـنـ قـوـىـ خـنـاقـ الـبـلـاءـ ، بـالـلـهـ أـنـ مـوـتـ الـخـادـمـ فـيـ الـخـدـمـةـ

حسن عند العـقـلاءـ .

إخـوانـيـ لـنـفـسـيـ أـقـولـ : فـمـنـ لـهـ شـرـبـ مـعـيـ فـلـيـرـدـ ، أـيـتـهـ النـفـسـ لـقـدـ أـعـطـاـكـ
مـالـمـ تـأـمـلـ . وـبـلـغـكـ مـالـمـ تـطـلـبـ . وـسـتـرـ عـلـيـكـ مـنـ قـبـيـحـكـ مـالـوـ فـاحـ ضـبـجـتـ
الـشـامـ . فـاـهـذـاـ الضـبـجـ منـ فـوـاتـ كـمـالـ الـاـغـرـاضـ . أـمـلـوـكـةـ أـنـتـ أـمـ حـرـةـ ؟
أـمـ عـلـمـتـ اـنـكـ فـيـ دـارـ التـكـلـيـفـ وـهـذـاـ الخـطـابـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـكـوـنـ لـلـجـهـالـ ،
فـاـيـنـ دـعـوـاـكـ الـمـعـرـفـةـ . أـتـرـاـهـ لـوـهـبـتـ نـفـيـحةـ ، فـاـخـذـتـ الـبـصـرـ كـيـفـ كـانـتـ تـطـيـبـ
لـكـ الدـنـيـاـ ، وـاـسـفـاـعـلـيـكـ لـقـدـعـشـيـتـ الـبـصـيـرـةـ الـتـيـ هـيـ اـشـرـفـ . وـمـاـ عـلـمـتـ
كـمـ أـقـولـ عـسـىـ وـلـعـلـ ؟ وـأـنـتـ فـيـ الـخـطاـ إـلـىـ قـدـامـ ، قـرـبـتـ سـفـيـنـةـ الـعـمـرـ مـنـ

ساحل القبر ، ومالك في المركب بضاعة تربح ، تلاعبت في بحر العمر ربح
الضعف ففرققت تلفيق القوى وكان قد فصلت المركب . بلغت نهاية الأجل
وعين هواك تلتفت الى الصبا ، بالله عليك لا شمتى بك الاعداء . هذا
أقل الاقسام وأوفي منها ، ان اقول بالله عليك لا يفوتك قدم سابق مع
قدرتك على قطع المضمار الخلوة الخلوة واستحضرى قرين العقل ، وجولى
في حيرة الفكر . واستدرى صبايحة الأجل قبل ان تميل بك الصباية عن
الصواب . واعجبا كلما صعد العمر نزلت . وكلما جد الموت هزلت . اترك
من ختم له بفتحة ، وقضيت عليه عند آخر عمره الحنة . كان اول عمرك
خيرا من الاخير ، كنت في زمن الشباب اصحاب مذاق في زمن أيام المشيب
« وتلك الامثال نصر بها للناس وما يعقلها الا العالمون » نسأل الله عز وجل
ملا يحصل مطلوبنا لا به وهو توفيقه انه سميع مجيب

١٣٨ - فصل - قدرت في بعض الايام على شهو : لانفس هي عندها
احلام من الماء الزلال في فم الصادى . وقال التأويل : ما هننا مانع ولا معوق
الانواع وروع ، وكان ظاهر الامر امتناع الجواز . فترددت بين الامرين ،
فمنعت النفس عن ذلك . فبقيت حيرنى لمنع ما هو الغاية في غرضها من غير
صاد عنه بحال الاخذ المنع الشرعي . ففاقت لها : يانفس والله مامن سبيل
الى ما لا يؤمن من دونه ؟ فتفقلقت ، فصاحت بها كم وافقتك في مراد ذهبت
لذته وبقي التأسف على فعله . فقدري بلوغ الغرض من هذا المراد الياس
الندم يبقى في مجال اللذة اضعاف زمانها ، فقالت : كيف اصنع : فقلت :
صبرت ولا والله مابي جلادة على الحب لكنى صبرت على الرغم

وَهَا أَنَا انتظارِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَ حُسْنَ الْجَزَاءِ عَلَى هَذَا الْفَعْلِ . وَقَدْ
تَرَكَتْ بَاقِيَ هَذِهِ الْوِجْهَةِ الْبَيْضَاءَ . أَدْرَجُوا أَنْ ارْدَى حُسْنَ الْجَزَاءِ عَلَى الصَّابِرِ
فَاسْطَرَهُ فِيهِ أَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَإِنَّهُ قَدْ يَعْجَلُ جَزَاءَ الصَّابِرِ وَقَدْ يُؤْخِرُهُ ، فَإِنَّهُ
يَعْجَلُ سُطْرَتِهِ ، وَإِنَّهُ أَخْرَ فَالاشْكَ في حُسْنِ الْجَزَاءِ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ، فَإِنَّهُ
مِنْ تَرْكِ شَيْئَنَا اللَّهُ عَوْضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ ، وَاللَّهُ أَنِّي مَا تَرَكْتَهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى
وَيَكْفِيَنِي تَرْكُهُ ذَخِيرَةً ، حَتَّى لَوْ قِيلَ لِي أَقْذَرُ كِيَوْمًا آتَرْتَ اللَّهُ عَلَى هُوَاكَ . قَالَتْ :
يَوْمَ كَذَا وَكَذَا . فَاقْتَحَرَتِي أَيْتَهَا النَّفْسُ بِتَوْفِيقِكَ مِنْ وَفْقِكَ ، فَكَمْ قَدْ
خَذَلَ سُوَاكَ . وَاحْذَرْتِي أَنْ تَخْذَلِي فِي مِثْلِهِ أَوْ لَا حُولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ
الْعَظِيمِ . وَكَانَ هَذَا فِي سَنَةِ أَحَدِي وَسَتِينَ وَخَمْسِمَائَةٍ ، فَلَمَّا دَخَلَتْ سَنَةَ
خَمْسَةِ وَسَتِينِ . عَوْضَتْ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ بِمَا لَا يَقْارِبُ مَا لَا يَعْنِي مِنْهُ وَرَعَ
وَلَا غَيْرَهُ . فَقَالَتْ : هَذَا جَزَاءُ التَّرْكِ لِأَجْلِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ فِي الدُّنْيَا . وَلَا جَرِ
الْآخِرَةَ خَيْرٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

١٣٩ - فَصْلٌ - لَا انْكَرُ عَلَى مَنْ طَلَبَ لِذَنَّةَ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْمَبَاحِ . لَا نَهِيَ
لِيْسَ كُلُّ احَدٍ يَقْوِيُ عَلَى التَّرْكِ ، اِنَّمَا الْحَنَّةَ مِنْ طَلَبِهَا فَلَمْ يَجِدْهَا ، او اَكْثَرُ
اِلَّا مِنْ طَرِيقِ الْحَرَامِ . فَاجْتَهَدَ فِي تَحْصِيلِهَا ، وَلَمْ يَبَالْ كَيْفَ حَصَلَتْ فِيهَا
الْحَنَّةُ الَّتِي بِنَحْسِ الْعُقْلِ فِيهَا حَقَّهُ ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ صَاحِبُهُ وَجُودُهُ لَانَّهُ لَوْ زُنْدَ
مَا اُثْرَ وَعِقَابُهُ طَاشَتْ كَفَةَ الْمَذَدِ الَّتِي فَنِيتَ عِنْدَ اُولَى ذَرَّةٍ مِنْ جَزَائِهَا ،
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ آثَرَ شَهْوَتِهِ فَسَلَبَتْ دِينَهُ فَلَمْ يَعْجِبِ الْعَاقِلُ حِينَ التَّضَفُّحِ
لَا حَوَّاهُمْ كَيْفَ آثَرُوا شَيْئًا مَا اَقَامُوا مَعَهُ ، وَصَارُوا إِلَى عِقَابٍ لَا يَفَارِقُهُمْ
فَاللَّهُ أَللَّهُ فِي بِنْسَ العُقُولِ حَقَّهُمَا . وَيَنْظَرُ السَّالِكُ اِنِّي يَضْعِفُ الْقَدْمَ فَرَبِّ مَسْتَعْجِلٍ
وَقَعَ فِي بَيْرِ بُوارِ . وَلَتَكُنْ عَيْنُ التَّقْيِظِ مَفْتَوْحَةً فَانْسَكِمْ فِي صَفَ حَرْبٍ

لайдرى فيه من أين يتلقى النبل ، فأعينوا أنفسكم ولا تعينوا عليها .

١٤٥ - فصل - الحق عزوجل أقرب الى عبده من حبل الوريد ، لكنه عامل العبد معاملة الغائب عنه البعيد منه ، فامر بقصد نيته ورفع اليدين اليه والسؤال له . فقلوب الجهل تستشعر البعد ، ولذلك تقع منهم العاصي . اذ لو تحققت مراقبتهم لاحضر الناظر لكتفوا الاكف عن الخطايا ، والمتيقظون علموا قربه فحضرتهم المراقبة وكفتهم عن الانبساط . ولو لا نوع تقنية على عين المراقبة الحقيقة لما انبسطت كف بأكل ولا قدرت عين على نظر . ومن هذا الجنس « انه ليغافل على قلبي » ومتى تحققت المراقبة حصل الانس ، وإنما يقع الانس بتحقيق الطاعة ، لأن المخالفة توجب الوحشة والموافقة ببساطة المستأنسين . فيالمذلة عيش المستأنسين . ويأخذوا المستووحشين . وليس الطاعة كما يظن أكثر الجهل أنها في مجرد الصلاة والصيام . إنما الطاعة الموافقة بامتثال الأمر واجتناب النهى . هذا هو الاصل والقاعدة الكلية . فكم من متعبد بعيد ، لأنه مضيق الاصل وهادم للقواعد بمخالفة الأمر وارتكاب النهى . وإنما المحقق من أسلك ذئابة ميزان المحاسبة للنفس فأدلى ما عليه واجتنب ما نهى عنه . فان رزق زيادة تنفل والا لم يضره السلام .

١٤٦ - فصل - الدنيا في الجملة معبر . فينبغي للإنسان ان لا ينافس بذلك وأن يعبر الأيام . فإنه لو تفكك في كيفية الذبائح ووسخ من يباشرها وعمل السكامخ وغيرها من المأكولات ما طابت له ، ولو تفكك في جولان اللقمة مختلطـة باريق ما قدر على استغتها . فلا يخلو من حالين . اما ان يريد التنسم بالذات المباحات ، او يريد دفع الوقت

بالضرورات . وأيّهـما طلب فلا ينبعـى له ان يبحث فيـما يـنالـه عنـ باطنـه ، فـانـه
لو نـظرـ الى عـورـةـ الزـوجـةـ نـبـاعـنـها ، وـقدـ قـالـتـ عـائـشـةـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهاـ : مـارـأـيـهـ
منـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـلـاـ رـآـهـ مـنـيـ . فـيـنـبـعـىـ لـالـعـاقـلـ انـ يـكـونـ
لـهـ وـقـتـ مـعـلـومـ يـأـمـرـ زـوـجـتـهـ بـالـتـصـنـعـ لـهـ فـيـهـ ثـمـ يـغـمـضـ عـنـ التـنـفـيـشـ لـيـطـيـبـ
لـهـ عـيـشـهـ ! وـيـنـبـعـىـ لـهـ اـنـ تـقـفـدـ مـنـ نـفـسـهـ هـذـاـ فـلاـ تـحـضـرـهـ الاـ عـلـىـ اـحـسـنـ
حـالـ ، وـبـيـثـلـ هـذـاـ يـدـوـمـ الـعـيـشـ . فـاماـ اـذـاـ حـصـلـتـ الـبـذـلـةـ بـاـنـتـ بـهـ الـعـيـوبـ
فـبـيـتـ النـفـسـ وـطـلـبـتـ الـاسـبـدـالـ . ثـمـ يـقـعـ فـيـ الثـانـيـةـ مـثـلـ مـاـ يـقـعـ فـيـ الـاـولـيـ .
وـكـذـلـكـ يـنـبـعـىـ اـنـ يـتـصـنـعـ لـهـ كـتـصـنـعـهـ لـهـ لـيـدـوـمـ الـودـ بـحـسـنـ الـاـتـلـافـ .
وـمـقـىـ لـمـ يـجـرـ الـاـمـرـ عـلـىـ هـذـاـ فـيـ حـقـ مـنـ لـهـ اـنـفـةـ مـنـ شـىـ تـبـوـ عـنـ النـفـسـ
وـقـعـ فـيـ اـحـدـ اـمـرـيـنـ . اـمـاـ الـاعـرـاضـ عـنـهـ . وـاـمـاـ الـاسـبـدـالـ بـهـ . وـيـحـتـاجـ فـيـ
حـالـ الـاعـرـاضـ اـلـىـ صـبـرـ عـنـ اـغـرـاضـهـ ، وـفـيـ حـالـ الـاسـبـدـالـ اـلـىـ فـضـلـ مـؤـنـةـ
وـكـلـاـهـ يـؤـذـىـ . وـمـقـىـ لـمـ يـسـتـعـمـلـ مـاـ وـصـفـنـاـ لـمـ يـطـبـ لـهـ عـيـشـ فـيـ مـقـعـةـ . وـلـمـ
يـقـدـرـ عـلـىـ دـفـعـ الزـمـانـ كـمـاـ يـنـبـعـىـ .

١٤٢ - فـصـلـ - نـازـعـتـنـىـ نـفـسـىـ اـلـىـ اـمـرـ مـكـرـوـهـ فـيـ الشـرـعـ ، وـجـعـلـتـ
تـنـصـبـ لـىـ التـأـوـيـلـاتـ وـتـدـفـعـ الـكـراـهـةـ . وـكـانـ تـأـوـيـلـتـهـ فـاسـدـةـ ، وـالـحـجـةـ
ظـاهـرـةـ عـلـىـ الـكـراـهـةـ . فـلـجـأـتـ اـلـىـ اللـهـ تـعـالـىـ فـيـ دـفـعـ ذـلـكـ عـنـ قـلـبـيـ : وـأـقـبـلـتـ عـلـىـ
الـقـرـاءـةـ . وـكـانـ درـسـيـ قـدـ بـلـغـ اـلـىـ سـوـرـةـ يـوـسـفـ فـاقـتـحـمـتـهـ . وـذـلـكـ اـخـاطـرـ قـدـشـغـلـ
قلـبـيـ حـقـ لـاـ أـدـرـىـ مـاـ اـقـرـأـ . فـلـمـ بـاغـتـ اـلـىـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ «ـقـالـ مـعـاذـ اللـهـ اـنـ رـبـيـ اـحـسـنـ
مـثـواـيـ»ـ اـنـقـبـتـ لـهـ وـكـانـ خـوـطـبـتـ بـهـ ، فـأـقـفتـ مـنـ تـلـكـ السـكـرـةـ ، فـقـاتـ
يـاـنـفـسـ اـفـهـمـتـ ؟ـ هـذـاـ حـرـ بـيـعـ ظـلـمـاـ فـرـاعـيـ حـقـ مـنـ اـحـسـنـ اـلـيـهـ ، وـسـمـاـهـ مـاـ لـكـاـ
وـاـنـ لـمـ يـكـنـ عـلـيـهـ مـلـكـ ، فـقـالـ :ـ اـنـ رـبـيـ . ثـمـ زـادـ فـيـ بـيـانـ مـوـجـبـ كـفـكـفـهـ

ثُمَّا يُؤْذِيهِ فَقَالَ : أَحْسَنْ مَثَوَى - فَكَيْفَ بِكَ وَأَنْتَ عَبْدٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ
 لَمْ يَلِدْ مَا زَالْ يَحْسِنُ إِلَيْكَ مِنْ سَاعَةٍ وَجُودَكَ ، وَأَنْ سَرَهُ عَلَيْكَ الْزَلْلُ
 أَكْثَرُ مِنْ عَدْدِ الْحَصَادِ . افَاتَذْ كَرِينَ كَيْفَ رِبَالْكَ وَعَلَمَكَ وَرِزْقَكَ وَدَافَعَ عَنْكَ ،
 وَسَاقَ الْخَيْرَ إِلَيْكَ ، وَهَذَاكَ أَقْوَمُ طَرِيقٍ ، وَنَجَّاكَ مِنْ كُلِّ كَيْدٍ ، وَضَمَّ إِلَى حَسَنِ
 الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ جُودَةَ الْذَهَنِ الْبَاطِنِ ، وَسَهَلَ لَكَ مَدَارِكَ الْعِلُومِ حَتَّى نَلَتْ
 فِي قَصَصِ الزَّمَانِ مَا لَمْ يَنْلَهُ غَيْرُكَ فِي طَوِيلِهِ ، وَجَلَّ فِي عَرْصَةِ لِسَانِكَ عَرَائِسِ
 الْعِلُومِ فِي حَلْلِ الْفَصَاحَةِ بَعْدَ أَنْ سَرَّ عَنِ الْخَلْقِ مَقَابِحَكَ ، فَتَلَقَّوْهَا مِنْكَ
 بِحَسْنِ الظَّنِّ ، وَسَاقَ رِزْقَكَ بِلَا كَلْفَةٍ تِكْلِفُ وَلَا كَدْرٌ مِنْ ، دَرَغَدَا غَيْرَ
 نَزْدٍ . فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي إِذْ نِعْمَةُ عَلَيْكَ أَشْرَحَ لَكَ ، حَسَنَ الصُّورَةِ وَصَحَّةَ الْآلاتِ ،
 أَمْ سَلَامَةَ الْمَزَاجِ وَاعْتِدَالَ الرِّكَبِ ، أَمْ لَطْفَ الطَّبِيعِ الْخَالِي عَنِ الْخَسَاسَةِ ،
 أَمْ الْهَامِ الرِّشادِ مِنْدَ الصَّفَرِ ، أَمْ الْحَفْظُ بِحَسَنِ الْوَقَايَةِ عَنِ الْفَوَاحِشِ وَالْزَلْلِ ،
 أَمْ تَجْيِيبُ طَرِيقِ النَّفْلِ وَاتِّبَاعُ الْأَثْرِ مِنْ غَيْرِ جُودِهِ عَلَى تَقْلِيدِ لَعْظَمِهِ ، وَلَا
 الْخَرَاطِ فِي سَلَكِ مُبِتَدِعٍ « وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا » كَمْ كَيْدَ نَصْبِ
 لَكَ الْمَكَائِدِ فَوْقَكَ ، كَمْ عَدُوٌّ حَطَّ مِنْكَ بِالذِّمَّةِ فَرْقَكَ ، كَمْ أَعْطَشَ مِنْ
 شَرَابِ الْأَمَانِيِّ خَلْقَهَا وَسَقَكَ ، كَمْ أَمَاتَ مِنْ لَمْ يَلْعَنْ بَعْضَ صَرَادِكَ وَابْقَاكَ .
 فَانْتَ قَصْبَحَيْنِ وَتَمَسِّيْنِ سَلِيمَةِ الْبَدْنِ ، حَمْرَوْسَةِ الدِّينِ ، فِي تَزِيدِ مِنَ الْعِلْمِ
 وَبَلوْغِ الْأَمْلِ ، فَانْمَعَتْ مِرَادًا فَرَزَقَتِ الصَّبِيرُ عَنْهُ بَعْدَ إِنْ تَبَيَّنَ لَكَ وَجْهَ
 الْحَكْمَةِ فِي الْمَنْعِ حَتَّى يَقْعُدَ الْيَقِينُ بِإِنَّ الْمَنْعَ أَصْلَاحٌ . وَلَوْذَهَتْ أَعْدَادُ مِنْ هَذِهِ
 النِّعَمِ مَا نَسْخَ ذَكْرَهُ امْتِلَاتُ الْطَّرْوَسِ وَلَمْ تَنْقُطِعِ الْكِتَابَةُ . وَأَنْتَ تَعَالَمُينَ
 إِنْ مَا لَمْ اذْكُرْهُ أَكْثَرُ . وَإِنْ مَا أَوْمَأْتَ إِلَى ذَكْرِهِ لَمْ يَشْرَحْ . فَكَيْفَ يَحْسِنُ
 بِكَ التَّعْرُضُ بِمَا يَكْرَهُهُ « مَعَذَ اللَّهُ أَنَّهُ رَبِّ الْأَحْسَنِ مَثَوَى إِنْهُ لَا يَفْلَحُ

الظالمون .

١٤٣ — فصل — مارأيت اعظم فتنه من مقاربة الفتنة وقل
أن يقاربها الا من يقع فيها . ومن حام حول الجنى يوشك أن يقع فيه .
قال بعض المعتبرين : قدرت مرة على لذة ظاهرها التحرير ويحتمل الاباحه ،
اذا الامر فيها مردود ، فجاهدت النفس فقالت : انت ما تقدر فلهذا ترك .
مقارب المقدور عليه فإذا تمكنت فتركت كنـت تارـكاً حـقـيقـة ، فـفـعـلت
وتركـت ، ثم عـادـت مـرـة أخـرى فـي تـأـوـيلـ اـرـتـنـىـ فـيـهـ الجـواـزـ وـاـنـ كانـ الـاـمـرـ
يـحـتـمـلـ . فـلـماـ وـافـقـتـهـ اـنـ ذـلـكـ ظـلـمـةـ فـيـلـيـ خـلـوفـ اـنـ يـكـوـنـ الـاـمـرـ محـرـماـ .
فرـأـيـتـ انـهاـ تـارـةـ تـقـوىـ عـلـىـ بـالـتـرـحـصـ وـالتـأـوـيلـ ، وـنـارـةـ اـفـوىـ عـلـيـهـاـ
بـالـجـاهـدـةـ وـالـامـتـنـاعـ . فـاـذـاـ رـخـصـتـ لـمـ آـمـنـ اـنـ يـكـوـنـ ذـلـكـ الـاـمـرـ
محـظـورـاـ . ثـمـ اـرـىـ عـاجـلاـ تـأـثـيرـ ذـلـكـ الفـعـلـ فـيـ القـلـبـ . فـلـماـ لـمـ آـمـنـ عـلـيـهـاـ
بـالـتـأـوـيلـ تـفـكـرـتـ فـيـ قـطـعـ طـمـعـهـاـ مـنـ ذـلـكـ الـاـمـرـ المـؤـثـرـ فـلـمـ اـرـذـلـكـ الـاـبـانـ
قلـتـ لـهـاـ : قـدـرـىـ اـنـ هـذـاـ الـاـمـرـ مـبـاحـ قـطـعاـ . فـوـالـلـهـ الـذـىـ لـاـهـ إـلـاـهـوـ لـاـعـدـتـ
اـلـيـهـ . فـاـنـقـطـعـ طـمـعـهـاـ بـالـيـنـ وـالـمـعـاهـدـةـ ، وـهـذـاـ اـبـلـغـ دـوـاءـ وـجـدـتـهـ فـيـ اـمـتـنـاعـهـ
لـاـنـ تـأـوـيـلـهـاـ لـاـ يـلـغـ اـلـىـ اـنـ تـأـمـرـ بـالـحـنـثـ وـالـتـكـفـيرـ . فـاـجـودـ الـاـشـيـاءـ قـطـعـ
اسـبـابـ الـفـتـنـ وـتـرـكـ الرـحـصـ فـيـمـاـ يـحـوـزـ اـذـاـ كـانـ حـامـلاـ وـمـؤـديـاـ لـمـاـ يـحـوـزـ .
وـالـلـهـ الـمـوـفـقـ .

١٤٤ — فصل — لو لا غيبة العاصي في وقت العاصي كان كالمعاند ،
غير ان الموى يحول بينه وبين الفهم لحال ، فلا يرى الاقضاء شهوته ،
والافلو لاحت له الخالفة خرج من الدين بالخلاف ، فاما يقصد هواه فيقع
الخلاف ضمنا وتبعا . واكثر ما يقع هذا في مقاربة الفتنة . وقل من يسلم

عند المقاربة . لانه كتقديم نار الى حلفا . ثم لوميز العاقل بين قضاء وطره لحظة وانقضاء باقي العمر بالخسرة على قضاء ذلك الوطر لما قرب منه ولو أعطى الدنيا ، غير ان سكرة المهوى تحول بين الفكر وذلك . آه كم من معصية مضت في ساعتها كأنها لم تكون ثم بقيت آثارها ، واقلها مالا يبرح من المرارة في الندم . والطريق الأعظم في الحذر ان لا يتعرض لسبب فتنه . ولا يقاربه . فمن فهو هذا وبالغ في الاحتراز كان الى السلامة أقرب .

١٤٥ -- فصل - البلايا على مقادير الرجال . فكثير من الناس قرائم ساكتين راضين بما عندهم من دين ودنيا ، واوئلهم قوم لم يرادوا لمقامات الصبر الرفيعة ، او علم ضعفهم عن مقاومة البلاء فلطف بهم . اما المحنـة المظمـنـ ان ترزق هـمة عـالـيـة لا تـقـنـعـ منـكـ الا بـتـحـقـيقـ الـورـعـ . ونجـوـيدـ الدـينـ ، وكمـالـ الـعـلمـ . ثم تـبـتـلـيـ بـنـفـسـ تـمـيلـ اـلـىـ الـمـبـاحـاتـ ، وـتـدـعـيـ اـنـهـاـ تـجـمـعـ بـذـالـكـ هـمـهاـ ، وـتـشـفـيـ مـرـضـهـاـ ، لـتـقـبـلـ مـزاـحةـ الـعـلـةـ عـلـىـ تـحـصـيـلـ الـفـضـائـلـ . وهـاتـانـ الـحـالـاتـانـ كـضـدـيـنـ ، لـاـنـ الـدـنـيـاـ وـالـآـخـرـةـ ضـرـتـانـ . وـالـلـازـمـ فـيـ هـذـاـ المـقـامـ مـرـاعـةـ الـوـاجـيـاتـ ، وـاـنـ لـاـ يـفـسـحـ لـنـفـسـ فـيـ مـبـاحـ لـاـيـؤـمـنـ اـنـ يـتـعـدـىـ مـنـهـ اـعـرـاضـ عـنـ وـاجـبـ وـرـعـ . الـمـبـقـىـ يـصـبـيـحـ . فـلـأـنـ يـبـكـيـ الطـفـلـ خـيـرـ مـنـ اـنـ يـبـكـيـ الـوـالـدـ . وـاـعـلـمـ اـنـ فـتـحـ بـابـ الـمـبـاحـاتـ رـبـاـجـ اـذـيـ كـثـيرـاـ فـيـ الـدـينـ . فـأـوـقـ السـكـرـ قـبـلـ فـتـحـ الـمـاءـ ، وـالـبـسـ الـمـدرـعـ قـبـلـ لـقاءـ الـحـربـ ، وـتـلـمـحـ عـوـاقـبـ مـاـنـجـنـيـ قـبـلـ تـحـريـكـ الـيـدـ ، وـاـسـتـظـهـرـ فـيـ الـحـذـرـ بـاجـتـنـابـ ماـيـخـافـ مـنـهـ وـاـنـ لـمـ يـتـيـقـنـ

١٤٦ - فصل - ينبغي لطائب العلم اـنـ يـكـونـ جـلـ هـمـتهـ مـصـرـوفـاـ

الى الحفظ والاعادة . فلو صحي صرف الزمان الى ذلك كان الأولى ، غير ان البدن مطية ، واعداد السير مظاهرة الانقطاع . ولما كانت القوى تكل فتحتاج الى تجديد ، وكان النسخ والمطالعة والتصنيف لابد منه ، مع أن المهم الحفظ ، وجب قسم الزمان على الأمرتين ، فيكون الحفظ في طرف النهار وطرف الليل ، ويوزع الباقي بين عمل بالنسخ والمطالعة ، وبين راحة للبدن وأخذ لحظه . ولا ينبغي أن يقع الغبن بين الشركاء ، فإنه متى أخذ أحدهم فوق حقه أثر الغبن وبان اثره . وان النفس لم تهرب الى النسخ والمطالعة والتصنيف عن الاعادة والتكرار ، لأن ذلك اشهى وأخف عليها . فليحذر الراكب من إهال الناقة ، ولا يجوز له أن يحمل عليها مالاً طلاق طريقه . ومن طوى منازل في منزل أو شاك أن يفوته ماجد لاجله . على أن الانسان الى التحرير أحوال لان^(١) الفتور أولى من الجد . وبعد فاللازم في العلم طلب المهم . فرب صاحب حديث حفظه ثلاثة حديث : من أئمة الجماعة فليغتسل : عشرين طريقا ، والحديث قد ثبت من طريق واحد ، فشغله ذلك عن معرفة آداب الغسل . والعمرا أقصر وأنفس من أن يفرط منه في نفس . وكيف بالعقل مرشد الى الصواب من عضده التوفيق .

١٤٧ - فصل - اذا صحي قصد العام استراح من كلف التكاليف فان كثيرا من العلماء يأنفون من قول لأدرى ، فيحفظون بالفتوى جاههم عند الناس لثلا يقال جهلو الجواب ، وان كانوا على غير يقين مما قالوا . وهذا نهاية الخذلان . وقد روى عن مالك بن انس أن رجلا سأله عن مسئلة

(١) كذا في النسخ الثلاثة

فقال : لا أدرى ، فقال سافرت البلدان إليك ، فقال ارجع الى بلدك وقل
سألت مالكا فقال لا أدرى . فانظرو الى دين هذا الشخص وعقله كيف
استراح من السلفة ، وسلم عند الله عز وجل . ثم ان كان المقصود الجاه
عندهم فقلوبهم بيد غيرهم . والله لقد رأيت من يكثر الصلاة والصوم
والصلوة ، ويتحمّل في نفسه ولباسه والقلوب تتبع عنه ، وقدره في النفوس
ليس بذلك . ورأيت من يلبس فاخر الشياطين وليس له كبير نفل ولا تخشع
والقلوب تهافت على محبته . فتدبرت السبب فوجده سريره . كما دوى
عن انس بن مالك أنَّه لم يكن له كبير عمل من صلاة وصوم ، وإنما كانت له سريرة .
فن أصلاح سريرته فاح عبير فضله . وعقبت القلوب بنشر طيبه . فالله الله
في السرائر . فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح ظاهر .

١٤٨ - فصل - نزلت في شدة وأكثرت من الدعاء أطلب الفرج
والراحة ، وتأخرت الاجابة ، فانزعجت النفس وفاقت ، فصحت بها يلوك ،
تأملت أمرك . أملوكة أنت أم حرة مالكة ؟ أم مدبرة ؟ أم مدبرة ؟
أما عامت أن الدنيا دار ابتلاء واختبار ، فإذا طابت أغراضك ولم تصبرى
على ما ينافي مرادك فain الابلاء . وهل الابلاء الا الاعراض وعكس
المقادير . ففهم معنى التكاليف وقدهان عليك ماعز ، وسهل ما استصعب .
فلمما تدبرت ماقاتيه سكتت بعض السكون . فقلت لها : وعندى جواب
نان وهو انك تقتضين الحق باغراضك ولا تقتضين نفسك بالواجب له .
وهذا عين الجهل . وإنما كان ينبغي أن يكون الامر بالعكس ، لأنك مملوكة
والمملوك العاقل يطالب نفسه باداء حق المالك ، ويعلم أنه لا يجب على
المالك تبليغه ما يهوى . فسكتت أكثر من ذلك السكون . فقلت لها :

وعندى جواب ثالث . وهو أنك قد استبطأت الاجابة وانت سددت طرقها بالمعاصى . فلو قد فتحت الطريق أسرعـت ، كأنك ماعلمت أن سبب الراحة التقوى . أو ما سمعت قوله تعالى « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويزقه » ، « يجعل له من أمره يسراً ، وأو ما فهمت أن العكس بالعكس ؟ آه من سكر غفلة صار أقوى من كل سكر في وجه مياه المراد يمنعها من الوصول الى من زرع الامانى . فعرفت النفس أن هذا حق فاطئـت . قلـت : وعندى جواب رابع . وهو أنك تطلبين مـا لا تـعاملين عـاقبته وربما كان فيه ضررك . فمثلـك كـمثل طفل محـوم يـطـاب الحـلوـي . والمـبرـلكـ أعلمـ بالـمـصالـحـ . كـيفـ وـقـدـ قـالـ « وـعـيـىـ أـنـ تـكـرـهـواـ شـيـئـاـ وـهـوـ خـيـرـ لـكـ » ، فـلـماـ بـاـنـ الصـوـابـ لـلـنـفـسـ فـهـذـ الـاجـوبـةـ ، زـادـتـ طـائـيـنةـهـ . فـقـاتـ لهاـ : وـعـنـدـىـ جـوـابـ خـامـسـ . وـهـوـ أـنـ هـذـاـ المـطـلـوبـ يـنـقـصـ مـنـ أـجـرـكـ ، وـيـخـطـ مـنـ مـرـتـبـكـ . فـنـعـمـ الـحـقـ لـكـ مـاـهـذـاـ سـبـيلـهـ عـطـاءـ مـنـهـ لـكـ . وـلـوـ أـنـكـ طـلـبـتـ مـاـيـصـلـحـ آخـرـتـكـ كـانـ أـوـلـىـ لـكـ . فـأـوـلـىـ لـكـ أـنـ تـفـهـمـيـ مـاـقـدـ شـرـحتـ . فـقـالـتـ : لـقـدـ شـرـحتـ فـيـ رـيـاضـ مـاـشـرـحتـ ، فـهـمـتـ اـذـ فـهـمـتـ .

١٤٩ - فصل — حضرنا بعض أعدية أرباب الأموال ، فرأيت العلـماءـ أـذـلـ النـاسـ عـنـدـهـمـ . فـالـعـلـماءـ يـتوـاضـعـونـ لـهـمـ وـيـذـلـونـ لـمـوـضـعـهـمـ فـيـهـ . وـهـمـ لـاـ يـحـفـلـونـ بـهـمـ لـمـاـ يـعـلـمـونـ نـهـمـ اـحـتـيـاجـهـمـ لـيـهـمـ . فـرـأـيـتـ هـذـاـعـيـبـاـ فـيـ الـفـرـيقـيـنـ . أـمـاـ فـيـ أـهـلـ الدـنـيـاـ فـوـجـهـ الـعـقـبـ أـنـهـمـ كـانـواـ يـنـبـغـيـ لـهـمـ تعـظـيمـ الـعـلـمـ . وـلـكـ جـهـلـهـمـ بـقـدـرـهـ فـاتـهـمـ وـآـثـرـواـ عـلـيـهـ كـسـبـ الـأـمـوـالـ . فـلـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـطـلـبـ مـنـهـمـ تعـظـيمـ مـاـلـاـ يـعـرـفـونـ وـلـاـ يـعـلـمـونـ قـدرـهـ . وـإـنـاـ أـعـودـ بالـلـوـمـ عـلـىـ الـعـلـمـاءـ وـاقـولـ : يـنـبـغـيـ لـكـ أـنـ تـصـوـنـواـ أـنـفـسـكـمـ الـتـيـ شـرـفتـ

بالعلم عن الذل للانذال . وان كنتم في غنى عنهم كان الذل لهم والطلب منهم حراما عليكم . وان كنتم في كفاف فلم تؤثروا التنزه عن الذل بالعفة عن الحطام الفاني الحالصل بالذلة . الا انه يتخيل لي من هذا الامر ، اني عامت قلة صبر النفس على الكفاف والعزوف عن الفضول ، فان وجد ذلك منها في وقت لم يوجد على الدوام . فالاولى للعالم أن يجتهد في طلب الغنى ، ويبالغ في الكسب ، وان ضاع بذلك عليه كثير من زمان طلب العلم . فانه يصون بعرضه عرضه . وقد كان سعيد بن المسيب يتجر في الزيت وخلف مالا . وخلف سفيان الثورى مالا وقال لولاه لمن مدلوابي . وقد سبق في كتابي هذا في بعض الفضول شرف المال ، ومن كان من الصحابة والعلماء يقتنيه ، والمر في فعلهم ذلك . وحى طالب العلم على ذلك ما ينتهى من ان النفس لا تثبت على التعفف ، ولا تصبر على دوام التزهد . وكم قد رأينا من شخص قويت عزيمته على طلب الآخرة فاخراج ما في يده ، ثم ضعفت فعاد يكتسب من أفحى وجه . فالاولى ادخار المال والاستغناء عن الناس . وينخرج الطمع من القلب . ويصفوا نشر العلم من شأنه ميل . ومن قابل اخبار الاختيار من الاحباء وجدتهم على هذه الطريقة . وانما سلك طريق الترفة عن الكسب من لم يؤثر عنده بذل الدين والوجه . فطلب الراحة ونسى انه في المعنى عناء . كما فعل جماعة من جهال المتصوفة في اخراج ما في أيديهم وادعاء التوكل . وما علموا أن الكسب لا ينافي التوكل . وانما طلبوها طريق الراحة وجعلوا التعرض للناس كسبا . وهذه طريقة مركبة من شيئين . أحدهما قلة الأفة على العرض . الثاني قلة العلم .

١٥٠ - فصل ! - تأملت وقوع المعاصي من العصاة فوجدهم

لَا يقصدون العصيان ، وانما يقصدون موافقة هوام ، فتتبع العصيان تبعاً .
 فنظرت في سبب ذلك الاقدام مع العلم بوقوع المخالفة فإذا به ملاحظتهم
 لكرم الخالق . وفضلة الزاخر . ولو أنهم قاموا عظمته وهيبة ما انبسطت
 كف بمخالفته . فإنه ينبغي والله أن يحذر من أقل فعله تعليم الخلق بالموت ،
 حتى القاء الحيوان البهيم للذبح ، وتعذيب الأطفال بالمرض ، وفقر العالم ،
 وغنى الجاهل . فليعرض المقدم على الذنوب على نفسه الحذر من هذه صفتة .
 فقد قال الله تعالى «ويحذركم الله نفسه» وملاحظة أسباب الخوف أدنى إلى
 الأم من ملاحظة أسباب الرجاء . فالخائف آخذ بالحزن ، والراجي متყاق
 بجهل طمع . وقد يختلف الظن .

١٥١ - فصل - رأيت عموم أرباب الأموال يستخدمون العلامة
 يستذلونهم بشيء يسير يعطونهم من زكاة أموالهم . فإن كان لا أحد لهم خاتمة
 قال فلان ماحضر . وإن مرض قال فلان ماردد . وكل منته عليه شيء نزد
 يجب تسليمها إلى مثله . وقد رضى العلامة بالذل في ذلك لوضع الضرورة فرأيت
 أن هذا جهل من العلامة بما يجب عليه من صيانة العلم . ودواؤه من جهةين .
 أحداهما القناعة باليسير . كما قيل : من رضى بالخل والبقل لم يستعبد أحد .
 والثاني صرف بعض الزمان المصروف في خدمة العلم إلى كسب الدنيا . فإنه
 يكون سببا لاعزار العلم ، وذلك أفضل من صرف جميع الزمان في طلب
 العلم ، مع احتمال هذا الذل . ومن تأمل ما تأملته وكانت له أنسنة قدر قوته .
 واحتفظ بما معه ، أوسع في مكتسب يكفيه . ومن لم يأنف من مثل هذه
 الأشياء لم يحظ من العلم إلا بصورته دون معناه .

١٥٢ - فصل - مدار الأرض كله على العقل . فإنه إذ تم العقل

لم يعمل صاحبه الا على أقوى دليل . وثمرة العقل فهم الخطاب ، وتامح
 المقصود من الامر . ومن فهم المقصود وعمل على الدليل كان كالباني على
 أساس وثيق . وانى رأيت كثيرا من الناس لا يعملون على دليل . بل كيف
 اتفق . وربما كان دليلا لهم العادات . وهذا أقبح شيء يكون . ثم رأيت
 خلقا كثيرا لا يتبعون الدليل بطريق ايمانه كاليهود والنصارى ، فانهم يقلدون
 الآباء ولا ينظرون فيما جاء من الشرائع هل صحيح أم لا . وكذلك يثبتون
 الله ولا يعرفون ما يجوز عليه مما لا يجوز ، فينسبون اليه الولد ، وينعون
 جواز تغييره ما شرع . وهؤلاء لم ينظروا حق النظر لاف انبات الصانع
 وما يجوز عليه ، ولا في الدليل على صحة النبوات ، فتفق أعمالهم ضائعة كالباني
 على رمل . ومن هذا القبيل في المعنى قوم يتبعدون ويتزهدون وينصبون
 أبدانهم في العلم باحاديث باطلة . ولا يسألون عنها من يعلم . ومن الناس
 من يثبت الدليل ولا يفهم المقصود الذي دل عليه الدليل . ومن هذا الجنس
 قوم سمعوا ذم الدنيا فتذبذبوا ، وما فهموا المقصود ، فظنوا أن الدنيا تذم
 لذاتها وان النفس تحب عداوتها ، فحملوا على أنفسهم فوق ما يطاق .
 وعد بهما بكل نوع . ومنعوها حظوظها . جاهلين يقول عليه الصلاة والسلام :
 ان لنفسك عليك حقا . وفيهم من ادته الحال الى ترك الفرائض . ونحو
 الجسم . وضعف القوى . وكل ذلك اضعف الفهم للمقصود والتامح الممراد .
 كما روى عن داود الطائي انه كان يترك ماء في دن تحت الارض فيشرب منه
 وهو شديد الحر . وقل لسفيأن اذا كنت تأكل اللذيد الطيب ، وشرب الماء
 البارد المبرد ، فتتحب الموت والقدوم على الله . وهذا جهل بالمقصود . فان
 شرب الماء الحار يورث امراض في البدن ولا يحصل به الرى . ومنا أمرنا

بتغذیب انفسنا في الصورة، بل بخلاف ما تدعوا اليه من مانع الله عنه
وفي الحديث الصحيح : أن ابا بكر رضي الله عنه لما حلب له الراعي في
طريق الهجرة صب الماء على القدح حتى برد أسفله ، ثم سقى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وفرش له في ظل صخرة . وكان يستعذب لرسول
الله صلي الله عليه وسلم الماء . وقال : إن كان عندكم ماء بات في شن والا
كرعنا . ولو فهم داود رحمه الله ان اصلاح عاف الناقة متعين لقطع النزل
لم يفعل هذا . ألا ترى الى سفيان الثورى فانه كان شديد المعرفة والخوف
وكان يأكل كل الذي ويكسر : ان الدابة اذا لم يحسن اليها لم تعمـل . ولعل
بعض من لم يسمع كلامي هذا يقول : هذا ميل على الزهد . فاقول :
كن مع العلماء وانظر الى طريق الحسن . وسفيان . ومالك . وابي حنيفة .
واحمد . والشافعى . وهؤلاء اصول الاسلام . ولا تقلد دينك من قل
علمه وان قوى زهده . واجعل امره على انه كان يطيق هذا ولا تقتند بهم
فيما لا يحيى من مكرره . مثاله أنه قد ثبت بالدليل القاطع حكمة الخلق
عزوجل وملكيه وتدبره . فإذا رأى الانسان عالما محروما . وجاهـلا
مرزواقا ، أوجب عليه الدليل المثبت حكمة الخالق التسليم اليـه ، ونسبة
العجز عن معرفة الحكمة الى نفسه . فان اقواما لم يفعلوا ذلك جهلا منهم
أف Ibrahim بما اذا حكموا بفساد هذا التدبر ؟ أليس بمقتضى عقوتهم

١٥٣ - فصل - الواجب على العاقل أن يتبع الدليل ثم لا ينظر
فيما لا يحيى من مكررـه . مثالـه أنه قد ثبت بالدليل القاطع حـكمة الخـالق
عزوجـل وملـكيـه وتدـبرـه . فإذا رأـى الانـسان عـالـما محـرـومـا . وجـاهـلا
مرـزاـقا ، أـوجـب عـلـيـه الدـلـيـل المـثـبـت حـكـمة الـخـالـق التـسـلـيم إـلـيـه ، وـنـسـبـة
الـعـجـز عـن مـعـرـفـة الـحـكـمة إـلـى نـفـسـه . فـان اـقـوـاـمـا لمـيـفـعـلـوا ذـلـك جـهـلاـمـنـهـمـ
أـفـقـارـاـهـمـ بـعـاـذا حـكـمـوا بـفـسـادـهـذـا التـدـبـرـ ؟ أـلـيـسـ بـمـقـضـيـ عـقـوـتـهـمـ ؟

أو ما عقولهم من جملة مواهبه ؟ فكيف يحكم على حكمته وتدبره ببعض
مخلوقاته التي هي بالإضافة إليه انقص من كل شيء ؟ ولقد بلغى عن اللعين
ابن الروندى انه كان جائساً على الجسر وفي يده وغيف ياً كله ، فجازت
خييل وأموال فقال : من هذه ، فقيل لفلان الخادم . فجازت خيل وأموال
قال : من هذه فقيل لفلان الخادم . فلما صرخ الخادم رأى شخصاً محتقرًا ، فرمى
الرغيف إلى ناحيته وقال : وهذا لفلان ماهذا القسمة . ولو فكر المدبر
لبانت له وجوه أقiera جهله بمن يدعى معرفته وقلة تعظيمه . وذلك يوجب
عليه أشد مما كان فيه من تضييق العيش . ولكن ميراث أبييس ، حيث
اعتقد سوء التدبير في تقضييل آدم عليه السلام . فالعجب من تلميذ
يتعلم على أستاذه ، ومن مملوك يتنهى على سيده . وما ينبغي أن
يتبع فيه الدليل ولا يلتفت إلى ماجنت الحال ، إن العلم اشرف
مكتسب . وقد رأى جماعة من الجهلة قلة حظوظ العلماء من الدنيا
فازروا على العام وقلوا لافائدة فيه . وذلك لجهلهم بقدر العلم ، فإن
تابع الدليل لا يبالي ماجني . وإنما يبين الاختبار بفقد الغرض . ولو لم
يكن من الدليل على صدق نبينا صلي الله عليه وسلم الاعراض عن الدنيا
وتضييق العيش عليه ، ثم لم يختلف شيئاً وحرم أهله الميراث . فدل على
صدق طلبه لطواب آخر . وربما رأى الجاهل قوماً من العلماء يفعلون
خطيئة فيزدرى على العلم ويدعوه ناقصاً وهذا غلط كبير . فليتق الله العاقل
ويعمل بمقتضى العقل فيما يأمر به من طاعة الله تعالى والعمل بالعلم . وليعلم
إن الابتلاء في الصبر على فوات المطلوبات ، وليلزم اتباع الدليل وان جنى
مكروهاً والله الموفق .

١٥٤ - فصل - قرأت سودة يوسف عليه السلام . فتعجبت من مدحه عليه السلام على صبره وشرح قصته للناس ورفع قدره بترك ماترك ، فتأملت خبيثة الأمر فإذا هي مخالفة الهوى المكرورة . فقلت : واعجبنا لو وافق هواه من كان يكون ، ولما قد خالفه لقد صار أمراً عظيماً يضرب الأمثال بصبره ، ويفتخرون على الخلق باجتهاده . وكل ذلك قد كان بصبر ساعة في إله عز وفخر . يقاوم كل لحظة من ذكره أمثال ساعة الصبر عن المحبوب . وبالعكس منه حالة آدم في موافقته هواه ، لقد عادت نقيصة في حقه أبداً لو لا التدارك فتاب عليه فقاموا رحمة الله عاقبة الصبر ونهاية الهوى . فالعقل من ميز بين الأمرين . الحلوين والمريرين . فان من عدل ميزانه ولم تتم به كفة الهوى رأى كل الارباح في الصبر ، وكل الخسران في موافقة النفس . وكفى بهسناً موعدة في مخالفة الهوى لأهل النهى
والله الموفق

١٥٥ - فصل - رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب ، الا ان يمزج بالرقائق والنظر في سير السلف الصالحين . فاما مجرد العلم بالحلال والحرام فليس له كبير عمل في رقة القلب وانما ترق القلب بذكر رقائق الاحاديث ، واخبار السلف الصالحين . لانهم تناولوا مقصد النقل ، وخرجوا عن صور الافعال المأمور بها الى ذرق معانيها والمراد بها . وما اخبرتك بهذا الا بعد معالجة وذوق . لاني وجدت جهود المحدثين وطلاب الحديث همة احمد في الحديث العالى وتکثير الاجزاء . وجهود الفقهاء في علوم الجدل وما يغالي به الخصم . وكيف يرق القلب من هذه الاشياء . وقد كان جماعة من السلف يقصدون العبد الصالحي للنظر

إلى سنته و هديه . لا لاقتباس عالمه . وذلك ان ثرة عالمه هديه و سنته . فافهم
هذا او امزج طلب الفقه والحديث بطالعة سير السلف والزهاد في الدنيا
ليكون سبباً لرقة قلبك . وقد جمعت لكل واحد من مشاهير الاخيار
كتاباً فيه أخباره وآدابه . فجمعت كتاباً في أخبار الحسن ، وكتاباً في أخبار
سفيان الثوري ، وابراهيم بن ادهم ، وبشر الحافي ، واحمد بن حنبل ،
ومعروف ، وغيرهم من العلماء والزهاد . والله الموفق للمقصود . ولا يصلح
العمل مع قلة العلم . فهم ما يضر ضرب المثل كسائر وقائد والنفس بينهما حرون
ومع جد السائق والقائد ينقطع المنزل . ونعود بالله من الفتور .

١٥٦ - فصل - ترخصت في شيء يحيى وزف بعض المذاهب
فوجدت في قلبي قسوة عظيمة . وتخايل لي نوع طرد عن الباب ، وبعد
ظلمة تكاففت . فقلت نفسي : ماهذا . أليس ما خرجت عن اجماع
الفقهاء . فقلت لها : يانفس السوء جوابك من وجهين . احدهما أنك
تأولت مالا تعتقدين فلو استفتيت لم تفت بما فعلت . قالت : لو لم اعتقاد
جواز ذلك ما فعلته . قلت : الا ان اعتقادك ماترضيته لغيرك في الفتوى .
والثاني انه ينبغي لك الفرح بما وجدت من الظلمة عقيب ذلك ، لأنه لو لا
نور في قلبك ما اثر مثل هذا عندك . قالت فلقد استوحوشت بهذه الظلمة
المتجدددة في القلب . قلت : فاعزم على الترک وقدري ما توكت جائز بالاجماع ،
وعدى هجره ورعا ، وقد سلمت .

١٥٧ - فصل - ما أفادنى تجارب الزمان انه لا ينبغي لأحد أن يظاهر
بالعداوة أحدا مهما استطاع ، فإنه ربما يحتاج اليه . وان الانسان قد لا يظن
الحاجة اليه يوماً ما كما قد يحتاج الى عويد منبوذ لا يلتفت اليه . وكم من

محتمل احتياج اليه . وان لم تقع الحاجة الى ذلك الشـــخص في جلب نفع وقعت الحاجة في دفع ضر . ولقد احتجت في عمرى الى ملاطفة اقوام ماخطر لى قط وقوع الحاجة الى التلطاف بهم . واعلم ان المظاهرة بالعداوة قد تجلب اذى من حيث لا يعلم . لان المظاهر بالعداوة كشهر السيف ينتظر مضرها . وقد يلوح مضرب خفى ، وان اجهته المتدرع في ستر نفسه فيغتنمه ذلك العدو . فينبغي لمن عاش في الدنيا أن يجتهد في ان لا يظهر بالعداوة أحداً ما يلتفت من وقوع احتياج الخلق بعضهم الى بعض واقدار بعضهم على ضر بعض . وهذا فصل مفيد تبيان فائدته للانسان مع تغلب الزمان .

١٥٨ - فصل - رأيت النفس تنظر الى ثلات أبواب الدنيا العاجلة وتنسى كيف حصلت وما يتضمنها من الآفات . وبيان هذا انك ان رأيت صاحب امارة وسلطنة فتأمّلت نعمته وجدتها مشوبة بالظلم . فان لم يقصد هو حصل من عالمه . ثم هو خائف متزعج في كل اموره حذرا من عدو ان يسممه قاتق من هو فوقه ان يعزله . ومن نظيره ان يكيمه . ثم كثُر زمانه يمضي في خدمة من يخافه من السلاطين ، وفي حساب اموالهم ، وتنفيذ اوامرهم التي لا تخليوا من اشياء منكرة . وان عزل أربى ذلك على جميع مثالى من لذة . ثم تلك اللذة تكون معنورة بالخذر فيها ومنها وعليها . وان رأيت صاحب تجارة رأيته قد تقطع في البلاد ، فلم ينزل مثالى الا بعد علو السن وذهب زمان اللذة . كما حكى ان رجلاً من أولاد الرؤساء كان حال شبيبة فقيراً ، فلما كبر استغنى وملك اموالاً واشتري عبيداً من الترك وغيرهم وجوار من الروم فقال هذه الايات في شرح حاله :

ما كنت أرجوه إذ كنت ابن عشرين
 تطوف بي من الاتراك أغزلة
 وخرد من بنات الروم دائمة
 يغمزني بأساريع منعمة
 يردن أحيماء ميت لا حراك به
 قالوا أينك طول الليل يسهرنا فما الذي تستذكر قلت الماينينا
 وهذه الحالة هي الغالية ، فإن الإنسان لا يكاد يجتمع له كل ما يحبه إلا عند
 قرب رحيله ، فإن بدر ما يحب في بداية شبابه فالصبوة مانحة من فهم التدابير
 في الالتماذ ، والانسان في حالة الصبوة لا يدرى أين هو الآن يبلغ ، فإذا
 بلغ كانت همه في المنكر كيف اتفق ، وإن تزوج جاء الأولاد فمنعوه
 المذلة وانكسر في نفسه وافتقر إلى السكوب عليهم ، فيه ما هو قد دعك
 في تلك المدينة القريبة الثلاثين وخطه الشيب فانفرق من نفسه لعله
 إن النساء يتفرقن منه كما قال ابن المعتز بالله :

لقد أتعبت نفسي في مشيبي فكيف تجني آخر دالكماب
 فإذا فيهم المتعتم بالستحسنات ، وخرج عن طلب صودة النكاح ، لم يجعلهما
 لا يبلغ به المراد ، فإن كسب ضاع زمان تتعه ، وإذا تم المطلوب فالشيب
 أقبح قدى وأعظم مبغض . ثم ان صاحب المال هو خائف على ماله ، محاسب
 لمعامليه ، مذموم ان اسرف وان قرر ، ولده يرصد موته ، وجاريته قدلا
 ترضى بشخصه ، وهو مشغول بحفظ حواشيه ، فقد مضى زمانه في محن ،
 واللذات فيها خلس معتادة لالذة فيها ، ثم في القيامة يخشى الامير والتاجر ، الا
 من عصيم الله فياك ايها أن تنظر الى صورة نعيمهم فإنه تستطعيمه بعدده

عنك ، ولو قد نلت برد عندك ، ثم في ضمنه من محن الدنيا والآخرة مالا يوصف فعليك بالقناعة مما أمكن ، وفيها سلامه الدنيا والدين . وقد قيل لبعض الزهاد وعنه خبر يابس : كيف تشتهرى هذا . فقال . أتركه حتى أشتهر به .

١٥٩ - فصل - وقع بيني وبين أرباب الولايات نوع معاداة لاجل المذهب . فاني كنت في مجلس التذكير ان القرآن كلام الله وأنه قديم ، وأقدم أبا بكر ، واتفق في أرباب الولايات من يميل الى مذهب الاشعرى ، وفيهم من يميل الى مذهب الروافض ، وتعالوا على في الباطن ، فقلت يوما في مناجاتي للحق سبحانه وتعالى : سيدى نواصى الكل ييدك ، وما فيهم من يقدر لي على ضر ، الا أن تحرره على يده ، وانت قلت سبحانه لك « وما هم بضارين به من أحد الباذن الله » وطبيت قلب المبتلى بقولك : « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » فان اجريت على أيدي بعضهم ما يوجب خذلانى كان خوف على مانصرته اكثير من خوف على نفسى ، ثلا يقال لو كان على حق ماخذل وان نظرت الى تقصيرى وذنبي فاني مستحق للخذلان ، غير انى اعيش بما نصرته من السنة ، فادخلنى في خفارته ، وقد استودعني اياك خلق من صالحى عبادك ، فان لم تحفظنى في فاحفظنى بهم . سيدى انصرنى على من عادنى ، فانهم لا يعرفونك كما يبنى ، وهم معرضون عنك على كل حال ، وأنا على تقصيرى اليك انسب .

١٦٠ - فصل - روى عن الحجاج الصوف انه كان يقصد الشمس في الحر الشديد وعرقه يسيل ، فجاز بعض العقلاء فقال : يا أحمق هذا تقواى على الله تعالى . وما أحسن ما قال هذا : فانه ما وضع الله كليف الا على

خلاف الأغراض ، وقد يخرج صاحبه إلى أن يعجز عن الصبر . فالجاهل الأحمق من تقواى ويسأله البلاء كما قال ذلك الابله : فكيف مأشئت فاختبرنى .

١٦١ - فصل - والسعيد من ذل وسائل العافية ، فإنه لا يوهب العافية على الاطلاق فلا بد من بلاء ، فلا يزال العاقل يسأل العافية لتغلب على جهود أحواله فيقرب الصبر على يسير البلاء . وفي الجملة ينبغي للإنسان أن يعلم أنه لا سبيل إلى محبوباته ، ففي كل جرعة غصص ، وفي كل لقمة شجنا :

وكم من يعشق الدنيا قديما ولكن لا سبيل إلى الوصال

وعلى الحقيقة ما الصبر إلا على الأ福德ار ، وقل أن تجري الأقدار الأعلى خلاف مراد النفس : فالعاقل من دارى نفسه في الصبر بوعد الأجر ، وتسييل الامر ، ليذهب زمان البلاء سالما من شكوى ، ثم يستغفث بالله تعالى سائل العافية ، فاما المتجلد فما عرف الله قط . نعوذ بالله من الجهل به ، ونسأله عرفاً ، انه كريم مجيب .

١٦٢ - فصل - الماجدة السليمة والطريق القوية ، الاقتداء بصاحب الشرع . والبدار إلى الاستنان به ، فهو الكامل الذي لا نقص فيه فان خلقا كثيرا انحرفو إلى جادة الزهد ، وحملوا أنفسهم فوق الجهد ، فافقوا في أواخر العمر ، والبدن قد نفك ، وفاقت أمور مهمة من العلم وغيره . وان أقواما انحرفو إلى صورة العلم فبالغوا في طلبه ، فافقوا في أواخر قدم ، وقد فاتتهم العمل به . فطريق المصطفى صلى الله عليه وسلم العلم والعمل ، والتقططف بالبدن ، كما أوصى عبد الله بن عمر عمرو بن العاص وقال له : ان انفسك عليك حقا ، ولزوجك عليك حقا ، فهذه هي الطريق الوسطى

الفصل . فاما اليقظ المجرد ، فكم فوت من علم ، لو حصل نيل به اكثير مانيل
 بالعمل ، فان مثل العالم كرجل يعرف الطريق ، والعبد جاهل بها ، فيمشي
 العبد من الفجر الى العصر ، ويقوم العالم قبيل العصر فيلتقيان وقد سبق
 العالم فضل شوطه . فان قال قائل : بين لي هذا ، قلت : صورۃ التعبد خدمة الله
 تعالى ، وذل له ، وربما لم يطلع العبد على معنی تلك الصورة ، لا به رباط ان انه
 أهل لوجود الكرامة على يده ، وانه مستحق تقبيل يده ، او انه خير من
 كثير من الناس ، وذلك كله لفترة العلم . وأعني بالعلم فهم أصحاب العلم ، لا كثرة
 الرواية ومطالعة مسائل الخلاف ، فاذا طالع العالم الاصول ، سبق هذا العبد
 بحسن خلق ، ومداراة الناس ، وتواضعه في نفسه ، وارشاده اخلاق الى الله
 تعالى ، فيعسر على هذا العبد ، وهو في ليل جهله بالحال راقد . ربما تزوج
 العبد ثم حمل نفسه على التجفف فليس زوجته عن مطلوبها ولم يطلقها ،
 وصار كالتي حبست المرة فلا هي اطعمتها ولا هي ارسلتها انما كل من خشاش
 الارض . ومن تأمل حالة الرسول صلى الله عليه وسلم ، رأى كاملا من اخلاق
 يعطي كل ذي حق حقه ، فتارة يزح ، وتارة يضحك ، ويداعب الاطفال ،
 ويسمع الشعر ، ويتكلم بالمعاريف ، ويحسن معاشرة النساء ، ويأكل ماقدر
 عليه وفتح له ، وان كان لذينا كالعدل ، ويستعدب له الماء ، ويفرش له
 في الظل ، ولم يذكر ذلك . ولم يسمع عنه بمثل ماحدث بعده من جهال
 المقصوفة والمترهدية ، من منع النفس شهوتها على الاطلاق . فقد كان
 يا كل البطيخ بالرطب ، ويقبل ، ويص العسان ، ويطلب المستحسنات . فاما
 اكل خبز الشعير وزن المأكول ، وتجفيف البدن ، وبحر كل مشتهي ، فانه
 تعذيب للنفس ، وهدم للبدن ، لا يقتضيه عقل ، ولا يمدحه شرع . وانا

اقتنع أقوام بالقليل ، لأسباب مثل ان حدثت شبهة فتقملوا ، او اختلط
 طعام بطعم فتورعوا . ثم كان النبي صلى الله عاليه وسلم يوف العيادة
 حفها بقيام الليل والاجتهاد في الذكر . فعليك بطريقته التي هي أكمل
 الطرق بشرعيته التي لا شوب فيها . ودع حديث فلات وفلان من
 الزهاد ، واحمل أمرهم على أحسن حمل ، وأقم لهم الاعذار مما قدرت ،
 فإن لم تجد عذرًا فهم محجوجون بفعله ، اذ هو قدوة الخلق ، وسيمد
 العقلاء . وهل فسد الناس الا بالانحراف عن الشريعة ! ولقد حدثت
 آفات من المتصوفة والمتزهدية ، خرقوا بها شبكة الشريعة وعبروا ،
 فمنهم من يدعى الحبّة والشوق ، ولا يعرف المحبوب ، فتراه يصيح ويستغفّل
 ويُعزّق ثيابه ويخرج عن حد الشرع بدعواه ومضمونها . ومنهم من حمل
 على نفسه بالجوع والصوم الدائم ، وقد صرّ عن النبي صلى الله عاليه وسلم
 أنه قال لعبد الله بن عمر : صم يوماً وافطر يوماً ، فقال أريد أفضل من ذلك
 فقال لا أفضل . وفيهم من خرج إلى السياحة فأفّات نفسه الجماعة ،
 وفيهم من دفن كتب العلم وقعد يدلي ويصوم ، ولم يعلم أن دفتها خطأ
 قبيح ، لأن النفس تغفل وتحتاج إلى التذكرة في كل وقت ، ونعم المذكرة
 كتب العلم . وإنما دخل البليس على كل قوم منهم من حيث قدر ، وكان مقصوده
 بدفع السكتة اطفاء المصباح ، ليسير العابدى في الظامة . وما أحسن ما قال بعض
 العامـاءـ لـرـجـلـ سـأـلـهـ فـقـالـ : أـرـيدـ أـمـضـىـ إـلـىـ جـبـلـ الـآـكـامـ ، فـقـالـ هـذـهـ
 - هـوـ كـلـهـ - وـهـذـهـ كـلـةـ عـامـيـةـ مـعـنـاهـ حـبـ الـبـطـاطـةـ . وـعـلـىـ الـحـقـيقـةـ الـزـهـادـ فـيـ
 مـقـامـ الـخـفـافـيـشـ ، قـدـ دـفـنـوـ اـنـفـسـهـمـ بـالـعـزـلـةـ عـنـ نـفـعـ النـاسـ ، وـهـىـ حـالـةـ حـسـنةـ
 اـذـ لـمـ تـمـنـعـ مـنـ خـيـرـ مـنـ جـمـاعـةـ ، وـاتـبـاعـ جـنـازـةـ ، وـعـيـادـةـ مـرـيـضـ ، الـاـنـهـ حـالـةـ

الجبناء ، فاما الشجعان فهم يتعلمون ويعلمون . وهي مقامات الانبياء عليهم السلام أترىكم بين العابد اذا نزلت به حادثة وبين الفقيه ؟ بالله لوما اخلق الى التعبد لضاعت الشريعة . على أنه لوفهم معنى التعبد لم يقتصر به على الصلاة والصوم فرب ما شف حاجة مسلم فضل تعبده ذلك على صوم سنة والعمل بالبدن سعي الآلات الظاهرة . والعلم سعي الآلات الباطنة من العقل والفكر والفهم ، فلذلك كان أشرف . فان قلت : كيف تندم المعتزليين للشر الى التعبد : قلت : ما أذهم ، بل حدثت منهم حوادث اقتضاها الجهل من الدعاوى والآفات التي سببها قلة العلم ، وحملوا على أنفسهم التي ليست لهم وعن غير اذن لا أمر مالم يجز حتى أن أحدهم يرى أن فعل ما يؤذى النفس على الاطلاق فضيلة ، حتى قال بعض الحمقى : دخلت الحمام فوجدت غفلة ، فآليت أن لا أخرج حتى أسبح كذا وكذا تسبيحة ، فطال الأمر فمرضت . وهذا رجل خاطر بنفسه في فعل ماليس له . ومن المتصوفة والزهاد من قسم بصورة اللباس ، وركب من الجهل في الباطن ما لا يسعه كتاب . طهر الله الأرض منهم وأعان العلماء عليهم ، فان أكثر الحمقى معهم ، ولو أنكر عالم على أحدهم مال العوام على العالم بقوة الجهل . ولقد رأيت كثيرا من المتعبدین وهو في مقام العجائز يسبح تسبيحات لا يجوز النطق بها ، ويفعل في صلاته مالم ترد به السنة . ولقد دخلت يوما على بعض من كان يتعبد ، وقد أقام إماما وهو خلفه في جماعة يصلى بهم صلاة الضحى ويجهر ، فقلت لهم : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : صلاة النهار عجاء ، فغضب ذلك الزاهد وقال : كم ينكرون هذا علينا . وقد دخل فلان وأنكر وفلان وأنكر ، نحن نرفع أصواتنا حتى لأنما ، فقلت : واعجبوا من قال لكم لأنما ، أليس في الصحيحين

من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : قوم ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام ، واعله ما مضت عليه ليلة إلا ونام فيها . ولقد شاهدت رجلاً كان يقال له حسين القزويني بجامع المنصور وهو يمشي في الجامع مشياً كثيراً داماً ، فسألت ما السبب في هذا المشي ؟ فقيل لي حتى لا ينام . وهذه كلها حماقات أوجبها قلة العلم ، لأنه إذا لم تأخذ النفس حظها من النوم اختلط العقل ، وفات المراد من التعبيد بعد الفهم . ولقد حدثني بعض الصالحين المجاوريين بجامع المنصور أن رجلاً اسمه كثير دخل عليهم الجامع فقال : إنني عاهدت الله على أمر ونقضته ، وقد جعلت عقوبتي لنفسي أن لا آكل شيئاً أربعين يوماً . قال : فمكث منها عشرة أيام قريب الحال يصل إلى جماعة ، ثم في العشر الثاني بآن ضعفه وكان يداري الامر ، ثم صار في العشر الثالث يصل إلى قاعده ، ثم استطற في العشر الرابع ، فلما تمت الأربعون جيء بنقوع فشربه فسمعنا صوته في حلقه مثل ما يقع الماء على المقلاء ، ثم مات بعد أيام . فقلت : يا الله العجب ، انظروا ما فعل الجهل بهله ، ظاهر هذا أنه في النار ، إلا أن يعفى عنه . ولو فهم العلم وسائل العمامه لعرفوه أنه يجب عليه أن يأكل ، وإن ما فعله بنفسه حرام . ولكن من أعظم الجهل استبداد الإنسان بعلمه . وكل هذه الحوادث نشأت قليلاً قليلاً حتى تكفت . فاما الشرب الأول فلم يكن فيه من هذا شيء ، وما كانت الصحابة تفعل شيئاً من هذه الأشياء . وقد كانوا يؤذون ويأكلون دون الشبع . ويصبرون إذا لم يجدوا . فمن أراد الاقتداء فعليه برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ففي ذلك الشفاء والمطلوب . ولا ينبغي أن يخلد العاقل إلى تقليد معظم شاع اسمه ، فيقول قال : أبو يزيد ، وقال الثورى ، فإن المقلد

أعمى ، وكم قد رأينا أعمى يأنف من حمل عصا . فلن فهم هذا المثار إليه طلب
الأفضل والاعلى والله الموفق

١٦٣ - فصل - تأملت الدخل الذى دخل في ديننا في العلم والعمل
فرأيته من طريقين قد تقدما هذا الدين وأنس بهما . فاما أصل الدخل
في العلم والاعتقاد فمن الفاسفة . وهو أن خلقا من العلماء في ديننا لم يقنعوا
بما قنعوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانكaf على الكتاب والسنة ،
فأوغلو في النظر في مذاهب أهل الفلسفة وخاضوا في الكلام الذي جعلهم
على مذاهب رديئة أفسدوا بها العقائد . وأما أصل الدخل في باب العمل
فن الرهبانية ، فان خلقا من المترهدين أخذوا عن الرهبان طريق
التقشف ولم ينظروا في سير نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وسمعوا ذم
الدنيا وما فهموا المقصود ، فاجتمع لهم الأعراض عن علم شرعنـا مع سوء
الفهم للمقصود ، فخدّلت منهم بدع قبيحة . فأول ما ابتدا به ابليس أنه
أمرهم بالاعراض عن العلم ، فدفّنوا كتبهم وغسلوها ، وأنزلتهم زاوية التبعـد
فيما زعم ، وأظهر لهم من الخزعبلات ما أوجب إقبال العوام عليهم فجعل
المهم هو اهم ، ولو علـموا أنـهم منـذ دفـنوا كتبـهم وفارـقوا الـعلم انـطق مـصباـحـهم
ما فعلـوا ، لكنـ ابـليس دقـيقـ النـقبـ وـ في دـفـينـ تحتـ الـارـضـ . وبالـعلم يـعلم فـسـادـ
الـطـرـيـقـينـ وـ يـهـتـدـيـ إلىـ الـاصـوبـ . نـسـأـلـ اللـهـ عـزـ وجـلـ أـنـ لاـ يـحرـمـ مـنـ آيـاهـ فـانـهـ
الـثـورـ فيـ الـظـامـ . وـ الـأـنـسـ فيـ الـوـحدـةـ . وـ الـوزـيرـ عـنـ الـحـادـثـةـ

١٦٤ - فصل - أعوذ بالله من صحبة البطالين . لقد رأيت خلقا
كثيراً يجرون معـي فيما قد اعتاده الناس من كثـرـ الزـيـارـةـ ، وـ يـسمـونـ ذلكـ
التـرـددـ خـدـمةـ ، وـ يـطـلـبـونـ الجـلوـسـ وـ يـجـرـونـ فـيـهـ أـحـادـيثـ النـاسـ وـ مـاـ يـعـنـىـ ،

ويتخلله غيبة . وهذا شئ يفعله في زماننا كثير من الناس ، وربما طالبه المزور
وتشوق اليه واستوحش من الوحدة ، وخصوصا في أيام التهانى والاعياد ،
فتقراهم يمشى ببعضهم الى بعض ، ولا يقتصرن على المهناء والسلام بل
يزجّون ذلك بما ذكرته من تضييع الزمان . فلما رأيت أن الزمان
أشترف شيئاً ، والواجب انتهاءه بفعل الخير كرهت ذلك وبقيت معهم بين
أصرين . ان انكروا عليهم وقعت وحشة لموضع قطع المأثور . وان
قبلته منهم ضاع الزمان ، فصررت ادافق باللقا جهدي ، فإذا غالب قصرت
في الكلام لا تعجل الفراق . ثم اعددت اعمالاً تنفع من الحادثة لأوقات
لقاءهم لثلا يضيى الزمان فارغاً . فجعات من المستعد للقاءهم قطع الكاغذ
وبرى الاقلام ، وحزم الدفاتر ، فان هذه الاشياء لابد منها ، ولا تحتاج الى
فكرو وحضور قلب ، فارصدتها لأوقات زيارةهم ، لثلا يضييع شيئاً من
وقتي . نسأل الله عز وجل أن يعرفنا شرف أوقات العمر ، وان يوفقنا
لاغتنامه . ولقد شاهدت خلقاً كثيراً لا يعرفون معنى الحياة . فمنهم من
أغناه الله عن المكسب بكثرة ماله . فهو يقعد في السوق اكتئراً نهاراً ينظر
إلى الناس ، وكم تمر به من آفة ومنكر . ومنهم من يخلو بلعب الشطرنج
ومنهم من يقطع الزمان بكثرة الحوادث من السلاطين والغلاة والرخص
إلى غير ذلك . فعلمت أن الله تعالى لم يطلع على شرف العمر ومعرفة قدر
أوقات العافية الامن وفقه والحمد لله اغتنام ذلك « وما يلقاها الا ذو حظ عظيم »

١٦٥ - فصل - رأيت من الرأى القويم ان نفع التصانيف اكبر
من نفع التعليم بالمشاهدة ، لأنني أشاهد في عمرى عدداً من المتعامين وأشاهد
بتتصانيف خلقاً لا تُحصى ما خلقوها بعد ودليل هذا ان انتفاع الناس بتتصانيف

المتقدمين أَكْثُرَ مِنْ انتفاعِهِمْ بِمَا يَسْتَفِيدُونَهُ مِنْ مَشَائِخِهِمْ . فَيَنْبَغِي لِلْعَالَمِ
 أَنْ يَتَوَفَّرَ عَلَى التَّصَانِيفِ أَنْ وَقَعَ لِلتَّصَنِيفِ الْمَفِيدِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَنْ
 صَنَفَ صَنْفًا ، وَلَيْسَ الْمَصْوُدَ جَمْ شَيْءٍ كَيْفَ كَانَ . وَإِنَّمَا هِيَ اسْرَارَ
 يَطْلَعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ عَلَيْهِمْ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ وَيُوفِقُهُ لِكَشْفِهَا ، فَيَجْمَعُ مَا فَرَقَ
 أَوْ يَرْتَبُ مَا شَتَّتَ ، أَوْ يَشْرَحُ مَا اهْمَلَ ، هَذَا هُوَ التَّصَنِيفُ الْمَفِيدُ . وَيَنْبَغِي
 اغْتِنَامُ التَّصَنِيفِ فِي وَسْطِ الْعُمُرِ ، لَأَنَّ اوَّلَ الْعُمُرِ زَمْنُ الْطَّلَبِ ، وَآخِرُهُ
 كَلَالُ الْحَوَاسِ . وَرَبِّا خَانَ الْفَهْمَ وَالْعُقْلَ مِنْ قَدْرِ عُمُرِهِ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ التَّقْدِيرُ
 عَلَى الْمَادَاتِ الْغَالِبَةِ ، لَا أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ فَيَكُونُ زَمَانُ الْطَّلَبِ وَالْحَفْظِ
 وَالْتَّشَاغُلِ إِلَى الْأَرْبَعينِ ، ثُمَّ يَدْقُدُهُ بَعْدَ الْأَرْبَاعِينَ بِالتَّصَانِيفِ وَالْتَّعْلِيمِ . هَذَا
 إِذَا كَانَ قَدْ بَلَغَ مَا يَرِيدُ مِنَ الْجَمْعِ وَالْحَفْظِ وَأُعْنِيَنَ عَلَى تَحْصِيلِ الْمَطَالِبِ فَإِنَّمَا
 إِذَا قَلَتِ الْآَلَاتُ عَنْهُ مِنِ الْكِتَابِ ، أَوْ كَانَ فِي أُولَأَعْوَانِهِ ضَعِيفُ الْطَّلَبِ
 فَلَمْ يَنْلِ مَا يَرِيدُهُ فِي هَذَا الْأَوَانِ ، أَخْرُ التَّصَانِيفِ إِلَى دَامَ حَمْسِينَ سَنَةً . ثُمَّ
 ابْتَدَأَ بَعْدَ الْحَمْسِينَ فِي التَّصَنِيفِ وَالْتَّعْلِيمِ إِلَى رَأْسِ السَّتِينِ ، ثُمَّ يَزِيدُ فِيهَا بَعْدَ
 السَّتِينِ فِي التَّعْلِيمِ وَيَسْمَعُ الْحَدِيثَ وَالْعِلْمَ وَيَعْلَمُ التَّصَانِيفَ إِلَى أَنْ يَقْعُدْ مِنْهُمْ
 إِلَى رَأْسِ السَّبْعِينِ ، فَإِذَا جَاوزَ السَّبْعِينَ جَعَلَ الْغَالِبَ عَلَيْهِ ذِكْرَ الْآخِرَةِ
 وَالْتَّهِيَّةَ لِلرَّحِيلِ . فَيَوْفَرُ نَفْسَهُ عَلَى نَفْسِهِ الْأَمْنَ تَعْلِيمَ يَحْتَسِبُهُ ، أَوْ تَصَنِيفَ
 يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ ، فَذَلِكَ اشْرَفُ الْعَدْدِ لِلْآخِرَةِ . وَلَنَكُنْ هُمْهُ فِي تَنْظِيفِ نَفْسِهِ
 وَتَهْذِيبِ خَلَالِهِ ، وَالْمُبَالَغَةِ فِي اسْتَدْرَاكِ زَلَاتِهِ ، فَإِنَّ اخْتَطْفَ فِي خَلَالِ
 مَا ذَكَرْنَا فَنِيَّةَ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ ، وَإِنْ بَلَغَ إِلَى هَذِهِ الْمَنَازِلِ فَقَدْ يَبْنَا
 مَا يَصْلَحُ لِكُلِّ مَنْزِلٍ . وَقَدْ قَالَ سَفِيَّانُ الثُّوْرَى : مَنْ بَلَغَ سِنَنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَيَتَخَذَ لِنَفْسِهِ كَفَنًا . وَقَدْ بَلَغَ جَمَاعَةُ الْعَالَمَاءِ سِبْعَا وَسَبْعِينَ

سنة ، منهم احمد بن حنبل ، فان بلغها فليعلم أنه على شفیر القبر ، وان كل يوم يأتی بعدها مستطرف فان تمت له المثانون فليجعل همته كله مصروفة إلى تنظيف خلاله ، وتهيئة زاده ، ول يجعل الاستغفار حليفه ، والذكر أوليفه ، ول يدقق في محاسبة النفس في بذل العلم ، أو مخالطة الخلق ، فان قرب الاستعراض للجيش يوجب عليهم الحذر من العارض . ول يبالغ في إبقاء أثره قبل رحيله ، مثل بث عame ، وإتفاق كتبه ، وشيء من ماله . وبعد محن تو لاہ اللہ عزوجل علمه ؛ ومن أراد أهله نسأله اللہ عزوجل أن ينعم علينا بان يتولانا ولا يتولى عنا إنه قريب مجيب .

١٦٦ - فصل - رأيت عادات الناس قد غابت على عموم بالشرع ،
فهم يستوحشون من فعل الشيء لعدم جريان العادة لا لنهي الشرع : فكما
من رجل يوصى بالخير بمعي ويشتري ، فإذا حصلت له القراءة باعها
بالصحيح من غير تقليد الإمام ، أو عمل بخصية عادة من القوم ،
واستثناؤها للاستفتاء ورثى خلفا يحافظون على صلاة الرغائب ويتوانون
عن الفرائض ، وكثيراً من المتصوفين لا يستوحشون من ظلم الناس ، ثم
يتصدقون على الفقراء ، وربما توانوا عن إخراج الزكاة ، وتسلوا باستعمال
التأويلات فيها ، ثم إذا حضر أحدهم مجلس وعظ بكى لأنه يصانع بتلك
الحال . ومنهم من يخرج بعض الزكاة مصانعة عالم يخرجه . ومنهم من يعلم
أن أصل ماله حرام ، ويصعب عليه فراقه للعادة . وفيهم من يخلف بالطلاق
ويحيث ويرى الفراق صعبا ، فربما تأول وربما تكاسل عن التأويل اتكالا على
عفو الله تعالى ، ووعدا من النفس بالتنوبه . ومنهم من يرى أن استعمال
الشرع ربما كان سببا في تضييق معاشه . وقد ألف التفسح فلا يسهل عليه

فراق ما قد لف والعادات في الجملة هي المهمـكة ولقد حضر عندي دجل
 شيخ ابن ثمانين سنة ، فاشترىت منه دكاناً وعقدت معه العقد ، فلما افترقنا
 غدر بعد أيام ، فطابت منه الحضور عند الحاكم فاني ، فأحضرته خلف بالمين
 العموم أنة مابعته ، فقللت ماتدور عليه السنة ، وأخذ يبرطل لمن يحول بيني
 وبينه من الظلمة ، فرأيت من العوام من قد غلبت عليه العادات فلا يلتفت معها
 إلى قول فقيه ، يقول هذا ما قبض الثمن فكيف يصح البيع ؟ وأخر يقول كيف
 يجوز لك أن تأخذ دكانه بغير رضاه ؟ وأخر يقول يجب عليك أن تقيم البيع ،
 فلما لم أقله أخذهو وأقاربـه يأخذون عرضـي ، ورأى أنه يحـمى عن ملكـه ،
 ثم سعى بيـ إلى السـلطـان سـعاـية يحرضـ فيهاـ منـ الـكـذـبـ ماـ الـدـهـشـنـيـ ، وـ يـبرـطـلـ
 مـالـاـ خـلـقـ منـ الـظـلـمـةـ ، فـبـالـغـواـ وـسـعـواـ ، الـأـنـ اللـهـ تـعـالـيـ نـجـانـيـ منـ شـرـهـ .
 أـنـيـ أـفـتـ عـلـيـهـ الـبـيـنـةـ عـنـدـ الـحـاـكـمـ ، فـقـالـ بـعـضـ أـرـبـابـ الـدـنـيـاـ لـلـحـاـكـمـ لـاـ تـحـكـمـ لـهـ ،
 فـوـقـفـ عـنـ الـحـاـكـمـ بـعـدـ ثـبـوتـ الـبـيـنـةـ عـنـدـهـ ، فـرـأـيـتـ مـنـ هـذـاـ الـحـاـكـمـ وـمـنـ
 حـاـكـمـ آـخـرـ أـعـلـىـ مـنـ تـرـكـ اـنـفـاذـ الـحـقـ حـفـظـاـ لـرـيـاسـتـهـ مـاـ هـوـتـ عـنـدـيـ
 مـاـ فـعـلـهـ ذـاكـ الشـيـخـ حـفـظـاـ لـمـالـهـ لـجـهـهـ وـعـلـمـ هـؤـلـاءـ ، فـيـنـحـلـ لـىـ مـنـ الـأـمـرـ أـنـ
 الـعـادـاتـ غـلـبـتـ عـلـىـ النـاسـ ، وـانـ الشـرـعـ أـعـرـضـ عـنـهـ ، وـانـ وـقـعـتـ موـافـقـةـ
 لـالـشـرـعـ فـكـمـ اـنـفـقـ اوـلـ جـلـ العـادـةـ ، فـإـنـ إـلـاـنـسـانـ لـوـ ضـربـ بـالـسـيـاطـ مـاـ أـفـطـرـ
 فـرـمـضـانـ عـادـةـ قـدـ اـسـتـمـرـتـ ، وـيـأـخـذـ اـعـرـاضـ النـاسـ وـأـمـوـالـهـ عـادـةـ ، فـكـمـ
 قـدـ رـأـيـتـ هـذـاـ الشـيـخـ يـصـلـيـ وـيـحـافـظـ عـلـىـ الصـلـاـةـ ، ثـمـ لـمـ لـاخـفـ فـوـتـ غـرـضـهـ
 تـرـكـ الشـرـعـ جـانـبـاـ ، وـكـمـ قـدـ رـأـيـتـ أـوـلـئـكـ الـحـاـكـمـ يـتـعـبـدـونـ وـيـطـلـبـونـ الـعـلـمـ .
 غـيرـ أـنـهـمـ لـمـ لـاخـفـواـ عـلـىـ رـيـاسـتـهـ اـنـ تـزـوـلـ تـرـكـواـ جـانـبـ الـدـينـ . ثـمـ اـنـ اللـهـ تـعـالـيـ
 نـصـرـنـيـ عـلـيـهـ وـتـقـدـمـ اـلـحـاـكـمـ بـاـنـفـاذـ مـاـبـتـ عـنـدـهـ ، وـدـرـاتـ السـنـةـ فـاتـ

الشيخ على قل . فنسأله عز وجل التوفيق للاتقىاد لشرعه ومخالفة أهواهنا .

١٦٧ - فصل - ما أعرف للعالم قط لذة ولا عزا ولا شرفا ولا راحة

ولاسلامة أفضل من العزلة ، فإنه ينال بها سلامة بدنه ودينه وجاهه عند الله عز وجل وعند الخلق ، لأن الخلق يهون عليهم من يخالطهم ، ولا يعظمون قول المخاطط لهم ، ولهذا عظم قدر اخلفاء لاحتاجاتهم . وإذا رأى العوام أحد العلماء متخصصاً في أمر مباح هان عندهم . فالواجب عليه صيانة عالمه وإقامة قدر العلم عنددهم فقد قال بعض السافر : كنا نزح ونضحك ، فإذا صرنا يقتدى بنا فما أراه يسمعنا ذلك ، وقال سفيان الثورى : تعلموا هذا العلم وأكظموه عليه ، ولا تخلطوه بهزل فنوجه القلوب ، فرعاة الناس لا ينبغي أن تذكر . وقد قال صلوات الله عليه أمائشة : لو لا حدثان قومك في الكفر لنقضت الكعبة وجعلت لها باين . وقال احمد بن حنبل في الركعتين قبل المغرب : رأيت الناس يكرهونها فتركتها . ولا تسمع من جاهل يرى مثل هذه الأشياء دياء . إنما هذه صيانة للعلم . وبيان هذا أنه لو خرج العالم إلى الناس مكشوف الرأس أوفي يده كسرة يا كلها قل عندهم وإن كان مباحاً ، فيصير بمثابة تخليل الطبيب الامر بالجحية ، فلا ينبغي للعالم أن ينبعسط عند العوام حفظاً لهم ، ومتي أراد مباحاً فليس تر به عنهم . وهذا القدر الذي لاحظه أبو عبيدة حين رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قد قدم الشام راكباً على حمار ورجلان من جانب ، فقال : يا أمير المؤمنين يتلقاك عظام الناس ، فما أحسن ما لاحظ بالآن عمر رضي الله عنه أراد تأديب أبي عبيدة بحفظه الأصل فقال : إن الله أعزكم بالاسلام فهم ما طلبتم العز في غيره أذلك . والمعنى ينبغي أن يكون طلباً لكم العز بالدين لا بصود الافعال ، وإن كانت

الصور تلاحظ ، فإن الإنسان يخلو في بيته عرياناً ، فإذا خرج إلى الناس ليس ثوبين وعمامة وداء ومثل هذا لا يكون تصنعاً ولا يناسب إلى كبر . وقد كان مالك بن أنس يغسل ويقطيب ويقعد للحديث . ولا تلتفت يا هذا إلى ماترى من بذل العمامء على أبواب السلاطين ، فإن العزلة أصون للعلم والعلم وما يخسره العلماء في ذلك أضفاف ما يربحونه . وقد كان سيد الفقهاء سعيد ابن المسیب لا يغشى الولاة ، وعن قول هذا سكتوا عنه . وهذا فعل الحازم . فإن أردت اللذة والراحة فعليك أيها العالم بقدر بيتك ، وكن معترلاً عن أهلك يطيب لك عيشك ، واجعل لقاء الأهل وقتاً ، فإذا عرفوه تصنعوا لقاءك . فكانت المعاشرة بذلك أجود . ول يكن لك بيتك في بيتك تخلو فيه وتحادث سطور كتبك ، وتجرب في حبات فكرك ، واحترس من لقاء أخلق وخصوصاً العوام ، واجتهد في كسب يعفك عن الطمع . فهذه نهاية لذة العالم في الدنيا . وقد قيل لابن المبارك مالك لا تجاهلينا ؟ فقال : أنا ذهب فاجلس الصحابة والتبعين ، وأشار بذلك إلى أنه ينظر في كتبه . ومتى دزق العالم الغنى عن الناس والخلوة ، فإن كان له فهم يجلب التصانيف فقد تكاملت لذته وإن دزق فهما يرتفق إلى معاملة الحق ومناجاته فقد تعجل دخول الجنة قبل الممات . نسأل الله عز وجل همة عالية تسمو إلى الكمال ، وتوفيقاً لصالح الأعمال ، فالسلام كون طريق الحق افراد .

١٦٨ - فصل - تأملت أحوال الناس في حالة علو شأنهم فرأيت أكثر أخلق تبين خسارتهم حينئذ فمنهم من بالغ في المعاصي من الشباب . ومنهم من فرط في اكتساب العلم . ومنهم من أكثر من الاستمتاع باللذات حينئذ فكلهم نادم في حالة الكبر حين فوات الاستدراك لذنب سلفت ، أو قوى ضعفت

أو فضيلة فاتت . فيمضي زمان الـ كبر في حسرات ، فان كانت لاشيخ افاقة من ذنوب قد سلفت قال والسفاعي ماجنيت ، وان لم يكن له افacaة صار متأسفا على فوات ما كان يلتذبه . فاما من انفق عصر الشباب في العلم فانه في زمان الشيخوخة يحمد جنى ماغرس ، ويلتذب بتصنيف ماجع ، ولا يرى ما يفقد من لذات البدن شيئا بالاضافة الى ما يناله من لذات العلم ، هذا مم وجود لذاته في الطلب الذى كان تأمل به ادراك المطلوب . وربما كانت تلك الاعمال اطيب مما نيل منها كما قال الشاعر :

اهتز عند تني وصلها طربا ورب أمنية أحلى من الظفر
ولقد تأملت نفسي بالاضافة الى عشيرتى الذين انفقوا اعمارهم فى
اكتساب الدنيا ، وانفقت زمان الصبوة والشباب في طلب العلم ، فرأيتى
لم يفتني مانالوه الا ما لو حصل لي ندمت عليه ، ثم تأملت حالى فإذا عيشى
في الدنيا أجود من عيشهم . وجاهى بين الناس أعلى من جاههم . وما نلت منه من
معرفة العلم لا يقاوم . فقال لي ابليس : ونسىتك تعبك وصهرك . فقلت
له . أيها الجاهل ، تقطيع الأيدي لا وقム له عند رؤية يوسف ، وما طالت
طريق أدت الى صديق :

جزى الله المسير اليه خيرا وان ترك المطايا كالمزاد
ولقد كنت في حلاوة طبى العلم القى من الشدائى ما هو عندي
احلى من العسل لاجل ما اطلب وارجو . كنت في زمان الصبا آخذ معى
أرغفة يابسة فاخرج في طلب الحديث ، واقعد على نهر عيسى فلما قدر على
اكلها الا عند الماء ، فكلما اكلت لقمة شربت عليها . وعين همتى لاترى
الالذة تحصيل العلم . فاثمر ذلك عندي انى عرفت بكثرة سماعى الحديث

سير الرسول ﷺ واحواله وآدابه ، واحوال اصحابه وتبعيهم ، فصرت
 في معرفة طريقة كابن أجود ، وأثر ذلك عندى من المعاملة ما لا يدرك
 بالعلم ، حتى اذكر في زمان الصبوة وقت الغامـة والعزبة قدرتى
 على أشياء كانت النفس تتوق إليها توقاً العطشان إلى الماء الزلال ولم يعنـي
 عنها الاما اثـر عندـى من العـلم من خوف الله عـز وجـل . ولو لا خطـايا
 لا يخلو منها البشر ، لقد كنت اخاف على نفـسى من العـجب ، غير أنه عـز
 وجـل صـانـى وعـلمـى واطـاعـنى من اسرار العـلم على مـعـرـفـته ، واـيـثـارـ الخـلوـةـ
 به ، حتى أنه لو حضر معـى معـرـفـ وـبـشـرـ لـرأـيـتـهـماـ زـحـمةـ مـعـادـ فـقـمـسـىـ
 في التـقصـيرـ والتـفـريـطـ حتى رـأـيـتـ اـفـلـ النـاسـ خـيرـاـ مـنـىـ . وـتـارـةـ يـوـقـظـىـ
 لـقـيـامـ الـلـيـلـ وـلـذـةـ مـنـاجـاهـ ، وـتـارـةـ يـحـرـمـنـ ذـلـكـ مـعـ سـلامـةـ بـدـنـ . وـلـوـلاـ
 بشـارـةـ العـلـمـ باـنـ هـذـاـ نـوـعـ تـهـذـيبـ وـتـأـدـيبـ خـلـجـتـ اـمـاـ إـلـىـ العـجـبـ عـنـدـ
 الـعـلـمـ ، وـاـمـاـ إـلـىـ الـيـأسـ عـنـدـ الـبـطـالـةـ . لـكـنـ رـجـائـىـ فـضـلـهـ قدـ عـادـ
 خـوفـ مـنـهـ . وـقـدـ يـغـابـ الرـجـاءـ بـقـوـةـ اـسـبـابـهـ ، لـانـيـ رـأـيـتـ قـدـ دـبـانـىـ
 مـنـذـ كـنـتـ طـفـلـ ، فـانـ اـبـىـ مـاتـ وـاـنـاـ لـاـعـقـلـ بـهـ ، وـالـأـمـ لـمـ تـاتـفـتـ إـلـىـ .
 فـرـكـزـ فـيـ طـبـعـيـ حـبـ الـعـلـمـ ، وـمـازـالـ يـوـقـنـىـ عـلـىـ الـهـمـ فـالـهـمـ ، وـيـحـمـلـىـ إـلـىـ
 مـنـ يـحـمـلـىـ عـلـىـ الـاصـوبـ ، حـتـىـ قـوـمـ أـمـرـىـ . وـكـمـ قـصـدـنـىـ عـدـوـ فـصـدـهـ
 عـنـىـ . وـاـذـ رـأـيـتـهـ قـدـ نـصـرـنـىـ وـبـصـرـنـىـ وـدـافـعـ عـنـىـ وـوـهـبـ لـىـ قـوـىـ رـجـائـىـ فـيـ
 الـمـسـتـقـبـلـ بـمـاـ قـدـ رـأـيـتـ فـيـ الـمـاضـىـ . وـلـقـدـ تـابـ عـلـىـ يـدـىـ فـيـ مـجـالـسـ الذـكـرـ
 اـكـثـرـ مـنـ مـائـىـ الـفـ ، وـاـسـلـمـ عـلـىـ يـدـىـ اـكـثـرـ مـنـ مـائـىـ نـفـسـ ، وـكـمـ سـالـتـ
 عـيـنـ مـتـجـبـ بـوـعـظـىـ لـمـ تـكـنـ تـسـيـلـ . وـيـحـقـ لـمـ تـلـمـعـ هـذـاـ الـانـعـامـ انـ
 يـرـجـوـ الـقـامـ . وـرـبـهاـ لـاحـتـ اـسـبـابـ الـخـوفـ بـنـظـرـىـ إـلـىـ تـقـصـيرـ وـزـلـلـىـ .

ولقد جاست يوما فرأيت حولي أكثر من عشرة آلاف ماقفهم الامن
قدرق قلبه . او دمعت عينه . فقلت لنفسي : كيف بك ان نجوا وهلكت :
فصحت بلسان وجدى : الهى وسيدى ان قضيت على بالعذاب غدا فلا
تعالمهم بعذابي صيانة لكرمك لا لأجل ، اثلا يقولوا عنك من دل عليه .
الهى قد قيل لنبيك صلى الله عليه وسلم : اقتل ابن ابى المنافق فقال :
لا يتحدث الناس ان محمدًا يقتل اصحابه . الهى فاحفظ حسن عقائدكم في
بكرا مك ان تعالمهم بعذاب الدليل عليك . حشاك والله يا رب من
تکدير الصاف .

لا تبر عودا انت ريشته حاشا ابائى الجود ان ينقضها
لاتعطش الزرع الذى نبته بصوب انعامك قد روضا

٦٩ - فصل - من الامور التي تخفي على العاقل ان يرى انه متى
لم يكن عنده امرأة او جارية يهواها هو شديدة ازه لا يلتفت في الدنيا ، فإذا
صور محبوها مملوكا تخايل لذة عظيمة ، وإذا كان عنده من لا يميل اليه اعتقاد
نفسه محروما ، وهذا أمر شديد الخفاء ، فينبغي ان يوضح وهو ان الملوك
مملوك . ومتى قدر الانسان على ما يشتهيه مله ومال الى غيره ، تارة لبيان
عيوب الحبوب . وتارة لمكان الفدورة عليه ، والنفس لا زالت تتطلع الى ما لا تقدر
عليه . ثم لو قدرنا دوام المحبة مع القدرة فانها قد تكون ولكن ناقصة
بقدار القدرة ، واما يقويها بمحني الحبوب : فيكون تمحنيه كالامتناع ،
او امتناعه من الموافقة ، فإذا صفا فلا بد من أكدار ، منها الحذر عليه ،
ومنها قلة ميله الى هذا العاشق ، وربما تكافل القرب منه بعلم الانسان
(١٣ - ١٣)

بقلة ميل محبو به اليه ينبعض بل يبغض ، فان خاف منه خيانة احتاج الى حراسته فقويت النُّفُض ، واصلاح المقدمات التوسط ، وهو اختيار ما تميل النفس اليه ولا يرتقى الى مقام العشق ، فان العاشق في عذاب . وانما تخايل الفارغ من العشق التذاذ العاشق وليس كذلك . فانه كما قيل :

ومافي الارض اشقي من محب وان وجداً المهوى عذب المذاق
تواه باكيا في كل وقت مخافة فرقه او لاشتياق
فيبيك ان نأوا شوقاً لهم ويبيك ان دوناً خوف الفراق
فت BX عن عينه عند التدانى وتسخن عينه عند الفراق

١٧ - فصل - ما يبتلى الانسان قط بأعظم من علو همته . فان من عات همته يختار المعالى ، وقد لايساعد الزمان ، وقد تضعف الآلة ، فيبقى في عذاب . وانى أعطيت من علو الهمة طرفاً فانبه في عذاب ، ولا اقول ليته لم يكن فانه انتا يحلو العيش بقدر عدم العقل ، والعاقل لا يختار زيادة اللذة بنقصان العقل . ولقد رأيت اقواماً يصفون علو هممهم ، فتأملتها فاذا بها في فن واحد . ولا يمالون بالنهض فيما هو أهم ، قال الرضى :

ولكل جسم في النحو بليلة وبلاع جسمى من تقاؤت همتى
فنظرت فاذا غاية أمله الأ مراده . وكان ابو مسلم الخرساني في حال شببته لا يكاد ينام ، فقيل له في ذلك فقال : ذهن صاف ، وهم بعيد ، ونفس تتفوق الى معالى الامور ، مع عيش كعيش الهمج الرعاع . قيل : فما الذي يبرد غلبيك . قال : الظفر بالملك . قيل فاطلبه ، قال : لا يطلب الا بالاهوال ، قيل فاركب الاهاوال ، قال : العقل مانع ، قيل فما تصنع ؟ قال : سأجعل من عقلي جهلا ، واحاول به خطر الainال الا بالجهل ، وادبر بالعقل ما لا يحفظ

الا به ، فان اخلو اخو العدم . فنظرت الى حال هذا المسكين فاذا به قد ضيع
اهم المهمات وهو جانب الآخرة ، وانتصب في طلب الولايات . فكم فتك
وقتل حتى نال بعض مراده من لذات الدنيا ، ثم لم يتنعم في ذلك من ثمان
سنین ، ثم اغتيل ونسى تدبير العقل فقتل ومضى الى الآخرة على اقبح حال .
وكان المتنبي يقول :

وفي الناس من يرضي بيسود عشه ومركته دجله والثوب جلد
ولكن قلبا بين جنبي ماله ملدي ينتهي بي في مراد احده
توى جسمه يكسى شنوفا تربه فيختار أن يكسى دروعا تهد
فتأنملت هذا الآخر فاذا همته فيما يتعلق بالدنيا خسب . ونظرت
إلى علو همتى فرأيتها عجبا . وذلك انى أروم من العلم ما أتيقن أنى لا أصل
إليه ، لأننى احب نيل كل العلوم على اختلاف فنونها ، وأريد استقصاء كل
فرد . هذا أمر يعجز العمر عن بعضه ، فان عرض لي همة في فن قد بلغ
منتها رأيتها ناقصا في غيره . فلا أعد همته تامة . مثل الحدث فاته الفقه .
والفقير فاته علم الحديث . فلا أرى الرضى بنقصان من العلوم الا حادثا
عن نقص الهمة . ثم انى أروم نهاية العمل بالعلم ، فاتوق الى ورع بشر ،
وزهادة معروف ، وهذا مع مطالعة التصانيف وافادة اخلق ومعاشرهم
بعيد . ثم انى أروم الغنى عن اخلق ، واستشرف الافضال عليهم . والاشتغال
بالعلم مانع من الكسب . وقبول المتن مما تأباه الهمة العالمية . ثم انى أتوق
إلى طلب الاولاد ، كما أتوق إلى تحقيق التصانيف ، لبقاء الخلفان نائبين
عنى بعد التلف . وفي طلب ذلك ما فيه من شغل القلب الحب للتفرد . ثم
انى أروم الاستمتعاب بالمسنة حسنات : وفي ذلك امتناع من جهة قلة المال ثم

لو حصل فرق جمع الهمة . وكذلك أطلب لبدني ما يصلحه من الطعام والمشارب ، فإنه متعدد للتصرف واللطف ، وفي قلة المسال مانع ، وكل ذلك جمع بين أضداد . فain انا وما وصفته من حال من كانت غاية همه الدنيا . وانا لا أحب أن يخداش حصول شيء من الدنيا وجده ديني بسبب . ولا أن يؤثر في علمي ولا في عملي . فوألفى من طلب قيام الليل . وتحقيق الورع مع إعادة العلم . وشغل القلب بالتصانيف . وتحصيل ما يلازم البدن من الطعام . وواسف على ما يفوتي من المناجاة في الخلوة مع ملاقات الناس وتعليمهم . وبما كدر الورع مع طلب مالا بد منه للعائمة . غيراني قد استسلمت لتعذيبى ، ولعل تهذبى في تعذيبى ، لأن عليان الهمة تطلب المعالي المقربة إلى الحق عز وجل . وربما كانت الخيرة في الطلب دليلاً إلى المقصود . وهذا أنا أحفظ أنفاسى من أن يضيع منها نفس في غير فائدة ، وإن بلغ همى مرده ، والفنية المؤمن بأبلغ من عمله .

١٧١ - فصل - لما سطرت هذا الفصل المتقدم ، رأيت ادكار النفس بحالاً بدهما في الطريق منه ، وهو انه لا بد لها من التلطف ، فان قاطع مرحليين في مرحلة خلائق بان يقف . فينبغي ان يقطع الطريق بالطف ممكناً . وادا تعبت الرواحل نهض الحادى يغنىها ، واخذ الراحة للجدجد . وغوص السباح في طلب الدر صعود ، ودوام السير يجسر الاibil : والمفازة صعبة . ومن اراد ان يرى التلطف بالنفس فلينظر في سير الرسول ﷺ ، فإنه كان يتلطف بنفسه ، ويمازح ويخالط النساء ، ويقبل ويخص اللسان ، وينختار المستحسنات . ويُستعبد له الماء وينختار الماء البارد ، والا وفق من الطعام كلهم الظهر والذراع والحلوى ، وهذا كله رفق بالناقة في طريق السير .

فاما من جرد عليها السوط فانه يوشك ان لا يقطع الطريق . وقد قال عليه السلام :
 ان هذا الدين متى زفا وغلوا فيه برفق ، فان المنيت لاأرضًا قطع . ولا ظهر ا
 ابقى : واعلم انه ينبغي للعقل ان يغالط نفسه فيما يكشف العقل عن عواره ،
 فان فكر المتيقظ يسبق قبل مباشرة المرأة الى انها اعتناق بجسده يحتوى
 على قذارة . وقبل بلع اللقمة انها مترقبة في الريق لآخر جها الانسان ^(١) . ف
 قرب الموت وما يجري عليه بعده ، لبعض عاجل لذته؛ فلا بد من مغالطة تجرى
 لينتفع الانسان بعيشته كما قال لييد :

فما كذب النفس اذا حدثها
 ان صدق النفس يزدري بالامل
 وقال البستي :

تجم وعلمه بشيء من المزح
 بقدار ما يعطي الطعام من الملح

اقد طبعك المكدو بالهم راحة
 ولكن اذا اعطيته ذاك فليمكن
 وقال ابو علي بن الشبل :

وعداً خـيرات الجنان عـدات
 حتى تزول بهـمـك الاوقات
 جلسـاؤك الحـسـاد والـشـمات
 للـحـيـ من قـبـلـ الـهـاتـ مـهـاتـ
 فيـ اـهـلـهـ مـالـسـرـورـ ثـباتـ
 لمـ يـصـفـ لـالمـتـيـقـظـينـ حـيـاةـ

وـاـذاـ هـمـتـ فـنـاجـ نـفـسـكـ بـالـنـفـيـ
 وـاـجـعـلـ رـجـاءـكـ دـوـنـ يـأـسـكـ جـنـةـ
 وـاسـتـرـ عـنـ الجـلـسـاءـ بـثـكـ اـنـاـ
 وـدـعـ التـوـقـعـ لـلـحـوـادـثـ اـنـهـ
 فـالـهـمـ لـيـسـ لـهـ ثـبـاتـ مـثـلـ ماـ
 لـوـلاـ مـغـالـطـةـ النـفـوسـ عـقـوـلـهـاـ
 وـقـالـ أـيـضاـ :

بحـفـظـ الـجـسـمـ تـبـقـىـ النـفـسـ فـيـ
 بـقـاءـ النـارـ تـحـفـظـ بـالـوعـاءـ

(١) بياض بالأصل في ثلاث نسخ

فباليأس المض فلا تنتها ولا تندد لها طول الرجاء
 وعدها في شدائدها رخاء وذكرها الشدائدي في الرخاء
 يعد صلاحها هذا وهذا وبالتركيب منفعة الدواء
 وقد كان عموم السلف يخضبون الشيب لأن لا يرى الإنسان منه سوء
 ما يكره، وإن كان الخضاب لا يعدم النفس علمها بذلك، ولكنه نوع
 مخادعة للنفس. وما زالت ترى الظاهر. وإنما الفكر والعقل مع الغائب.
 ولا بد من مغالطة تجرى ليتم العيش. ولو عمل العامل بمقدمة قصر الأمل
 ما كتب العلم ولا صنف. فافهم هذا الفصل مع الذي تقدمه، فإن الأول
 في مقام العزيمة، وهذا في مكان الرخصة، ولا بد للتعب من راحة
 واعانة. والله عز وجل على قدر صدق الطلب. وقوة اللجاج، وخلع الحول
 والقوية، وهو الموفق.

١٧٢ - فصل - في تعليم التدبير. قوام الآدمي بشيئين الحرارة
 والرطوبة. ومن شأن الحرارة أن تحلل الرطوبة وتنفيها. فالآدمي يحتاج
 إلى تحصيل خلف المتخلل، فأبدان النشو تعتدى بأكثر مما يتخلل منها.
 والأبدان المتناهية تعتدى بقدر ما يتخلل منها، والأبدان التي قد أخذت في
 المهرم يتخلل منها أكثر مما تعتدى به، فينبغي للنشو المبالغ أن يتحفظ في
 النكاح، لأنه يربى قاعدة قوة يجد أثرها في الكبر. وأما المتوسط والواقف
 السن فينبغي أن يحذر فضول الجماع، فإن حصل له مثل ما يخرج منه
 فأسرف، فاللازم أخذ من الحاصل، ويوشك أن يسرع النفاد. وأما الشيخ
 فترك النكاح كاللازم له، خصوصاً إذا زاد على السن، لانه ينفق من الجوهر
 الذي لا يحصل مثله أبداً. ثم ينبغي أن ينظر العاقل في ماله فيكتسب أكثر مما

ينفق ليكون الفاضل مدخراً لوقت العجز . وليرجع السرف ، فان العدل هو الأصلح . ثم ينظر في ازوجة ، والمطلوب منها شيئاً : وجود الولد ، وتدبر المنزل ، فإذا كانت مبذرة فعيّب لا يحتمل ، فان انضمت صفة العقر فلا وجه للامساك ، الا أن تكون مسحة حسنة الصورة ، فان ضم اليها عقل وعفاف حسن الامساك . وان كانت مما يحتاج أن تحفظ فتركها لازم . فأما الخدم فليجتهد في تحصيل خادم لاستعمده الشهوة ، فان عبد الشهوة له مولى غير سيده . ولينظر المالك في طبع المملوك . فمنهم من لا يأتي على الا كرام فيكرمه فإنه يريح محنته . ومنهم من لا يأتي على الا هاهاته فليداره وليرعى عن الذنب ، فان لم يكن عاتب بلطف ، وليرجع العقوبة ما أمكن وليجعل للماليك زمان راحة . والعجب من يعنى بدايته وينسى مداراة جاريته . وأجدود الماليك الصغار . وكذلك الزوجات ، لأنهم متعدون خلق المشترى . وليرحظ نفسه بالهيبة من الانحراف مع الزوجة ، ولا يطلع على ماله ، فانه سفيه تطلب كثرة الانفاق . وأما تدبر الاولاد فحفظهم من مخالطة نقس . ومتى كان الصبي ذا أنفة - حبيباً - رجي خيره . وليحمل على صحبة الاشراف والعلماء ، وليرجع من مصاحبه للجهال والسفهاء ، فان الطبع لص . وليرجع الصبي من الكذب غاية التحذير ، ومن المخالطة لاصبيان . وليوصيه بزيادة البر للوالدين ، وليرحظ من مخالطة النساء . فإذا بلغ فليزوج بصبية لم تعرف غيره فينتفعان هذه الاشارة الى تدبر أمور الدنيا . فأما تدبر العلم فينبغي ان يحمل الصبي من حيز يبلغ خمس سنين على التشاغل بالقرآن والفقه وجماع الحديث وليرحصل له المحفوظات اكثر من المسموعات ، لأن زمان الحفظ الى خمس عشرة سنة ، فإذا بلغ تشقت همةه ، فليضرب تارة ، ويرثي أخرى ، ليبلغ

وقد حصل محفوظات سنية . وأول ما ينبغي ان يكلف حفظ القرآن متقدنا ، فانه يثبت ويخاطب باللحن والدم ، ثم مقدمة من النحو يعرف بها اللحن ، ثم الفقه مذهبها وخلافا . وما أمكن بعد هذامن العلوم فحفظه حسن . وليمذر من عادات أصحاب الحديث ، فانهم يغدون الزمان في سماع الاجزاء التي تكرر فيها الأحاديث ، فيذهب العمر وما حصلوا بهم شيء ، فإذا بلغوا سنًا طلبوا جوازفتوى ، أو قراءة جزء من القرآن ، فعادوا القهقرى ، يحفظون بعد كبر السن فلا يحصل مقصودهم . فالحفظ في الصبا لمهما من العلم أصل عظيم ، وقد رأينا كثيرا من تشاغل بالسموعات وكتابة الاجزاء ورأى الحفظ صعبا قال الى الأسهل فضي عمره في ذلك ، فلما احتاج الى نفسه قعد يتحفظ على كبر فلم يحصل مقصوده . فاليقظة لفهم ما ذكرت واظهر في الاخلاص ، فما ينفع شيء دونه .

١٧٣- فصل — اشتد الغلاء ببغداد في أول سنة خمس وسبعين . وكلما جاء الشعير زاد . فتواقع الناس على اشتراء الطعام . فاغتبط من يستعد كل سنة يزرع ما يقوته ، وفرح من بادر في أول النيسان الى اشتراء الطعام فانه يضاعف ثمنه ، وأخرج الفقراء ما في بيوتهم فرموه في سوق الهوان ، وبان ذل نفوس كانت عزيزة ، فقللت يانفس خذى من هذه الحال إشارة ، ليغبطن من له عمل صالح وقت الحاجة اليه ، وليفرحن من له جواب عند اقبال المسئلة . وكل الويل على المفترط الذى لا ينظر فى عاقبته فتنبهى ، فقد نبهت ناس الدنيا على أمر الآخرة ، وبادرى موسم الزرع مادامت الروح في البدن ، فالزمان كله تشرين قبل أن يدخل نيسان الحصاد ، ومالك زرع ، وحاجة المفترىن الى أموالهم تمنعهم من الايثار .

١٧٤ - فصل - تاملت حالة أزعجتني . وهو أن الرجل قد يفعل مع امرأته كل جميل وهي لاتحبه ، وكذا يفعل مع صديقه والصديق يبغضه ، وقد يتقرب الى السلطان بكل ما يقدر عليه والسلطان لا يؤثره ؟ فيبقى متحيرا يقول : ماحيالي ، فخفت ان تكون هذه حالي مع الخالق سبحانه ، أتقرب اليه وهو لا يريدني ، وربما يكون قد كتبني شقياً فالازل . ومن هذا خاف الحسن فقال : أخاف ان يكون اطمع على بعض ذنبي فقال : لاغفرت لك فليس القلق والخوف لعل سفينة الرجا تسلم يوم دخولها الشاطئ من جرف .

١٧٥ - فصل - جرى بيبي وبين أصحاب الحديث كلام في قول الامام احمد : صحيح الحديث عن رسول الله ﷺ سبع مائة الف حديث ، فقللت له انا يعني به الطرق ، فقال : لا الالتوان ، فقللت هذا بعيد التصور . ثم رأيت لابي عبد الله الحكم كلاما ينصر ما قال ذلك الشخص ، وهو انه قال في كتاب المدخل الى كتاب الكليل . كيف يجوز ان يقال : ان حديث رسول الله ﷺ لا يبلغ عشرة آلاف حديث ، وقد روى عنه من أصحابه أربعة آلاف رجل وامرأة صحبوه نيفاً وعشرين سنة بكرة ثم بالمدينة . حفظوا أقواله ونومه ويقطنه وحركاته وغير ذلك سوى ما حفظوا من أحكام الشريعة . واحتج بقول احمد : صحيح الحديث عن رسول الله ﷺ سبع مائة الف حديث وكسر ، وان اسحق ابن راهويه كان يلي سبعين ألف حديث حفظا ، وان ابا العباس بن عقدة قال : أحفظ لاهل البيت ثلاث مائة الف حديث قال ابن عقدة وظهر لابن كريج بالكوفة ثلاثة الاف حديث قلت : ولا يحسن ان يشار بهذا الى المتون . وقد عجبت كيف خفي هذا على الحكم وهو يعلم ان أجمع المسانيد الظاهرة مسند احمد بن حنبل ، وقد طاف الدنيا مرتين حتى حصله وهو اربعون ألف حديث ،

منها عشرة آلاف مكررة ، قال حنبل بن اسحق : جمعنا احمد بن حنبل انا
 وصالح وعبد الله وقرأ علينا المسند ، وقال لنا : هذا كتاب جمعته من أكثر من
 سبع مائة الف وخمسين الفا . فما اختلف المسلمين فيه من حدث رسول الله
^{عليه} فارجعوا اليه ، فان وجدتموه والا فليس بحججة . افتري يخفي على متيقظ
 انه اراد بكونه جمعه من سبع مائة الف انه اراد الطرق . لأن السبع مائة
 الاف ان كانت من كلام رسول الله ^{عليه} فكيف أهملها ، فان قيل فقد اخرج
 في مسنده اشياء ضعيفة . ثم اعوذ بالله ان يكون سبع مائة الف ما تحقق منها
 سوى ثلاثة الفا وكيف ضاعت هذه الجملة . ولم اهملت وقد وصلت كلها الى زمن
 احمد فانتق منها ودلي الباقى ، وأصحاب الحديث قد كتبوا كل شيء من الموضوع
 والكذب ، وكذلك قال أبو داود : جمعت كتاب السنن من ستمائة الف حديث
 ولا يحسن ان يقال ان الصحابة الذين رواها ما تروا ولم يحدروا بها التابعين
 فان الامر قد وصل الى احمد فاحصى سبع مائة الف حديث ، وما كان
 الامر ليذهب هكذا عاجلا ، وعلمون انه لو جمع الصحيح والحال الموضوع
 وكل منقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغ خمسين الفا ، فain
 الباقى ، ولا يجوز ان يقال تلك الاحاديث كلام التابعين ، فان الفقهاء نقلوا
 مذاهب القوم ودونوها واخذوا بها ، ولا وجه لتركها ، ففهم كل ذي لب
 ان الاشارة الى الطرق ، وان ما توهه الحاكم فاسد ، ولو عرض هذا الاعتراض
 عليه ، وقيل له : فain الباقى لم يكن له جواب ، لكن الفهم عزيز . والله المنعم
 بالتوافق . ومثل هذا تغفيل قوم قالوا : ان البخارى لم يخرج كلاما صحيحا عنده ،
 وان ما اخرج كالموذج ، والافسان يطول . وقد ذهب الى نحو هذا ابو
 بكر الاسماعيلي . وحكى عن البخارى انه قال : ما تركت من الصحيح اكثير ،

واما يعني الطرق . يدل على ماقلته ان الدارقطنى وهو سيد الحفاظ جمع مايلزم البخارى ومسلم بإخراجه مالم يذكراه أحاديث يسيرة ، ولو كان كما قالوا لا يخرج مجلدات ، ثم قوله : مايلزم البخارى دليل صريح على ماقلته ، لانه من أخرج الانوذج لايلزم شىء . وكذلك أخرج ابو عبد الله الحاكم كتابا جمع فيه مايلزم البخارى بإخراجه فذكر حديث الطائر فلم يلتقت الحفاظ الى ما قال ، فما أقل فهم هؤلاء الذين شغلتهم الحديث من التدقير الذى لايلزم في صحة الحديث . واما وقع لقلة الفقه والتفهم . إن البخارى ومسلم تركا أحاديث أقوام ثقات لأنهم خولفوا في الحديث ، فنقص الاكثرون من الحديث وزادوهم ولو كان لهم فقه لعلموا ان الزيادة من الثقة مقبولة ، وتركوا أحاديث أقوام لأنهم انفردوا بالرواية عن شخص . وعلمون ان انفراد الثقة لا عيب فيه . وتركوا من . ذلك الغرائب . وكل ذلك سوء فهم . وهذا لم يلزمه الفقهاء هذا ، وقالوا : الزيادة من الثقة مقبولة ولا يقبل القدر حتى يبين سببه . وكل من لم يخالط الفقهاء وجهد مع المحدثين تأذى وساء فهمه . فالمحمد لله الذى أنعم علينا بالحالتين .

١٧٦ - فصل - اعلم ان الله اعز وجل وضع في النفوس اشياء لا تحتاج الى دليل . فالنفوس تعلمها ضرورة . وآكثير اخلق لا يحسنون التعبير عنها ، فانه وضع في النفس ان المصنوع لابده من صانع ، وان المبني لابده من بان ، وان الاثنين أكثر من الواحد ، وان الجسم الواحد لا يكون في مكانين في حالة واحدة ، ومثل هذه الاشياء لا تحتاج الى دليل ، وألمهم العرب النطق بالصواب من غير لحن ، فهم يفرقون بين المرفوع والمنصوب بأمارات في جبلاتهم ، وان عجزوا عن النطق بالعلمة ، قال عثمان بن جني : سألت يوما

ابا عبد الله محمد بن المساف العقيلي فقلت له : كيف تقول ضربت اخوك ؟
 فقال : اقول ضربت اخاك ، فادرته على الرفع فأبى . وقال لا أقول اخوك
 ابداً . قال : فكيف تقول ضربني اخوك ؟ فرفع ، فقلت : أليس زعمت انك
 لاتقول اخوك ابداً ، فقال ايش هذا ، اختللت جهه في الكلام . وهذا ادل
 شيء على قاتلهم موقع الكلام . واعطائهم اياد في كل موضع حقه ؛ وانه
 ليس استرسالا ولا ترخيما . قال عمان : واللغة هي أصوات يعبر بها كل
 قوم عن أغراضهم . والنحو انتفاء سمعت كلام العرب في تصرفه من اعراب
 وغيره كالثنائية والجمع والتحقيق والتكسير وغير ذلك ليتحقق من ليس من
 اهل اللغة اهلها .

١٧٧ - فصل - مفيد . تدبرت احوال الاخيار والاشرار فرأيت
 سبب صلاح الاخيار النظر ، وسبب فساد الاشرار إهمال النظر . وذاك أن
 العاقل ينظر فيعلم انه لا بد له من صانع ، وان طاعته لازمة ، ويتأمل معجزات
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم قياده الى الشرع ، ثم ينظر فيما يقربه
 اليه . ويزلفه لديه ، فاذا شق عليه اعادة العلم قابل ثورته فسهيل ذلك ، واذا
 صعب عليه قيام الليل فسكن ذلك ، واذا دأى مشتهى تأمل عاقبته فعلم ان اللذة
 تفني والعار والائم يبقى ، فيسهل عليه الترك . واذا اشتته الانقام من يؤذيه
 ذكر ثواب الصبر وندم الغضبان على افعاله في حال الغضب . ثم لا يزال
 يتأمل سرعة عمر العمر فيقتنه بتحصيل أفضل الفضائل فيnal منه . وأما
 الغافل فانه لا يرى الا الشيء الحاضر . فنفهم من لم يتأمل في معنى المصنوع
 وانبات الصانع ، فجحدوا وتركوا النظر وجحدوا الرسل وما جاءوا به ،
 ونظروا الى العاجل ، ولم يتفكروا في مبداه ومنتهـاه ، فليس عندـهم

من عرفان المطعم الاكل . ولو تأملوا كيف انشيء ولماذا جعل حافظ الابدان
لعرفوا حقائق الامور . وكذلك كل شهوة تعرض لهم لا ينظرون في عاقبتها
بل في عاجل لذتها . وكم قد جنت عليهم من وقوع حد وقطع يد وفضيحة .
فتعجيل اللذة يفوّت الفضائل ، ويحصل الرذائل ، وسببه عدم النظر في
العواقب . وهذا شغل العقل . وذاك المذموم شغل الهوى . نسأل الله عز
وجل يقطنة ترينا العواقب ، وتكشف لنا الفضائل والمعايب ، انه قادر
على ذلك .

١٧٨ - فصل — خلقت لى همة عالية تطلب الغايات ، بلغت السن
وما بلغت مأملات ، فأخذت أسأل تطويري العمر ، وقوية البدن ، وبلوغ
الآمال ، فذكرت على العادات وقالت : ما جرت عادة بما تطلب ، فقلت إنما
اطلب من قادر يخرق العادات ، وقد قيل لرجل : لنا حوية فقال : اطلبوا لها
رجيلا . وقيل لا آخر جئناك في حاجة لائزوك ، فقال هلا طلبتم لها
سفاسف الناس . فإذا كان أهل الأنفة من ارباب الدنيا يقولون هذا فلم
لانطبع في فضل كريم قادر . وقد سأله هذا السؤال في دينع الآخر من
سنة خمس وسبعين فان مدلى أجلس وبلغت ما أملته نقلت هذا الفصل الى
ما بعد ويعضنه ، واخبرت بليون آمال ، وإن لم يتتفق ذلك فسيدي أعلم
بالمصالح ، فإنه لا يمنع بخلاء ، ولا حول الا به .

١٧٩ - فصل — ما أقل من يعمل لله تعالى خالصا لأن أكثر الناس
يحبون ظهور عبادتهم . وسفيان الثورى كان يقول : لا أعتقد بما ظهر من
عملي وكانوا يسترون أنفسهم ، واليوم ثياب القوم تشهرهم . وقد كان ايوب
السختياني يطول قيصه حتى يقع على قدميه ، ويقول كانت الشهرة في

التطويل ، واليوم الشهرة في التقصيـير . فاعلم ان ترك النظر الى الخلق
ومحاجاه من قلوبهم بالتعـمل واحلاص القصد وستر الحال هو الذى رفع من
رفع . فقد كان أـحمد بن حنبل يمشى حافيا في وقت ونعليه في يديه ويخرج
للتقط . وبشريـمشى حافيا على الدوام وحده . ومـعروف يلتقط النوى . والـيـوم
صارت الـريـاسـات اـكـثـر من كل حاجة . وما تـمـكـن الـريـاسـات حتى يتمـكـن
من القـلـبـ الغـفـلـةـ ، وـدـؤـيـةـ الـخـلـقـ ، وـنـسـيـانـ الـحـقـ ، فـجـينـيـدـ تـطـلـبـ الـرـيـاسـةـ عـلـىـ اـهـلـ
الـدـنـيـاـ . ولـقـدـ رـأـيـتـ مـنـ النـاسـ عـجـيـبـاـ حـتـىـ مـنـ يـتـيـزـ بـالـعـلـمـ ، إـنـ رـآـنـىـ أـمـشـىـ وـحدـىـ
أـنـسـكـرـ عـلـىـ . وـاـنـ رـآـنـىـ اـزـوـرـ فـقـيـرـاـ عـظـمـ ذـلـكـ . وـاـنـ رـآـنـىـ أـبـسـطـ بـتـبـسـمـ
نـقـصـتـ مـنـ عـيـنـهـ ، فـقـلـتـ : فـوـاعـجـيـبـاـ هـذـهـ كـانـتـ طـرـيـقـ الرـسـوـلـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ
وـسـلـمـ وـالـصـحـابـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ . فـصـارـتـ اـحـوـالـ الـخـلـقـ نـوـامـيـسـ لـاقـامـةـ الـجـاهـ
لـاجـرـمـ وـالـلـهـ سـقـطـمـ مـنـ عـيـنـ الـحـقـ ، فـاسـقـطـكـمـ مـنـ عـيـنـ الـخـلـقـ . فـكـمـ مـنـ
يـتـعـبـ فـيـ تـرـيـةـ نـامـوـسـ وـلـاـ يـلـقـتـ إـلـيـهـ وـلـاـ يـحـظـىـ بـمـرـادـهـ وـيـفـوـتـهـ الـمـرـادـاـكـبـرـ .
فـالـتـفـتوـاـ اـخـوـانـىـ إـلـىـ اـصـلـاحـ الـنـيـاتـ ، وـتـرـكـ التـزـينـ لـالـخـلـقـ . وـلـتـكـنـ عـمـدـتـكـمـ
الـاـسـتـقـامـةـ مـعـ الـحـقـ ، فـبـذـلـكـ صـدـعـ السـلـفـ وـسـعـدـوـاـ . وـإـيـكـ وـمـاـ النـاسـ عـلـيـهـ
الـيـوـمـ ، فـانـهـ بـالـاضـافـةـ إـلـىـ يـقـظـةـ السـلـفـ نـوـمـ .

١٨٠ - فـصل - وـالـلـهـ مـاـ يـنـفـعـ تـأـدـيبـ الـوـالـدـاـذـمـ يـسـبـقـ اـخـتـيـارـ الـخـلـقـ
لـذـلـكـ الـوـلـدـ ، فـانـهـ سـبـبـانـهـ اـذـاـ أـرـادـ شـخـصـاـ بـاهـ مـنـ طـفـولـتـهـ وـهـدـاـهـ اـلـصـوابـ ،
وـدـلـهـ عـلـىـ الرـشـادـ ، وـحـبـبـ إـلـيـهـ مـاـ يـصـلـحـ ، وـصـحـبـهـ مـنـ يـصـلـحـ ، وـبـغـضـ إـلـيـهـ
ضـدـ ذـلـكـ ، وـقـبـحـ عـنـدـهـ سـفـسـافـ الـأـمـورـ ، وـعـصـمـهـ مـنـ الـقـبـائـحـ ، وـاخـذـ
بـيـدـهـ كـلـاـ عـثـرـ . وـاـذـاـ أـبـغـضـ شـخـصـاـ تـوـكـهـ دـائـمـ التـعـيـرـ مـتـخـبـطاـ فـيـ كـلـ حـالـ ،
وـلـمـ يـخـلـقـ لـهـ هـمـةـ لـطـلـبـ الـمـعـالـيـ ، وـشـغـلـهـ بـالـرـذـاـيـلـ عـنـ الـفـضـائـلـ . وـاـنـ قـالـ مـ

خصصت بهذا، قال الخطاب الذى لا يحاب «بما كسبت ايديك».

١٨١ - فصل - من أكبر الدليل على وجود الخالق سبحانه انه ان هذه النفس الناطقة المميزة المحركة لابدن على مقتضى ارادتها، ودبرت مصالحها، وتركت الى معرفة الافلاك ، واكتسبت ما امكن تحصيله من العلوم ، وشاهدت الصانع في المصنوع، فلم يحجبها ستروان تكافف، لا يعرف مع هذا ماهيتها ولا كيفيةها ولا جوهرها ولا محلها باشغالها ، ولا يفهم من اين جاءت ، ولا يدرى اين تذهب ، ولا كيف تعلقت بهذا الجسد . وهذا كله يوجب عليها ان لها مدبرا و خالقا . وكفى بذلك دليلا عليه . اذلو كانت وجدت بها لما خفيت احوالها . فسبحانه سبحانه .

١٨٢ - فصل - سبحان من من على الخلق بالعلماء الفقهاء الذين فهموا مقصود الامر و مراد الشارع . فهم حفظة الشريعة فأحسن الله جزاهم . وان الشيطان ليتجاههم خوفا منهم ، فأنهم يقدرون على أذاءه ، وهو لا يقدر على اذائهم . ولقد تلاعب بأهل الجهل والقليل من الفهم . وكان من اعجب تلاعبه ان حسنه لا قوام ترك العلم ثم لم يقنعوا بهذا حتى قد حوا في المتشاغلين به . وهذا لوفهموه قدح في الشريعة . فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : باغوا عنى . وقد قال له رببه عزوجل «باغ» فاذالم يتشارغل بالعلم فـ كـيف يـبلغـ الشـريـعـةـ إـلـىـ الـخـلـقـ . ولقد نقل مثل هذاعن كبار الزهاد، كبشر الحق ، فانه قال لعباس بن عبد العظيم : لا تجلس أ أصحاب الحديث . وقال لاسحق بن الضيف : انك صاحب حديث فاحب ان لا تعود الى ، ثم اعتذر فقال : انما الحديث فتنة الا من اراد الله به . واذا لم يعمل به فتركه افضل . وهذا عجب منه : من اين له ان طلبه لا يريدون الله به ، وانهم

لا يعلمون به ، أو ليس العمل به على ضررين : عمل بما يجب ، وذلك لا يسع أحدا تركه ، والثانى نافلة ولا يلزم ، والتشاغل بالحديث أفضل من التنفل بالصوم والصلوة . وما اظنه اراد الاطريقه في دوام الجوع والهجد ، وذلك شئ لا يلام تاركه . فان كان يريد ان لا يوغى في علوم الحديث فهذا خطأ لأن جميع اقسامه محمودة . أفترى لترك الناس طلب الحديث كان بشريفي ! فالله الله في الالتفات الى قول من ليس بفقيره ، ولا يهونك تعظيم اسمه فالله يغفو عنه .

١٨٣ - فصل — العاقل من يحفظ جانب الله عز وجل وان غضب الاخلاق . وكل من يحفظ جانب الخلوقيين ويضيع حق الخالق يقلب الله قلب الذى قصد ان يرضيه فيسخطه عليه . قال المأمون بعض اصحابه : لاتعصي الله بطاعتي فيسلطني عليك . ولما باع طاهر بن الحسين فيما فعل بالأمين وقتكم به وصلب رأسه وان كان ذلك عن ارادته المأمون ، ولكن بي أثر ذلك في قلبه ، فكان لا يقدر ان يراه . ولقد دخل عليه يوما بكى المأمون ، فقال له طاهر : لم تبك لا أبكى الله عينك ؟ فلقد دانت لك البلاد ، فقال ابكي لأمر ذكره ذل ، وسره حزن ، ولن يخلوا احد من شجن . فلما خرج طاهر نفذ الى حسـين الخادم ما يتقى ألف درهم وسألـه ان يسألـ المأمون لم بكـى فلما تقدـى المأمون قال : ياحـسين استـقـنى . قال : لا والله لا أـسـقـيكـ حتى تقولـ لي لم بـكـيتـ حين دـخـلـ عـلـيـكـ طـاهـرـ . قال : ياحـسينـ وـكـيفـ عـنـيـتـ بهـذـاـ حتى سـأـلتـ عـنـهـ . قال لـعمـيـ بـذـلـكـ . قال : ياحـسينـ أـمـرـ إـنـ خـرـجـ مـنـ رـأـسـكـ قـتـلـتـكـ . قال يـاسـيدـيـ وـمـتـىـ اـخـرـجـتـ لـثـسـراـ . قالـ : اـنـيـ ذـكـرـتـ أـخـيـ مـحـمـدـ اوـ مـاـنـالـهـ منـ الـذـلـةـ فـخـنـقـتـنـيـ الـعـبـرـةـ فـاسـتـرـحـتـ اـلـىـ اـفـاضـتـهاـ . وـلـنـ يـفـوتـ طـاهـرـاـ مـنـ

ما يكره . فاخبر حسين طاهرا بذلك ، فركب طاهر الى احمد بن ابي خالد
 فقال له : ان المعروف عندي ليس بضائع فغيبني عن عينه . قال : سأفعل
 فدخل على المأمون فقال : مابت البارحة . قال : ولم قال : لأنك وليت غسان
 ابن عياد خراسان . وهو ومن معه أكلة رأس ، فلخاف ان يخرج خارج
 من الترك فيصطمه . قال : فن ترى قال : طاهر بن الحسين . فعقاله فضي ،
 فبقي مدة ثم قطع الدعاء للمأمون على المنبر يوم الجمعة . فقال له صاحب البريد :
 مادعوت لا مير المؤمنين قال سهو فلا تكتب . ففعال ذلك في الجمعة الثانية
 والثالثة . فقال له : لا بد ان اكتب لثلا يكتب التجار ويسبقوني قال :
 اكتب فكتب ، فدعى المأمون احمد بن ابي خالد وقال : انه لم يذهب على احتيالك
 في امر طاهر ، وانا اعطي الله عهدا ان لم تشخص حتى توافقني به كما اخرجه
 من قبضتي لتدمن عقباك ، فشخص وجعل يتلوه في الطريق ويعقل بالمرض ،
 فوصل الى الرى وقد بلغته وفاة طاهر . قلت : ولما خرج الراشد من بغداد
 وارادوا تولية المقتفي شهد جماعة من الشهود بأن الراشد لا يصلح لخلافة
 فترعواه وولي المقتفي ، فبلغى انه ذكر المقتفي بعض الشهود فذمه ، وقال :
 كان فيمن أعاد على ابي جعفر . وعلى صند هذا كل من يراعي جانب الحق
 والصواب يرضى عنه من سخط عليه . ولقد حدثني الوزير ابن هبيرة ان
 المستنصر بدد بالله كتب اليه كتابا وهو يومئذ ولـ^ه عهد ، واراد أن يستره من
 ابيه قال فقلت : للواصل به والله ما يمكنتي اقرؤه ولا أجيء عنه . فلما ولى
 الخلافة دخلت عليه فقلت : اكبر دليل على صدقى واخلاصي انى ما حابيتك
 في اييك . فقال : صدقت انت الوزير . وحدثنى بعض الاصدقاء ان قوما
 الحقو الى المخزن بعض دين لهم ليستخلص ، فقال : المسترشد لصاحب

الحزن : خلصه لهم وخذ ما ضمروا لها . فأحضر ابن الرطبي وعرض الأمر عليه ، فقال : هذا أمر بظلم وما حكم فيه . فقال : إن السلطان قد تقدم ، قال ما أفعل . فاحضر قاضيا آخر فبت الحكم ، فأخبر الخليفة بالحال . فقال : أما ابن الرطبي فيشكت على ما قال . وأما الآخر فيعزل . وذلك لأنه بان له إن الحق ما قاله ابن الرطبي . وكذلك ما طلبته السلطان من أن يلقب ملك الملوك ، فاستتفتى الفقهاء فاجازوا ذلك وامتنع من اجازته المأودي ، فعظم قدره عند السلطان . ومثل هذا إذا تتبع كثير . فينبغي أن يحسن القصد لطاعة أخلاق وان سخط الخلق ، فإنه يعود صاغرا ولا يسخط أخلاق ، فإنه يسخط الخلق فيقوت الحظان جميعا .

١٨٤ - فصل — مفید ينبغي للعامل أن ينظر إلى الأصول فيما يخالطه ويعاشره ويشاركه ويصادقه ويزوجه أو يتزوج إليه . ثم ينظر بعد ذلك في الصور ، فإن صلاحها دليل على صلاح الباطن . أما الأصول فإن الشيء يرجع إلى أصله . وبعيد من لا أصل له أن يكون فيه معنى مسحة حسن . وإن المرأة الحسنة إذا كانت من ياتي دوى فقل أذ تكون صينة وكذلك أيضاً الخلط والصديق والباضع والعasher . فاياك أن تخالط إلا من له أصل يخاف عليه الدنس ، فالغالب السلامه . وإن وقع ذلك كان نادراً . وقد قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لرجل : أشر على فيمن استعمل . فقال : أما أدباب الدين فلا يريدونك . وأما أدباب الدنيا فلا تردهم . ولكن عليك بالأشراف ، فاهم يصونون شرفهم عما لا يصلح . وقد روى أبو بكر الصوالي قال حدثني الحسين بن يحيى عن اسحق قال : دعاني المعتصم يوماً فأدخلني معه الحمام ، ثم خرج خلا بي وقال : يا أبا اسحق في نفسك شيء

أُريد أن أأسأك عنه ، إن أخى الأمون اصطنع قوماً تنجبوا ، واصطفيت
أنا مثلهم فلم ينجبوا ، قلت ومن هم قال : اصطنع طاهراً وابنه واسحق وآل
سهل فقد رأيت كيف هم . واصطنعت أنا الأفشين فقد رأيت إلى ما آل
أمره . وأساساً فلم أجده شيئاً ، وكذلك ايتاخ ووصيف . قلت : يا أمير
المؤمنين ، ههنا جواب على أمان من الغضب . قال لك ذاك . قلت : نظر
أخوك إلى الأصول فاستعملها فأتجبت فروعها ، واستعملت فروع الأصول
لها فلم تنجب ، فقال : يا أمير سحق مقاساة ما صر بي طول هذه المدة أهون
على من هذا الجواب . أما الأصول ، فإنه متى صحت البنية ولم يكن فيها عيب
فالغالب صحة الباطن وحسن الخلق ، ومتي كان فيها عيب فالعيب في الباطن
 ايضاً ، فاحذر من به عاهة كالأقرع والأعمى وغير ذلك ، فإن بواعظهم في
 الغالب ردية ؛ ثم مع معرفة أصول الخاطئ وكما صورته لا بد من التجربة
 قبل المخاططة ، واستعمال الحذر لازم ، وان كان كما ينبغي .

- ١٨٥ فصل - ينبغي أن يكون شغل العاقل في العواقب
والتحذر مما يمكن أن يكون . ومن الغلط المنظر في الحالة الحاضرة كل موافق
لما شه ولصحة بدنـه ، ودعا يجري له مصحـو به فيـ ينبغي ان يـعمل على انقطاع
ذلك ، فيـكون مستعدـاً لـتغير الـحوالـ . وكذلك النـظر في لـذة تـغـنى وـتبـقـي
تبعـتها وـعـارـها ، وإـيثـار السـكـسلـ والـدـعـةـ لـما يـجـيـءـ منـ بـقاءـ الجـهـلـ . وكذلك
تحـصـيلـ المرـادـاتـ الـتـيـ لـاـ تـحـصـيلـ الاـ بالـتـلـاطـفـ فـيـ الـاحـتـيـالـ ، خـصـوصـاـ اـذـاـ
أـرـيدـ مـنـ ذـكـىـ فـانـهـ يـقـطـنـ بـأـقـلـ تـلـويـحـ ، فـنـ أـرـادـ غـلـبةـ الذـكـىـ دـقـقـ النـظـرـ وـتـلـاطـفـ
فـيـ الـاحـتـيـالـ ، وـقـدـ ذـكـرـ فـيـ كـتـبـ الـحـيـلـ مـاـ يـسـحـدـ الـخـواـطـرـ ، وـأـتـيـنـاـ بـجـمـلةـ
مـنـهـ فـيـ كـتـابـ الـأـذـكـيـاءـ ، مـثـلـ مـاـ دـوـىـ اـذـ رـجـلـاـ مـنـ الـأـشـرـافـ كـانـ لـاـ يـقـومـ

لأحد ولا يخشى أحدا ، فجاز عليه بعض الوزراء فلم يرد ولم يقم ، فقال ذلك الوزير لرجل : أخبر فلانا الذي قد كامت أمير المؤمنين في حقه : وقد أمر له بمائة ألف ، فليحضر ليقبضها ، فأخبره ذلك الرجل فقال الشريف : إن كان أمر لي بشيء فلينفذه لي ، وإنما مقصوده أن يضع مني بالتردد عليه . فتى وقع الإنسان مع ذكى فينبغي أن يتحرز منه ويسرق أغراضه بصنوف الاحتيال وينظر فيما يجوز وقوعه فليتحرز منه كما ينظر صاحب الرقة النقلات . وكثير من الأذكياء لم يقدروا على أغراضهم من ذكى فأعطوه وبالغوا في اكرامه ليصيدوه . فان كان قليل الفطنة وقع في الشرك ، وان كان أقوى منهم ذكاء علم ان تحت هذه الجنية خبيثة فزاده ذلك احترازا . وأقوى ما ينبغي ان يكون الاحتراز من موته ، فانك اذا آذيت شخصا فقد غرست في قلبه عداوة ، فلا تأمن تفريح تلك الشجرة ، ولا تلتقت الى ما يظهر من ود وان حلف فان قاربته فكن منه على حذر .

١٨٦ - فصل - في حفظ السر . رأيت أكثر الناس لا يهالكون
 من إفشاء سره ، فإذا ظهر عاتبوا من أخبروا به . فواعجبا كيف ضاقوا بمحبسه ذرعائم لاما من أفساه ، وفي الحديث : استعينوا على قضاء اموركم بالكتمان : ولعمري ان النفس يصعب عليها كتم الشيء ، وترى بافشاهه راحه ، خصوصا اذا كان مرضانا أو هما أو عشقا ، وهذه الاشياء في إفشهاف قرينة . إنما اللازم كتمانه احتيال المحتال فيها يريد ان يحصل به غرضا ، فان سوء التدبير إفشاء ذلك قبل تمامه ، فإنه اذا ظهر بطل ما يريد أن يفعل ، ولاعذر لمن أفسى هذا النوع . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفر او زيارة غيره . فان قال قائل : إنما أحدث ، قيل له وكل حديث جاوز الا ثني عشر شاعرا . وربما

لم يكتم صديقه . وكم قد سمعنا من يحدث من الملوك بالقبض على صاحب فهم الحديث الى الصاحب وهرب ففات السلطان مراده . وإنما الرجل الحازم الذى لا يتعداد سره ولا يفشيه الى احد . ومن العجز إفشاء السر الى الولد والزوجة ، والمثال من جملة السر . فاطلاعهم عليه ان كان كثيرا فربما ذنووا هلاك الموروث . وان كان قليلا تبرموا بوجوده . وربما طلبوا من الكثير على مقدار كثرته فأتلفته النفقات . وستر المصائب من جملة كثمان السر ، لأن اظهارها يسر الشامت ويؤلم المحب . وكذلك ينبغي ان يكتم مقدار السن ، لأنها ان كان كبيرة استهروه وان كان صغيرة احتقروه . ومما قد انهال فيه كثير من المفرطين انهم يذكرون بين أصدقائهم اميرا أو سلطانا فيقولون فيه فيبلغ ذلك اليه فيكون سبب الهلاك . وربما رأى الرجل من صديقه اخلاصا وفيا فاشاع سره . وقد قيل :

احذر عدوك مرة واحد رصد يدك الف مرة

فلربما انقلب الصديق فكان أدرى بالضرره

وذهب مفسح سره الى زوجة او صديق فيصير بذلك رهينا عنده ولا يتجرأ أن يطلق الزوجة ، ولا ان يهجر الصديق ، مخافة ان يظهر سره القبيح . فالحاZoom من عامل الناس بالظاهر ، فلا يضيق سره في صدره . فان فارقته امرأة او صديق او خادم لم يقدر احد منهم ان يقول فيه ما يكره . ومن اعظم الأسرار اخلوات ، فلينظر الحازم فيها من الانبساط برأى من مخلوق . ومن خلق له عقل ثاقب دله على الصواب قبل الوصايا .

١٨٧ - فصل - مارأيت أصعب على النفس من الحفظ للعلم والتكرار ، وخصوصا تكرار ما ليس لها في نفس تكراره وحفظه حظ ،

مثيل مسائل الفقه . بخلاف الشعر والسبع ، فإن لها لذة في اعادته وإن كان
صعب ، لأنها تلتفت به مرة ومرتين ، فإذا زاد التكرار صعب عليها ، ولكن
دون صعوبة الفقه وغيره من المسألة حسنات عند الطبع ، فترتها تخلد إلى
الحديث والشعر والتصانيف والناسخ ، لأنها يمر بها كل لحظة ما لم تره ، فهو في
المعنى كالماء الجارى ، لأنه جزء بعد جزء ، وكذا من ينسخ ما يجب أن يسمعه
أو يصنف ، فإنه يتلتف بالحقيقة ويستريح من تعب الاعادة ، إلا أنه ينبغي
للعقل أن يكون جل زمانه للإعادة ، خصوصا الصبي والشاب ، فإنه يستقر
المحفوظ عندهما استقرارا لا يزول ، ويجعل أوقات التعب من الإعادة للنسخ ،
ويحذر من تقلتها إلى النسخ عن الاعادة فيقهرها ، فإنه يحمد ذلك محمد السري
وقت الصباح ، وسيندم من لم يحفظ ندم الكسوع وقت الحاجة إلى النظر
والفتوى ، وفي الحفظ نكتة ينبغي أن تلحظ ، وهو أن الفقيه يحفظ الدرس
ويعيده ؛ ثم يتركه فينساه فيحتاج إلى زمان آخر لحفظه ، فينبغي أن يحكم الحفظ
ويكثر التكرار ليثبت قاعدة الحفظ .

١٨٨ - فصل - ما أعرف نفعا كالعزلة عن الأخلاق خصوصا للعالم والزاهد
فإنك لا تكاد ترى إلا شامتا بنكبة أو حسودا على نعمة ، ومن يأخذ عليك
غلطاتك . فيا للعزلة ما الذّها . سلمت من كدر غيبة ، وأفاث تصنع ، واحوال
المداجة ، وتضييع الوقت . ثم خلا فيها القلب بالتفكير ، لأنّه مستلذّ عنده
بالخاططة ، فدبّر أمر دنياه وآخرته . فمثله كمثل الجمّية يخلو فيها المعا بالاختلاط
فيذيها . وما رأيت مثل ما يصنع الخاطط ، لأنّه يرى حالته الحاضرة من لقاء
الناس وكلامهم فيشتغل بها عما بين يديه . فمثله كمثل رجل يedisfera قد أذف ،
فجعل الناس أقواماً فشغلوه بالحديث حتى ضرب البوق وما زود ، ولو لم يكن في

العزلة إلا التفكير في زاد الرحيل والسلامة من شر المخالطة كفى ثم لاعزلة
 على الحقيقة إلا للعلم والزاهد، فانهما يعلمان مقصود العزلة، وان كانا لافي عزلة.
 وأما العالم فعماه مؤنسه، وكتبه محمده، والنظر في سير السلف مقومه،
 والتفكير في حوادث الزمان السابق فرجته. فان ترقى بعلمه الى مقام المعرفة
 الكاملة للخلق سبحانه وتشبه بأذىال محبتة تضاعفت لذاته، واشتغل بها
 عن الا كوان وما فيها. فخلال بحبيبه وعمل معه ينتهي عالمه ^{و كذلك الزاهد}
 تبعده أنيسه، ومعبوده جليسه، فان كشف ليصره عن المعمول معه غاب عن
 الخلق، وغابوا عنه: انما اعزل ما يؤذى. فهو في الوحدة بين جماعة. فهذا
 رجلان قد سلما من شر الأخلاق، وسلم الخلق من شرورهما، بل هما قدوة
 للمتعبدين وعلم لالسالكين. ينتفع بكلامهما السامع. وتجرى موعظهم المداعع.
 وتنشر هديتهما في الجامع. فمن أراد أن يتشبه بأحدهما فليصابر الخلوة وان
 كرهها ليثمر له الصبر العسل ^{وأعوذ بالله من عالم مخالط العالم}، خصوصا
 لأرباب المال والسلطانين يجتطلب ويجتطلب ويختطلب فما يحصل له شيء من الدنيا
 الا وقد ذهب من دينه أمثاله. ثم أين الأئمة من النذل للفساق. فالذى لا يبالي
 بذلك هو الذى لا يذوق طعم العلم ولا يدرى ما المراد به، وكأنه به وقد وقع في
 بادية جرز وقرر أهل مملكت في تلك البراري. وكذلك المترهد اذا خالط وخلط،
 فانه يخرج الى الريا والتتصنع والنفاق، فيفوته الحظان لاندنيا ونعميهما تحصل
 له ولا الاخرة. فنسائل الله عز وجل خلوة حلوة. وعزلة عن الشر لذة
 يسست صاحبنا فيها لمناجاته. وي لهم كل ما طلب نجاته. انه قريب مجتب
 ١٨٩ - فصل - ما أبله من لا يعلم متى يأتيه الموت، وهو لا يستعد للقائه.
 وأشد الناس بلاءً وتغفيراً من قد عبر السبيلين وقارب السبعين، فان ما يذهبما

هو معترك المانيا . ومن نازل المعترك استعد وهو غافل عن الاستعداد :

قال الشباب لعلنا في شيءنا ندع الذنوب فما يقول الأشيب

والله ان الضحى من الشیخ ماله معنى . وان المزاح منه بارد المعنى . وان تعرضه بالدنيا وقد دفعته عنها يضعف القوى ويضعف الرأى . وهل بقى لا بن ستيين منزل . فان طمع في السبعين فاما يرقى اليها بعناء شديد . ان قام دفع الأرض . وان مشى لهث . وان قعد تنفس . ويرى شهوات الدنيا ولا يقدر على تناولها . فان كل كد المعدة ، وصعب المضم ، وان وطى اذى المرأة ، ووقع دنفا لا يقدر على رد ما ذهب من القوة الى مدة طويلة . فهو يعيش عيش الأسير . فان طمع في الثمانين فهو يزحف اليها حرف الصغير :

و عشر الثمانين من خاصها فان الملامات فيها فنون

فالعقل من فهم مقادير الزمان . فانه فيما قيل قبل البلوغ صبي ليس على عمره عيار ، الا ان يرزق فطنة في بعض الصبيان فطنة تحشى من الصغر على اكتساب المسكارم والعلوم . فاذا بلغ فليعلم انه زمان المحاهدة للهوى وتعلم العلم . فاذا رزق الاولاد فهو زمان الكسب للمعاملة . فاذا بلغ الأربعين انتهى تمامه . وقضى مناسك الاجل . ولم يبق الا الانحدار الى الوطن :

كان الفتى يرقى من العمر معلما الى ان يجوز الاربعين وينحط فينبغي له عند تمام الأربعين ان يجعل جل همته التزود للاخرة . ويكون كل تاممه لما بين يديه . ويأخذفي الاستعداد المرحيل . وان كان الخطاب بهذا ابن عشرين ، الا ان رجاء التدارك في حق الصغير لا في حق الكبير . فاذا بلغ الستين فقد أذر الله اليه في الاجل وجاز من الزمن . فليقبل بكلمته الى جمع زاده ، وتهيء الات السفر ، وليعتقد كل يوم يحيي فيه لغنية ماهي

في الحساب . خصوصاً إذا قوى عليه الضعف وزاد ، فإنه لا يحرك^(١) ، كهون كلما
علت سنته فينبغي أن يزيد اجهاده . فإذا دخل في عشر المئتين فليس إلا الوداع .
وما يبقى بعده . العمر تجارة الانفس . آسف على تفريط أو تعبد على ضعف .
نَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يقظة نامة تصرف عن عرفة قاد الغفلات . وعملاً صالحاً نأى من
معه من الندم يوم الانتقام . والله الموفق .

١٩٠ - فصل - ما من السلف عن الخوض في الكلام إلا أمر
عظيم ، وهو أن الإنسان يريد أن ينظر مالا يقوى عليه بصره فربما تثير
فخرج إلى الحجب ، لأننا إذا نظرنا في ذات الأخلاق حار العقل وبهت الحس ،
لأنه لا يعرف شيئاً لا بداية له ، لا يعلم إلا الجسم والجوهر والعرض ، فائبات
ما يخرج عن ذاك لا يفهمه ، وإن نظرنا في أفعاله رأيناها يحكم البناتم ينقضه
ولا نطلع على تلك الحكمة ، فالإلهي للعقل أن يكف كف التطلع إلى
ما لا يطيق النظر إليه ، ومتي قام العقل فنظر في دليل وجود الأخلاق
بصفو عاته ، وأجاز بعثة بي واستدل بمعجزاته ، كفاه ذلك أن يتعرض لما
قد أغنى عنه ، وإذا قال القرآن كلام الله تعالى بدليل قوله « حتى يسمع كلام الله »
كفاه . وأما من تحذلق فقال : التلاوة هي المتلو وغير المتلو ، القراءة هي
المقروء وغير المقروء ، فيضيع الزمان في غير تحصيل ، والمقصود العمل بما فهم .
وقد حكى أن ملكاً كتب إلى عماله في البلدان التي قادم عليكم فاعملوا كذا وكذا ،
فعملوا إلا واحداً منهم ، فإنه قعد يتفكر في الكتاب فيقول : أترى كتبه
بداداً أو بحبر أترى كتبه قائماً أو قاعداً ، فما زال يتفكر حتى قدم الملك ولم
يعمل مما أمره به شيئاً ، فأحسن جوابه الكل وقتل هذا .

(١) هكذا بالأصل

١٩١ - فصل — لقد غفل طلاب الدنيا عن اللذة فيها واللذة فيها شرف العلم وزهرة العفة وأنفة الحمية، وعز الفناءة، وحلاوة الأفضال على الخلق، فأما الالتذاذ بالمطعم والمنكح فشغف جاهل باللذة، لأن ذلك لا يراد لنفسه بل لاقامة العوض في البدن والولد؛ وأى لذة في النكاح وهي قبل المباشرة لا تحصل، وفي حال المباشرة فرق لا يثبت عند اتفاقهما، لأن لم يكن، ثم يثير الضعف في البدن. وأى لذة في جمع المال فضلاً عن الحاجة. فإنه مسقى عبد لخازن؛ بيت حذرا عليه، ويدعوه قليله إلى كثيرة. وأى لذة في المطعم وعند الجوع يستوى خشنه وحسنه. فإن ازداد إلا كل خاطر بنفسه. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: بنية الفتنة على نلات النساء وهن فخر أيليس المنصوب . والشراب وهو سيفه المرهف . والدينار والدرهم ، وهما سهام المسمومان . فمن مال إلى النساء لم يتصف له عيش . ومن أحب الشراب لم يتعق بعقله . ومن أحب الدينار والدرهم كان عبداً لها ما عاش .

١٩٢ - فصل — أصل كل مخنة في العقائد قياس أمر الأخلاق على أحوال الأخلاق. فان الفلسفه لما رأوا ايجاد شيء لا من شيء كالمستحبيل في العادات قالوا بقدم العالم . ولما عظم عندهم في العادة الاحاطة بكل شيء قالوا: انه يعلم الجمل لا التفاصيل . ولما رأوا تلف الابدان بالبلاء أذكروا اعادتها . وقالوا الاعادة رجوع الأرواح الى معادها . وكل من قاس صفة الأخلاق على صفات المخلوقين خرج الى الكفر . فان الجسمة دخلوا في ذلك لأنهم حلوا أو صافه على ما يعقلون . وكذلك تدبره عز وجل . فان من حمله على ما يعقل في العادات رأى ذبح الحيوان لا يستحسن ، والامراض تستقبع ، وقسمة

الغنى للأبله ، والفقير للجلد العاقل أصرا ينافى الحكمة . وهذا في الأوضاع
بين الخلق . فاما الخائق سبحانه انه فان العقل لا ينتهي إلى حكمته . بلى . قد
ثبتت عنده وجوده وملائكته وحكمته . فتعرضه بالتفاصيل على ما تجري به
عادات الخلق جهل . الا ترى الى أول المترضين وهو ابليس كيف ناظر
فقال : أنا خير منه ، وقول خليفة وهو أبو العلاء المعري :
رأى منك ما لا يشهى فتندقا

ونسأل الله عز وجل توفيقا للتسليم ، وتسليمها للحكيم « وربنا لا تزعغ قلوبنا
بعد اذ هديتنا » أترى نقدر على تعليمي أفعاله فضلا عن مطالعة ذاته ، وكيف
نقيس أمره على أحوالنا ، فإذا رأينا نبيينا صلى الله عليه وسلم يسأل في أمته وعمره
فلا يقبل منه ويقلب جائعا والدنيا ملائكة يده . ويقتل أصحابه والنصر يدخل قلبه ،
أوليس هذا مما يحير ؟ قالوا والاعتراض على مالك قد ثبتت حكمته واستقر ملجمه

١٩٣ - فصل - تأملت عجباً ، وهو ان كل شيء نقيس خطير
يطول طريقه ويكثر التعب في تحصيله . فان العلم لما كان أشرف الاشياء
لم يحصل الا بالتعب والاسهر والتكرار وهجر المذاالت والراحة . حتى قال
بعض الفقهاء : بقيت سنتين أشهى المريسة لا أقدر ، لأن وقت بيعها وقت
سماع الدرس . ونحو هذا تحصيل المال ، فإنه يحتاج الى المخاطرات والاسفار
والتعب الكثير . وكذلك نيل الشرف بالكرم والجود ، فإنه يفتقر الى
جهاد النفس في بذل المحبوب ، وربما آلت الى الفقر . وكذلك الشجاعة ،
فإنها لا تحصل الا بالمخاطرة بالنفس . قال الشاعر :

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يُفقر والاقدام قتال
ومن هذا الفن تحصيل الثواب في الآخرة . فإنه يزيد على قوة

الاجتهد والتعبد، أو على قدر وقع المبذول من المال في النفس، أو على
 قدر الصبر على فقد المحبوب ومنع النفس من الجزع. وكذلك الزهد
 يحتج إلى صبر عن الهوى. والعفاف لا يكون إلا بكاف كف الشره.
 ولو لا ما عانى يوسف عليه السلام ما قيل له أنها الصديق. والله أقوام
 مارضوا من الفضائل إلا بتحصيل جميعها. فهم بما يغدو في كل علم ويجهدون
 في كل عمل. ويثابون على كل فضيلة. فإذا ضعفت أبدانهم عن بعض ذلك
 قامت النيات نائبة وهم لها سابقون. وأكمل أحواهم إعراضهم عن أعمالهم.
 فهم يحتقرونها مع التمام ويعتذرون من التقصير. ومنهم من يزيد على هذا
 في تشاغل بالشكير على التوفيق لذلك، وهم من لا يرى مأمول أصلاً لأنه يرى
 نفسه وعمله لسيده. وبالعكس من المذكور عن أرباب الاجتهد حال أهل
 الكسل والشره والشهوات، فإن التذدوا بعاجل الراحة لقد أوجبت ما يزيد
 على كل تعب من الأسف والخسارة. ومن تماح صبر يوسف عليه السلام
 وعجلة ما عزّ بان له الفرق، وفهم الرح من الخسران. ولقد تأملت نيل
 الدر من البحر فرأيته بعد معاناة الشدائـد. ومن تفكـر فيما ذكرته مثلاً بانت
 له أمثلـاً، فالموفق من تماح قصر الموسم المعـمول فيه، وامتداد زمانـالجزءـاء
 الذي لا آخر له انـهـب حتىـالـلحـظـةـ. وزاحـمـ كلـفضـيـلةـ، فـإـنـاـإـذـفـاتـ فـلـاـوـجـهـ
 لاـسـتـدـراـكـهاـ: أوـلـيـسـ فـيـالـحـدـيـثـ يـقـالـ لـلـرـجـلـ: «ـاقـرأـ وـارـقـ فـيـنـزـاكـ عـنـدـ
 آخـرـ آيـةـ تـقـرـؤـهـاـ». فـلـوـ اـنـ الـفـكـرـ عـمـلـ فـيـ هـذـاـ حـقـ الـعـمـلـ حـفـظـ الـقـرـآنـ عـاجـلاـ.
١٩٤ - فصل -- اـيـسـ الـمـؤـمـنـ بـالـذـىـ يـؤـدـيـ فـرـائـضـ الـعـبـادـاتـ
 صـورـةـ، وـيـتـجـنـبـ الـمـحـظـورـاتـ خـسـبـ. اـنـمـاـ الـمـؤـمـنـ الـكـامـلـ الـإـيمـانـ وـلـاـ
 يـخـتـلـجـ فـيـ قـلـبـهـ اـعـرـاضـ، وـلـاـ يـسـاـكـنـ فـيـهـ يـحـرـىـ وـسـوـسـةـ. وـكـلـاـ اـشـتـدـ الـبـلاءـ

عليه زاد ايمانه . وقوى تسليمه . وقد يدعو فلا يرى للإجابة أثرا ، وسره لا يتغير لانه يعلم انه مملوك وله مالك يتصرف بعنةتضى ارادته ، فان احتاج في قلبه اعتراض خرج من مقام العبودية الى مقام المراقبة ، كما جرى لا بليس . والایمان القوى يبين اثره عند قوة البلاء . فأما اذا رأينا مثل يحيى بن زكريا تساط عليه فاجر فيما امر بذبحه فيذبح . ودربما احتاج في الطبيع ان يقول فهل رد عنه من جعله نبيا . وكذلك كل نسلط من الكفار على الانبياء والمؤمنين وما وقع واد عنهم ، فان هجس بالفكرة ان القدرة تعجز عن الرد عنهم كان كفرا . وان علم ان القدرة متمكنة من الرد وما ردت ، ويحتج المؤمنين ويشبع الكفار ويماق العصاة ، ويرضى المتقين لم يبق الا التسليم للهالك وان أمض وأرمض . وقد ذهب يوسف بن يعقوب عليهما السلام فيذكر ثمانين سنة ثم لم يأس ، فقال : «عسى اللہ ان يأتی بہم جیعا» وقد دعا موسى عليه السلام على فرعون ، فأجيب بعد اربعين سنة وكان يذبح الانبياء ولا تردد القدرة القديمة العظيمة . وصلب السحرة ، وقطع أيديهم . وكم من بلية نزلت بمعظم القدر ، فما زاده ذلك الا تسليما ورضيًّا فهناك يبين معنى قوله «ورضوا عنه» ونهنا يظهر قدر قوة الایمان لافي ركعات ، قال الحسن البصري : استوى الناس في العافية فإذا نزل البلاء تباينوا .

١٩٥ - فصل - اضر ما على العوام المتكلمون . فانهم يخبطون عقائدهم بما يسمعونه منهم . من أقبح الاشياء أن يحضر العامي الذي لا يعرف أركان الصلاة ولا الربا في البيع محاس الوعظ فلا ينهاه عن التوانى في الصلاة ، ولا يعلم الخلاص من الربا ، بل يقول له القرآن قائم بالذات ، والنبي عندنا مخلوق . فيهون القرآن عند ذلك العامي ، فيختلف به على

الكذب . ويح المتكلم لو كان له فهم أعلم أن الله سبحانه وتعالى نصب أعلاما تأنس بها النفوس وتطمئن إليها كالكعبة وسماتها بيته ، والعرش وذكر استواءه عليه ، وذكر من صفاته اليد والسمع والبصر والعين ، وينزل إلى إلى السماء الدنيا ، ويضحك . وكل هذا لتأنس النفوس بالعادات . وقد جل عما تضمنته هذه الصفات من الجوارح . وكذلك عظم أمر القرآن ، وهي المحدث أن يمس المصحف فـَأَلَ الامر بقوم من المتكلمين إلى أن أجازوا الاستجابة به . فهو لاء على معاندة الشريعة ، لأنهم يهينون ما عظم الشرع . وهل الإيغال في الكلام مما يقرب إلى معرفة الحقائق التي لا يمكن خلافها ! هيئات لو كان كذلك ما وقع بين المتكلمين خلاف ، أو ليس الشرب الأول مات كلاموا في شيء من هذا ! وإن كانوا تعرضوا بعض الأصول . ثم جاء فقهاء الأمصار فنهوا عن الخوض في الكلام ، لعلهم ما يجلب وما يجتنب ومن لم يقنع بعقيدة مثل الصحابة ولا بطريق مثل طريق أحمد والشافعى في ترك الخوض فلا كان من كان . ثم بالله تأملوا أليس قد وجّب علينا هجر الربا بقوله تعالى : « لَا تأكلو الربا » : وهجر الزنا بقوله : « وَلَا تقربوا الزنا » فأى فائدة لنا في ذكر قرأة ومقرؤة وتلاوة ومتلو وقدم ومحذث . فان قيل : فلا بد من اعتقاد ، قلنا : طريق السلف أوضح محجة ، لأننا نقوله تقليدا ، بل بالدليل ولكننا لم نستفاده عن جوهر وعرض وجزء لا يتجزى ، بل بأدلة النقل مع مساعدة العقل من غير بحث عمما لا يحتاج إليه وليس هذا مكان

الشرح

١٩٦ – فصل – مازلت على عادة الخلق في الحزن على من يموت من الأهل والأولاد ، ولا أتخايل إلا بدان في القبور فاحزن لذلك .

فمررت بي أحاديث قد كانت تمر بي ولا أتفكر فيها ، منها قول النبي صلى الله عليه وسلم : إنما نفس المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرده الله عز وجل إلى جسده يوم يبعثه : فرأيت أن الرحيل إلى الراحة ، وإن هذا البدن ليس بشيء ، لأنه صر كث تفكك وفسد ، وسيبني جديدا يوم البعث ، فلا ينبغي أن يتفكر في بلاء . ولتسكن النفس إلى أن الأرواح انتقلت إلى راحة فلا يبقى كبير حزن ، وإن اللقاء للأحباب عن قرب . وإنما يبقى الاسف لتعلق الخلق بالصود ، فلا يرى الإنسان إلا جسدا مسخة حسنا قد نقض فيحزنه . والجسد ليس هو الآدمي ، إنما هو صر كث ، فالآرواح لا ينالها البلي . والأبدان ليست بشيء . واعتبر هذا بما إذا قلعت ضرسك فرميته في حفرة ، فهل عندك خبر مما يلقي في مدة حياتك ، فحكم الأبدان حكم ذلك الضرس ، لا تدري النفس ما يلقي . ولا ينبغي ازتعان بتمزيق جسد المحبوب وبلاه ، وادرك نعم الأرواح ، وقرب التجديد ، وعجل اللقاء والفكر في تحقيق هذا يهون الحزن ويسهل الأمر .

١٩٧ - فصل - ينبغي للعامل أن لا يتكلّم في الخلوة عن أحد بشيء حتى يمثل ذلك الشيء ظاهرا معلنا به ثم ينظر فيما يحيى . فرب رجل وثق بصريح فتalam عن سلطان بأمر فبلغه فأهلكه ، أو عن صديق فبلغه فوقعت الواقعـة وكذلك ينبغي كتم المذاهب ، فإنه ما يرجح مظهرها إلا بالمعاداة . ولما صرخ الشـريف أبو جعفر في زمان المقتدى بمخالفة الأشاعرة أخذ وحبس حتى مات ، وكان المقصود قطع الفتن واصلاح الرعية ، فإنه أئمـا إلى السلطـان من التعصب لمذهبـ.

١٩٨ - فصل - رأيت كثيرا من المتفاخرين يظهـر عليهم السخط

بالاً قدار ، وفيهم من قل إيمانه ، فأخذ يعترض ، وفيهم من خرج إلى
 الكفر ، ورأى أن ما يحرى كالعبد ، وقال ما فائدة الاعدام بعد الإيجاد ،
 والابتلاء من هو غنىًّا عن أذانا . فقلت لم يمض من كان يرمي إلى هذا أن
 حضر عقلك وقلبك حدثتك ، وإن كنت تتكلم ب مجرد واقعك من غير
 نظر وإن صاف فالحديث معك ضائع . ويحك ، أحضر عقلك : واسمع ما أقول :
 أليس قد ثبت أن الحق سبحانه مالك ، ولله الحمد أن يتصرف كيف يشاء ؟
 أليس قد ثبت أنه حكيم والحكيم لا يحيط ؟ وأنا أعلم أن في نفسك من هذه
 الكلمة شيئاً فانه قد سمعنا عن جالينوس انه قال : ما أدرى ؟ أحكم هو
 أم لا . والسبب في قوله هذا ، انه رأى نقضنا بعد حكم ، ففاس الحال على
 أحوال الخلق وهو أن من بنى ثم نقض لا لمعنى فليس بحكيم . وجوابه
 لو كان حاضراً أَن يقال : بماذا ينفك لك ان النقض ليس بحكمـة ؟ أليس
 بعقلك الذي وهبه الصانع لك ؟ وكيف يهرب لك الذهن الكامل ويفوتـه هو
 الكمال : وهذه الحنة التي جرت لا بليس . فإنه أخذ يعيـب الحكمة بعقلـه ،
 فلو تفكـر علىـهـ أن واهـب العـقل أعلاـ من العـقل ، وإن حـكـمةـ أـوـفـ منـ كـلـ
 حـكـيمـ ، لأنـ بـحـكـمـةـ التـامـةـ أـنـشـأـ العـقـولـ . فـهـذاـ إـذـ أـتـمـلـهـ المـنـصـفـ زـالـ عـنـهـ
 الشـكـ . وقد أـشـارـ سـبـحانـهـ إـلـىـ نـحـوـ هـذـاـ فـقـولـ تـعـالـيـ «ـ اللهـ الـبـنـاتـ وـلـكـ
 الـبـنـونـ »ـ أـىـ جـعـلـ لـنـفـسـهـ النـاقـصـاتـ وـأـعـطـاـكـ الـكـامـلـينـ :ـ فـلـمـ يـقـ الـأـنـ
 تـضـيـفـ الـعـجـزـ عـنـ فـهـمـ مـاـ يـحـرـىـ إـلـىـ نـفـسـنـاـ .ـ وـنـقـولـ هـذـاـ فـعـلـ عـالـمـ حـكـيمـ .
 وـنـكـنـ مـاـ يـبـيـنـ لـنـاـ مـعـنـاهـ ،ـ وـلـيـسـ هـذـاـ بـعـجـبـ ،ـ فـإـنـ مـوـسـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ خـفـيـ عـلـيـهـ
 وـجـهـ الـحـكـمـ فـنـقـضـ السـفـيـنـةـ الصـحـيـحةـ .ـ وـقـتـلـ الـغـلامـ الجـمـيلـ :ـ فـلـمـ يـزـلـ لـهـ الـخـضـرـ
 وـجـهـ الـحـكـمـ اـذـعـنـ .ـ فـلـيـكـنـ مـعـ الـخـالـقـ كـوـسـىـ مـعـ الـخـضـرـ .ـ أـوـ لـسـنـاـزـىـ

لما ناده المسئحة حسنة بما عليها من فنون الطعام النقيف الظريف يقطع ويضيق . ولسننا نملك تلك الافعال ولا ننكر الاسفاس له ، لعلمنا بالصلحة الباطنة فيه ، فما المانع أن يكون فعل الحق سبحانه له باطن لا ظاهر . ومن أجهل الجهل العبد المملوك اذا طلب ان يطلع على سر مو لاه ، فان فرضه التسليم لا اعتراض . ولو لم يكن في الابتلاء بما ينكره الطباع الا ان يقصد إذعان العقل وتسليمها لـ كفى . ولقد تأملت حالة عجمية، يحوز أن يكون المقصود بالموت هي ، وذلك ان اخلاقه سبحانه غيب في غير لا يدركه الاحساس . فلو انه لم ينقض هذه البنية لتخايل الانسان انه صنع لا بصنع . فاذا وقع الموت عرفت النفس نفسها التي كانت لا تعرفها لـ كونها في الجسد وتدرك عجائب الامور بعد دحيلها . فاذا رُدّت الى البدن عرفت ضرورة انها مخلوقة لمن أعادها . وتذكّرت حالها في الدنيا . فان الاذكار تماد كما تماد البدان . فيقول قائلهم «انا كنا قبل في اهلانا مشفقين» ومتى رأت ما قد وعدت به من امور الآخرة . أيقنت يقينا لا شك معه . ولا يحصل هذا بغاية ميت سواها . وانا يحصل برؤية هذا الامر فيها فيبني بنية تقبل البقاء وتسكن جنة لا ينقضي دوامها ، فيصلح بذلك اليقين ان تجاور الحق ، لأنها آمنت بما وعد ، وصبرت بما ابتلى ، وسلمت لأقدرها ، فلم تتعرض ، ورأت في غيرها العبر ، ثم في نفسها . فهذه هي التي يقال لها : «ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخل في عبادي وادخل جنّتي» فاما الشاك والكافر فيحق لهم الدخول الى النار واللbeit فيها ، لأنهما رأيا الا أدلة ولم يستفيدهما ونازعوا الحكيم واعتراض عليه ، فعاد شؤم كفرهما يطمس قلوبهما ، فيقيمت على ما كانت عليه ، فاما لم تنتفع بالدليل في الدنيا لم تنتفع بالموت والاعادة .

و دليل بقاء الخبث في القلوب قوله تعالى « ولو رُدّوا العادوا لمانوا عنه »
 فسأل الله عز وجل عقلًا مسلماً يقف على حده ، ولا يعترض على خالقه
 وموجده . ثم الويل للمعرض ، أيرُد اعتراضه إلا قدار ؟ فما يستفيد إلا الخزي .
 نعوذ بالله من خذل .

١٩٩ - فصل - لا ينبغي للمؤمن ان ينزعج من مرض او نزول
 موت ، وان كان الطبيع لا يملك . الا انه ينبغي له التصبر مما امكنته ، إما
 لطلب الأجر بما يمتاز ، أو لبيان أثر الرضى بالقضاء ، وما هي الا لحظات
 ثم تنتهي . وليتفكر المعانى من المرض في الساعات التي كان يفاقق فيها
 أين هى في زمان العافية ؛ ذهب البلاء وحصل الثواب ، كما تذهب حلاوة
 اللذات الحرام ويبقى الوزر . ويختفى زمان التسخط بالأقدار ، ويبقى العتاب .
 وهل الموت الا آلام تزيد فتعجز النفس عن حملها فـ ذهب فليتصور
 المريض وجود الراحة بعد رحيل النفس ، وقد هان ما يلقى ، كما يتصور
 العافية بعد شرب الشربة المرة . ولا ينبغي ان يقع جزع بذكر البلى ، فان
 ذلك شأن المركب . أما الراكب ففي الجنة أو في النار . واما ينبغي أن يقع
 الاهتمام السكلى بما يزيد في درجات الفضائل قبل نزول الموعق عنها . فالسعيد
 من وفق لاغتنام العافية ، ثم يختار تحصيل الافضل فالافضل في زمن
 الاغتنام . وليعلم ان زيادة المنازل في الجنة على قدر التزايد من الفضائل هبنا .
 والعمر قصير ، والفضائل كثيرة . فليبالغ في البدار . فيما طول راحة التعب ،
 ويا فرحة المغوم ، ويا سرور المحزون . ومتى تخايل دوام اللذة في الجنة من
 غير منغص ولا قاطع ، هان عليه كل بلاء وشدة .

٢٠٠ - فصل - حضرنا يوماً جنازة شاب مات أحسن ما كانت

الدنيا له ، فرأيت من ذم الناس للدنيا ، وعيب من سكن إليها ، والتقييح
 للغافلين عن الاستعداد لهذا الموضع أمراً كبيراً من الحاضرين . فقلت :
 نعم ما قلت . ولكن اسمعوا مني مالم تسمعوه . أعجب الاشياء ان العاقل
 اذا علم قرب هذا الموضع منه أوجب عليه عقله البدار بالعمل والقلق من
 الخوف . وقد اشتد ذلك بأقوام فها مواقف البرادى ، وطروا الايام
 بالجحاعة ، وداموا على سهر الليل ، ولازموا المقابر ، فهذا كوا سريراً . ولعمري
 إن مخاوفه يستحق أن يكون من هذا الفعل . ولكن نوى العقل الذي
 أوجب هذا القلق قد أمر بما يوجب السكون ، فقال : إنما خلق هذا البدن
 ليحمل النفس كما تحمل الناقة الراكب ، ولا بد من التلطيف بالناقة ليحصل
 المقصود من السير ، ولا يحسن في العقل دوام السهر وطول القلق ، لانه
 يؤثر في البدن فيفوت أكثر المقصود . كيف وقد خلق بدن الآدمي
 خلقاً طيفاً ، فإذا هجر الدسم نشف الدماغ ، فإذا دام على السهر قوى اليقظ ،
 فإذا لازم الحزن مرض القلب . فلا بد من التلطيف بالبدن بتناول ما يصلحه
 وبالقلب بما يدفع الحزن المؤذى له . والا فتى دام المؤذى عجل التلف . ثم يأتى
 الشرع بما قد قاله العقل . فيقول : إن انفسك عاليك حقاً . وإن لزوجك
 عليك حقاً . فصم وأفطر . وقم ونم . ويقول : كفى بالمرء إنما أن يضيع من
 يقوت : ويبحث على النكاح . ودام القلق واليقظ يترك الزوجة كالارملة ،
 والولد كاليتيم . ولا وجہ للتشاغل بالعلم مع هذا القلق . ومن أراد مصداق
 ما قلته فليتأمل حالة الرسول ﷺ ، فإنه كان يعدل ما عنده من الخوف
 فيما زاح ، ويسابق عائشة ، ويكثر من التزوج . وكان يتلطيف بيده ،
 فيختار الماء البائن ، ويحب الحلوى واللحوم . ولو لا مساكنة نوع غفلة لما

صنف العلماء ، ولا حفظ العلم ، ولا كُتُبُ الحديث . لازم من يقول :
 ربِّيَا مَتِ الْيَوْمِ كَيْفَ يَكْتُبُ وَكَيْفَ يَسْمَعُ وَيَصْنَفُ . فَلَا يَهُوَ لَنْكُمْ مَا تَرَوْنَ
 مِنْ غَفْلَةِ النَّاسِ عَنِ الْمَوْتِ حَقْ ذَكْرِهِ ، فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ بِهَا تَقُومُ
 الدِّينُ ، وَيَصْلَحُ الدِّينَ . وَإِنَّمَا تَذَمُّ قَوْةَ الْغَفْلَةِ الْمُوجِبَةَ لِلتَّفْرِيطِ وَالْأَهَالِ
 لِلْمَحَاسِبَةِ لِلنَّفْسِ ، وَتَضَيِّعُ الزَّمَانَ فِي غَيْرِ التَّزُودِ ، وَدِبَّا قَوْيَتْ خَفْلَتْ عَلَى
 الْمُعَاصِي . فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ بِقَدْرِ كَانَتْ كَالْمَلْحِ فِي الطَّعَامِ لَابْدَ مِنْهُ ، فَإِنْ كَثُرَ
 صَارَ الطَّعَامَ زَعْافًا . فَالْغَفْلَةُ مَدْحُ اِذَا كَانَتْ بِقَدْرِ كَانَتْ . وَمَنْ زَادَتْ وَقْعَ الدَّنَمِ
 فَأَفْهَمَ مَا قَلَتْهُ . وَلَا تَقْلِ فَلَانْ شَدِيدَ الْيَقْظَةِ مَا يَنْمِي اللَّيلُ ، وَفَلَازْ غَافِلَ يَنْمِي
 أَكْثَرَ اللَّيلِ ، فَإِنْ غَفْلَةً تُوْجِبُ مَصْلَحَةَ الْبَدْنِ وَالْقَلْبِ لَاتَّذَمُ وَالسَّلَامُ .
 ٢٠١ - فَصِلٌ - مَا يَكَادُ يُحِبُّ الْاجْتِمَاعَ بِإِنْسَانِ الْفَارَغِ ، لَأَنَّ

الْمَشْغُولُ الْقَلْبُ بِالْحَقِّ يَفْرَمِنُ الْخَلْقَ . وَمَنْ تَمْكَنَ فَرَاغُ الْقَلْبِ مِنْ مَعْرِفَةِ
 الْحَقِّ امْتَلَأَ بِالْخَلْقِ ، فَصَارَ يَعْمَلُ لَهُمْ وَمِنْ أَجْاهِهِمْ وَيَهْلِكُ بِالْيَاءِ وَلَا يَعْلَمُ . وَإِنِّي
 لَا تَأْمُلُ عَلَى بَعْضِ مَنْ يَتَزَيَا بِالْفَقْرِ وَالْتَّصْوِفِ وَهُوَ يَلْبِسُ ثِيَابًا لَا تَسَاوِي
 دِيَنَارًا ، وَعِنْدَهُ الْمَالُ الْكَثِيرُ ، وَقَدْ أَمْرَحَ نَفْسَهُ فِي الْمَطَاعِمِ الشَّهِيْرَةِ ، وَهُوَ عَامِلٌ
 بِمَقْتَضِيِ الْكَبْرِ وَالْتَّصْدِرِ ، فَيَقْرُبُ إِلَى أَرْبَابِ الدِّينِ ، وَيَسْتَدِرُ إِلَى أَرْبَابِ الْعِلْمِ ،
 وَيَزُورُ أُوْلَئِكَ دُونَهُمْ . وَإِنَّمَا يَرُدُّ مَا يَعْطِي لِيَشْعِيْعَ لَهُ اِسْمَ زَاهِدٍ ، فَتَرَاهُ يَرْبِي
 النَّامُوسَ وَهُوَ فِي اِحْتِيَالِهِ كَشْعَلْبٍ بِوْفِ نَهْوَضِهِ عَلَى أَغْرَاضِهِ فِي الْبَاطِنِ كَلْبٍ
 شَرِّيٍّ . فَاقُولُ : سَبَّحَانَ اللَّهِ ، مَا يَزَهُدُ إِلَى الثِّيَابِ ، أَتَرِيَ : مَا سَمِعْ هَذَا قَوْلَ النَّبِيِّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثْرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ : وَأَعُوذُ بِاللهِ
 مِنْ رُؤْيَا النَّفْسِ ، وَرُؤْيَا الْخَلْقِ ، فَإِنْ مَنْ رَأَى نَفْسَهُ تَكْبُرُ ، وَالْمُتَكَبِّرُ أَحْمَقُ ،
 لَا نَهُ مَامِنْ شَيْءٍ يَتَكَبَّرُ بِهِ إِلَّا وَلِغَيْرِهِ أَكْثَرُ مِنْهُ ، وَمَنْ رَأَى الْخَلْقَ عَبْدَهُ

وهو لا يعلم . فاما العامل لله سبحانه وتعالى فهو بعيد من الخلق ، فان تقربوا اليه ستر حاله بما يوجب بعدهم عنه . وقد رأينا من يرأى ولا يدرى فيمتنع من المشي في السوق ، ومن زيارة الاخوان ، ومن أن يشتري شيئاً بنفسه ، وتوهمه نفسه أنى أكره مخالطة السوق . وانما هذا يربى جاهماً بين العلماء ، اذ لو خالطهم لامتحن جاهه . وبطل تقبيل يده . وقد كان بشر الحافي يجلس في مجلس عند العطار . وابلغ من هذا كله أن نبينا صلي الله عليه وسلم كان يشتري ويحمله . وخرج على بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أمير المؤمنين فاشترى ثوباً . وقد كان طالحة بن مطر رف قارىءاً أهل الكوفة ، فلما كثر الناس عليه مشى الى الأعمش فقرأ عليه ، فقال الناس الى الأعمش وتركوا طالحة . هذا والله الكبريت الأحر ، والاكسير ، لاما يظن اكسيراً في الكيمياء . والمعاملة مع الله تعالى هكذا تكون . فاما ضد هذه الحال فالإله عابد للخلق ملبس . وقد عم هذا جهود اخلق حاشا السلف .

أفدى ظباء فللة ماعرفن بها مضخ الكلام ولاصبع الحواجيب

٢٠٢ — فصل — كل المعااصى قبيحة ، وبعضها أقبح من بعض ، فان ازنا من أقبح الذنوب ، فانه يفسد الفرش وغير الانساب ، وهو بالجازة أقبح . فقد روی في الصحيحين من حديث ابن مسعود قال : قلت يا رسول الله أى ذنب أعظم ؟ قال : أَنْ تَحْمِلَ اللَّهُ نَدَاءً وَهُوَ خَلْقُكَ . قلت : ثم أى ، قال : أَنْ تُقْتَلَ وَلَدُكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ . قات ثم أى ، قال : أَنْ تَرَأَنِي حَلِيلَةً جَارِكَ : وقد روی البخاري في تاريخه من حديث المقداد بن الأسود عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال : لَا أَنْ يُزَنِي الرَّجُل بعشرة نسوة أيسراً من أنيزني بأمرأة جاره . ولا أَنْ يسرق من عشرة أئيات

أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره : وإنما كان هذا ، لأنَّه يضم إلى معصية الله عز وجل إنها كحق الجار . ومن أقبح الذنوب أن يزنيَ الشَّيخ ، ففي الحديث : إنَّ الله يبغض الشَّيخ الرَّازِي : لأنَّ شَهْوَةَ الطَّبِيعَةِ قَدْمَاتٌ ، وليس فيها قوَةٌ تُغلِّبُ ، فهو يحرِّكُها ويبالغُ ، فكانت معصيَّته عناداً . ومن المعاشرى التي تشبه العاندة ليس الرجل أحْرَى والذهب ، خصوصاً خاتم الذهب الذي يتخلَّى به الشَّيخ وانه من أبُرِّ الْأَفْعَالِ وأقبحُ الخطايا . ومن هـذا الفن الرياء والتباخُر واظهار التزهد للخلق ، فإنه كالعبادة لهم مع اهال جانب الحق عز وجل . وكذلك المعاملة بالربا الصريح ، خصوصاً من الغنى الكثير المال . ومن أقبح الأشياء أن يطول المرض بالشيخ الكبير ولا يتوب من ذنب ، ولا يعتذر من زلة ، ولا يقضى دينا ، ولا يوصى باخراج حق عليه . ومن قبائح الذنوب أن يتوب السارق والظالم ولا يرد المظالم . والمفرط في الزكاة أُوْفِيَ الصلاة ولا يقضى . ومن أقبحها أن يحنث في يمين طلاقه ثم يقيم مع المرأة . وقس على ما ذكرته ، فالمعاشرى كثيرة ، وأقبحها لا يخفى . وهذه المستقبحات فضلاً عن القبائح تشبه العاندة للأمر ، فيستحق صاحبها اللعن ودوام العقوبة . وإنَّ لـأرى شرب الحمر من ذلك الجنس ، لأنَّها ليست مشهادة لذاتها ولا لريحتها ولا لطعمها فيما يذكر ، إنما لذتها فيما يقال بعد تجروع مراتها ، فالاقدام على ما لا يدعون إليه الطبع إلى أن يصل التناول إلى اللذة معاندة . نـسأـل الله عز وجل إيماناً يحجز بيننا وبين مخالفته . وتوفيقنا لما يرضيه . فـإنـما نـحنـ بهـ وـلهـ .

٢٠٣—فصل—اعتبرت على أكثر العلماء والرهاد أنهم يطمون إلى الكبر

فـهـذـاـ يـنـظـرـ فيـ مـوـضـعـهـ وـارـتقـاعـ غـيـرـهـ عـلـيـهـ ، وـهـذـاـ لاـ يـعـودـ مـرـيـضاـ فـقـيرـاـ يـرـىـ

نفسه خيراً منه ، حتى انى رأيت جماعة يوماً اليهم ، منهم من يقول لا أدن الا
 في دكة أَمْهَدْ بْنُ حَنْبِيلَ ، ويعلم أن في ذلك كسر عظام الموتى ، ثم يرى نفسه
 أهلاً لذلك التصدر : ومهم من يقول : ادفنوني الى جانب مسجدى ظنا
 منه أنه يصبر بعد موته مزراً كمعروف الكرخي . وهذه خلة مهلكة
 ولا يعلمون قال النبي صلى الله عليه وسلم : من ظن أنه خير من غيره فقد
 تكبر : وقل من رأيت الا وهو يرى نفسه . والعجب كل العجب من
 يرى نفسه ، أَرَاهَا بِإِذَا رَأَاهَا : ان كان بالعلم فقد سبقه العلاماء ، وان كان
 بالتعبد فقد سبقه العباد ، او بالمال فان المال لا يوجب بنفسه فضيلة دينية .
 فان قال : قد عرفت ما لم يعرف غيري من العلم في زمني ، فما علىَّ من
 تقديم ، قيل له : ماناً مرك يا حافظ القرآن أن ترى نفسك في الحفظ
 كمن يحفظ النصف ، ولا ياقفيه ان ترى نفسك في العلم كالعامي ، انما نحذر
 عليك ان ترى نفسك خيراً من ذلك الشخص المؤمن وان قل عالمه ، فان
 الخيرية بالمعنى لا بصور العلم والعبادة . ومن نام مع خصال نفسه وذنوبها
 علم انه على يقين من الذنب والتقصير ، وهو من حال غيره على شك .
 فالذى يحذركنه الاعجاب بالنفس ، ورؤيه التقادم في أحوال الآخرة .
 والمؤمن لا يزال يحتقر نفسه . وقد قيل لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه :
 ان مت ندفنك في حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : لأن ألقى الله
 بكل ذنب غير الشرك أحب الى من أن أرى نفسي أهلاً لذلك . وقد روينا :
 ان رجلاً من الرهبان رأى في المنام قائلاً يقول له : فلان الاسكاف خير منك ،
 فنزل من صومعته فجاء اليه فسألته عن عمله فلم يذكر كبير عمله ، فقيل له
 في المنام : عد اليه وقل له : مم صفرة وجهك ، فعاد فسأله فقال : ما رأيت

مسلمًا إلا وظنته خيرًا مني فقيل له: فبذاك ارتفع.

٢٠٤ - فصل - متى رأيت صاحبك قد غضب وأخذ يتكلّم بما لا يصلح، فلا ينبغي أن تعقد على ما يقوله خصراً، ولا ان توأخذ به، فان حال حال السكران، لا يدرى ما يجرى، بل اصبر لفورته، ولا تعول عليها، فان الشيطان قد غلبه، والطبع قد هاج، والعقل قد استتر ومتى أخذت في نفسك عليه، أو أجبته بمقتضى فعله كنّت كعافل واجه مجنوناً، أو كمفيق عاتب مغنى عليه، فالذنب لك. بل انتظر بعين الرحمة، وتلمح تصريف القدر له، وتفرج في لعب الطبع به. واعلم انه اذا انتبه ندم على ما جرى، وعرف لك فضل الصبر. وأقل الاقسام ان تسأله فيما يفعل في غضبيه الى ما يستريح به. وهذه الحالة ينبغي ان يتاه بها الولد عند غضب الوالد، والزوجة عند غضب الزوج، فتترکه يشتفي بما يقول، ولا تعول على ذلك، فسيعود نادماً معتذراً. ومتى قوبل على حاته ومقاتله صارت العداوة متمكنة، وجازى في الافتقاء على ما فعل في حقه وقت السكر. واكثر الناس على غير هذه الطريق، متى رأوا غضبان قابلوه بما يقول ويعمل على مقتضى الحكمة. هذا. بل الحكمة ماذكرته. وما يعلمه إلا العالمون.

٢٠٥ - فصل - ليس في الدنيا أبله من يسىء الى شخص ويعلم انه قد بلغ الى قلبه بالاذى ثم يصطلاحان في الظاهر، فيعلم ان ذلك الاذى محى بالصلاح. وخصوصاً الملوك، فان لذتهم الكبيرة أن لا يرتفع عليهم أحد، ولا ينكسر لهم غرض. فإذا جرى شيء من ذلك لم ينجبر. واعتبر هذا بأبي مسلم الخراساني، فإنه عرض من قدر المنصور قبل ولايته خصل ذلك في نفسه فقتلها. ومن نظر في التوارييخ رأى جماعة قد جرى لهم مثل هذا.

و لا ينبغي لمن أساء إلى ذى سلطان أن يقع في يده ، فإنه اذا رأى التخلص لم يقدر .
 فيبقى ندمه على ترك احترازه . و حسرته على مسامكنة الضمان للسلامة أشد
 عليه من كل ما يلقى به من الهوان والأذى . ومن هذا الجنس الأصدقاء
 المتماثلون . فانك متى آذيت شيخضا وبلغ إلى قلبه أذاك فلا تشق بموته ، فان
 أذاك نصب عينه ، فان لم يحتل عليك لم يتصف لك . ولا تحالف الامن انعمت
 عليه بحسب ، فهو لم ير منك الا خيرا فيكون في نفسه . وكذلك الولد
 والزوجة والمعاملون . ويلحق بهذا ان أقول : لا ينبغي أن تعادى أحدا ولا
 تتكلم في حقه ، فربما صارت له دولة فاشتفي ، وربما احتاج إليه فلم يقدر
 عليه . فالاعاقل يصور في نفسه كل ممكناً ويستر ما في قلبه من البغض والود ،
 ويداري مع الغيظ والحدق . هذه مشاور العقل ان قبلت .

٢٠٣ - فصل - كل من لا يتلمح العواقب ويسعد لما يجوز
 وقوفه فليس بكامل العقل . واعتبر هذا في جميع الاجوال ، مثل أن يفتر
 بشبابه ويدوم على العاصي ويسوف بالتنوبه ، فربما أخذ بعنة ولم يبلغ بعض
 ما أمل . وكذلك اذا سوّف بالعمل أو بحفظ العلم ، فان الزمان ينقضى
 بالتسويف ويفوت المقصود ، وربما عزم على فعل خير أو وقف شيء من
 من ماله فسوف فجعت . فالاعاقل من أخذ بالحزن في تصوير ما يجوز وقوعه
 وعمل بمحقق ذلك ، فان امتد الاجل لم يضره ، وان وقع المخوف كان محترزا .
 واما يتعلق بالدنيا ان يعيش مع السلطان ويسيء الى بعض حواشيه ثقة
 بقربه منه ، فربما تغير ذلك السلطان فارتفع عدوه فاتقمه منه . وتدیدي
 بعض الاصدقاء ولا يبالى به لانه دونه في الحالة الحاضرة ، فربما صعدت
 مرتبة ذلك فاستوفى ما أسلفه اليه من القبيح وزاد . فالاعاقل من نظر فيما

يجوز وقوعه ولم يعاد أحدا ، فإن كان ينفع ما يوجب المعادة كتم ذلك ،
فإن صرحت به على عدوه فينتقم منه إنقاوماً بيده الشرع جاز ، على
أن العفو أصلح في باب العيش . ولهذا ينبغي أن يخدم البطل ، فإنه ربما
عمل فعرف ذلك لمن خدم . وقس على أنموذج ماذكرته من جميع
الاحوال .

٢٠٧ - فصل - بقدر صعود الإنسان في الدنيا تزداد مرتبته في
الآخرة . وقد صرحت بذلك ابن عمر رضي الله عنهما فقال : والله لا ينال أحد
من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته عند الله ، وإن كان عندك شيئاً .
فالسعيد من اقتضى بالبلوغ ، فإن الزمان أشرف من أن يضيع في طلب
الدنيا . اللهم إلا أن يكون متورعاً في كسبه معيناً لنفسه عن الطمع قاصداً
اعانة أهل الخير والصدقة على الحتاجين ، فكسب هذا أصلح من بطالته .
فاما الصعود الذي سببه مخالطة السلاطين فبمقدار أن يسلِّم معه الدين ، فإن
وكلامه ظاهر فالعقوبة خطرة . قال أبو محمد التميمي : ماغبت أبداً
إلا الشرييف أبا جعفر يوم مات القائم بأمر الله فانه غسله وخرج ينفض
أكمامه ففقد في مسجده لا يباتي بأحد ونحن مزعجون لأندرى ما يجري
 علينا ، وذلك أن التمييى كان متعلقاً على السلطان يمضى له في الرسائل خاف
غمبة القرب . وقد رأينا جماعة من العلماء خالطوا السلطان وكانت مغبته
سيئة . ولعمري أنهم طلبوها الراحة فأخطأوا طريقها ، لأن غموم القلب
لا يوازيها مال ، ولا لذة مطعم ، هذا في الدنيا قبل الآخرة . ومن أشرف
وأطيب عيشـاً من منفرد في زاوية لا يخالط السلاطين ولا يباتي أطابـ
مطعمـه أم لم يطبـ ، فإنه لا يخلو من كسرة وعقب ماء ، وهو سليم من أنـ

يقال له كلام تؤذيه أو يعييجه الشرع حين دخوله عليهم أو الخلق . ومن
 تأمل حال أَمْدَنْ بْنُ حَنْبَلَ فِي اِنْقِطَاعِهِ وحال ابن أَبِي دَاوُدَ وَيَحِيَّ بْنَ أَكْثَمَ
 عَرَفَ الْفَرْقَ فِي طَيِّبِ الْعِيشِ فِي الدُّنْيَا وَالسَّلَامَةِ فِي الْآخِرَةِ . وَمَا أَحْسَنَ
 مَا قال ابن أَدْهَمْ : لَوْ عَلِمَ الْمُلُوكُ وَابْنَاءَ الْمُلُوكَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ لَذَّةِ الْعِيشِ
 جَادَلُونَا عَلَيْهِ بِالسَّيْوَفِ . وَلَقَدْ صَدَقَ ابن أَدْهَمْ ، فَإِنَّ السُّلْطَانَ إِنْ أَكَلَ
 شَيْئًا خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ طُرِحَ لَهُ فِيهِ سَمٌّ ، وَإِنْ نَامَ خَافَ أَنْ يُغْتَالَ ، وَهُوَ
 وَرَاءَ الْمَغَالِيقِ لَا يَعْلَمُهُ أَنْ يَخْرُجَ لِفَرْجَةٍ ، فَإِنْ خَرَجَ كَانَ مِنْزَعْجًا مِنْ أَقْرَبِ
 الْخَلْقِ إِلَيْهِ ، وَاللَّذَّةُ الَّتِي يَنْهَا تَبَرُّدُ عَنْهُ ، وَلَا يَبْقَى لَهُ لَذَّةُ مَطْعَمٍ وَلَا مَنْكَحٍ ،
 وَكَلَمًا اسْتَهْرَفَ الْمَطَاعِمُ أَكْثَرُ مِنْهَا فَقَسَدَتْ مَعْدَتُهُ ، وَكَلَمًا اسْتَجَدَ الْجَوَارِدُ
 أَكْثَرُ مِنْهُنَّ فَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ ، وَلَا يَكُادُ يَبْعَدُ مَا بَيْنَ الْوَطَىِ فَلَا يَجِدُ فِي الْوَطَىِ
 كَبِيرَ لَذَّةً ، لَأَنَّ لَذَّةَ الْوَطَىِ بَقِدْرِ بَعْدِ مَا بَيْنَ الزَّمَانَيْنِ ، وَكَذَلِكَ لَذَّةُ الْأَكْلِ .
 فَإِنْ مَنْ أَكَلَ عَلَى شَبَعٍ وَوَطَىِ مِنْ غَيْرِ صَدَقٍ شَهْوَةً وَقُلْقَلَ لَمْ يَجِدِ اللَّذَّةَ
 التَّامَّةَ الَّتِي يَجِدُهَا الْفَقِيرُ إِذَا جَاءَعَ وَالْعَزْبُ إِذَا وَجَدَ اِمْرَأًا . ثُمَّ إِنَّ الْفَقِيرَ يَرَى مِنِ
 نَفْسِهِ عَلَى الطَّرِيقِ فِي الظَّلَيلِ فِينَامَ . وَلَذَّةُ الْأَمْرَاءِ مِنْ قَدْ حَرَمَهُ الْأَمْرَاءُ . فَلَذَّتْهُمْ
 نَاقْصَةً ، وَحَسَابُهُمْ زَائِدٌ . وَاللَّهُ مَا أَعْرَفُ مِنْ عَاشَ رَفِيعَ الْقَدْرِ بَالْغَا مِنِ
 الْلَّذَّاتِ مَمْ يَبْلُغُ غَيْرُهُ الْأَعْلَامُ الْمُخْلَصُونَ كَالْحَسَنِ وَسَفِيَانَ وَأَمْدَنَ ، وَالْعَبَادُ
 الْمُحْقَقُونَ كَعُرُوفٍ ، فَإِنَّ لَذَّةَ الْعِلْمِ تَزِيدُ عَلَى كُلِّ لَذَّةٍ . وَأَمَّا ضَرُّهُمْ إِذَا جَاءُوا
 أَوْ ابْتَلُوا بِأَذْنِيِّ : فَإِنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ فِي رُفْعَتِهِمْ ، وَكَذَلِكَ لَذَّةُ الْخَلْوَةِ وَالْتَّعْبِيدِ . فَهَذَا
 مَعْرُوفٌ ، كَانَ مُنْفَرِدًا بِرَبِّهِ طَيِّبَ الْعِيشِ مَعَهُ لَذِيَّ الْخَلْوَةِ بِهِ ، ثُمَّ قَدَمَاتِ مَنْذَ
 نَحْوِ أَرْبَعَائَةِ سَنَنَةٍ فَمَا يَخْلُو إِنْ يَهْدَى إِلَيْهِ كُلُّ يَوْمٍ مَا تَقْدِيرُ مَجْمُوعَهُ أَجْزَاءٌ
 مِنَ الْقُرْآنِ . وَأَقْلَهُ مَنْ يَقْفَضُ عَلَى قَبْرِهِ فَيُقْرَأُ قَلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَيَهْدِيهَا لَهُ .

والسلطين تقف بين يدي قبره ذليلة هذا بعد الموت ، ويوم الحشر تنشر
الكرامات التي لا توصف ، وكذلك قبور العلماء المحققين . ولما بليت أقوام
بمخالطة الامراء أثر ذلك التكدير في أحواهم كلها . فقال : سفيان بن
عيسى منذ أخذت من مال فلان الامير منعت ما كان وُهب لي من فهم
القرآن وهذا أبو يوسف القاضي لا يزور قبره اثنان . فالصبر عن مخالطة
الامراء وان أوجب ضيق العيش من وجه يحصل طيب العيش من جهات ،
ومع التخليل لا يحصل مقصود . فن عزم جزم . كان أبو الحسن القزويني
لا يخرج من بيته الا وقت الصلاة ، فربما جاء السلطان فيقعد لانتظاره
ليسلم عليه ، ومد النفس في هذا ربما أضجر السامع . ومن ذاق عرف .

٢٠٨ - فصل - من عرف الشرع كاً ينبعى وعلم حالة الرسول صلى
الله عليه وسلم وأحوال الصحابة وأكابر العلماء علم ان اكثرا الناس على غير
الجاده ، وإنما يشنون مع العادة ، يتزارون فيغتاب بعضهم بعضاً ، ويطلب كل
واحد منهم عورات أخيه ، ويحسده ان كانت نعمة ، ويشمت به ان كانت
مصلحة ، ويتكبر عليه ان نصح له ، ويخادعه لتحصيل شيء من الدنيا ،
ويأخذ عليه العرارات ان أمكن . هذا كله يجري بين المتنميين الى الزهد لا
الراغع . فالاولى بن عرف الله سبحانه وعرف الشرع وسير السلف
الصالحين الانقطاع عن الكل ، فان اضطر الى لقاء منتب الى العلم والخير
تلقاء وقد ليس درع الحذر ، ولم يطل معه الكلام ، ثم عجل المذهب منه الى
مخالطة الكتب التي نحوى تفسيرا النطاق الكمال

٢٠٩ - فصل - الكمال عزيز . والكمال قليل الوجود . فأول
أسباب الكمال يناسب أعضاء البدن ، وحسن صورة الباطن ، فصورة

البدن تسمى خلماً ، وصورة الباطن تسمى خلماً . ودليل كمال صورة البدن حسن الصمت ، واستعمال الادب . ودليل صورة الباطن حسن الطياع ، والأخلاق . فالطياع العفة ، والنزاهة ، والأئنة من الجهل ، وبمبايعة الشره . والأخلاق الكرم ، والإيثار ، وستر العيوب ، وابتداء المعروف ، والحلم عن الجاهل . فمن رزق هذه الأشياء رقته إلى الكمال ، وظهر عنده أشرف الأخلال ، وإن نقصت خلة أو جبت النقص .

٢١٠ - فصل - ليس في الدنيا أبله من يريد معاملة الحق سبيحة على بلوغ الأغراض ، فأين تكون البنوى اذن : لا والله ، لا بد من انعكاس المرادات ، ومن توقف أجوبة السؤالات ، ومن تشفي الأعداء في أوقات . فأما من يريد أن تدوم له السلامة والنصر على من يعاديه ، والعافية من غير بلاء ، فما عرف التكليف ، ولا فهم التسليم . أليس الرسول صلى الله عليه وسلم يُنصر يوم بدر ، ثم يجرب عليه ما جرى يوم أحد . أليس يُصد عن البيت ثم قهر بعد ذلك . فلا بد من جيد وردي ، والجيد يوجب الشكر ، والردي يحرك إلى السؤال والدعاء ، فان امتنع الجواب ، أريد نفوذ البلاء ، والتسليم للقضاء . وله هنا يبين الآيات ، ويظهر في التسليم جواهر الرجال . فان تحقق التسليم باطنًا وظاهرًا فذلك شأن الكامل . وان وجد في الباطن انعصار من القضاء لا من المقضى فان الطبع لا بد أن ينفر من المؤذى دل على ضعف المعرفة . فان خرج الامر إلى الاعتراض بالسان ، فتكلك حال الجهل ، نموذ بالله منها .

٢١١ - فصل - من الابتلاء العظيم اقامة الرجل في غير مقامه . مثل أن يحوج الرجل الصالح إلى مداراة الظالم والتردد إليه ، والى مخالطة

من لا يصلح ، والى أعمال لا تليق به ، او الى امور تقطع عليه مراده الذى يؤثره ، مثل أن يقال للعالم : تردد الى الامير والا خفنا عليك سطوه ، فيتردد فيرى ما لا يصلح ولا ينكه أن ينكر ، او يحتاج الى شئ من الدنيا وقد منع حقه فيحتاج أن يعرض بذكر ذلك ، أو يصرح لينال بعض حقه ، وبحاجة الى مداراة من تصعب مداراته ، بل يتشتت همه لتلك الغرورات . وكذلك يفتقر الى الدخول في امور لا تليق به ، مثل أن يحتاج الى السكب فيتردد الى السوق أو يخدم من يعطيه أجرته . وهذا لا يحتمله قلب المراقب لله سبحانه لا أجل ما يخالطه من الاكدار أو يكون له عائلة وهو فقير فيتذكر في اغناائهم ، فيدخل في مداخل كلها عنده عظيمه . وقد يبتلى بفقد من يحب ، أو يلاء في بدنها ، وبعكس أغراضه وتسلیط معاديه عليه ، فيرى الفاسق يقهره . والظالم يذله . وكل هذه الاشياء تکدر عليه العيش ، وتکاد تزيل القلب ، وليس في الابلاء بقوة الاشياء الا التسلیم والالجا الى المقدار في الفرج . فيرى الرجل المؤمن الحازم يثبت لهذه العظام ولا يتغير قلبه ، ولا ينطق بالشكوى لسانه . أوليس الرسول ﷺ يحتاج ان يقول : من يواريني من ينصرني ، ويفتقر الى ان يدخل مكة في جوار كافر ، ويُشق السبيل على ظهره وُقتل أصحابه ، ويداري المؤلفة ، ويشتد جوعه وهو ساكن لا يتغير . وما ذاك الا أنه علم ان الدنيا دار ابتلاء ، لينظر كيف ت عملون . وما يهون هذه الاشياء علم العبد بالاجر ، وان ذلك صرada الحق : فما الجرح اذا أردناكم ألم :

٢١٢ - فصل - لا ينكر ان الطباع تحب المال ، لانه سبب بقاء الابدان ، لكنه يزيد حبه في بعض القلوب حتى يصير محبو بالذاته لا للتوصيل

به الى المقصود ، فترى البخيل يحمل على نفسه العجائب ، وينعمها اللذات ،
 وتصير لذاته في جمع المال . وهذه جبالة في خلق كثير . وليس العجب ان
 تكون في الجهل . وينبغي ان يؤثر فيها عند العلامة المجاهدة للطبع ومخالفته ،
 خصوصاً في الافعال الالزمة في المال . فاما ان يكون العالم جاماً للمال من
 وجوه قبيحة من شبّهات قوية وبحرص شديد وبذل في الطلب ، ثم يأخذ
 من الزكوات ولا تحمل له مع الغنى ، ثم يدخله ولا ينفع به ، فهذه بهيمية
 تخرج عن صفات الادمية ، بل البهيمية أشد ، لأنها بالرياضة تتغير طباعها ،
 وهو لا يغريتهم رياضة ، ولا أفادهم العلم . ولقد كان أبو الحسن البسطامي مقيناً
 في رباط البسطامي الذي على نهر عيسى ، وكان لا يلبس إلا الصوف شتاءً
 وصيفاً ، وكان يحترم ويُقصد ، فخلف ما يزيد على أربعة آلاف دينار . ورأينا
 بعض أشيائنا وقد بلغ المئتين وليس له أهل ولا ولد ، وقد مرض فألقى نفسه
 عند بعض أصدقائه يتكلف له ذلك الرجل ما شئيه وما يشفيه ، فمات فخلف
 أموالاً عظيمة : ورأينا صدقة بن الحسين الناسخ ، وكان على الدوام يذم الزمان
 وأهله ، وينبأ في الطلب من الناس ويتحفف وهو في المسجد وحده ليس
 له من يقوم بأمره ، فمات فخلف فيها قيل ثلاث مائة دينار . وكان يصيحبنا
 أبو طالب بن المؤيد الصوفي . وكان يجمع المال ، فسرق منه نحو مائة دينار ،
 فتلهف عليها وكان ذلك سبب هلاكه . ومن أحوال الناس أنك ترى
 أقواماً جلسوا على صفة القوم يطلبون الفتوح ، فإذا تهم منها الكثير الذي
 يصيرون به من الأغنياء ، وهم لا ينتبهون من أخذ زكاة ولا من طلب .
 وكذلك القصّاص ، يخرجون إلى البلاد ويطلبون ، فيحصل لهم المال الكثير ،
 فلا يتركون الطلب عادة . فيسبحان الله . إى شى أفاد العلم : بل الجهل كان لهؤلاء

اعذر . ومن أَقْبَح أَحْوَاهُمْ لِرَوْمَهُمْ الْأَسْبَابُ الَّتِي تَجْلِبُ لَهُمُ الدُّنْيَا مِنَ التَّخَاشُعِ
وَالْتَّنَسِكِ فِي الظَّاهِرِ ، وَمَلَازِمَةَ حَثِّ الْعَزْلَةِ عَنِ الْمُخَالَطَةِ ، وَكُلِّ هُؤُلَاءِ بِعَزْلِ
عَنِ الشَّرْعِ . وَلَفَدَ تَأْمِلَتِ عَلَى بَعْضِهِمْ مِنَ الْقَدْحِ فِي نَظِيرِهِ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ بِهِ
إِلَى التَّعْرُضِ بِهِ لِلْهَلاَكِ . فَالْوَيْلُ لِهُمْ ، مَا أَقْلَى مَا يَتَمَتَّعُونَ بِظُواهِرِ الدُّنْيَا ، وَإِنْ
كَانَ مَقْلُبَ الْقُلُوبِ قَدْ صَرَفَ الْقُلُوبَ عَنْ مُحْبَتِهِمْ ، لِأَنَّ الْحَقَّ عَزْ وَجْلٌ
لَا يَمْلِئُ بِالْقُلُوبِ إِلَّا الْخَلَصَى . فَقَدْ فَاتَهُمُ الدُّنْيَا عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَهِيَ
مَمْسِكُ الْقُلُوبِ . وَالآخِرَةُ بِالْأَنْفَاقِ ، وَمَا حَصَلُوا إِلَّا صُورَةُ الْحَطَامِ . نَسَأْلُ
اللَّهَ عَزْ وَجْلَ عَقْلًا يَدْبُرُ دُنْيَانَا ، وَيَحْصُلَ لَنَا آخِرَتِنَا ، وَالرِّزْقَ قَادِرٌ .

٢١٣ - فصل - ينبغي لمن عرف شرف الوجود ان يحصل افضل
الموجود . هذا العمر موسم . والتجارات تختلف . والمامة تقول : عليكم
بما خف حمله وكثرن عنه . فينبغي للمسطية ظ ان لا يطلب الا الانفس وأنفس
الأشياء في الدنيا معرفة الحق عز وجل . فمن العارفين السالكين من وافق
في طريقه بغيرته في السفر ، ومنهم من همته متفقة بطلب ربه ، ومنهم
من ينظر إلى ما يرضي الحبيب فيجلبه إلى بلد المعاملة ، ويرضى بالقبول
عننا ، ويرى أن كل البضائع لاتفاق بحق الخفارة ، ومنهم من يرى لزوم الشكر
في اختياره السائق دون غيره فيقرر بالعجز . وقد ارتفع قوم عن هذه
الآحوال ، فرأوا مجرد التوفيق يشغلهم عن النظر إلى العمل . اوئلئك
الآقلون عدداً وأن الآعظمون قدراً أقل نسلاً من عنقاء مغرب .

٢٤ - فصل - من علم قرب الرحيل عن مكة استكثر من
الطواف ، خصوصاً ان كان لا يؤمل العود . لـ كبر سنـه وضعـف قـوـته .
فكذلك ينبغي لمن قارب ساحل الأجل بعلـوـ سنـهـ أنـ يـمـارـدـ الـلحـظـاتـ ، وـيـنـظـرـ

١٢٥ - فصل - من أراد أن يعلم حقيقة الرضى عن الله عز وجل في أفعاله ، وأن يدرى من أين نشأ الرضى ، فليفكـر في أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإنه لما تكاملت معرفته بالخالق سبحانه رأى أن الخالق مالك ، ولم يـالـك التصرف في ملوكـه ، ورأـه حـكـيـما لا يـصـنـعـ شيئاً ، فـسـلـمـ تـسـلـيمـ مـمـلـوكـ لـحـكـيـمـ ، فـكـانـ العـجـائـبـ تـجـرىـ عـلـيـهـ وـلـاـ يـوـجـدـ مـنـهـ تـغـيـرـ ، وـلـاـ مـنـ الـطـبـعـ تـأـفـ ، وـلـاـ يـقـولـ بـلـسـانـ الـحـالـ لـوـ كـانـ كـذـاـ ، بل يـثـبـتـ لـلـأـقـدـارـ ثـبـوتـ الـجـبـيلـ لـمـواـصـفـ الـرـيـاحـ . هـذـاـ سـيـدـ الـوـسـلـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـعـثـ إـلـىـ الـخـلـقـ وـحـدـهـ وـالـكـفـرـ قـدـ مـلـأـ الـآـفـاقـ ، فـجـعـلـ يـفـرـمـ مـكـانـ إـلـىـ مـكـانـ ، وـاسـتـقـرـ فـدارـ الـخـيـرـ دـارـ ، وـهـمـ يـضـرـبـونـ إـذـ خـرـجـ وـيـدـمـونـ عـقبـهـ وـشـقـ السـلـىـ عـلـىـ ظـهـرـهـ وـهـوـ سـاـكـنـ . وـيـخـرـجـ كـلـ موـسـمـ فـيـقـولـ مـنـ

(١) هكذا بتكرار الغداة والعشى مرتين في الأصول التي بأيدينا فليراجم

(۱۶-)

يؤوبني من ينصرني ! ثم خرج من مكة فلم يقدر على العود الا في جوار
 كافر ، ولم يوجد من الطبع تألف ، ولا من الباطن اعتراف . اذ لو كان
 غيره لقال : يارب أنت مالك الخلق . وقدر على النصر . فلم أذل ، كما قال عمر
 رضي الله عنه يوم صلح الحديبية : أنسنا على الحق ، فلم نعطي الدنيا في ديننا
 ولما قال هذا ، قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : انى عبد الله ولن يضيعنى .
 فجمعت الكلمتان الأصلين المذين ذكرناهما . فقوله : انى عبد الله . اقرار
 بالملك وكأنه قال : أنا مملوك يفعل بي ماشاء . وقوله : لن يضيعنى بيان
 حكمته ، وانه لا يفعل شيئاً عيناً . ثم يبتلى بالجوع فيشد الحجر ، والله خزائن
 السموات والأرض . وتقتل أصحابه ، ويُشَحِّ وجهه ، وتكسر رباعيته ،
 ويُثْلَب بعده وهو ساكت . ثم يرزق ابناً ويسلب منه ، فيتعمل بالحسن
 والحسين فيخبر بما سيجري عليهم . ويسكن بالطبع الى عائشة رضي الله
 عنها فينفعه عيشه بقذفها . ويبالغ في اظهار المعجزات فيقام في وجهه
 مسيمة والعنسى وابن صياد . ويقيم ناموس الامانة والصدق ، فيقال :
 كذاب ساحر . ثم يعلقه المرض كما يوعك رجاله وهو ساكت .
 فان أخبر بحاله فليعلم الصبر . ثم يشدد عليه الموت ، فيسلب روحه الشريفة
 وهو مضجع في كسام ملبدوا زاد غليظ ، وليس عندهم زيت يوقد به المصباح
 ليلاً . هذا الشيء ما قدر على الصبر عليه كما ينبعى نبي قبله . ولو ابتليت به
 الملائكة ما صبرت هذا آدم عليه السلام يباح له الجنة سوى شجرة فلا
 يقع ذباب حرصه الا على العقر . ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول في المباح
 مالي ولالمانيا . وهذا نوح عليه السلام يضاج مما لا يرى فيصيغ من كد وجده
 «لاتذر على الارض من الكافرين ديارا» . ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول : الاهم

أهذ قوم فانهم لا يعلمون : هذا الكلام موسى صلى الله عليه وسلم ، يستغىث عند عبادة قومه العجل على القدر « ان هي الا فتنتك » ويوجه اليه ملك الموت فيقلع عينه . ويعسى صلى الله عليه وسلم يقول : ان صرفت الموت عن أحد فأصرفه عنى . ونبينا صلى الله عليه وسلم يخير بين البقاء والموت فيختار الرحيل الى الرفيق الاعلى . هذا سليمان صلى الله عليه وسلم يقول : هب لي ملكا . ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم اجعل دزق آل محمد قوتا . هذا والله فعل رجل عرف الوجود والموجود ، فانت أغراضه ، وسكنت اعتراضاته فصار هو اه فيما يجري .

٢٦ - فصل - اكثير شهوات الحسن النساء . وقد يرى الانسان امرأة في ثيابها فيتخايل له أنها أحسن من زوجته ، أو يتصور بفكرة المستحبسات وفكره لا ينظر الا الى الحسن من المرأة ، فيسعى في التزوج والتسرى ، فإذا حصل له مراد لم يزل ينظر في عيوب الحاصل التي ما كان يتذكر فيها فيميل ويطلب شيئا آخر ، ولا يدرى أن حصول أغراضه في الظاهر ربها اشتمل على محن ، منها أن تكون الثانية ل الدين لها أولا عقل أو لا محية لها أو لاتدبر فيفوت أكثر مما حصل . وهذا المعنى هو الذي أوقع ازننة في الفواحش . لأنهم يجالسون المرأة حال استئثار عيوبها عنهم وظهور محسنتها ، فتلذ لهم تلك الساعة ، ثم ينتقلون الى أخرى . فليعلم العاقل أن لاسبيل الى حصول مراد تام كما يريد « ولستم باخذيه الا أن تغمضوا فيه » وما عيب نساء الدنيا بأحسن من قوله عز وجل « ولهم فيها أزواج مطهرة » ذو الائفة يأنف من الوسخ صورة ، وعيوب الخلق معنى . فليقنع بما ياطنه الدين ، وظاهره الستر والقناعة . فإنه يعيش مرفه السر . طيب القلب

ومقى ما استكثُر ، فانما يستكثُر من شغل قلبه ورقه دينه .

١٢٧ - فصل - سبحان من شغل كل شخص بفن لتنام العيون في الدنيا فأما في العلوم فمحب إلى هذا القرآن والى هذا الحديث والى هذا النحو . اذ لو لا ذلك ما حفظت العلوم وأهم هذه المتعيش أن يكون خبازاً؛ وهذا أن يكون هرّاساً، وهذا أن ينقل الشوك من الصحراء، وهذا أن ينقى البشار ليملئن الخلائق . ولو ألم أكثر الناس أن يكونوا خبازين مثلاً، بات الخبز وهلاك ، أو هراسيين جفت الهراسين . بل يفهم هذا بقدر لينظم أمر الدنيا وأمر الآخرة . ويندر من الخلق من يفهم الكمال وطلب الأفضل ، والجمع بين العلوم والاعمال ، وعمالات القلوب ، وتفاوت أبواب هذه الحال . فسبحان من يخلق ما يشاء ويختار . نسأل الله العفو أن لم يقع الرضى ، والسلامة لم نصلح لالمعاملة .

١٢٨ - فصل - علم الحديث هو الشريعة ، لأنها مبين للقرآن وموضحة للحلال والحرام ، وكاشف عن سير الرسول صلى الله عليه وسلم وسير أصحابه . وقد مزجوا بالكذب ، وأدخلوا في المنقولات كل قبيح ، فإذا وافق الزاهد والواعظ لم يذكر إلا ما شهد بصحته ، وإن حرما التوفيق ، عمل الزاهد بكل حديث يسمعه لحسن ظنه بالرواية ، وقال الواعظ كل شيء يراه لجهله بالتصحيح ، ففسدت أحوال الزاهد ، وأنحرف عن جادة المهدى ، وهو لا يعلم . وكيف لا وعموم الأحاديث الدالة على الزهد لا ثبت ، مثل حديث ابن عمر رضى الله عنهما : أيما أمرىء مسلم اشتوى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له : وهذا حديث موضوع ، يمنع الإنسان ما أباح له مما يتقوى به على الطاعة . ومثل قوله : من وضع ثياباً حساناً . وكذلك مادروا «أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم قدم له أدمان فقال: أدمان في قدح، لا حاجة ل فيه ، أكره أن يسألني الله عن فضول الدنيا . وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكل البطيخ بالرطب : ومثل هذا اذ تتبع كثير ، فقد بنوا على فساده ، ففسدت أحوال الوعاظ والموعظ ، لأنه يبني كلامه على أشياء فاسدة ومحالات . ولقد كانت جماعة من المزهدية يعملون على أحاديث ومنقولات لاتصح ، فيضيع زمانهم في غير المشروع . ثم ينكرون على العلماء استعمالهم للمباحثات ، ويرون أن التجفف هو الدين . وكذلك الوعاظ يحدّثون الناس بما لا يصح عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه . فقد صار الحال عندهم شريعة . فسيحان من حفظ هذه الشريعة بأخبار أخيار ينفون عنها تحريف الغالين ، واتصال المبطلين .

. ١٢٩ - فصل - كان قد سألي بعض أصحاب الحديث . هل في مسند احمد ما ليس ب صحيح : فقلت : نعم . فعظم ذلك على جماعة ينسبون الى المذهب فهمت أمرهم على انهم عوام ، وأهملت فكر ذلك . واذا بهم قد كتبوا افتاؤى . فكتب فيها جماعة من أهل خراسان ، منهم أبو العلاء المهمداني يعظمون هذا القول ، ويردونه ويقطبون قول من قاله . فبقيت دهشةً متعجبة ، وقلت في نفسي : واعجبنا صار المنتسبون الى العلم عامةً أيضاً ، وما ذاك الا أنهم سمعوا الحديث ولم يبحثوا عن صحيحه وسقمه ، وظنوا أن من قال ما قالته قد تعرض للطعن فيما أخرجه احمد ، وليس كذلك . فان الامام احمد روى المشهور والجيد والردي ، ثم هو قد ردَّ كثيراً مما روى ولم يقبل به ولم يجعله مذهبنا . أليس هو القائل في حديث الوضوء بالنبيذ مجحول ؟ ومن نظر في كتاب العمل الذي صنفه أبو بكر الخلال رأى احاديث كثيرة

كالها في المسند ، وقد طعن فيها أَحْمَد . ونقلت من خط القاضي أَبِي يَعْلَى مُحَمَّد
ابن الحسين الفراء في مسألة النبيذ قال : إنما دوى أَحْمَد في مسنده ما اشتهر ،
ولم يقصد الصحيح ولا السقيم . ويidel على ذلك أن عبد الله قال . قلت
لأَبِي : ما تقول في حديث ربعي بن حراس عن حذيفة ؟ قال : الذي يرويه
عبد العزيز بن أَبِي رواد ؟ قلت نعم . قال : الأحاديث بخلافه . قلت : فقد
ذكرته في المسند . قال : قصدت في المسند المشهور ، فلو أردت أن أقصد
ما صح عندي لم أرد من هذا المسند إلا الشيء بعد الشيء البسيط ، ولكنك
يا بني تعرف طريقي في الحديث ، لست أخالفاً ما ضعف من الحديث إذا لم
يكن في الباب شيء يدفعه . قال القاضي : وقد أخبر عن نفسه كيف طريقه
في المسند . فمن جعله أصلاً للصحة فقد خالفه وترك مقاصده . قلت : قد غمني
في هذا الزمان أن العلماء لتقصيرهم في العلم صاروا كالعامة ، وإذا مر بهم
حديث موضوع قالوا قدروى . والبقاء ينبغي أن يكون على خساسة الهم . ولا
حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

٢٢٠ - فصل - باغي عن بعض فساق القدماء انه كان يقول :

ما أرى العيش غير أن تتبع النفـسـ هوها فخطئـاً أو مصـيـباً

فتدررت حال هذا وإذا به ميت النفس ، ليس له أ Ngha على عرضه ولا خوف
عار . ومثل هذا ليس في مسلاخ الآدميين ، فان الانسان قد يقدم على القتل
لثلا يقال جبان . ويحمل الانقال ليقال ما فاجر . ويخاف العار فيصبر على كل آفة
من الفقر ، وهو يستر ذلك حتى لا يرى بعين رؤصـةـ حتى ان الجـاهـلـ اذا قـيلـ
له يا جـاهـلـ غـضـبـ . والاصـوصـ المـهـيـئـونـ للحرـامـ اذا قـالـ أحـدـهـ لـلـآـخـرـ
لا تـكـلـمـ . فـانـ أـخـتـكـ تـفـعـلـ وـتـصـنـعـ . أـخـذـتـهـ الـجـمـيـةـ فـقـتـلـ الـآـخـتـ . وـمـنـ لـهـ نـفـسـ

لا تقف في مقام تهمة لئلا يظن به . فاما من لا يبالي أن يرى سكران ، ولا يهمه ان شهر بين الناس ، ولا يؤلمه ذكر الناس له بالسوء ، فذاك في عداد الابهائم . وهذا الذي يريد أن يتبع النفس هو اهلا يلتذ به إلا أن لا يخاف عنقها ولا لوما ، ولا يكون له عرض يحذر عليه ، فهو بهيمة في مسلاخ انسان ، والا فأى عيش لمن شرب الخمر وأخذ عتيبة ذلك وضرب وشاع في الناس ما قد فعل به ، أما يفي ذلك باللذة ، لا ؟ بل يربو عليها أضعافاً . وأى عيش لمن ساكن الكسل اذا رأى أقرانه قد بربوا في العلم وهو جاهل ، أو استغنو بالتجارة وهو فقير ، فهل يبقى للالتفاد بالكسيل والراحة معنى . ولو تفكرا زانى في الاحدونة عنه ، أو تصور أخذ الحمد منه ، لكف الكف ، غير انه يرى لذة حاضرة كأنها لمع برق . ويما شئتم ما أعقبت من طول الاسم ، هذا كله في العاجل . فاما الآجل فمن غصنة العذاب دائمة ، « والذين آمنوا مشفقون منها » نسأل الله أنفسنا من الرذائل ، وهمة في طلب الفضائل انه

قريب محيب .

٢٢١—فصل — قد تبعت العقوبات ، وقد يؤخرها الحلم ، والعاقل من اذا فعل خطيئة بادرها بالتوبه ، فكم مغرود باهمال العصابة لم يمهل . وأسرع المعاصي عقوبة ما خلا عن لذة تنسى النهى ، فتكون تلك الخطيئة كالمعاندة والمبازلة ، فان كانت توجب اعتراضًا على اخلاق أو منازعة له في عظمته ، فتكلك اللى لا تُتلافى . خصوصاً ان وقعت من عارف بالله ، فانه يندر اهاله ، قال عبد الحميد بن عبد العزيز : كان عندنا بخراسان رجل كتب مصححًا في ثلاثة أيام فلقيه رجل فقال : فيكم كتبت هذا . فأوْمأ بالسبابة والوسطى والابهام وقال : في ثلاث « وما مسنا من لغوب » فجفت أصابعه

الثلاث، فلم ينتفع بها فيما بعد. وخطر لبعض الفصحاء انه يقدراً أن يقول مثل القرآن، فصعد الى غرفة فانفرد فيها، وقال : أمهلوني ثلاثة، فصعدوا اليه بعد الثلاث ويده قد يبست على القلم وهو ميت ، قال عبد الحميد : ورأيت رجلاً كان يأتي امرأة حائضاً، فخاض، فلما كثُر الأمر به تاب فاقطع عنه . ويتحقق هذا لأن يغير الإنسان شخصاً بفعل ، وأعظمه أن يغيره بماليس اليه، فيقول يا أممي ، وباقبيح الخلقة . وقد قال ابن سيرين : عيرت رجلاً بالفقر فبست على دين ، وقد تأتى خر العقوبة وتأنى في آخر العمر . فياطول التغثير مع كبر السن لذنوب كانت في الشباب . فالحذر الحذر من عوائق الخطايا والبدار البدار الى محوها بالانابة ، فلما تأثيرات قيمحة ان أسرعت والا اجتمعت وجاءت .

١٣٣ - فصل - اعلم ان الآدمي قد خلق لأمر عظيم . وهو مطلب بمعرفة خالقه بالدليل ، ولا يكفيه التقليد . وذلك يفتقر الى جمع الهم في طلبه . وهو مطلب باقامة المفروضات . واجتناب المحارم . فان سمت همته الى طلب العلم احتاج الى زيادة جمع الهم . فأسعد الناس من له قوت دار بقدر الكفاية، لا من من النام وصدقائهم ، وقد قنع به ، فإنه حينئذ يجتمع همه لمطلوباته من الدين والدنيا والعلم . وأما اذا لم يكن له قوت يكفي فالمم الذي يريد اجتماعه في تلك الامور يتشتت ويتصير طالباً للتحليل في القوت . فيذهب العمر في تحصين قوت البدن الذي يريد من بقاءه غير بقاءه ، ويفوت المقصود ببقاءه . وربما احتاج الى الاندلال . قال الشاعر :

حسبى من الدهر ما كفاني يصون عرضي عن الهوان

مخافة ان يقول قوم فضل فلان على فلان

فيفيتفى للعاقل اذا رزق قوتاً أو كان له موادٌ يحفظها يتجمع همه ، ولا ينفعى أن يبذر في ذلك فإنه يحتاج فيتشتت همه . والنفس اذا أحرزت قوتها اطمانت . فان لم يكن له مال اكتسب بقدر كفايته وقلل الغلو ليجمع همه . وليقنع بالقليل ، فإنه متى سمعت همه الى فضول المال وقع الحذور من التشتت ، لأن التشتت في الاول للعدم ، وهذا التشتت يكون للحرص على الفضول ، فيذهب العمر على البارد :

ومر ينفق الا يام في حفظ ماله مخافة فقر فالذى فعل الفقر
فافهم هذا يا صاحب الهمة في طلب الفضائل : فانك مالم تعزل قوت الصبيان
شتتوا قلبك ، وطبعك طفل . ففرغ همك من استعانته ، واعرف قدر شرف
المال الذى أوجب جمع همك ، وصنان عرضك عن الخلق . وإياك أن يحملك
الكرم على فرط الارجاج فتصير كالفتير المعرض لك بال تعرض لغيرك وفي
الحديث أن دجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عليه آثار الفقر ،
فعرَّض به فاعطى شيئاً . فجاء فتير آخر فأثره الأول ببعض ما أعطى ،
فرماه النبي صلى الله عليه وسلم فيه : ونهاه عن مثل ذلك . والقناعة بما يكفي ،
وترى التشوف الى الفضول أصل الاصول . ولما آيس الإمام أحمد بن
حنبل نفسه من قبول المهدايا والصلات اجتمع همه . وحسن ذكره .
ولما أطعمها ابن المديني وغيره سقط ذ كرم . ثم فimin يطعم : انا هو
سلطان جائر ، أو مرك منان ؟ أو صديق مذل بما يعطى . والعزل الذمن من
كل لذة ، والخروج عن ربة المزن ولو بسف التراب .

١٣٣ - فصل - قد ركب في الطياع حب التفضيل على الجنس .
فما أحد الا وهو يحب أن يكون أعلى درجة من غيره ، فإذا وقعت نكبة

أوجبت زوله عن مرتبة سواه ، فينبغي له ان يتجلد بستر تلك النكبة ،
إنلا يرى بعين نقص . وليتجممل المتعطف حتى لا يرى بعين الرجمة . وليتتحامل
المريض لثلا يشمت به ذو العافية . وقد قال صلى الله عليه وسلم لا صحابه
حين قدومه مكة وقد أخذتهم الحمى فخاف ان يشمت بهم الاعداء حين
ضعفهم عن السعي ، فقال : رحم الله من أظهر من نفسه الجلد فرملوا والرمل
شدة السعي . وزال ذلك السبب وبقى الحكم ، ليتذكر السبب فيفهم معناه .
 واستأندوا على معاوية وهو في الموت ، فقال لأهله اجلسوني ، ففعد مقتمه كما
يظهر العافية ، فلما خرج العواد أنسد :

وتجلدى للشامتين أديهم أنى لريب الدهر لا أتضعن
و اذا المنية انشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لاتنفع
وما زال العقلاء يظهرون التجلד عند المصائب والفقير والبلاء ، لثلا
تحملوا مع البنواب شماتة الاعداء ، وانها الأشد من كل نائمة . وكان
فقيرهم يظهر الغنى ، ومربيضم يظهر العافية ، بلى . ثم نكتة ينبعى التفطن
لها ، ربما أظهر الانسان كثرة المال وسبوغ النعم . فأصابه عدوه بالعين
فلا يفي ما تبجيح بهما يلاقى من انعكاس النعمة . والعين لا تصيب الا ما يستحسن
للسيء ، ولا يكفى الاستحسان في اصابة العين حتى يكون من حاسد ،
ولا يكفى ذلك حتى يكون من ثريي الطبيع . فإذا اجتمعت هذه الصفات
خيف من إصابة العين . فليكن الانسان مظهرا للتجممل مقدار ما يأْمن
اصابة العين ويعلم أنه في خير . وليحذر الافراط في اظهار النعم ، فان العين
هذا مخدودة . وقد قال يعقوب لبنيه عليهم السلام « لا تدخلوا من باب
واحد وادخلوا من ابواب متفرقة » واما خاف عليهم العين فيلفهم هذا

الفصل فانه ينفع من له تدبر .

٢٤ - فصل - انا خلقنا لنجيأ مع الالاق في معرفته ومحادثته ورؤيته في البقاء الدائم . وانما ابتدى كوننا في الدنيا لا نها في مثال مكتب نتعلم فيه الخلط والأدب ليصلاح الصبي عند بلوغه للرتب ، فمن الصبيان بعيد الذهن يطول مكتبه في المكتب ويخرج ومافهم شيئا . وهذا مثال من لا يعلم وجوده ، ولأن المراد من كونه . ومن الصبيان من يجمع مع بعد ذهنه وقلة فهمه وعدم تعلمه أذى الصبيان ، فهو يؤذهم ، ويُسرق مطاعهم ، ويستغيثون من يده ، فلا هو صلاح ولا فهم ولا كف الشر . وهذا مثل اهل الشر والمؤذين . ومن الصبيان من علق بشيء من الخلط لكنه ضعيف الاستخراج ، ردى الكتابة ، فخرج ولم يعلق الا بقدر ما يعلق به حساب معاملته : وهذا مثل من فهم بعض الشيء وفاته الفضائل التامة . ومنهم من جوّد بالخلط ولم يتم الحساب ، واتقن الآداب حفظا ، غير انه قاصر في أدب النفس ، فهذا يصلح ان يكون كتابا للسلطان على مخاطرة لسوء مافباطنه من الشره وقلة التأدب . ومنهم من سمت هئته الى المعالي الكمالية ، فهو مقدم الصبيان في المكتب ونائب عن معامهم ، ثم يرتفع عنهم بعزّة نفسه ، وأدب باطنـه ، وكـمال صناعة الآداب الظاهرة . ولا يزال حـاثـ من باطنـه يـحـثـهـ على تعـجـيلـ التـعـلـمـ ، وتحـصـيلـ كلـ فـضـيـلـةـ لـعـامـهـ انـ المـكـتبـ لاـ يـادـلـنـفـسـهـ بلـ لاـ خـذـ الـادـبـ مـنـهـ؛ـ وـالـرـحـلـةـ الىـ حـالـةـ الـرـجـولـيـةـ وـالتـصـرـفـ ، فـهـوـ يـبـادرـ الزـمـانـ فـيـ نـيـلـ كـلـ فـضـيـلـةـ . فـهـذاـ مـشـلـ المؤـمـنـ الـكـامـلـ يـسـبـقـ الـأـقـرـانـ يـوـمـ الـتـجـارـيرـ ، وـيـعـرـضـ لـوـحـ عـمـلـهـ جـيدـ الـخـلـطـ ، فـيـقـولـ بـلـسـانـ حـالـهـ «ـ هـاؤـمـ اـقـرـؤـاـ كـتـابـيـهـ »ـ وـكـذـكـ الـدـنـيـاـ وـاهـلـهـاـ . مـنـ النـاسـ هـالـكـ بـعـيـدـ عـنـ الـحـقـ وـهـمـ الـكـفـارـ . وـمـنـهـ خـاطـيـءـ مـعـ قـلـيـلـ مـنـ الـآـيــاـنـ فـهـوـ مـعـاقـبـ

والمصير الى خير . ومنهم سليم لكنه قاصر . ومنهم تام لكنه بالإضافة الى من دونه، وهو نافض بالإضافة الى من فوقه فالبدار البهدار يأرباب الفهوم فان الدنيا معبر الى دار اقامة . وسفر الى القرب من السلطان ومحاورته . فمهيئوا للمجالسة . واستعدوا للمخاطبة . وبالغوا في استعمال الادب لتصلحوا للقرب من الحضرة . ولا يشغلنكم عن تصميم الخيل تسلاسل . ول يجعلكم على الجد في ذلك تذكركم يوم السباق ، فان قرب المؤمنين من الاخلاق على قدر حذفهم في الدنيا . ومنازلهم على قدرهم . فاما منزل النساطة كنزل الحاجب ، ولا منزل الحاجب ككان الوزير ، جنتان من ذهب آتنيهما وما فيهما . وجنتان من فضة آتنيهما وما فيهما . والفردوس الاعلى لآخرين . والذين في أرض الجنة ينظرون أهل الدرجات كما يرون الكوكب الدرى ، فليتذكر الساعي حلاوة التسليم الى الامين . وليتذكر في لذادة المدح يوم السباق . وليخذل المسابق من تقصير لا يمكن استدراكه . وليخف من عيب يبقى قبيح ذكره . هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن ، ولি�صبر الهوى عن المشتهى ، فالايمان قلائل . يدخل فقراء المؤمنين قبل الاغنياء الى الجنة بخمس ماية عام . فالجد الجد ، يأقدم المبادرة ، فقد لاح العلم خصوصاً من بانت له بانه الوادي ، إما بالعلم الدال على الطريق ، وإما بالشيب الذي هو عام الرحيل وهو يأمله أهل الجد . وكان الجنيد يقرأ وقت خروج روحه ، فيقال له في هذا الوقت : فيقول أبادر طى صحيفي ، وبعد هذا . فالمراد موفق . والمطلوب معان . واذا أرادك لا مر هيأك له .

١٣٥ - فصل - تأملت حالة عجيبة . وهو ان أهل الجنة الساكنين

في أرضها في نقص عظيم بالإضافة الى من فوقهم ، وهم يعانون فضل

أولئك . فلو تفكروا فيما فاتهم من ذلك وقعت الحسرات ، غير ان ذلك لا يكون ، لأن ذلك لا يقع لهم طيب منازلهم ، ولا يقع في الجنة غم ، ويرضى كل بما أعطى من وجهين ، أحدهما انه لا يظن ان يكون نعيم فوق ماهو فيه ، وان علت منزلة غيره والثانى انه يحب اليه كما يحب اليه ولده المستوحش الخلقة ، فيؤثره على الاجنبي المستحسن ، الا أن تحت هذا معنى اطيف . وهو ان القوم خلقت لهم هم قاصرة في الدنيا عن طلب الفضائل ، ويتفاوت قصورها . فمنهم من يحفظ بعض القرآن ولا يتوقف الى التمام . ومنهم من يسمع يسيراً من الحديث . ومنهم من يعرف قليلاً من الفقه . ومنهم من قد رضى من كل شيء يسمى به . ومنهم مقتصر على الفرائض : ومنهم قنوع بصلة رکعتين في الليل ولو علت بهم المهمم لجذبت في تحصيل كل الفضائل ، ونبت عن النقص فاستخدمت البدن كما قال الشاعر :

ولكل جسم في النحول بلية وبلاء جسمى من تفاوت همتى
ويدل على تفاوت المهمم ان في الناس من يسهر في سماع سمو ولايسهل
عليه السهر في سماع القرآن . والانسان يخشى ومهما تملأ المهمة ، فيعطي
على مقدار ما حصلت في الدنيا ، فـ كلام لم تتحقق الى السكمال وقنعت بالدون
قنعت في الآخرة بليل ذلك . ثم ان القوم يتفكرون بعمولهم ، فيعلمون
ان الجزاء على قدر العمل ، ولا يطبع من صلبي رکعتين في ثواب من صلبي
الفما . فان قال قائل فـ كيف يتصور لها ان تروم مان الله من هو افضل منها :
قلت : ان لم يتمصور نيله يتمصور الحزن على فوته ، وهل رأيت عاميا يحزن
على فوات الفقه حزنا يقلقه : هيهات . لو كان ذلك الحزن عنده لحركه الى
التشاغل . فليس عندهم همة توجب الاسف مع انهم قد رضوا بماهم فيه .

فافهم ماقلته وبادر ، فهذا ميدان السباق .

٢٣٩ - فصل - تفكرت فيبقاء اليهود والنصارى ييننا وأخذ الجزية منهم ، فرأيت في ذلك حكمًا عجيبة . منها ما قد ذكر من أن الإسلام كان ضعيفاً فتقوا بما يؤخذ من جزائهم ، ومنها ظهور عزه بذلهم إلى غير ذلك مما قد قيل . ووقع لي فيه معنى عجيب . وهو أن وجودهم وتعبدهم وحفظهم شرع بنيهم صلى الله عليه وسلم دليل على أنه قد كان أنباء وشائع ، وإن نبينا صلى الله عليه وسلم ليس يمدع من الرسل ، فقد اجتمعت الجن وهم على إثبات صانع ، واقرار برسل ، فبيان أننا ما بتدعنا مالم يكن . وهم يصبرون على باطفهم ، وبيدون الجزية ، فكيف لانصبر على حق ، والدولة لنا . وفي بقاءهم احترام لما كان صحيحًا من الدين وليرجع متبعهم وليس بعمل مفكـر .

٢٤٧ - فصل - قد ثبت بالدليل شرف العلم وفضله ، لأن طلاب العلم افترقوا ، فكل تدعوه نفسه إلى شيء ، فنهم من أذهب عمره في القراءات ، وذلك تفريط في العمر ، لأنه إنما ينبغي أن يعتمد على المشهور منها لاعلى الشاذ ، وما أقبح بالقارى إن يسأل عن مسئلة في الفقه ولا يدرى ، وليس ماشغله عن ذلك إلا كثرة الطرق في روايات القراءات ، ومنهم من يتشغل بال نحو وعمله خسب ، ومنهم من يتشغل باللغة خسب ، ومنهم من يكتب الحديث ويكتبه ولا ينظر في فهم ما كتب . وقد رأينا في مشائخنا المحدثين من كان يسأل عن مسئلة في الصلاة فلا يدرى ما يقول ، وكذلك القراء ، وكذلك أهل اللغة والنحو . وحدثني عبد الرحمن بن عيسى الفقيه قال حدثني ابن النصوري قال حضرنا مع أبي محمد بن الخشاب ، وكان أمام

الناس في النحو واللغة ، فتذاكروا الفقه ، فقال : سلوني عما شئتم ، فقال له
 دجل : ان قيل لنا رفع اليد ين في الصلاة ما هو فإذا نقول . فقال : هو دكن !
 فدهشت الجماعة من قلة فقهه . وانما ينبغي أن يأخذ من كل علم طرفا ثم
 يتم بالفقه ، ثم ينظر في مقصود العلوم ، وهو المعاملة لله سبحانه والمعرفة
 به والحب له وما أبله من يقطع عمره في معرفة علم النجوم ، وانما ينبغي
 أن يعرف من ذلك التسبيح والمنازل لعلم الاوقات . فاما النظر فيما يدعى
 انه القضاء والحكم فجهل محسن ، لانه لا سبيل الى علم ذلك حقيقة ، وقد
 جرب بيان جهل مدعيه ، وقد تقع الاصابة في وقت . وعلى تقدير الاصابة
 لافائدة فيه إلا تعجیل الغم . فان قال قائل : يمكن دفع ذلك فقد سلم انه
 لا حقيقة له . وأبله من هؤلاء من يتشغل بعلم الكيمياء فانه هزيان
 فارغ . واذ كان الا يتصور قلب الذهب نحاسا لم يتصور قلب النحاس ذهبا .
 فانما فاعل هذا مستحل للتدليل على الناس في النقود ، هذا اذا صاح له مراده .
 وينبغي اطالب العلم أن يصحح قصده ، إذ فقد الاخلاص يمنع قبول الاعمال .
 وليجتهد في مجالسة العلماء ، والنظر في الاقوال المختلفة ، وتحصيل الكتب ،
 فلا يخلو كتاب من فائدة ، وليجعل همته لحفظ ، ولا ينظر ولا يكتب الا
 وقت التعب من الحفظ . وليرحد صحبة السلطان ، ولينظر في منهاج
 الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ، وليجتهد في رياضة نفسه
 والعمل بعلمه ، ومن تولاها الحق وفقه .

٢٢٨ - فصل - مال تعجب من أقوام لهم أنفقة وعندهم كبر زائد في
 الحمد ، خصوصاً العرب الذين من كلمة ينفرون ويحاربون ويرضون بالقلل
 حتى أن قوماً منهم أدركوا الإسلام فقالوا : كيف نركع ونسجد فتعلموا نا

أستاهنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا خير في دينليس فيه ركوع ولا سجود : ومع هذه الأُنفَة يذلون ملئهم خير منهم هذا يعبد حجراً ، وهذا يعبد خشبة ، وقد كان قوم يعبدون الخيل والبقر ، وإن هؤلاء لأنفس من أبليس ، فما يليه أنت لداعائه الكمال أن يسجد لناقص فقال «أنا خير منه» وفرعون أنت أنت ليعبد شيئاً أصلاً . فالعجب من ذل هؤلاء المفتخرین المتعاظمين التكبرين لحجر أو خشبة ، وإنما ينبغي أن يذل الناقص المكاملين . وقد أشير إلى هذا في ذم الأصنام في قوله تعالى «أَلَّهُمْ أَرْجِلِي عَشُونَهَا ، أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا» والمعنى أنتم لكم هذه الآلات المدركة وهم ليس لهم ، فكيف يعبدون المكامل الناقص ، غير أن هوى القوم في متابعة الأُسلاف . واستحلاء ما خرعنده بأرائهم غطى على العقول ، فلم تتأمل حقائق الأمور . ثم غطى الحسد على أقوام فتركوا الحق وقد عرفوه . فأمية بن الصيل يقر برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقصد لهؤمن به ، ثم يعود فيقول : لا أؤمن برسول الله من تقييف . وأبو جهل يقول : والله ما كذب محمد قط ، ولكن إذا كانت السدابة والمحاجة فيبني هاشم ثم النبوة فما بقى لنا . وأبو طالب يرى المعجزات ويقول : إنني لا أعلم أنك على الحق . ولو لا أن تعيرني نساء قريش لأقررت بها عينك . فنعود بالله من ظلمة حسد . وغيبة كبيرة ، وحافة هوى يغطي على نور العقل ، ونسمة إلهام الرشد ، والعمل بمقتضى الحق .

١٣٩ - فصل — قد سمعنا بجماعة من الصالحين عاملوا الله عز وجل على طريق السلام والمحبة واللطف فعاملتهم كذلك ، لأنهم لا يحتمل طبعهم غير ذلك . وفي الأوائل برج العابد خرج يستسقى فقال : ما هذا الذي لا نعرفه

منك . أسلقنا الساعية فسقوا . وفي الصحابة أنس بن النضر يقول : والله لا تكسر سن الرياح ، فجرى الأمر كما قال . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن من عباد الله من لوأ قسم على الله لأبره . وهؤلاء قوم غلب عليهم ملاحظة اللطف والرفق فلطف بهم ، وأجر واعلى ما اعتقدوا . وهناك أعلام من هؤلاء يسألون فلا يجيبون ، وهم بالمنع راضون ، ليس لأن حدهم انبساط ، بل قد قيدهم الخوف ، ونكّس دووسهم الحذر ، ولم يروا أن سنتهم أهل للانبساط ، فغاية آملهم العفو ، فإن انبساط أحدهم بسؤال فلم ير الإجابة عاد على نفسه بالتوبيخ ، فقال : مثلك لا يحاب . وربما قال لعل المصلحة في منع . وهؤلاء الرجال حقاما . والأئله الذي يرى له من الحق أن يحاب ، فإن لم يُحَبْ تذمّر في باطنها كأنه يطلب أجرة عمله ، وكأنه قد نفع الأخلاق بعبادته . وإنما العبد حقا من يرضى ما يفعله الأخلاق ، فإن سألاً فاجيب رأى ذلك فضلا ، وإن منع رأى تصرف مالك في مملوک ، فلما يجيء في قلبه اعتراض بحال .

٢٣٠ - فصل - رأيت جماعة من العلماء يتقسمون ويظنون أن العلم يدفع عنهم ، وما يدرؤن أن العلم خصمهم وأنه يغفر للجاهل سبعون ذنبًا قبل أن يغفر للعالم ذنب . وذاك لأن الجاهل لم يتعرض بالحق ، والعلم لم يتآدب معه . ورأيت بعض القوم يقول : إن أقد أقيمت منجلة بين الحصادين ونمت . ثم كان ينفع في أشياء لا تجوز ، فتفكرت فإذا العلم الذي هو معرفة الحقائق ، والنظر في سير القدماء ، والتآدب بآداب القوم ، ومعرفة الحق وما يجب له ، ليس عند القوم ، إنما عندهم صور الفاظ يعرفون بها ما يحمل وما يحرم ، وليس كذلك العلم النافع . إنما لهم الأصول ومعرفة المعبوذ وعظمته وما يستحبه ، والنظر في سير الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ، والتآدب بآدابهم ، وفهم

ما قبل عنهم، هو العلم النافع الذي يدع أعظم العلماء أحقر عند نفسه من أجهل
 الجهل . ورأيت بعض من تعبد مدة ثم قرر ، فبلغني أنه قال : قد عبدته
 عبادة ما عبده بها أحد ، والآن قد ضعفت . فقلت : ما أخوقي أن تكون
 كلامته هذه سبباً لرد الكل ، لأنَّه قد رأى أنه عمل مع الحق شيئاً ، وإنما
 وقف يسأل النجاة بطلب الدرجات ، في حق نفسه فعل . وما مثله إلا كمثل
 من وقف يكدر ، فلا ينبغي أن يعن على المعطى . وإنما سبب هذا الانبساط
 الجهل بالحقائق . وأين هو من كبار علماء المعاملة الذين كان فيهم مثل حالة
 ابن أشيم إذا رأاه السبع هرب منه ، وهو يقول إذا التقى الليل عند صلاة :
 يارب أجرني من النار ، ومثلي يسأل الجنة : وأبلغ من ذا قول عمر : وددت
 أن أتجو كفافاً لا لي ولا على . وقول سفيان عند موته لخاد بن سامة :
 أرجو لمني أن ينجو من النار . وقول أبْحَمْ : لا . بعد . فأنا أَحْمَدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
 إذ تخلصت من جهل المتسفين بالعلم من هؤلاء الذين ذمتمهم . وبالزهد
 من هؤلاء الذين عبّهم . فاني قد اطلع من عظمة الأخلاق وسيرِ الحقائق
 على ما يخسر لسان الانبساط ، ويجهو النظر إلى كل فعل وكيف أنظر إلى فعلى
 المستحسن ؛ وهو الذي وبه لي وأطلعني على ما خفي عن غيري ، فهو
 حصل ذلك بي أو بطشه . وكيف أشكر توفيق الشكر ! ثم أى عالم اذا
 سير أمور العلماء من القدماء لا يحتقر نفسه ، هذافي صورة العلم ، فدع معناه
 وأى عابد يسمع بالعبد ولا يجرئ في صورة التعبيد . فدع المعنى . نسأل الله
 عز وجل معرفة تعرفنا أقدارنا . حتى لا يبقى للعجب بمحترق ما عندنا أثر
 في قلوبنا . وزر غب اليه في معرفة لعنة ماته تخسر الألسن ان تنطق بالادلال
 وزر جو من فضله توفيقاً نلاحظ . به آفات الاعمال التي بها نزهو حتى تتمر

الملحوظة اعمى بها الخجل من وجودها . إنه قريب محبيب .

٢٣١ - فصل - سبب تفليس العيش فوات الحظوظ العاجلة :
وليس في الدنيا طيب عيش على الدوام إلا للعارف الذي شغله رضي حبيبه والتزود
للرحيل إليه . فإنه إن وجد راحة في الدنيا استعان بها على طلب الآخرة .
وان وجد شدة اغتنم الصبر عليها أثواب الآخرة . فهو راض بكل ما يجري
عليه . يرى ذلك من قضاء الأخلاق ، ويعلم أنه مراده ، كما قال قائلهم :

إذ كان رضاكم في سهرى فسلام الله على وسنى

فاما من طاب حظه فإنه يقلق لفوت مراده ، ويتنقص بعد ما يشهى
فلو افتقر تغير قلبه ، ولو ذلت تغير ، وهذا لأنَّه قائمٌ مع غرضه وهوه وما
أحسن قولَ الحضرى : ايش على مني وايش لي في : وهذا كلام عارف .
لأنَّه إنْ كان ينظر إلى حقيقة الملكة فعبد يتصرف فيه مولاه . فاعتراضه
لا وجه له . وارادته أن يقع غير ما يجب فضول في البين . وان نظر
أن النفس كالملاك له فقد خرجت عن يده من يوم « ان الله اشتري »
أفيحسن لمن باع شاة أن يغضب على المشترى اذا ذبحها او يتغير قابه . والله
لو قال الملاك سبحانه : إنما خلقتكم ليستدل على وجودي ، ثم أنا أفينيكم ولا
اعادة ، لكن يجب على النفوس العارفة به أن تقول سمعاً لما قلت وطاعة ،
وأى شيء لنا فيما حتى تتكلم . فكيف وقد وعد بالأجر الجزيل ، والخلود
في النعيم ، الذي لا ينفد . لكن طريق الوصول تحتاج إلى صبر على المشقة
وما يبقى لتعب دمل ذر وتأثيرات الأحرام . فالصبر الصبر يا أقدام المبتدئين
لاح المترى . والسرور السرور يا متوسطين ضربت أخيم . والفرح الكامل
يا عارفين ، قد تلقىتم بالبشائر . زالت والله أفعال المعاملات عنكم ، فـ كانت

معرفتكم بالمتلى حلاوة تعقبت شربة الماجدة، فلم يبق في الفم لامر اثر .
تخايلوا اقرب المناجاة ولذة الحضور . ودوار كؤوس الرضى عنكم فقد
أخذت شمس الدنيا في الا فول :

ما يننا له الا تصر م هذه السبع البوافي
حتى يطول حديثنا بصنوف ما كنا نلaci

من التغفل ان تهاقب شخصاً او تسيء اليه اساءة عظيمة وتعلم ان
مثل ذلك يجدد الحقد ، فتراه ذليلاً لك طائماً تائباً مقلعاً مهما فعل ، فتعود
فاستط عليه وتنسى ما فعلت وتظن انه قد انمحى من قلبك . فربما عمل لك الحزن
ونصب لك المكائد ، كما جرى لقصير مع الزباء ، واخباره معروفة . فياك
ان تساند من آذيته ، بل ان كان ولا بد فمن خارج فماؤه من الا حقد . ومتى
رأيت عدوك فيه غفلة لا يتنبه مثل هذا فأحسن اليه ، فإنه يندى عداوك
ولا يظنك انك قد اضمرت له جزاء على قبيح فعله فحينئذ تقدر على بلوغ كل
غرض منه . ومن الخور اظهار العداوة للعدو . ومن احسن التدبير التاطف
بالاعداء الى ان يمكن . ولو لم يكن كان اللطف سبباً في كف أكفهم عن
الاذى ، وفيهم من يستحي لحسن فعلك فيتغير قلبك لك . وقد كان جماعة
من السلف اذا بلغهم ان رجلا قد شتمهم اهدوا اليه واعطوه ، فهم بالعاجل
يكفون شره ، ويحتالون في تقليل قلبه ، ويقع بذلك لهم مهلة لتدبير
الحيل عليه ان ارادوا . وكفى بالذهن الناظر الى المواقف والتأمل لكل
ممكن مؤدياً .

٢٣٢ - فصل - تفكرت في قول شيبان الراوى لسفیان : یاسفیان
عدم منع الله اياك عطا منه لاش ، فانه لم یمنعك بخلا ، انما منعك لطفاً . فرأيته

كلام من قد عرف الحقائق . فان الانسان قد يريد المستحسنات الفاقيفات فلا يقدر ، وعجزه اـ لمح له ، لأنـه لو قدر عليهم تشتت قلبه إـما بحفظهن او بالـ كسبـ عليهم ، فان قوى عشقـه لهن ضاع عمرـه وانقلبـ هـم الآخـرة الى الاـهـمـامـ بهـنـ . فـانـ لمـ يـرـدـهـ فـذـاكـ الـهـلاـكـ الـأـكـبـرـ . وـانـ طـلـبـ نـفـقـةـ لـمـ يـطـقـهـاـ كـانـ سـبـبـ ذـهـابـ مـرـؤـةـ وـهـلاـكـ عـرـضـهـ ، وـانـ اـرـدـنـ الـوـطـءـ وـهـوـ عـاجـزـ فـربـماـ أـهـلـ كـنـهـ اوـ بـجـرـنـ ، وـانـ مـاتـ مـعـشـوـقـهـ هـلـكـ هـوـ أـسـفـاـ . فـالـذـىـ يـطـلـبـ الفـاقـ يـطـلـبـ سـكـينـاـ لـذـبـحـهـ وـمـاـ يـعـلـمـ . وـكـذـلـكـ اـنـفـاذـ قـدـرـ القـوـتـ فـانـهـ نـعـمـةـ وـفـيـ الصـحـيـحـيـنـ اـنـ دـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـالـ : اللـهـمـ اـجـعـلـ رـذـقـ آـلـ مـحـمـدـ قـوـتـاـ وـمـىـ كـثـرـ ، تـشـتـتـ الـهـمـ . فـالـعـاقـلـ مـنـ عـلـمـ اـنـ الدـنـيـاـ مـتـخـلـقـ لـتـقـنـعـيمـ ، فـقـنـعـ بـدـفـعـ الـوقـتـ فـىـ كـلـ حـالـ .

٢٣٣ - فـصـلـ - رـأـيـتـ جـمـاعـةـ مـنـ اـخـلـقـ يـتـعـلـمـونـ بـالـأـقـدارـ ، فـيـقـولـ قـائـلـهـمـ : اـنـ وـفـقـتـ فـعـلـتـ ، وـهـذـاـ تـعـلـلـ بـارـدـ ، وـدـفـعـ الـلـامـ بـالـرـاحـ ، وـهـوـ يـشـيرـ اـلـىـ رـدـاـقـوـالـ اـلـاـبـيـاءـ وـالـشـرـائـعـ جـمـيعـهـاـ . فـانـهـ لـوـقـالـ كـافـرـ لـلـرـسـوـلـ اـنـ وـفـقـنـيـ اـسـلـمـتـ لـمـ يـجـبـهـ اـلـاـبـسـرـبـ الـعـنـقـ . وـهـذـاـ مـنـ جـنـسـ قـوـلـ النـاسـ لـعـلـىـ دـرـضـيـ اللـهـ عـنـهـ : نـدـعـوـكـ اـلـىـ كـتـابـ اللـهـ فـقـالـ : كـلـةـ حـقـ اـرـيدـهـاـ باـطـلـ . وـكـذـلـكـ قـوـلـ المـتـعـلـلـيـنـ عـنـ الصـدـقـةـ «ـ أـنـطـعـمـ مـنـ لـوـيـشـاءـ اللـهـ أـطـعـمـهـ »ـ وـاعـمـرـىـ اـنـ التـوـفـيقـ اـصـلـ الـفـعـلـ . وـلـكـنـ التـوـفـيقـ اـمـرـخـفـىـ . وـالـخـطـابـ بـالـفـعـلـ اـمـرـجـلـ . فـلـاـ يـنـبـغـىـ اـنـ يـتـشـاغـلـ عـنـ الجـلـىـ بـذـكـرـ الـخـفـىـ . وـمـاـ يـقـطـعـ هـذـاـ الـاحـتـجاجـ اـنـ يـقـالـ لـهـذـاـ القـائـلـ : اـنـ اللـهـ سـبـحـاـنـهـ لـمـ يـكـافـلـ شـيـئـاـ . وـعـنـدـكـ اـدـوـاتـ ذـلـكـ الـفـعـلـ وـلـكـ قـدـرـةـ عـلـيـهـ ، فـانـ كـانـتـ الـقـدـرـةـ عـلـيـهـ مـعـدـوـمـةـ وـالـادـوـاتـ غـيـرـ مـحـصـلـةـ فـلـاـ اـمـرـ وـلـاـ تـكـاـيـفـ ، وـانـ كـمـنـتـ تـسـعـىـ بـتـلـكـ الـادـوـاتـ فـيـ تـحـصـيلـ غـرـضـكـ وـهـوـ الـكـاـكـ .

فاسع بها في اقامة مفروضتك. مثل ذلك انك تسافر في طلب الربح، وتسأل
 الحج فلا تجعل ، ويشغل عليك الانتباه بالليل. فلو أردت الخروج الى العيد
 انتبهت سحرا ، وتفقد في بعض أغراضك مع صديق تحادثه ساعات فاذا
 وقفت في الصلاة استمعجات ، وثقل عليك. فاياك اياك ان تتعلق بأمر لا حجة
 لك فيه . ثم من نصيبيك ينقص ، ومن حظك يضيع ، فانما تحرّك لك ، وإنما
 تحرض لنفعك. فبادر فاتك مبادرك. وما زيل كسلك ان تأملته أن تخايل
 ثواب المحتهدين وقد فاتك. ويكتفى ذلك في توسيخ المقصى ان كانت له نفس.
 فأما الميت الهمة : فما جرح بيمت ايام . كيف بك اذا قمت من قبرك وقد
 قربت بجانب النجاة لأقوام وتمرت ، وأسرعت اقدام الصالحين على الصراط
 وتخبطت ، هيهات. ذهبت حلاوة البطالة ، وبقيت مرارة الأسف ، ونضب
 ماء كأس الكسل ، وبقي دسوب الندامة . وما قدر البقاء في الدنيا بالإضافة
 الى دوام الآخرة : ثم ما قدر عمرك في الدنيا ونصفه نوم ، وباقيه غفلة. فيا خاطبا
 حور الجنة وهو لا يملك فلسا من عزيمة ، افتح عين الفكر في ضوء العبر
 لملك تبصر موقع خطابك ، فان رأيت تنبطاً من الباطن فاستغث بعون
 اللطف ، وتبه في الاسحار ، لعلك تتلمح ركب الارياح ، وتعلق على قطار
 المستغرين ولو خطوات ، وانزل في رباعية المحتهدين ولو متزا .

٢٣٤ - فصل — نظرت في قول أبي الدرداء رضى الله عنه : ما أعرف
 شيئاً مما كانا عليه اليوم الا القبلة ، فقلت : واعجبًا كيف لو رأينا اليوم وما
 عاليها من الشريعة إلا الرسم . والشريعة هي الطريق . وإنما تعرف شريعة رسول
 الله صلى الله عليه وسلم إما بأفعاله أو أقواله . وسبب الانحراف عن طريقه
 صلى الله عليه وسلم إما الجهل بها فيجري الانسان مع الطبع والعادات ، ودبما

اتخذ ما يضاد الشريعة طریقاً ، وقد كانت الصحابة شاهدته وسمعت منه
 قوله "أَن يُنْحَرِفَ أَهْدِمْنَهُمْ عَنْ جَادَتْهُ ، إِلَّا أَن أَبَا الْدَرْدَاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَأَى
 بَعْضَ الْأَنْحَرَافِ لِمِيلِ الْطَّبَاعِ فَضَجَ فَإِنَّهُ قَدْ يَعْرَفُ الْإِنْسَانَ الصَّوَابَ ، غَيْرَ
 أَنْ طَبَعَهُ يَمِيلُ عَنْهُ ، وَمَا زَالَتِ الْأَحَادِيثُ الْمُنْقَوْلَةُ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَقُولُ الْأَسْعَادُ بِهَا وَالنَّاظِرُ فِيهَا إِلَى أَنْ أَعْرَضَ
 عَنْهَا بِالْكَلِيلِ فِي زَمَانِنَا هَذَا وَجَهَتِ الْأَنْنَادُ ، وَاتَّخَذَتْ طَرَائِقَ تَضَادِ الشَّرِيعَةِ .
 وَصَارَتِ عَادَاتٍ ، وَكَانَتْ أَسْهَلُ عِنْدِ الْخَلْقِ مِنْ اتِّبَاعِ الشَّرِيعَةِ . وَإِذَا كَانَ عَامَةٌ
 مِنْ يَنْسَبُ إِلَى الْعَلَمِ قَدْ أَعْرَضَ عَنِ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ فَكَيْفَ يَعْوَمُ . وَلَمَّا أَعْرَضَ
 كَثِيرٌ مِنَ الْعَالَمِينَ عَنِ الْمُنْقَوْلَاتِ ابْتَدَأُوا فِي الْأَصْوَلِ وَالْفَرْوَعِ . فَالْأَصْوَلِيُّونَ
 تَشَاغَلُوا بِالْكَلَامِ وَأَخْذُوهُ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ وَعَالَمَاءِ الْمَنْطَقِ . وَدَخَلَتْ أَيْدِي
 الْفَرْوَعِيَّينَ فِي ذَلِكَ فَتَشَاغَلُوا بِالْجَدْلِ ، وَتَرَكُوا الْحَدِيثَ الَّذِي عَلَيْهِ يَدُورُ الْحُكْمُ .
 ثُمَّ رَأَى الْفُصُّاصُ أَنَّ النَّفَاقَ بِالنِّفَاقِ ، فَأَقْبَلَ قَوْمٌ مِنْهُمْ عَلَى التَّبَيِّنِ بِالْتَّزَهُدِ ،
 وَمَقْصُودُهُمُ الدِّينِ . وَرَأَى جَهُودُهُمْ أَنَّ الْقُلُوبَ تَمِيلُ إِلَى الْأَغَانِيِّ ، فَأَحْضَرُوا
 الْمُطَرَّبِينَ مِنَ الْقِرَاءَةِ وَأَنْشَدُوا أَشْعَارَ الْغَزْلِ ، وَتَرَكُوا الْأَشْتِغَالَ بِالْحَدِيثِ ، وَلَمْ
 يَلْقِفُوا إِلَى نَهْشِيِّ الْعَوَامِ عَنِ الرِّبَا وَالزَّنَنَ ، وَأَمْرُهُمْ بِأَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ ، وَصَارَ مُتَكَلِّمُهُمْ
 يَقْطَعُ الْمَجَلِسَ بِذِكْرِ أَيْمَلِيِّ وَالْجَنْوُنِ وَالظُّورِ وَمُوسَى وَأَبِي يَزِيدِ وَالْحَلَاجِ وَالْمَهْذِيَانِ
 الَّذِي لَا مَحْصُولُ لَهُ ، وَانْفَرَدَ أَقْوَامٌ بِالْتَّزَهُدِ وَالْأَنْقِطَاعِ ، فَامْتَنَعُوا عَنِ عِيَادَةِ
 الْمَرْضِيِّ ، وَالْمَشْيِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَأَظْهَرُوا التَّخَاشِعَ ، وَوَضَعُوا كِتَابًا لِلرِّيَاضَاتِ ،
 وَالتَّقْلِيلَ مِنَ الطَّعَامِ . وَصَارَتِ الشَّرِيعَةُ عِنْدَهُمْ كَلَامُ أَبِي يَزِيدِ وَالشَّمْبَلِيِّ
 وَالْمَتَصْوِفَةِ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ سَبَرَ الشَّرِيعَةَ لَمْ يَرِفِيَهَا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا . وَأَمَّا الْأَمْرَاءُ
 فَجَرَوْا مَعَ الْعَادَاتِ ، وَسَمُوا مَا يَفْعَلُونَهُ مِنَ الْقَتْلِ وَالْقَطْعِ سِيَاسَاتٍ لَمْ يَعْمَلُوا

فيها يتحققى الشريعة ، وتبغ الأُخْرَى في ذلك المقادِم . فَأَيْنَ الشَّرِيعَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ
وَمَنْ أَيْنَ تَعْرِفُ مَعَ الْأَعْرَاضِ عَنِ النَّقْوَلَاتِ ؟ نَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ التَّوْفِيقَ
لِلْقِيَامِ بِالشَّرِيعَةِ ، وَالْإِعْانَةِ عَلَى ردِّ الْبَدْعَاهُ قَادِرٌ .

٢٣٥ - فصل - كُنْتُ أَسْمَعُ عَلَى بْنِ الْحَسِيرِ الْوَاعِظِ يَقُولُ عَلَى النَّبِيِّ
وَاللَّهِ لَقَدْ بَكَيْتَ الْبَارِحةَ مِنْ يَدِنَفْسِي ، فَبِقِيمَتِ أَنَا أَتَفَكِرُ وَأَقُولُ : أَىْ شَيْءٍ
قَدْ فَعَلْتَ نَفْسُ هَذَا حَتَّى يَبْكِي . هَذَا رَجُلٌ مَقْتَنَعٌ أَهُوَ الْجَوَارِيُّ التَّرِكِيَّاتِ . وَقَدْ
بَلَغَنِي أَنَّهُ تَزَوَّجَ فِي السُّرِّ بِحَمْلَةِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَلَا يَطْعَمُ إِلَّا الْغَايَةَ مِنَ الدَّجَاجِ
وَالْحَلْوَى . وَلِهِ الدَّخْلُ الْكَثِيرُ وَالْمَالُ الْوَافِرُ وَالْجَاهُ الْعَرِيشُ وَالْأَفْضَالُ عَلَى
النَّاسِ . وَقَدْ حَصَلَ طَرْفًا مِنَ الْعِلْمِ ، وَاسْتَعْبَدَ كَثِيرًا مِنَ الْعَالَمَاءِ بِعِرْوفِهِ ،
وَرَاحِتَهُ دَائِمَةً . فَمَا ذَيْكِيَّهُ : فَفَكَرَتْ فَعَلِمَتْ أَنَّ النَّفْسَ لَا تَقْفَ عَلَى
حَدِّ بَلْ تَرُومُ مِنَ الْلَّذَاتِ مَا لَا مَنْتَهَى أَهُوَ ، وَكَلَّا حَصَلَ لِهَا غَرْضٌ بَرِدٌ عَنْهَا
وَطَلَبَتْ سُوَاهٍ . فَيَفْنِي الْعُمُرُ وَيَضْعِفُ الْبَدْنُ وَيَقْعُ النَّقْصُ ، وَيُرِقُ الْجَاهَ ،
وَلَا يَحْصُلُ الْمَرَادُ . وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا أَبْلَهُ مِنْ يَطْلَبُ النَّهَايَةَ فِي لَذَاتِ الدُّنْيَا
وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى الْحَقِيقَةِ لَذَّةٌ . إِنَّمَا هِيَ رَاحَةٌ مِنْ مَؤْلُمٍ . فَالسَّعِيدُ مِنْ إِذَا
حَصَلَتْ لَهُ امْرَأَةٌ أَوْ جَارِيَةٌ قَالَ إِلَيْهَا وَمَالَتْ إِلَيْهِ ، وَعَلِمَ سُرُّهَا وَدِينُهَا ، أَنَّ
يَعْقُدُ الْخَنْصُرَ عَلَى صَحْبَتِهَا . وَأَكْثَرُ أَسْبَابِ دَوَامِ مَحْبَبِهَا أَنَّ لَا يَطْلُقُ بَصَرَهُ .
فَتَى أَطْلَقَ بَصَرَهُ أَوْ أَطْعَمَ نَفْسَهُ فِي غَيْرِهَا فَإِنَّ الطَّعْمَ فِي الْجَدِيدِ يَنْفَعُ الْخُلُقَ
وَيَنْقُصُ الْخَالَطَةَ ، وَيَسْتَرُ عِيوبَ الْخَارِجِ ، فَتَمْيِيلُ النَّفْسِ إِلَى الْمَشَاهِدِ الْغَرِيبِ ،
وَيَتَكَدِّرُ الْعِيشُ مَعَ الْحَاضِرِ الْقَرِيبِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَالْمَرءُ مَادَمَ ذَا عَيْنَ يَقْلِبُهَا فَأَعْيَنَ النَّاسُ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطَرِ
يَسْرُ مَقْلَهُ مَاضِرٌ بِمَجْتَهِ لَا مَرْحَبًا بِسَرُورِ عَادِ بِالضَّرِدِ

ثم تصوير الثانية كالاولى ، وطلب النفس ثالثة وليس لهذا آخر ، بل
 الغض عن المشتهيات ، ويأس النفوس من طلب المستحسنات ، يطيب
 العيش مع المعاشر . ومن لم يقبل هذا النصح تهرب في طرق الهوى
 وهلك على البارد ، وربما سعى لنفسه في الهلاك العاجل ، وفي العار الحاضر ،
 فاز كثيراً من المستحسنات لسن بصيرات ولا يفي المتع بهن بالعوار
 المحاصل ، ومنهن المبذرات في المال ، ومنهن المبغضة لازوج وهو يحبها
 كعادتهم . وأبلهُ الْبُلْهُ الشیخُ الذی یطلب صبیة .. واعمری ان کمال
 المتعة ایما يكون بالصبا كما قال القائل : فعلت بنفسي النساء الصغار .
 ومتي لم تكن الصبية بالغة لم يمكن الاستمتاع ، فإذا بلغت ارادت كثرة
 الجماع والشيخ لا يقدر . فان حمل على نفسه لم يبلغ مرادها ، وهلك سريعا .
 ولا ينبغي أن يغتر بشهوته الجماع فان شهوته كالفجر الكاذب . وقد رأينا
 شيخنا اشتري جارية فبات معها فانقلب عنها ميتا . وكان في الممارسة ان
 شاب قد بقي شهرين بالقیام فدخلت عليه زوجته فوطئها فانقلب عنها
 ميتا : فبان أن النفس باقية بما عندها من الدم . والمني فإذا فرغ ولم تجد ما
 تعتمد عليه ذهبـت ، وإن قـنم الشیخ بالاستمتاع من غير وطـء فھـي
 لا تقنـع فتصیر كالعدولـه فربما غـلـبـاـهـوـيـ فـفـجـرـتـ أوـ اـحـتـالـتـ عـلـىـ قـتـلـهـ ،
 خـصـوـصـاـ الجـوارـىـ الـلـوـاتـىـ اـغـلـبـهـنـ قـدـجـئـنـ مـنـ بـلـادـ الشـرـكـ فـفـيـهـنـ قـسـوـةـ
 القـاـبـ . وـقـبـيـحـ بـنـ عـبـرـ السـتـيـنـ انـ يـتـعـرـضـ بـكـثـرـةـ النـسـاءـ ، فـانـ اـتـفـقـ مـعـهـ
 صـاحـبةـ دـيـنـ قـبـلـ ذـلـكـ فـاـيـرـعـ لـهـ مـعـاـشـتـهـ . وـلـيـتـمـ نـقـصـهـ عـنـدـهـ تـارـةـ
 بـالـأـنـفـاقـ : وـتـارـةـ بـجـسـنـ الـخـلـقـ ، وـلـيـزـدـ فـتـعـرـيـفـهـ أـحـوالـ الصـاحـاتـ
 وـالـزـاهـدـاتـ ؛ وـلـيـكـثـرـ مـنـ ذـكـرـ الـقـيـامـ وـذـمـ الدـنـيـاـ . وـلـيـعـرـضـ بـذـكـرـ مـحـبةـ

العرب فانهم كانوا يعشقون ولا يرون وطء المعشوق كما قال قائلهم :
انما الحب قبلة وغمز كف وعضا
انما العشق كذا ان نكح الحب فسد

فاز قدر أن يشغلها بحمل أو ولد عرقها به ، فاستيق قوته في مدة اشتغالها بذلك
فإن وطىء فليصبر عن الانزال حفظاً لقوته وقضاء لحقها . وقد قيل لبشر : لم لم
تنزوج فقال : على ماذا أغر مسامة ، وقد قال الله عز وجل «ولهن مثل الذي عليهم
بالمعروف» والمسكين من دخل في أمر لم يتامح عواقبه قبل الدخول ورأى
حبة الفتح فبادر طالباً لها ناسياً تعرقل الجناح والذبح . ومجموع ما قد بسطه
حفظ البصر عن الطلق ، ويأس النفس عن التحصيل ، قنوعاً بالحاصل خصوصاً
من قد عملت سنه ، وعلم أن الصبية عدو له ، متمنية هلاكه ، وهو يريها الغيره .
وفي بعض ما ذكرته ما يرجع العاقل عن التعرض بهذه الآفات . نسأل الله

٢٣٦ - فصل - أتعجب الأشياء اغترار الإنسان بالسلامة ،

وتأنيمه للإصلاح فيما بعد وليس لهذا الأمل منتهى ، ولا للاغترار ، فكلما
أصبح وأمسى معافى زاد الاغترار وطال الأمل . وأى موعظة أبلغ من أن
توى ديار الإفران واحوال الأخوان وقبور المحبوبين ، فتعلم إنك بعد أيام
مثلكم . ثم لا يقع انتباه حتى ينتبه الغير بك . هذا والله شأن الحقى . حوشى
من له عقل أن يسلك هذا المسلك . بل والله إن العاقل ليبادر السلامة .
فيدخل من زمانها للزمان ، ويترزد عند القدرة على الزاد لوقت العسرة .
خصوصاً لمن قد علم أن مراتب الآخرة إنما تعلو بمقدار علو العمل لها .
وان التدارك بعد الفوت لا يمكن . وقدر أن العاصي عفى عنه . أينال

مراتب الهمال . ومن أجال على خاطره ذكر الجنة التي لا موت فيها ولا مرض ولا نوم ولا غم ، بل لذاتها متعلقة من غير انقطاع ، وزيادتها على قدر زيادة الجد هبنا اتهب هذا الزمان فلم ينم الا ضرورة ، ولم يغفل عن عمارة لحظة . ومن رأى أن ذنبًا قد مضت لذاته وبقيت آثاره دائمة كفاه ذلك ذجراء عن مثله ، خصوصاً الذنوب التي تتصل آثارها مثل أن يزني بذات زوج فتحمل منه فتتحقق بالزوج فيمنع الميراث أهله وأي أخذه من ليس من أهله ، وتتغير الأنساب والفرش ، ويتصل ذلك أبداً ، وكاه شؤم لحظة فتسأله عز وجل توفيقاً لهم الرشاد ، وينعن الفساد ، انه قريب مجيب .

٢٣٧ - فصل - تأملت سبب تخليط العقاید ، فإذا به الميل إلى الحسن وقياس العائبات على الحاضر . فان أقواماً غالب عليهم الحسن ، فلما لم يشاهدو الصانع جحدوا وجوده ، ونسوا انه قد ظهر بافعاله ، وأن هذه الافعال لا بد لها من فاعل ، فان العاقل اذا مر على صحراء خالية ثم عاد وفيها غرس وبناء علم انه لا بد من غارس ، اذ الغرس لا يكون بنفسه ولا البناء . ثم جاء قوم فأثبتوا وجود الصانع ، ثم قاسوه على احوالهم فشبهوا ، حتى ان قال لهم يقول : في قوله : ينزل الى السماء . ينتقل . ويستدل بان العرب لا تعرف النزول الا الانتقال . وضل خلق كثير في صفاتك كضل خلق في ذاته . فظنن اقواماً انه يتآثر حين سمعوا انه يغضب ويرضى ، ونسوا أن صفتنه تعالى قديمة لا يحدث منها شيء . وضل خلق في افعاله فأخذوا ايعالون فلم يقعوا بشيء . خرج منهم قوم الى أن نسبوا فعله الى ضد تعالى عن ذلك ومن رزق التوفيق فليحضر قلبه لما أقول : إنما أعلم أن ذاته سبحانه لا تشبه الذوات ، وصفاته ليست كالصفات ، وأفعاله لا تقادس بافعال الخلق . أما

ذاته سبحانه فانا لا نعرف ذاتا الا ان تكون جسمها وذاك يستدعي سابقة
 تأليف، وهو منزه عن ذلك ، لانه المؤلف ، أو أن يكون جوهرا فالجوهر
 متحيز ، وله أمثال ، وقد جعل عن ذلك . أو عرضا ، فالعرض لا يقوم
 بنفسه بل بغيره ، وقد تعالى عن ذلك . فإذا ثبتنا ذاتا قدية خارجة عما
 يعرف ، فليعلم أن الصفات تابعة لتلك الذات ، فلا يجوز لنا أن نقيس
 شيئا منها على مانفعه ونفهمه ، بل نؤمن به ونسلمه ، وكذلك أفعاله ، فان
 أحدهما فعمل فعلا لا يكتب به نفعا ولا يدفع به عنه ضررا عذابا . وهو
 سبحانه أوجد اخلق لانفع يعود اليه ، ولا رفع ضر اذا المنافع لاتصل
 اليه والمضار لا تتطرق عليه . فان قال قائل : انا خلق اخلق لينفعهم .
 قلنا : بيطله . انه خلق منهم للكفر وعدبه . ونراه يؤلم الحيوان والاطفال ،
 ويخلق المضار ، وهو قادر أن لا يفعل ذلك ، فان قال قائل : انه
 يتطلب على ذلك . قلنا : وهو قادر ان يتطلب بلا هذه الاشياء ، فان
 السلطان لو أراد أن يغى فقيرا فجرحه ثم أغناه ليم على ذلك ، لأن
 قادر أن يغنه بلا جراح . ثم من يرى ما جرى لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم وعلى أصحابه من الجوع والقتل مع قدرة الناصر ، ثم يسأل
 في أمره فلا يجتاب ، ولو كان المسئول بعضنا فقانا لم تمنع مالا يضرك . غير أن
 الحق سبحانه لا تقاس أفعاله على أفعالنا ولا نعمل . والذى يوجب علينا التسليم
 ان حكمته فوق العقل ، فهى تقضى على العقول ، والعقول لا تقضى عليها
 ومن قاس فعله على أفعالنا غاطط الفاحش . واما هذا كرت المعتزلة من
 هذا الفتن . فانهم قالوا كيف يأمر بشيء ويقضى بامتناعه ، ولو ان انسانا
 دعا الى داره ثم أقام من يصد الدار لعيب . ولقد صدقوا فيها يتعلق

بالشاهد . فاما من أفعاله لاتعمل ولا يقاس بشاهد ، فانا لانصل الى معرفة حكمته فان قال قائل : فكيف يمكنني ان اقود عقلى الى ماينافيه . قلنا لامنافاة ، لاز العقل قد قطع بالدليل الجلى انه حكيم ، وانه مالك ، والحكيم لايفعل شيئا الا حكمة ، غير أن تلك الحكمة لا يبلغها العقل . الا ترى ان الخضر خرق سفينة وقتل شخصا ، فانكر عليه موسى عليهما السلام بحكم العلم ، ولم يطلع على حكمة فعله ، فاما اظهر له الحكمة اذعن والله المثل الاعلى . فياياك اياك ان تقيس شيئا من افعاله على افعال اخلق او شيئا من صفاته او ذاته سبحانه وتعالى . فانك ان حفظت هذا سلمت من التشبيه الذى وقع فيه من رأى الاستواء اعتمادا ، والنزول نقلة ، ونجوت من الاعتراض الذى اخرج قوما الى الكفر حتى طعنوا في الحكمة . وأول القوم ابليس ، فانه رأى تقديم الطين على النار ليس بحكمة ، فensi أنه انا علم ذلك بزعمه بالفهم الذى وهب له ، والعقل الذى منحه فensi أنه الواهب اعلم «أولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة» ولقد أيدت لابن الرومي اعتراضاعلى من يقول بتخليد الكفار في النار ينبغي أن يقبل كل ما يقوله العقل ، ولا يرد بعضه اذا لم يرد بعده بأولى من رد بالكل ، وتخليد الكفار لاغرض فيه للمعذب ولا للمعذب فلا يجوز أن يكون . فقلت العجب من هذا الذى يدعى وجود العقل ولا عقل عنده . وأول ما أقول له : أصح عندك الخبر عن الخالق سبحانه انه أخبر بخلود أهل النار أم لم يصح ، فان كان صح عنه فالكلام اذن في انبات النبوة وصحة القرآن ، فما وجه ذكر الفرع مع جحد الأصل . وان قال قد ثبتت عندي فواجع عليه ان يتحمل لاقامة العذر ، لا ان يقف في وجه المعارضة . وانما ينكر هذامن يأخذ الأمر من الشاهد ، وقد يينا ان ذات

الحق لا كالذوات . وان صفتة لا كالصفات ، وأن افعاله لاتعمل . وان تامح شيئاً من التعليل خلود الكفار لبيان ، اذمن الجائز ان يكون دوام تعذيبهم لاظهار صدق الوعيد . فانه قال : من كفر بي خلده في العذاب ولا جنائية كالكفر ولا عقوبة كدوام الاحراق ، فهو يدوم ليظهر صدق الوعد . ومن الجائز أن يكون ذلك لتنمية تعيم المؤمنين فانهم أعداء الكفار ، وقد قال سبحانه « ويشف صدور قوم مؤمنين » وكم من قلق في صدر وحنق على أبي جهل فيما فعل ، وكم غم في قلب عمّار وأمه سمية وغيرهم من أفعال الكفار بهم فدوام عذابهم شفاء لقلوب أهل الإيمان . ومن الجائز أن يدوم العذاب لدوام الاعتراض وذكر المذنب بما لا يحسن ، فكلما زاد عذابهم زاد كفرهم واعتراضهم فهم يعذبون لذلك . ودليل دوام كفرهم « ويخلفوون له كما يخلفوون لكم » فإذا ذكر لهم ما زال ، ومعرفتهم به ماحصلت ، والشر كامن في المواطن ، وعلى ذلك يقع التعذيب « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه »

٢٣٨ - فصل - ينبغي للمؤمن بالله سبحانه إذا نظر في الفصل الذي قد تقدم هذا أن لا يعرض على الله سبحانه في شيء لا في باطنه ولا في ظاهره ، ولا يطلب تعليمات أفعاله . فان التكلمين أعرضوا عن السنن وتتكلموا بأراءهم فما صفت لهم شرب ، بدليل اختلافهم . وكذلك إضمار القياس لما أعملوا ، جاءت أحاديث تذكر عليهم . والصواب التعليل لما يكتن ، والتسليم لما يخفى . وكذلك سؤال الحق سبحانه ، فإذا دعا المؤمن ولم ير اجابة سلام وفوض وتأول للمنع ، فيقول : ربما يكون المنع أصلح ، وربما يكون لأجل ذنبي ، وربما يكون التأخير أولى ، وربما لم يكن هذا مصلحة . وإذا لم يجد تأويلاً م يحتاج في باطنه نوع اعتراض ، بل يرى أنه قد تعمد

بالدعاء ، فان أَنْعَمْ عليه فبفضل ، وان لم يحب فالملاك يفعل ما يشاء . على أَنْ
أَكْثَرُ السُّؤَالِ إِنَّمَا يقع في طلب أَغْرَاضِ الدُّنْيَا الَّتِي اذَا رُدِتْ كَانَ أَصْلَحَ
فَلَيْكُنْ هُمُ الْعَاقِلُونَ فِي إِقَامَةِ حَقِّ الْحَقِّ وَالرَّضْنِ بِتَدْبِيرِهِ وَانْأَسَاءِ . فَمَتى أَقْبَلَتْ
عَلَيْهِ أَقْبَلَ عَلَى اِصْلَاحِ شَأْنِكَ وَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّهُ كَرِيمٌ فَلَذِلَكَ وَلَا تَسْأَلْ . وَمَتى
أَقْبَلَتْ عَلَى طَاعَةِهِ فَمَحَالَ أَنْ يَجُودَ صَانِعَ وَيَنْصُحَ فِي الْعَمَلِ ثُمَّ لَا يُعْطِي الْأَجْرَةَ .

٢٣٠ - فَصْلٌ - وَاللَّهُ اَنِّي لَا نَخَافُ دُخُولَ الْجَنَّةِ وَدُوَامَ الْاِقْلَامَةِ فِيهَا
مِنْ غَيْرِ مَرْضٍ وَلَا بَصَاقٍ وَلَا نُومٍ وَلَا آفَةٍ تَطْرَأُ ، بَلْ صَحَّةً دَائِمَةً وَأَغْرَاضَ
مَتَّصِلَةً لَا يَعْتُورُهَا مَنْفَعَصٌ ، فِي نَعِيمٍ مَتَّجَدِدٍ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ إِلَى زِيَادَةٍ لَا تَتَنَاهِي .
فَأَطْبَشَ وَيَكَادُ الطَّبَعُ يَضِيقُ عَنْ تَصْدِيقِ ذَلِكَ لَوْلَا أَنَّ الشَّرْعَ قَدْ صَمَمَهُ .
وَمَعْلُومٌ أَنَّ تَلَكَ الْمَنَازِلَ إِنَّمَا تَكُونُ عَلَى قَدْرِ الْاجْتِهَادِ هُنَّا . فَوَاعْجِبْنَا مِنْ
مُضِيِّعِ لَحْظَةٍ يَقْعُدُ فِيهَا ، فَتَقْسِيَّحَةٌ يَغْرِسُ لَهَا فِي الْجَنَّةِ نَخْلَةً أَكْلَمَادِيمَ وَظَلَّمَاهَا .
فِي أَيْمَانِهَا أَخَافَفَ مِنْ فَوْتِ ذَلِكَ شَجَعَ قَلْبِكَ بِالْجَاءِ . وَيَا أَيْمَانَهَا المَنْزِعُجَ لِذَكْرِ
الْمَوْتِ تَلْمَعُ مَا بَعْدَ مَرَارَةِ الشَّرْبَةِ مِنَ الْعَافِيَةِ . فَانَّهُ مِنْ سَاعَةِ خَرْوَجِ الرُّوحِ
لَا بَلْ قَبْلَ خَرْوَجِهَا تَكَشِّفُ الْمَنَازِلَ لَا صَحَابَهَا . فِيهِنَّ سِيرَ الْجَذُوبِ لِلَّذِذَةِ
الْمُنْتَقَلِ إِلَيْهِ . ثُمَّ الْأَدْرَواحُ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ تَعْلُقُ فِي أَشْجَارِ الْجَنَّةِ . فَكُلُّ الْآفَاتِ
وَالْمَخَافَاتِ فِي نَهَارِ الْأَجْلِ ، وَقَدْ اصْفَرَتْ شَمْسُ الْعُمَرِ . فَالْبَدَارُ الْبَدَارُ قَبْلَ
الْغَرَوبِ وَلَا مَعِينٌ يَرَاقِقُ عَلَى تَلَكَ الطَّرِيقِ الْأَفْكَرِ اذَا جَاسَ مَعَ الْعُقْلِ
فَتَذَكَّرَا كَرَا الْعَوَاقِبِ ، فَاذا فَرَغَ الْجَلِسُ فَالنَّاظَرُ فِي سِيرِ الْمُجَدِّينِ فَانَّهُ يَعُودُ
مُسْتَجْلِبًا لِلْفَكَرِ مِنْهَا لِلْفَضَائِلِ وَالْتَّوْفِيقِ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . وَمَتى أَرَادَكَ
لَشْئَ هِيَأَكَ لَهُ : فَأَمَا مَخَالِطَةُ الَّذِينَ لَيْسُ عِنْهُمْ خَبْرُ الْأَعْجَلَةِ فَهُوَ مِنْ
أَكْبَرِ أَسْبَابِ مَرْضِ الْفَهْمِ وَعَلَلِ الْعُقْلِ . وَالْعَزْلَةُ عَنِ الشَّرْحَمِيَّةِ ، وَالْحَمِيَّةِ

سبب العافية .

٢٤٠ - فصل - رأيت سبب المهموم والغموم الاعراض عن الله عز وجل والاقبال على الدنيا . وكلما فات منها شيء وقع الغم لفواكهه . فأما من رزق معرفة بالله تعالى لا أنه يستغنى بالرضا بالقضاء فهو قادر له رضي . وان دعا فلم ير أثر الاجابة لم يختلج في قلبه اعتراض ، لأنهم ملوك مدبرون في خدمة الخالق . ومن هذه صفتة لا يؤثر جمع مال ولا مخالطة الخلق ولا الاتتاذ بالشهوات . لأن إما أن يكون مقصراً في المعرفة فهو مقبل على التعبد الحض يزهد في الفاني لينال الباقى . وإما أن يكون له ذوق في المعرفة فإنه مشغول عن الكل بصاحب الكل . فتراه متادباً في الخلوة به ، مسأةً نسأةً بمناجاته ، مستوحشاً من مخالطة خلقه ، راضياً بما يقدر له . فعيشه معه كعيش محب قد خلا بمحبيه لا يريد سواه ، ولا بهم بغيره . فأمامن لم يرزق هذه الأشياء ، فإنه لا يزال في تنفيص متكرر العيش ، لأن الذي يطلب به من الدنيا لا يقدر عليه ، فيبقى أبداً في الحسرات مع ما يفوته من الآخرة بطبيب المعاملة . نسأل الله عز وجل أن يستحمل حنانه فإنه لا حول ولا قوة إلا به .

٢٤١ - فصل - تفكرت في نفسي فرأيتني مفلساً من كل شيء ان اعتمدت على الزوجة لم يكن كما أريد . ان حسنت صورتها المكمل أخلاقها . وان ثمت أخلاقها كانت مريدة لغرضها الالى . وعلمها تنتظر دحيلها . وان اعتمدت على الولد كذلك ، والخدم والمريدى كذلك ، فان لم يكن لها مني فائدة لم يريداني . وأما صديق فليس ، وآخر في الله كعنقاء مغرب ، ومعارف يعتقدون أهل الخير ويعتقدون فيهم قد عدموا وبقيت وحدى ، وعدت إلى نفسي ، وهي لا تصفو إلى أيضاً ولا تقيم على حالة سليمة ، فلم يبق إلا الخالق

سبحانه . فرأيت أن اعتمدت على انعامه فما آمن ذلك البلاء ، وان رجوت عفوه فما آمن عقوبته ، فواأسفا لاطainة ولا قرار . واقلقى من قلقى ، واحرقى من حرقى ، بالله ما العيش الا في الجنة ، حيث يقع اليقين بالرضى والعاشرة لمن لا يخون ولا يؤذى . فأما الدنيا فما هي الا دار ذلك .

٤٤٢ - فصل - ينبغي لمن صحب سلطاناً أو ملائكة أن يكون ظاهره

معه وباطنه سواء ، فإنه قد يدس إليه من يخبره ، فربما افتضح في الابتلاء . وقد كان جماعة من الملوك يقصدون تقريب النازد ، ولا يجعلون له حجرة في دورهم ، فإذا أرادوا أن يختصوه اختبروه باطناً وذاك لا يدرى ، فيظهر منه ملا يصلاح فيطرد . ولقد امتحن أباً ويوزراً جلاً من خاصته ، فدس إليه جارية معها ألطاف ، وأمرها أن لا تقدم عند فحمةها . ثم أنفذها مرة أخرى وأمرها أن تقدم بعد التسليم هنيهة ففعلت ، فلا يلاحظها الرجل . ثم بعضها ثالثة وأمرها أن تطيل القعود عنده وتحده ، فأطالت الحديث معه ، فابدى لها شيئاً من الميل إليها ، فقالت : أخاف أن يطلع علينا ، ولكن دعنى أذهب في هذا . فذهب فأخبر الملك بذلك ، فوجه غيرها من خواص جواريه بمثل ذلك ، فلما جاءته قال : ما فعلت فلانة قالت مريضة فاربد لونه . ثم فعلت الجارية الثانية مثل ما فعلت الأولى ، فقالت له : إن الملك يمضي إلى بيته فقييم هناك ، فإن أردتك على أن تمضي معه فأظهر أنك عليل ، فإن خيرك بين الانصراف إلى دور نسائك أو المقام هنا فاخبر المقام هنا ، وأخبره أنك لا تقدر على الحركة ، فإن أجباك إلى ذلك جئت إليك كل ليلة مادام الملك غائباً ، فسكن إلى قولها . ثم مضت وأخبرت الملك بذلك . فلما كان بعد ثلاثة ، استدعاه الملك فقال : أني مريض . فعاد الرسول فأخبره

فتبسم . وقال : هذا أول الشر . فوجه اليه محفظة حمل فيها اليه فلما بصر به
 أبرويز قال : والمحفة الشر الثاني ، فرأى العصابة على رأسه ، قال : والعصابة
 الشر الثالث ، فقال له الملك : أيماء أحب إليك الانصراف الى نسائك ليمر صدرك
 أو المقام هنالى وقت رجوعي قال : المقام هنالى أرقى لقلة الحركة ، فتبسم وقال :
 حركتك هنا ان تركت اكثير من حرتك الى منزلك . ثم أمر له بعصا الزنا
 التي كان يومها من زنا . فايقن الرجل بالأمر ، وأمرأن يكتب ما كان من
 أمره حرفا فيقو أعلى الناس حرفا حرفا اذا حضر وا ، وأن ينفي الى أقصى
 المملكة ، وتجعل العصا على رأس رمح يكون معه حيث كان ليحذر منه من
 لا يعرفه . فلما نهى أخذ من بعض الموكييز مدية فجرب بها ذكره وقال : من أطاع
 عضوا صغيرا فسد عليه جميع أعضائه ، ومات من ساعته . قلت : وقد كان جماعة
 من الامراء يتذكرون ويسألون العوام عن سيرتهم ، فيتكلم العامي بما لا يصلح
 فيضمبطونه عليه وربما يغشوا دسيسا . ودب كلمات قالها مسخر سل فيلغها فضولى .
 ورأى عمر بن عبد العزيز رجلًا من العمال كثير الصلاة ، فدس عليه من قال له :
 ان أخذت لك الولاية الفلانية فما تعطييني قال : أعطيتك كذا وكذا ، قال
 عمر : غير تنا بصلاتك . وقد بلغت أن رجلاً لكم امرأة فأجابته فاستدعته
 الى دارها ، فلما دخل أقامت عن قتلها . فقدم ينحل من هذه الحكایة أنه
 لا ينبغي أن يسكن الى قول امرأة أو بعل يجوز أنه يكون جاسوسا
 ومحثبرا . وكذلك لا يظهر ما ينبغي اخفاوه من مال او مذهب أو سبب رجل
 فربما كان له في الحاضرين قريب . ولا يوثق بمودة لا أصل لها ، فربما كانت
 تحتها آفة تقصده . وليجذر من كل أمر يحتمل . ودب كلمة نقلها صديق
 الى صديق فتحدى بها من لا يقصد أذى للقاتل فيبلغت فتاذى . ورب مظهر

للمحبة مبالغ حتى يستمكّن من مراده . فالحذر الحذر من الطمأنينة إلى أحد خصوصاً من عدو آذيته أو قتلت له قريباً ، فربما أظهر الجميل شبكة لاصطيادك كحدث الزباء .

٢٤٣ - فصل - رأيت النفس بعد علو السن يقوى أملاها ويزداد حرصها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : يشيب ابن آدم وتشب منه خصلتان الحرص والأمل : ورأيت أكثر أسباب ذلك فراغ اليد من الدنيا وكثرة العائلة وقوة الحاجة ، فيحتاج الإنسان إلى التعرض بما يشين العرض ليحصل الغرض . فقلت لها أبعد روية جبال عرفة أضل ، أبعد مشارفة الحرم تأخذني أعراب البادية . وأسفًا أيطلع فجر النهر وما وصلت إلى عرفات وباضياع سفر العمر وما حصل المقصود :

قد كنت أرجوك لنيل المنى واليوم لا أطلب إلا الأرض
ثم قلت : يا نفس مالك ملجاً إلا اللجاج واستغاثة الغريق فان رحمت والا
فكم من حسرة تحت التراب .

٢٤٤ - فصل - شكي لى بعض الاشياخ فقال : قد علت سنتي
وضعفت قوتي ونفسي تطلب مني شراء الجوار الصغار ، ومعلوم أنهن يردن
النهاج وليس في ولا تقعن مني النفس بربة البيت اذ قد كبرت فقلت له :
عندى جوابان . أحدهما الجواب العامي ، وهو أن أقول : ينبغي أن تستغل
ذكر الموت وما قد توجهت إليه ، وتحذر من اشتراء جارية لا تقدر على
إيفاء حقها فانها تبغضك ، فإن أجهدت استعجلت التلف . وان استيقظت
قوتك غضبت هي ، على أنها لا تزيد شيئاً كيف كان . وقد أنسدنا على بن
عبيد الله قال أنسدنا محمد التميمي :

أفق يافوادى من غرامى واستمع
 مقالة ممزون علیك شفيف
 علقت فتاة قلبها متعلق
 بغيرك فاستوثقتك غير وثيق
 وأصبحت موئقاً وراحت طليقة
 فكم بين موئق وبين طلاق
 فاعلم أنها تعد عليك الأيام ، وتطلب منك فضل المال انتسعت لغيرك ،
 وربما قصدت حتفك ، فاحذر والسلامة في الترك ، والاقتناع بما يدفع
 الزمان . والجواب الثاني فاني أقول : لا يخلو أن تكون قادرًا على الوطء
 في وقت أو لا تكون ، فان كنت لا تقدر فالاولى مصايرة الترك للشكل .
 وان كان يمكن الحازم أن يداري المرأة بالنفقة وطيب الخلق الا انه يخاطر .
 وان كنت تقدر في أوقات على ذلك ، ورأيت من نفسك توقيشيداً ، فاعلمك
 بالمراهقات فاهرن ما عرفن النكاح ، وما طلبن بالوطء ، وأغمرن بالانفاق
 وحسن الخلق مع الاحتياط عليهم ، والمنع من مخالطة النساء . و اذا اتفق
 وطء فتتصر عن الانزال دينما تقضي المرأة حاجتها . واعتمد وعظها وتذكريها
 بالآخرة . واذكر لها حكایات العشاق من غير نكاح ، وقبح صورة الفعل ،
 وألفت قلبها الى ذكر الصالحيز ، ولا تخلي نفسك من الطيب والتزين والكياسة
 والمداراة والانفاق الواسع . فهذا دينما حرك الناقة للمسير مع خطر السلامه .

٢٤٥ - فصل — أبله الناس من عمل على الحال الحاضرة ولم يتصور
 تغيرها ولا وقوع ما يجوز وقوعه . مثاله ان يفتر بدلة فيعمل بمحضى
 ملكه فإذا تغيرت هلك ، وربما عادى خلقاً اغتراراً بأنه متسلط أو أنه
 صاحب سلطان ، فإذا تغيرت حاله أكل كفيه ندماً عند فوات التدارك .
 وكذلك من له مال يبذره سكوناً الى وجود المال ، وينسى حاله عند العدم .
 وكذا من يتناول الشهوات ، ويكثر من المأكل والمشابب والنكاح ثقة

باعفية وينسى ما يعقب ذلك من الامراض والآفات . ومن أظرف
 الاحوال ان يحب جاريتها فيعتقها ويهب لها، او امرأة فيسكن اليها ويذهب
 لها فتتمسكن . ولا تخضى الايام حتى يسلوها او يطلب غيرها ، ولا يوجد
 طريقة للخلاص . فان تخلص منها اخذت ما غنمته منه فلقي من الغيظ
 اضعاف ما يلتذ به ، فلا ينبعى أن يوثق بامرأة ولابحية انسان ، فانه قد
 يحب امرأة ويظن انه لا يسلوها أبداً فيرسل اليها والسلو يحدث .
 وربما أحب غيرها فينسى الأولى فيصعب عليه الخلاص من الاولى .
 فالعالقل لا يدخل في شيء حتى يهيء الخروج منه ، فان الاشياء لا تثبت ،
 والمحبة لا تدوم ، والتغير مقرون بكل حال ، وكذلك يعطى ماله ولده
 ثم يبقى كلاماً عليه فيتمنى الولد هلاكه ، وربما اظهر ذلك فكان منها ما يجب
 قد يشق بالصديق فيثبت اسراره اليه ، فربما اظهر ذلك فكان منها ما يجب
 هلاكه . وكذلك يغتر الانسان بالسلامة وينسى طروق الموت فيما يشه بعنة
 فيبيته وقد فات الاستدراك ولم يبق الا الندم . فالعالقل من كانت عينيه
 مراقبة للعواقب ، محترزة مما يجوز وقوعه ، عاملة بالاحتياط في كل حال
 حافظة للهال والسر ، غير واثقة بزوجة ولا ولد ولا صديق ، متأهبة للرحيل
 متهيئة للنقلة . هذه صفة أهل الحزم ، والتفرير^(١) المداعع البذر

٢٤٦ - فصل - من أعجب الامور طلب الاطلاع على تحقيق
 العرفان لذات الله عز وجل وصفاته وأفعاله، وهيبات . ليس الاعلمة بالجملة
 ولقد أوغل المتكلمون في وقعوا بشيء فرجع عقلاؤهم الى التسليم وكذلك
 أصحاب الرأي ، مالوا الى القياس فإذا أشياء كثيرة بعكس مرادهم ، فلم

يجدوا ملجاً الا التسلیم ، فسموا ما خالفهم استحساناً . فالفقیه من عمل بما يمكن ، فإذا عجز استطرح للتسليم ، هذا شأن العبيد . فأما من يقول لم فعل كذا وما معنى كذا ، فإنه يطلب الاطلاع على سر الملك ، وما يجد الى ذلك سبيلاً لوجھين : أحدھما ان الله تعالى ستر كثیراً من حکمه عن الخلق . والثانی انه ليس في قوى البشر ادراك حکم الله تعالى كلها ، فلا يبقى مع المعترض سوى الاعتراض المخرج الى الكفر « فلایمدد بسبب الى السماء ثم ليقع فلينظر هل يذهبن کیده ما يغیظ » والمعنى من رضى بأفعالی وإلا فلیخنق نفسه فما أفعل الا ما أريد .

٢٤٧ - فصل - من رزقة الله تعالى العلم ، والنظر في سير السلف ، رأى ان هذا العالم ظالمة ، وجمهور العالم على غير الجادة ، والخالطة لهم تضر ولا تنفع ، فالعجب لمن يترخص في الخالطة وهو يعلم ان الطبع بصير يسرق من الخالطة . وانما ينبغي أن تقع الخالطة للأدفع والأعلى في العلم والعمل ليستفاد منه . فأما مخالطة الدون فانها تؤذى ، الا ان يكون عامياً يقبل من معامه ، فينبغي ان يخالط بالاحتراز . وفي هذا الزمان ان وقعت الخالطة للعوام فهم ظالمة مستحکمة . فإذا ابلى العالم بمخالطتهم فليشرئناب الحذر ، ولتكن مجالسته ايام للتذكرة والتاديب فحسب . وان وقعت الخالطة للعاماء فاکثرون على غير الجادة . مقصودهم صورة العلم لا العمل به . فلا تکاد ترى من تذاكره أمر الآخرة ، انما شغلهم الغيبة وقصد الغلبة واجتلاح الدنيا ، ثم فيهم من الحسد للفترة ما لا يوصف . وان وقعت الخلطۃ للأمراء ، فذاك تعرض لفساد الدين ، لانه ان تولى لهم ولاية دنيوية فالظلم من ضروراتها ، لغبنة العادة عليهم والاعراض عن الشرع . وان كانت ولاية

دينية كالقضاء ، فأنهم يا مرونه باشياء لا يكاد يذكره المراجعة فيها ، ولو
 راجع لم يقبلوا ، وأكثر القوم يخاف على منصبه ، فلما يفعل ما أمر به وان لم
 يخبر ، وربما رأيت في هذا الزمان أقواماً يبذلون المال ليكونوا قضاة ، أو
 شهوداً ، ومقصودهم الرفعة . ثم أكثر الشهود يشهد على من لا يعرفه ،
 ويقول انه معرف ويدرك انه كذاب وإنما عرف لاجل حبة يعطها وكم
 قد وقعت شهادة على غير المشهود عليه ، وعلى مكره . وان وقعت المخالطة
 للمتزهدين فاكثرهم على غير الجادة ، وعلى خلاف العلم ، قد جعلوا لأنفسهم
 نواميس . فلا يتسمون إلا بخزون إلى سوق ، ويظهرون التخشع الزائد
 وكله نفاق . وفيهم من يلبس الصوف تحت ثيابه ، وربما لوح بكمه ليرى .
 وقد حكى عن طاهر بن الحسين انه قال لبعض المتزهدين : مذكم قدمنت
 العراق . قال : دخلتها منذ عشرين سنة ، وأنا منذ ثلاثين سنة صائم . قال
 سالمك عن مسئلة فاجبت عن الثنتين . ويivot الصوفية أربطة فهى
 خوارج على المساجد وهى دكا كيز كويه يقعد فيها الكسالى من الكسب
 مع القدرة عليه ، ويتعرضون بالتمويل للصدقات ، ولا حوالظلمة ، وقد
 أراحوا أنفسهم من إعادة العلم . وأكثرهم لا يصلى نافلة ، ولا يقوم الليل ،
 بل يهضم المأكول والمشروب والرقص . وقد اخندوا سنتاً تخالف الشريعة
 فهم يلبسون المرقع لا من فقر . وهذا قبيح . لانه ليس عندهم من أمارات
 الزهد سوى الملبس الدون ، فثيابهم تصريح بخن زهاد ، وباقى أفعالهم
 المستوره تفضحهم اذا اطلع عليها . فالمطبخ دائر . والحمام والحلوى كثيرة .
 والطيب والدعة ؟ والكبر حاصل بذلك الكبير . وقد قال النبي صلى الله عليه
 وسلم لمالك بن فضله وقدرآه أشعت الهيئة : أمالك مال ! قال بلى من كل المال

أَتَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ! قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَحَبَّ أَنْ قَرِئَ عَلَيْهِ . وَمَنْ أَخْلَاقُهُمْ تَنْفِيرُ النَّاسِ عَنِ الْعِلْمِ ، وَيَزْعُمُونَ أَنْ لَا حَاجَةُ إِلَى الْوَسَائِطِ ، وَإِنَّمَا هُوَ قَلْبٌ وَرَدْبٌ . وَلَهُمْ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ الْمُنْكَرَاتِ مَا قَدْ ذَكَرْتُهُ فِي تَبَلِيسِ أَبْلِيسِ ؟ آهُ لَوْ كَانَ لِلزَّمَانِ عُمُرٌ لَا حَتَّاجَ كُلُّ يَوْمٍ إِلَى مائَةٍ دَرَةٍ . لَا بَلْ كَانَ يَسْتَعْمِلُ السَّيْفَ فِي هُؤُلَاءِ الْخُوَارِجِ . وَهُمْ دَاخِلُ الْبَلْدَ لَا قَدْرَةُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِمْ . إِذْ قَوْلُهُمْ فِيهِمْ لَا يَقْبِلُ . فَنَّ رِزْقُهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ النَّاظِرُ فِي سِيرِ السَّلْفِ ، وَوْفَقَهُ لِلَا قِتَادَ بَعْدَهُمْ . أَنْ يَعْتَزِلَ عَنْ أَكْثَرِ الْخَلْقِ . وَلَا يَخَالِطُهُمْ فَإِنَّهُ مِنْ خَالِطِهِمْ أَوْذِي . وَمَنْ دَارَ لِمَ يَسْلِمُ مِنَ الْمَدَاهِنَةِ فَإِنَّمَا يَحْسَبُهُمْ مِنْ مَرْدُودِ الْيَوْمِ .

أو لرفع درجة أو للابتلاء . فهو لا يرى الخصم وإنما يرى القدرة .

٢٤٩—فصل — إذا وقعت في محنة يصعب الخلاص منها فليس لك
الادعاء والاجابة بعد أن تقدم التوبة من الذنوب ، فإن الزلل يوجب العقوبة ،
فإذا زال الزلل بالتوبة من الذنوب ارتفع السبب ، فإذا ثبتت ودعوت ولم
تر للإجابة أثراً فتفقد أمرك ، فربما كانت التوبة ماصحت ، فصححها ثم
ادع ولا تملأ من الدعاء ، فربما كانت المصالحة في تأخير الإجابة ، وربما لم تكن
المصالحة في الإجابة ، فانت تثاب وتحاسب إلى منافعك . ومن منافعك أن لا
تعطى ما طلبت بل تعوض غيره . فإذا جاء إليني فقال لك تدعوه ولا توئي
الإجابة ، فقل أنا أتعبد بالدعاء . وأنا موقن أن الجواب حاصل . غير أنه
ربما كان تأخيره لبعض المصالحة على مناسب ، ولو لم يحصل حصل التعبد والذل .
فيما يكأن تسأل شيئاً إلا وتقربه بسؤال الخير ، فرب مطلوب من الدنيا
كان حصوله سبباً للهلاك . وإذا كنت قد أمرت بالمشاورة في أمور
الدنيا جليسك ليبين لك في بعض الآراء ما يعجز رأيك وترى أن مأupon لك
لا يصلح فكيف لا تسأل الخير ربك وهو أعلم بالمصالحة والاستغفار من
حسن المشاورة .

٢٥٠—فصل — نظرت إلى الناس فرأيتهم ينقسمون بين عالم ومجاهل ،
فاما الجهل فانقسموا ، فنفهم سلطان قد دوى في الجهل وليس الحري وشرب
الخمر وظلم الناس ، وله عمال على مثل حالة ، فهو لاء بمعزل عن الخير بالجملة .
ومنهم يتجار همهم الاكتساب وجمع الأموال ، وأكثرهم لا يؤدي الزكاة
ولا يتحاشى من الربا . فهو لاء في صور الناس . ومنهم أدباب معاش
يطفرون المكيال وينخرسون الميزان ويبخسون الناس ويتعاملون بالربا

وهم في الأسواق طول النهار لاهمة لهم إلا ما هم فيه . فإذا جاء الليل وقمو
نياما كالسکاري . فهمة أحدهم مایا كل ويلتذ به ، وليس عندهم من الصلاة
خبر ، فان صل أحدهم نقرها أو جمع بينهما ، فهو لاء في عداد البهائم . ومن
الناس ذوا رذالة في جميع أحوالهم فهذا كناس وهذا زبال وهذا نحال وهذا
يكسح الحش فهو لاء أرذل القوم . ومنهم من يطلب اللذات ولا يساعد
المعاش فيخرج إلى قطع الطريق ، وهو لاء أحمق الجماعة ، إذ لاعيش لهم
فان التذوا لحظة با كل أو شرب فحركت الريح قصبة هربوا خوفا من
السلطان . وما أقل بقاعهم ، ثم القتل والصلب مع اثم الآخرة . ومنهم أرباب
قرى قد عهم الجهل ؛ واكثراهم لايته حاشى من بخاصة ، فهم في زمرة البقر .
ورأيت النساء ينقسمن أيضا ، فنهن المستحبسة التي تبغى . ومنهن الخائنة
لزوجها في ماله . ومنهن من لا تصلى ولا تعرف شيئاً من الدين . فهو لاء حشو
النار . فإذا سمعن موعدة فانها كما مرت على حجر . وإذا قرئ عندهن
القرآن فكانهن يسمعن السمر . وأما العلماء فالمبتدئون منهم ينقسمون إلى ذي
نية خبيثة يقصد بالعلم المباهاة لالعمل ، ويغسل إلى الفسق ظناً أن العلم
يدفع عنه ، وإنما هو حجة عليه . وأما المتوسطون والمشهورون ، فاكثرهم
يعيشى السلاطين ويُسكن قصيدة عن انكار المذكر ، وقليل من العلماء من تسلم له
نيته ويحسن قصيده . فمن أراد الله به خيرا رزقه حسن القصد في طلب العلم ،
فهو يحصله ليتفقع به وينفع ، ولا يملى بعمل مما يدل عليه العلم ، فتراه يتبعجاف .
أرباب الدنيا ، ويحذر مخالطة العوام ، ويقنع بالقليل خوفاً من المخاطرة
في الدنيا في تحصيل الكثير ، ويؤثر العزلة فلي sis مذكرا للآخرة مثلها ،
وليس على العالم أضر من الدخول على السلاطين فإنه يحسن للعالم الدنيا

ويهون عليه المنكر، وربما أراد أن ينكر فلابد من صحة له، فإن عدم القناعة وغبته نفسه في طلب فضول الدنيا سلم عليه لأنها يتعرض بارباها، وإن الإنسان لم يمشي في السوق ساعة فينسى بما يرى ما يعلم، فكيف إذا انضم إلى ذلك التردد إلى الاغنياء والطمع في أمواهم، فأما الوحدة فانها سبب رجوع القلب وجمع الهم والنظر في العواقب والتهيء للرحيل وتحصيل الرزاد . فإذا انضمت إليها القناعة جلبت المستحسنة . ولا تحسن اليوم المجالسة إلا الكتاب يحدُّثك عن أسرار السلف . فاما مجالسة العلماء فمخاطرها ، اذ لا يجتمعون على ذكر الآخرة في الغلبة . ومجالسة العوام فتنَّ الدين ، الا ان يحترز مجالسهم وينعمون من القول فيقول هو ويكلفهم السمع . ثم يستوفز للبعد عنهم ولا يمكن الانقطاع الكلى الا بقطع الطمع . ولا ينقطع الطمع الا بالقناعة باليسir أو يتميز بتجارة ، أو أن يكون له عقار يستغل ، فإنه متى احتاج اشتت الهم ، ومتي انقطع العالم عن أخلاقه وقطع طمعه فيهم وتتوفر على ذكر الآخرة فذاك الذي ينعم وينتفع به . والله الموفق .

٢٥١ - فصل - من تأمل بعيز الفكر دوام البقاء في الجنة في صفاء بلا كدر، ولذات بلا انقطاع ، وبلوغ كل مطلوب للنفس ، وازيد بلا عين رأى ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من غير تغيير ولا زوال . ولا يقال ألف ألف سنة ولا مائة ألف ألف . ولو أن الإنسان عدا الألوف الوف سنين لا ينقضى عدده ولا كان له نهاية . وبقاء الآخرة لاتفاقه . الا انه لا يحصل ذلك الا بنقد هذا العمر . وما مقدار عمر غايتها مائة سنة منها خمسة عشر صبوبة وجهل . وثلاثون بعد السبعين ان حصلت ضعف وعجز . والتتوسط نصفه نوم وبعضه زمان كل وشرب وكسب والمتخل منه للعبادات

يسير . أفلأ يشترى ذلك الدائم بهذا القليل ؟ إن الاعراض عن الشروع في
 هذا البيع والشراء لغبن فاحش في العقل ، وخلل داخل في الإيمان بالوعد .
 فان من يدرى كيف يعقد البيع بالعلم ، هو الذى يدل على الطريق ويعرف
 ما يصلح لها ويحذر من فضاعتها . ولقد دخل ابليس على طائفة من المترهدين
 بافافات أعظمها أنه صرفهم عن العلم . فكانه شرع في اطفاء المصباح ليسرق
 في الظلمة حتى أنه أخذ قوما من كبار العلماء فسلك بهم من ذلك ما ينهى عنه
 العلم . فرأيت أبا حامد الطوسي يحكى عن نفسه في بعض مصنفاته قال :
 شاورت متبعا مقدما من الصوفية في المواطبة على تلاوة القرآن فمنعني
 منه ، وقال : السبيل ان تقطع علائقك من الدنيا بالكلية بحيث لا يلتفت
 قلبك الى أهل وولد ومال وعلم ، بل تصير الى حالة يستوى عندك وجود
 ذلك وعدمه . ثم تخلو بنفسك في زاوية ، فتقتصر من العبادة على الفرائض
 والروابط ، وتحلسو فادع القلب . ولا تزال تقول : اللهم الله الى ان تنتهي الى
 حالة لو ترك تحريرك المساند رأيت كان الكلمة جارية على لسانك . ثم تنظر
 ما يفتح عليك مما فتح مثله على الانبياء والآولئاء . قلت وهذا أمر لا أتعجب
 انا فيه من الموصى به وإنما أتعجب من الذى قبله مع معرفته وفهمه ، وهل
 يقطع الطريق بالاعراض عن تلاوة القرآن : وهل فتح للأنبياء مافتح
 بجهدهم ورياضتهم . وهل يوثق بما يظهر . ثم ما الذى يفتح . ألم اطلع
 على علم الغيب ألم وحي . فهذا كله من تلاعب ابليس بالقوم . وربما كان
 ما يتخيال من أثر الماليختوليا ومن ابليس فعليك بالعلم . وانظر في سير
 السلف هل فعل أحد منهم من هذا شيئا أو أمر به . وإنما تشاغلوا بالقرآن
 والعلم فدلكم على اصلاح البواطن وتحصيفيتهم . نسأل الله عز وجل علما زافعا

لعدو مانعا انه قادر .

٢٥٢ - فصل - من أراد اصطفاء محبوب فالمحبوب نوعان امرأة يقصد منها حسن الصورة ، وصديق يقصد منه حسن المعنى ، فإذا عجبك صورة امرأة فتأمل خلاها الباطنة مديدة قبل أن يتعلق القلب بها تعلقاً محكماً ، فإن رأيتها كاتحب وأصل ذلك كله الدين كما قال : عليك بذات الدين . فمل اليها واستولدها وكن في ميلك معتدل الميل ، فإنه من الغلط ان تظهر لمحبوبك الحب ، فإنه يشتطط عليك ، وتقى منه الأذى والتتجنى والهجران والاذلال وطلب الانفاق الكثير وإن كانت تحبك لأن هذا يحيط به حب الأدلال المقهور ونم نكتة عجيبة . وهو إنك ربما عملت بتفتضى الحال الحاضرة ، وهي تحكم بكمال الحب ، ثم إن ذلك لا يثبت اليك فتفقع وتبقى مقهوراً ويصعب عليك الخلاص . وربما تكنت بمعرفة سرك أو بأخذك كثير من مالك . ومن أحسن ما يبلغني في هذا أن جارية لبعض الخلفاء كانت تحبه حباً شديداً ولا تظهر له ذلك ، فسئلت عن هذا فقالت : لو أظهرت ماعندك فجفاني هلاكت .

قال الشاعر :

لا تظهرنْ مودة حبيب فترى بعينك منه كل عجيب
أظهرت يوماً للحبيب مودتي فأخذت من هجرانه بنصيبي
وكذا ينبغي ان تكتم بعض حبك للولد ، لأنه يتسلط عليك ، ويضيع
مالك ، ويباغ في الأدلال ، ويتنزع عن التعلم والتآدب ، وكذلك اذا
اصطفيت صديقاً وخبرته فلا تخبره بكل ماعندك ، بل تعاهده بالاحسان
كما تعاهد الشجرة ، فانها اذا كانت حيدة الاصل حسنت ثمرتها بالتعاهد .
ثم كن منه على حذر فقد تتغير الاحوال وقد قيل :

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألمفمرة

فلربما انقلب الصديق فـ كان أدرى بالمضرة

٢٥٣ - فصل - واما اذا بغضت شخصاً فلا تظern ذلك ، فانك

تبغى على اخذ الحذر منك ، وتدعوه الى المبارزة ، فيبالغ في حربك والاحتياط

عليك ، بل ينبغي ان تظهر له الجميل ان قدرت ، وتبه ما استطعت فانكسرت

معاداته جبلا بالحياء من بغضك . فان لم تطق فهجر جميل ، لا يبين فيه

ما يؤذى . ومتى سمعت عنه كلمة قذاعة فاجعل جوابها كلمة جميلة ، فهو

أقوى في كف انسانه ، وكذلك جميع ما يخاف اظهاره ، فلا تتكلمن به ، فربما

وقعت كلمة أسقطت بها عز السلطان فتفقلت اليه فـ كانت سبب هلاكه .

او عن صديق فـ كانت سبب عداوته ، او صرت رهيناً لمن سمعها خائفاً

ان يظهرها . فالحزم كتمان الحب والبغض . وكذا ينبغي ان تكتم سنته . فان

كنت كبيراً استهروك ، وان كنت صغيراً استحقروك . وكذلك مقدار

مالك ، فانه ان كان كبيراً نسبوك في نفقتك الى البخل . وان كان قليلاً

طلبو الراحة منك . وكذلك المذهب ، فـ ان اظهرته لم تأمن أن يسمعه

مخالف فيقطع بكفرك . وقد أنسدنا محمد بن عبد الباقي البزار :

احفظ لسانك لا تبع بثلاثة سنّاً ولا ما استطعت ومذهب

فعلى ثلاثة بتلبي ثلاثة بموده ومحرف ومكذب

٢٥٤ - فصل - طال تعجب من مؤمن بالله عز وجل مؤمن بجزائه

يؤثر خدمة السلطان مع ما يرى من الجور الظاهر فـ اعجب بما الذي يعجبه .

ان كان الذي يعجبه دنيوياً فليس ثم الا ان يصاح بين يديه باسم الله ، وأن

يتتصدر في المجالس ويلوى عنقه كبراً على الناظراء ، ويأخذ الألسنات وهو

يعلم من أين حصل . وربما انسسط في البرطيل . ثم يقابل هذا ان يصادر
ويعزل . فيستخرج تلك المرأة من كل حلاوة كانت في الولاية . وربما
كان قريب الحال فافتقر بالمصادر جدا . ثم تنطلق الألسن المادحة بالذم .
ثم لو سلم من هذا فإنه لا يسلم من الرقيب له والخذر منه . فهو كراكب
البحر ان سلم بدنه من الغرق لم يسلم قلبه من الخوف . وان كان ديناً
فإنه يعلم انهم لا يمكنونه في الغالب من العمل بمحضى الدين . فانهم
يأمرونه بترك ما يجب وفعل ما لا يجوز فيذهب دينه على اليار . ولعاقب
الآخرة أشق .

٢٥٥ - فصل - العجب من الذى أنف من الذل كيف لا يصبر
على جاف الخبز ولا يتعرض لمن الانذال ، أتراه ما يعلم انه ما بقى صاحب
مروءة ! وانه ان سأله سائل بخيلا لا يعطي ، فان أعطى نزاراً فإنه يستعبد
المعطى في العمر بذلك ، ثم ذاك القدر النزد يذهب عاجلا ، وتبقى المني
والخجل ورؤيه النفس بعيذ الاحتقار ، اذ صارت سائلة ، ورؤيه المعطى بعين
التعظيم ابدا . ثم يوجب ذلك السكوت عن معائب المعطى والبدار الى قضاء
حقوقه وخدمته فيما يفي . وأعجب من هذا من يقدر أن يستعبد الاحرار
بقليل العطا الفاني ولا يفعل ، فان الحر لا يشتري إلا بالحسان قال الشاعر:
تفضل على من شئت واعن بأمره فأنت ولو كان الامير أميره
وكن ذا غنى عن من تشاء من الورى ولو كان سلطانا فأنت نظيره
ومن كنت محتاجا اليه وواقفها على طمع منه فانت أسيره

٢٥٦ - فصل - يتضمن وصية الشباب . ينبغي للصبي اذا بلغ
ان يحذر كثرة الجماع ليبقى جوهره فيفيده ذلك في الكبر ، لأنه من

الجائز كبره والاستعداد للجائز حزم ، فكيف للغالب . كما ينبغي أن يستعد للشتاء قبل هجومه ، ومتى أتفق الحاصل وقت القدرة تأذى بالفقر اليه وقت الفاقة . ول يجعل ذو الدين والفهم إن المتعة إذا تكون بالقرب من الحبيب ، والقرب يحصل بانتقبيل والضم . وذلك يقوى المحبة . والمحبة يلذ وجودها والوطء ينقص المحبة ويعدم تلك اللذة . وقد كان العرب يعشقون ولا يرون وطء المعشوق . قال قاتلهم : إن نكح الحب فسد : فأما الالتذاذ بنفس الوطء فشأن البهائم . ولقد تأملت المراد من الوطء فوجدت فيه معنى عجيباً ينافي على كثير من الناس ، وهو ان النفس اذا عشقت شخصاً أحبت القرب منه ، فهي تؤثر الضم والمعانقة لأنها غاية في القرب ، ثم قرید قرباً يزيد على هذا فيقبل الخد . ثم تطلب القرب من الروح فيقبل الفم ، لأنه منفذ الى الروح ، ثم تطلب الزيادة فيمتص لسان المحبوب ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضح عائشة ويقبلها ويصر لسانها : فإذا طلبت النفس زيادة في القرب الى النفس استعملت الوطء . فهذا سره المعنوی ، ويحصل منه الالتذاذ الحسي .

٢٥٧ - فصل - ليس على العوام أضر من سماعهم علم الكلام وإنما ينبغي أن يحذر العوام من سماعه والخوض فيه ، كما يحذر الصبي من شاطئ النهر خوف الغرق . وربما ظن العami إن له قوة يدرك بها هذا وهو فاسد ، فإنه قد زل في هذا خلق من العلماء فكيف العوام . وما رأيت أحق من جهور قصاص زماننا ، فإنه يحضر عندهم العوام الغشم فلا ينهرهم عن خمر وزنا وغيبة ، ولا يعلموهم أركان الصلاة ووظائف التعبيد ، بل يملئون الزمان بذلك الاستواء وتأويلي الصفات ، وان الكلام قائم بالذات

فيتأذى بذلك من كان قلبه سليماً وانما على العامي ان يؤمن بالاصول الخمسة بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ويقنع بما قال السلف : القرآن كلام الله غير مخلوق . والاستواء حق والكيف مجهول . ويلعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكفل الا عراب سوى مجرد اليمان ، ولم تتكلم الصحابة في الجواهر والاعراض . فمن مات على طريقهم مات مؤمناً سليماً من بدعة . ومن تعرض لساحل البحر وهو لا يحسن السباحة فالظاهر غرقه .

٢٥٨ - فصل - أشد الناس جهلاً مهوم بالذات . والذات على ضرائب مباحة محظورة ، فالمباحة لا يكاد يحصل منها شيء إلا بضياع ما هو مهم من الدين . فإذا حصلت منها حبة قاربها قنطرة من الهم . ثم لا تكاد تصفو في نفسها بابل مقدراتها ألوان ، فإذا صور عدمها الألوان صارت التصوير مغاصها للموى مجرئاً للنفس فإذا أنفست أنفاس من الأسف على الدوام مالا يحويه صفة فهي تغدر الغمر وتهدم العمرو وتديم الآسى . ومع هذا فالمهوم كما عدَّ من لذة طلب أختها . وقد عرف جنائية الاولى وخيانتها . وهذا مرض العقل ، وداء الطبيع . فلا يزال هذا كذلك إلى أن يُختطف بالموت فيلقى على بساط ندم لا يُستدرك . فالمجب من همته هكذا مع قصر العمر ، ثم لا يتم بأخرته التي لذتها سليمة من شامت ، منزهة عن معائب دائمة إلى الأبد باقية الأبد . وانما يحصل تقرير هذه بآباء ذلك ، وعمران هذه بتخريج تلك . فواعجاً لاعقل خصيف حسن التدبير ، فاته النظر في هذه الاحوال ، وغفل عن تمييز بين هذين الامررين ، وان كانت اللذة معصية انضم الى ما ذكرناه عار الدنيا . والفضيحة بين الخلق ، وعقوبة

الحدود، وعِقَابُ الْآخِرَةِ وغَضْبُ الْحَقِّ سَبِيحَانَهُ . بِاللَّهِ . أَنَّ الْمِبَاحَاتِ تُشَغِّلُ
عَنْ تَحْصِيلِ الْفَضَائِلِ ؛ فَذَلِكَ لَبِيَانُ الْحَزْمِ ، فَكَيْفَ بِالْمُحْرَمَاتِ الَّتِي هِيَ
غَايَةُ الرِّذَايْلِ ؟ نَسَالُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْظَةً تَحرِكَنَا إِلَى مَنَافِعِنَا . وَتَزَعَّجْنَا عَنْ
خُوايْدِنَا إِنَّهُ قَرْقَبٌ .

٢٥٩ - فَصْلٌ - تَأْمَلْتُ عَلَى الْخَلْقِ وَإِذَا هُمْ فِي حَالَةٍ عَجِيْبَيْهِ يَكَادُ يَقْطَعُ
مَعْهُمْ بِفَسَادِ الْعُقْلِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَسْمَعُ الْمَوَاعِظَ وَتَذَكَّرُ لَهُ الْآخِرَةُ
فَيَعْلَمُ صَدْقَ الْقَاتِلِ ، فَيَبْكِيُ وَيَنْزَعُجُ عَلَى تَفْرِيْطِهِ ، وَيَعْزِمُ عَلَى الْاِسْتِدَارِكِ ،
ثُمَّ يَتَرَاهُ عَمَلُهُ بِعَقْنَتِيْضِي مَا عَزَمَ عَلَيْهِ . فَإِذَا قَيْلَ لَهُ : أَتَشَكُّ فِيهَا وَعُدْتُ بِهِ ،
قَالَ لَا وَاللَّهِ . فَيَقَالُ : لَهُ فَاعْمَلْ فَيَنْتَهِ ذَلِكُ ثُمَّ يَتَوَقَّفُ عَنِ الْعَمَلِ . وَرِبَّا مَالَ
إِلَى لَذَّةِ مُحْرَمَةٍ ، وَهُوَ يَعْلَمُ النَّهَى عَنْهَا . وَمِنْ هَذَا الْجِنْسِ تَأْخِرُ الْثَّلَاثَةِ الَّذِينَ
خَلَفُوا وَلَمْ يَكُنْ لَّهُمْ عَذْرٌ وَهُمْ يَعْلَمُونَ قَبْحَ التَّأْخِرِ . وَكَذَلِكَ كُلُّ عَاصٍ
وَمُفْرَطٌ : فَتَأْمَلْتُ السَّبْبَ مَعَ أَنَّ الْاعْتِقَادَ صَحِيحَ وَالْفَعْلَ بَطِئٌ ، فَإِذَا لَهُ
ثَلَاثَةُ أَسْبَابٍ . أَحَدُهَا رَوْءِيَّةُ الْهَوَى الْمُعَاجِلُ ، فَإِنْ رَوَيْتَهُ تَشَغِّلُ عَنِ الْفَكْرِ
فِيهَا يَجْنِيْهُ . وَالثَّانِي التَّسْوِيفُ بِالتَّوْبَةِ . فَلَوْ حَضَرَ الْعُقْلُ لَحَذَرَ مِنْ آفَاتِ
الْتَّأْخِرِ ، فَرِبِّيَا هِجَمَ الْمَوْتُ وَلَمْ تَحْصُلْ التَّوْبَةُ . وَالْعَجْبُ مَنْ يَحْوِزُ سُلْبَيْ
رُوْحَهُ قَبْلَ مَضِيِّ سَاعَةٍ وَلَا يَعْمَلُ عَلَى الْحَزْمِ ، غَيْرَ أَنَّ الْهَوَى يَطْلِيلُ الْأَمْدِ . وَقَدْ
قَالَ صَاحِبُ الشَّرْعِ لِلَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صَلَاةٌ مُوْدَعٌ . وَهَذَا نَهَايَةُ الدَّوَاءِ
لِهَذَا الدَّاءِ ، فَإِنَّهُ مِنْ ظَنِّ أَنَّهُ لَا يَبْقَى إِلَى صَلَاةٍ أُخْرَى جَدًّا وَاجْتَهَدَ . وَالثَّالِثُ
رِجَاءُ الرَّحْمَةِ . فَيَرْبُّي العَاصِي يَقُولُ : رَبِّي رَحِيمٌ : وَيَنْسَى أَنَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ .
وَلَوْ عُلِمَ أَنَّ رَحْمَتَهُ لَيْسَتْ رَقَةً إِذْ لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ لَمَّا ذَبَحَ عَصْفُورًا وَلَا آمَّ
طَفْلًا ، وَعِقَابَهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ ، فَإِنَّهُ شَرَعَ قَطْعَ الْيَدِ الشَّرِيفَةِ بِسَرْقَةِ خَمْسَةٍ

فراديط . فتسأّل الله عز وجل أذ يهب لنا حزمًا يبت المصالح جزماً .

٢٦٠ - فصل - نظرت في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما لبس الخاتم ثم دمى به وقال : شغلني نظره اليكِ ونظره اليه . وقوله : هذا رجل يتبع خرق حلقته مر جلاً وجته خسف به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيمة . فرأيت انه لا ينبغي لأحد أن يلبس ثوباً معبجاً ولا شيئاً من زينة ، لأن ذلك يوجب النظر إلى النفس بغير الاعجاب ، والنفس ينبغي أن تكون ذليلة للخالق . وقد كان قدماء الأحبار في بنى إسرائيل يمشون على العصى لئلا يقع منهم بطرف المشى . ولبس أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها درعاً لها فأعجبت به ، فقال لها رسول الله ﷺ : إن الله لا ينظر إليك في حالتك هذه . ولما لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم خديصة لها أعلام قال : ألم ترى هذه عن صلاني . وهذا كله يوجب الاعراض عن الزينة وما يحرك إلى الفخر والزهو والعجب . ولها حرم الحرير . واقول على أسباب هذا : إن المرفعتات التي يتوق فيها المتصوفة بالسوارك والتلاميع ، ربماً وجبت زهو الملابس ، أما لحسنتها في ذاتها ، أو لعلمه أنها تنتهي عنه بالتصوف والزهد . وكذلك الخاتم في اليد ، وطول الأكمام ، والنعال الصرارة ، ولا أقول : إن هذه الأشياء تحريم ، بل ربماً جابت ما يحرم من الزهو ، فينبغي للعاقل أن يتنبئ بما قلت في دفع كل ما يحذر من شره . وقد ركب ابن عمر سجيناً فأعجبه مشيه فنزل ، وقال يانافع أدخله في البدن .

٢٦١ - فصل - من أراد اجتماع همه واصلاح قلبه ، فليحذر من مخالطة الناس في هذا الزمان ، فإنه قد كان يقع الاجتماع على ما ينفع ذكره ، فقصد الاجتماع على ما يضر . وقد جربت على نفسى مراراً أن أحصرها

فـ يـ بـ يـ هـ ، فـ تـ جـ تـ مـعـ هـ وـ يـ ضـافـ إـلـىـ ذـالـكـ النـظـرـ فـ سـيرـ السـلـفـ فـارـىـ
 العـزـلـةـ حـمـيـةـ وـالـنـظـرـ فـ سـيرـ الـقـومـ دـوـاءـ وـاسـتـعـالـ الدـوـاءـ مـعـ الـحـمـيـةـ عـنـ التـخـلـيـطـ
 نـافـعـ . فـاـذـاـ فـسـحـتـ لـنـفـسـىـ فـيـ مـجـالـسـةـ الـنـاسـ وـلـقـائـهـمـ فـشـتـ القـابـ الـجـمـعـ ،
 وـوـقـعـ الـذـهـولـ عـمـاـ كـنـتـ أـرـاعـيـهـ ، وـأـنـقـشـ فـيـ الـقـلـبـ مـاـ قـدـ رـأـيـهـ الـعـيـنـ ، وـفـيـ
 الـضـمـيرـ مـاـ تـسـمـعـ الـأـذـنـ ، وـفـيـ الـنـفـسـ مـاـ تـطـمـعـ فـيـ تـحـصـيلـهـ مـنـ الـدـنـيـاـ . وـاـذـاـ
 جـهـورـ الـمـخـاطـيـنـ أـرـبـابـ غـفـلـةـ ، وـالـطـبـعـ بـعـجـالـتـهـمـ يـسـرـقـ مـنـ طـبـاعـهـمـ . فـاـذـاـ
 عـدـتـ أـطـلـبـ الـقـلـبـ لـمـ أـجـدـهـ ، وـأـدـوـمـ ذـالـكـ الـحـضـورـ فـأـفـقـدـهـ ، فـيـبـقـىـ فـيـ غـمـارـ
 ذـالـكـ الـلـقـاءـ لـلـنـاسـ أـيـامـ اـحـتـيـ مـاـ يـسـلـوـ الـهـوـيـ . وـمـاـفـائـدـ تـعـرـيـضـ الـبـنـاـ لـلـنـقـضـ ،
 فـاـنـ دـوـامـ الـعـزـلـةـ كـاـلـبـنـاـ وـالـنـظـرـ فـيـ سـيرـ السـلـفـ يـرـفـعـهـ فـاـذـاـ وـقـعـتـ الـخـالـطـةـ
 اـنـقـضـ مـاـبـنـىـ فـمـدـةـ فـيـ لـحـظـةـ . وـصـعـبـ التـلـاقـ وـصـعـفـ الـقـابـ ، وـمـنـ لـهـ فـهـمـ
 يـعـرـفـ أـمـرـاـضـ الـقـلـبـ وـإـعـراـضـهـ عـنـ صـاحـبـهـ وـخـرـوجـ طـائـرـهـ مـنـ قـفـصـهـ .
 وـلـاـ يـؤـمـنـ عـلـىـ هـذـاـ الـمـرـيـضـ أـنـ يـكـوـنـ مـرـضـهـ هـذـاـ سـبـبـ التـلـافـ . وـلـاـ عـلـىـ
 هـذـاـ طـائـرـ الـحـصـورـ أـنـ لـاـيـقـعـ فـيـ الشـبـيـكـةـ . وـسـبـبـ مـرـضـ الـقـلـبـ أـنـ كـانـ
 مـجـيـاـ عـنـ التـخـلـيـطـ مـغـذـيـاـ بـالـعـلـمـ وـسـيرـ السـلـفـ فـخـاطـ فـلـمـ يـحـتـمـلـ مـزـاجـهـ
 فـوـقـ الـمـرـضـ . فـاـلـجـدـ الـجـدـ فـانـعـاـهـ أـيـامـ وـمـاـنـىـ مـنـ يـلـقـىـ وـلـاـ مـنـ يـؤـخـذـ
 مـنـهـ ، وـلـاـمـنـ تـنـفـعـ مـجـالـسـتـهـ ، الـلـآنـ يـكـوـنـ نـادـرـاـ مـاـ أـعـرـفـهـ :

ماـفـ الصـحـابـ أـخـوـ وـجـدـ نـظـارـهـ حـدـيـثـ بـحـدـ وـلـاـ خـلـ بـجـارـيـهـ
 فـأـزـمـ خـلـوتـكـ ، وـرـاعـ مـاـبـقـيـتـ . وـاـذـاـ قـلـقـتـ الـنـفـسـ مـشـتـاقـةـ إـلـىـ لـقـاءـ الـخـلـقـ ،
 فـاعـلـمـ أـنـهـ بـعـدـ كـدـرـةـ فـرـضـهـ لـيـصـيـرـ لـقـاؤـهـمـ عـنـدـهـاـمـكـرـوـهـاـ ، وـلـوـ كـانـ عـنـدـهـاـ
 شـفـلـ بـالـخـالـقـ لـمـ أـحـبـتـ الزـحـةـ ، كـاـنـ الـذـىـ يـخـلـوـ بـحـيـهـ لـاـيـؤـرـ حـضـورـ غـيـرـهـ ،
 وـلـوـ أـنـهـ عـشـقـ طـرـيـقـ الـيـمـنـ لـمـ تـنـتـفـتـ إـلـىـ الشـامـ .

٢٦٢ - فصلٌ - تفكرت في سبب هداية من يهتدى وانتباه من
 يتيقظ من رقاد غفلته ، فوجدت السبب الاكبر اختيار الحق عز وجل لذلك
 الشخص . كاً قيل . اذا أرادك لأمر هيأك له . فتارة تقع اليقظة ب مجرد فكر
 يوجبه نظر العقل ، فيتملح الانسان وجود نفسه فيعلم ان لها صانعا وقد
 طالبه بحقه وشكر نعمته وخوفه عقاب مخالفته ، ولا يكون ذلك بسبب
 ظاهر . ومن هذا ما جرى لأهل الكهف ، «إذ قاموا فقالوا ربنا رب
 السموات والارض» وفي التفسير : ان كل واحد منهم ألقى في قلبه يقظة
 فقال لا بد لهذا الخلق من خالق ، فاشتدرك برب بواطتهم من وقود نار
 الحذر ، فخرجوا الى الصحراء ، فاجتمعوا عن غير موعد ، فكل واحد
 يسأل الآخر : ما الذي اخر جك فتصادقوا . ومن الناس من يجعل الخالق
 سبحانه وتعالى لذلك السبب الذي هو الفكر والنظر سبباً ظاهراً ، اما من
 موعضة يسمعها او يراها ، فيحرك هذا السبب الظاهر فكر القلب الباطنة .
 ثم ينقسم المتيقظون فنهم من يقلبه هوا ويقتضيه طبعه ما يشتهي مما قد
 اعتاده ، فيعود القهقرى ولا ينفعه ما حصل له من الانتباه . فانتباه مثل
 هذا زيادة في الحجة عليه . ومنهم من هو واقف في مقام المجاهدة بين صفين
 العقل الاَمر بالتفوى والهوى المتقاضى بالشهوات . فنهم من يغلب بعد
 المجاهدات الطويلة فيعود الى الشر ويختتم له به ، ومنهم من يغلب نارة وينقلب
 اخرى فراحاته لا في مقتل . ومنهم من يقهر عدوه فيستجننه في جبس ،
 فلا يبق للعدو من الحيلة الا الوساوس ، ومن الصفوة اقوام مذيقظوا
 ما قموا ، ومذسلكون ما وقفوا ، فهمهم صمود وترق ، كلما عبروا مقاما الى
 مقام رأوا نقص ما كانوا فيه فاستغفروا . ومنهم من يرقى عن الاحتياج الى

مجاهدة إما لخسنة ما يدعو إليه الطبع عنده ولا وقع له ، وأما لشرف مطلوبه فلا يلتفت إلى عائق عنه . واعلم أن الطريق الموصولة إلى الحق سبحانه ليست مما يقطع بالأقدام ، وإنما يقطع بالقلوب . والشهوات العاجلة قطاع الطريق والسبيل كالليل المظلم ، غير أن عين الموفق بصر فرس لا أنه يرى في الظلامة كما يرى في الضوء والصدق في الطلب إيناراًين وجد يدل على الجادة ، وإنما يتغير من لم يُخلص . وإنما يمتنع الاخلاص من لا يراد . فلا حول ولا قوة إلا بالله .

٢٦٣ - فصل — عجبت لمن يعجب بصوره ويختال في مشيته وينسى مبدأ أمره . إنما أوله لفمة ضمت إليها جرعة ماء فان شئت كسرية خبز معها ثمرات وقطعة من لحم ومذقة من لبن وجرعة من ماء ونحو ذلك طبخته الكبد فأخرجت منه قطرات مني ، فاستقر في الاثنين فحركتها الشهوة ، فصبت في بطن الأم مدة حتى تكاملت صورتها فخرجت طفلا تقلب في خرق البول . وأما آخره فإنه يلقى في التراب فيما كان الدود ويصير رفاناً تسفيه السوافي . وكم يخرج زاب بذنه من مكان إلى مكان آخر . ويقلب في أحوال إلى أن يعود فيجتمع . هذا خبر البدن . إنما الروح عليها العمل ، فإن تجوهرت بالأدب وتقومت بالعلم : وعرفت الصانع ، وقامت بحقه فما يضرها نقض المركب . وإن هي بقيت على صفاتها من الجهلة شابت الطين بل صارت إلى أحسن حالة منه .

٢٦٤ - فصل -- هيات أن يجتمع الهم مع التلبس بأمور الدنيا خصوصاً بالشاب الفقير الذي قد ألف الفقر ، فإنه إذا تزوج وليس له شيء من الدنيا اهتم بالكسب أو بالطلب من الناس فتشتت همته وجاءه الأولاد فزاد

الا مر عليه ، ولا يزال يرخص لنفسه فيما يحصل الى أن يتلبس بالحرام ومن
 ينكر فهمه ما يأكلاه ، وما ترضي به الزوجة من النفقة والكسوة ،
 وليس له ذلك . فاي قلب يحضر له ، وأى هم يجتمع ، هيمات . والله
 لا يجتمع لهم والعين تنظر الى الناس ، والسمع يسمع حديثهم ، واللسان
 يخاطبهم ، والقلب متوزع في تحصيل ما لا بد منه . فان قال قائل : فكيف
 أصنع ؟ قلت : ان وجدت ما يكفيك من الدنيا ، أو معيشة تكفلك فاقنع
 بها ، وانفرد في خلوة عن الخلق مهما قدرت ، وان تزوجت بفقيرة فقعن
 باليسير ، وتصبر انت على صورتها وقرها ، ولا ترك نفسك تطمح الى
 من تحتاج الى فضل نفقته . فان رزقت امرأة صالحة جمعت همك . وان لم
 تقدر فعالجة الصبر اصلاح لك من المخاطرة . واياك والمسنة حسنات فان
 صاحبهن اذا سلم كعادتهم . وادا حصل بيدك شيء فانفق بعده ، فبحفظ
 الباقى لحفظ شتات قلبك . واحذر كل الحذر من هذا الزمان وأهلها فابقى مواس
 ولا مؤثر ، ولا من يهم لسد خلة ، ولا من لو سئل أعطى الا أن يعطى
 نذرا بتضجر . ومنه يستعبد بها المعلى بقيمة العمر ، ويستغل كل من رآه
 ويستدعي خدمته له ويتعدد اليه . وانما كان في الزمان مثل أبي عمرو بن نجید
 سمع أبو عثمان المغربي يقول يوما على المنبر على ألف دينار ، وقد صنف
 صدرى . فمضى أبو عمرو إليه في الليل بألف دينار ، وقال اقض دينك ؛ فلما عاد
 وصعد المنبر قال نشكر الله لابي عمرو فانه أراح قلبي وقضى ديني . فقام
 أبو عمرو فقال : أيها الشیخ ذلك المال كان لوالدى وقد شق عليها ما فعلت
 فان رأيت ان تقدم بردہ فافعل . فلما كان في الليل عاد اليه ، وقال له : لماذا
 شهر تني بين الناس فأنا ما فعلت ذلك لاجل الخلق . نفذه ولا تذكرنى :

ما توا وغيب في التراب شخوصهم والنشر مسك والعظام رميم
 فالبعد بعد عن من همته الدنيا ، فان زادهم اليوم الى ان يحصل اقرب
 منه الى ان يؤثر . ولا تكاد ترى الا عدوا في الباطن صديقا في الظاهر شامتا
 بباطنه حسودا على نعمته . فاشتر العزلة بما يبعث فان من له قلب اذا مشى
 في الاسواق وعاد منزله تغير قلبه ، فكيف ان عرقه بالميل الى اسباب
 الدنيا ، واجتهد في جمع المهم بالبعد عن الخلق ليخلو القلب بالتفكير في المآب
 وتتمح عين البصيرة خيم الرحيل .

٢٦٥ - فصل - كان المريد في بداية الزمان اذا اظلم قلبه او مرض
 لبه قصد زيارة بعض الصالحين فانجلى ما اظلم . ومتى حصلت ذرة من
 الصدق لم يريد فرده في بيت عزلة ، ووجد نسيما من روح العافية ، ونورا في
 باطن قلبه ، وكاد همه يجتمع وشتاته ينتظم ، فخرج فلقى من يومي ^{اليه بعلم} أو
 زهد ^{رثى} عند البطالين وهو يجري معهم مسلك المذيان الذي لا ينفع ،
 ورأى صورته صورة منمسم ، وأهون ما عليه تضييع الاوقات في الحديث
 الفارغ . فايرجع المريد عن ذلك الوطن الا وقد اكتسب ظلمة في القلب
 وشتاتا في العزم ، وغفلة عن ذكر الآخرة ، فيعود مريض القلب . يتعب
 في معاجنته أيام كثيرة حتى يعود الى ما كان فيه ، وربما لم يدخلان المريد
 فيه ضعف فاذ رأى شيخا قد جرب وعرف ثم يؤثر البطالة ، لم يؤمن ان
 يتبعه الطبع . فالاولى المريد اليوم أن لا يزور إلا المقابر ولا يفاوض إلا
 السكتب ، التي قد حوت محسن القوم ، وليس عن بالله تعالى على التوفيق
 لمرضيه ، فانه ان أراده هيأه لما يرضيه .

٢٦٦ - فصل - تأملت الذين يختارهم الحق عز وجل لولايته

والقرب منه . فقد سمعنا أوصافهم ومن نظنه منهم من رأيناه فوجدهم
سبحانه لا يختار الا شخصاً كامل الصورة ، لا عيب في صورته ، ولا نقص
في خلقته . فتراء حسن الوجه معتدل القامة سليمة من آفة في بدنـه . ثم
يكون كاملاً في باطنـه ، سخياً جواداً عاقلاً غير خب ولا خادع ولا حقدود
ولا حسود ولا فيه عيب من عيوب الباطن . فذاك الذي يربـيه من صغره
فتراء في الطفولة معتزلاً عن الصبيان ، كأنـه في الصبا شيخ ينبو عن الرذائل
ويفرـغ من النقاـص ، ثم لا تزال شجرة همة تنمو حتى يرى ثمرـها مـهـتـدـلاً
على أغصانـ الشـباب ، فهو حـرـيس على العلم ، منـكمـش على العمل ، مـحـافظ
لـلـزـمان ، مـرـاعـلـلـلـلـاـوقـات ، سـاعـلـلـلـ طـلـبـالـفـضـائـل ، خـائـفـلـلـنـقاـصـ ،
ولـرـأـيـتـ التـوـفـيقـ وـالـاهـمـ الـرـبـانـيـ كـيـفـ يـأـخـذـ يـدـهـ اـنـ عـرـ ، وـيـنـعـهـ منـ
الـخـطـأـ اـنـ هـ ، وـيـسـتـخـدـمـهـ فـيـ الـفـضـائـلـ ، وـيـسـتـرـ عـمـلـهـ عـنـهـ حـتـىـ لـاـ يـرـاهـ مـنـهـ .
ثـمـ يـنـقـسـمـ هـؤـلـاءـ . فـيـنـمـ مـنـ تـفـقـهـ عـلـىـ قـدـمـ الزـهـدـ وـالـتـعـبـدـ . وـمـنـمـ مـنـ تـفـقـهـ
عـلـىـ الـعـلـمـ وـاتـبـاعـ السـنـةـ . وـيـنـدـرـ مـنـمـ مـنـ يـجـمـعـ لـهـ الـكـلـ وـيـرـقـيـهـ إـلـىـ مـزاـحةـ
الـكـامـلـينـ . وـعـلـامـةـ اـثـبـاتـ الـكـمالـ فـيـ الـعـلـمـ وـالـعـمـلـ ، الـاقـبـالـ بـالـكـلـيـةـ عـلـىـ معـاـمـلـةـ
الـحـقـ وـمحـبـتـهـ وـاسـتـيـعـابـ الـفـضـائـلـ كـلـهاـ فـلـوـ تـصـوـرـتـ النـبـوـةـ أـنـ تـكـتـسـبـ
لـدـخـلـتـ فـيـ كـسـبـهـ . وـمـرـاتـبـ هـذـاـ لـاـ يـحـتـمـلـهـ الـوـصـفـ . لـكـونـهـ دـرـةـ الـوـجـودـ ،
الـتـيـ لـاـ تـكـادـ تـنـعـقـدـ فـيـ الصـدـفـ الـاـفـ كـلـ وـدـودـ . نـسـأـلـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ تـوـفـيقـنـاـ
لـمـرـاضـيـهـ وـقـرـبـهـ . وـنـعـوذـ بـهـ مـنـ طـرـدـهـ وـابـعادـهـ .

٢٦٧ - فـصـلـ - أـكـثـرـ الـخـلـاـقـ عـلـىـ طـبـعـ رـدـيـ لـاـ تـقـوـهـ الـرـيـاضـةـ .

لـاـ يـدـرـونـ لـمـاـ خـلـقـواـ وـلـاـ مـرـادـ مـنـهـ . وـغـاـيةـ هـمـ حـصـولـ بـغـيـهـمـ مـنـ
أـغـرـاصـهـمـ . وـلـاـ يـسـأـلـونـ عـنـدـ نـيـلـهـ ماـ جـتـلـبـتـ لـهـمـ مـنـ ذـمـ . يـيـذـوـلـونـ الـعـرـضـ

دون الغرض، ويؤثرون لذة ساعة، وان اجتليت زمان مرض . يلبسون عند التجارات ثياب محتال ، في شعار محتال . ويُلبِّسون في المعاملات ويسترون الحال . ان كسبوا فشبة . وان أكلوا فشبة . ينامون الليل وان كانوا ايناما بالنهار في المعنى ، ولا نوم بهذه الصورة . فإذا أصبحو سعوا في تحصيل شهوة اتهم بحرص خنزير ، وبصبيص كلب ، وافتراض أسد ، وغارة ذئب ، ودوغان ثعلب . ويتأسفون عند الموت على فقد الهوى لا على عدم التقوى . ذلك مبلغهم من العلم . كيف يفلح من يؤثر ما يراه بعينه على ما يبصره بعقله ، وما يدركه يبصره أعز عنده مما يراه يصيّره . ناله لو فتحوا أسماءهم لسمعوا هانف الرحيل في زمان الاقامة يصيّح في عرصات الدنيا ، تامحوا تقويض خيام الاولئ . لكن غمرهم سكر الجهة ، فلم يفيقوا الا بضرب الحد .

٢٦٨ - فصل - رأيت بعض المتقدمين سئل عن من يكتسب حلالا وحراما من السلاطين والامراء ثم يبني المساجد والاربطة ، هل له فيها واب ، فأقى بما يجب طيب قلب المنفق ، وان له في اتفاق مالا يملكه نوع سمسرة ، لانه لا يعرف أعياد المقصو بين فيرد . فقلت : واعجبنا من متصدرين للفتوى لا يعرفون أصول الشريعة . ينبغي أن ينظر في حال هذا المنفق أولا ، فان كان سلطانا فما يخرج من بيت المال قد عرفت وجوه مصارفه ، فـ كـيف يمنع مسـمة تـحققـه ويـشـغلـه بما لا يـفـيدـهـ من بنـاءـ مـدرـسـةـ وـربـاطـ . وان كان المنفق من الامراء ونواب السلاطين ، فإنه يجب أن يرد ما يجب ردـهـ إلىـ بـيـتـ المـالـ ، وـلـيـسـ فـيهـ الاـ مـاـ فـرـضـ منـ اـيجـابـ يـلـيقـ بـهـ ، فـانـ تـصـرـفـ فيـ غـيـرـ ذـكـرـ كـانـ مـصـرـوفـاـ فـيـمـاـ لـيـسـ لـهـ ، وـلـوـ أـذـنـ لـهـ كـانـ الـاذـنـ جـائزـاـ . وـانـ كـانـ قدـ أـقـطـعـ مـاـ لـاـ يـقاـومـ عـمـلـهـ كـانـ مـاـ يـأـخـذـهـ فـاضـلاـ مـنـ أـموـالـ الـمـسـلـمـينـ لـاحـقـ

له فيه . وعلى من أطلقه في ذلك ألم أيضا ، هذا اذا سلم المال وكان من حله . فاما اذا كان حراما أو غصبا فكل تصرف فيه حرام ، وواجب ردء على من أخذ منه أو على ورثتهم . فان لم يعرف طريق الرد كان في بيت مال المسلمين ، يصرف في مصالحهم ، أو يصرف في الصدقة . ولم يحظ آخذه بغير الأثم . أنبأنا احمد بن الحسن بن البنا قال أخبرنا محمد بن علي الزجاجي قال أخبرنا عبد الله بن محمد الاسدي قال أخبرنا علي بن الحسن قال حدثنا أبو دارد قال حدثنا محمد بن عون الطائي قال حدثنا أبو المغيرة قال حدثنا الاوزاعي قال حدثني موسى بن سليمان قال سمعت القاسم بن مخيمرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكتسب مالا من مأثم ، فوصل رحمة ، أو تصدق به ، أو نفقه في سبيل الله ، جمع ذلك جميعا فقذف به في جهنم // فاما اذا كان الباني تاجرا مكتسبا للحلال فبني مسجدا أو وقف وقفها للمتفقهة ، وهذا مما يثاب عليه ، ويبعد من يكتسب الحلال حتى يفضل عنه هذا المقدار ، ويخرج الزكاة مستقصية ، ثم يطيب قلبه بمثل هذا البناء والنفقة . إذ مثل هذا البناء لايجوز أن يكون من زكاة . واين سلامه النية وخلوص المقصد . وان بناء المدارس اليوم مخاطرة . اذ قد انعكفت أكثر المتفقهة على علم الجدل ، وأعرضوا عن علوم الشريعة ، وتركوا التردد في المساجد ، واقتنعوا بالمدارس والألقاب ، وأما بناء الاربطة فليمس بشيء أصلا ، لأن جهود المتصوفة جلوس على بساط الجهل والكسيل ، ثم يدعى مدعيهم الحبة والقرب ، ويذكره التشاغل بالعلم ، وقد تركوا سيرة سرى ^{سرى} عادات الجنيد : واقتنعوا بأداء الفرائض . ورضوا بالمرقيمات . فلا تحسن اعاتتهم على بطالهم وراحتهم . ولا ثواب في ذلك .

٢٦٩ - فصل - عجبت لمن يتصرّف للناس بازهدي رجوب بذلك قربه

من قلوبهم، وينسى أن قلوبهم ييد من يعمل له، فان رضى عمله ورأه خالصاً
ألفت القلوب اليه، وان لم يره خالصاً أعرض بها عنه. وممّى نظر العامل
إلى التفات القلوب اليه فقد زاحم الشرك، لأنّه ينبعى أن يقنع بنظر من
يعمل له، ومن ضرورة الاخلاص إلتفات القلب اليه، فذاك يحصل لا
لابقصده بل بكراهته لذلك. وليرعلم الانسان ان أعماله كلها يعلمها الخالق
جملة. وان لم يطلعوا عليها. فالقلب تشهد للصالح بالصلاح وان لم
يشاهد منه ذلك. فأما من يقصد رؤية الخلق بعمله فقد مضى العمل ضائعاً،
لأنه غير مقبول عند الخالق ولا عند الخلق، لأن قلوبهم قد أفتقت عنه.
فقد صناع العمل، وذهب العمر. ولقد أخبرنا ابن الحصين قال أخبرنا ابن
المذهب قال أخبرنا احمد بن جعفر قال حدثنا عبد الله بن احمد قال حدثني
أبي قال حدثنا حسن بن موسى قال حدثنا ابن لهيعة قال حدثنا دراج عن
أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال: لو ان أحذكم يعمل في صخرة صماءليس لها باب ولا كوة خرج للناس
كائنا ما كان فليتق الله العبد وليقصد من ينفعه قصده، ولا يتشاغل بمدح
من عن قليل بلى هو وهم.

٢٧٠ - فصل - قدم علينا بعض فقهاء من بلاد الاعاجم، وكان

قاضياً بيده فرأيت على دابته الذهب ومعه أوتار الفضة وأشياء كثيرة من
المحرامات. فقلت: أى شيء أفاد هذا العالم. بل والله قد كثرت عليه الحجيج.
وأكبر الاسباب قلة علم هؤلاء بسيرة السلف وما كان عليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم. الأئمّة يحملون الجملة، ولكنهم يتشاركون بعلم الخلاف،

ويقصـدونـ التـقـدـمـ ، وـلـاـ سـمـاعـ حـدـيـثـ وـلـاـ نـظـرـاـ فـيـ سـيـرـ السـلـفـ . وـيـخـالـطـونـ
 السـلاـطـينـ فـيـحـتـاجـونـ إـلـىـ التـزـىـ بـزـيـهـمـ ، فـرـيـخـاطـرـ لـهـمـ اـنـ هـذـاـ قـرـيبـ ، وـانـ
 لـمـ يـخـطـرـ لـهـمـ فـالـهـوـيـ غـالـبـ بـلـ صـادـ ، وـرـبـاـ خـطـرـ لـهـمـ اـنـ هـذـاـ يـحـتـمـلـ وـلـيـغـفـرـ
 فـيـ جـانـبـ تـشـاغـلـنـاـ بـالـعـلـمـ . ثـمـ يـرـوـنـ الـعـلـمـاءـ يـكـرـمـوـهـمـ لـنـيـلـ شـئـ مـنـ دـنـيـاهـ ،
 وـلـاـ يـنـكـرـوـنـ عـلـيـهـمـ . وـلـقـدـ رـأـيـتـ مـنـ الـذـيـنـ يـنـتـسـبـوـنـ إـلـىـ الـعـلـمـ مـنـ يـسـتـصـحـبـ
 الـمـرـدـانـ ، وـيـشـتـرـىـ الـمـالـيـكـ ، وـمـاـ كـانـ مـنـ يـفـعـلـ هـذـاـ الاـ مـنـ قـدـ يـئـسـ مـنـ
 الـآـخـرـةـ . وـرـأـيـتـ مـنـ قـدـ بـلـغـ الـثـمـانـيـنـ مـنـ الـعـلـمـاءـ ، وـهـوـ عـلـىـ هـذـهـ الـحـالـةـ .
 فـالـلـهـ يـامـنـ يـرـيدـ حـفـظـ دـيـنـهـ وـيـوـقـنـ بـالـآـخـرـةـ ، اـيـكـ وـالـتـأـوـيـلـاتـ الـفـاسـدـةـ ،
 وـالـاهـوـاءـ الـغـالـبـةـ ، فـانـكـ اـنـ تـرـخـصـتـ بـالـدـخـولـ فـيـ بـعـضـهـاـ جـرـّـكـ الـأـمـرـ إـلـىـ
 الـبـابـيـ ، وـلـمـ تـقـدـرـ عـلـىـ اـخـرـوجـ لـمـوـضـعـ إـلـفـ الـهـوـيـ ، فـاقـبـلـ نـصـحـيـ ، وـاقـنـعـ
 بـالـكـسـرـةـ ، وـاـبـعـدـ عـنـ أـرـبـابـ الـدـنـيـاءـ ، فـاـذـاـ ضـجـ الـهـوـيـ فـدـعـهـ هـذـاـ ، وـرـبـاـ قـالـ
 لـكـ : فـلـاـ أـمـرـ الـفـلـانـيـ قـرـيبـ ، فـلـاـ تـفـعـلـ ، فـاـنـهـ يـدـعـوـاـلـىـ غـيـرـهـ وـيـصـعـبـ الـتـلـاقـيـ .
 فـالـصـبـرـ الصـبـرـ عـلـىـ شـظـفـ الـعـيشـ وـالـبـعـدـ عـنـ أـرـبـابـ الـهـوـيـ ، فـماـ يـتـمـ دـيـنـ
 الـأـبـدـلـكـ . وـمـتـىـ وـقـعـ الـتـرـخـصـ جـمـلـ إـلـىـ غـيـرـهـ ، كـاـشـاطـيـ عـلـىـ الـلـاجـةـ . وـاـنـماـ
 هـوـ طـعـامـ دـوـنـ طـعـامـ ، وـلـبـاسـ دـوـنـ لـبـاسـ ، وـوـجـهـ أـصـبـحـ مـنـ وـجـهـ ، وـاـنـماـ
 هـيـ أـيـامـ يـسـيرـةـ .

٢٧١ - فـصـلـ - من تـفـكـرـ فـيـ عـظـمـةـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ طـاشـ عـقـلـهـ لـاـنـهـ
 يـحـتـاجـ أـنـ يـثـبـتـ مـوـجـودـاـلـاـوـلـ لـوـجـودـهـ ، وـهـذـاـ شـئـ لـاـ يـعـرـفـهـ الـحـسـ ، وـاـنـماـ
 يـقـرـبـهـ الـعـقـلـ ضـرـورـةـ . وـهـوـ مـتـحـيـرـ بـعـدـ الـأـقـرـارـ . ثـمـ يـرـىـ مـنـ أـفـعـالـهـ مـاـيـدـلـ عـلـىـ
 وـجـودـهـ فـلـاـ يـخـفـيـ وـجـودـهـ : ثـمـ يـجـرـىـ فـيـ أـقـدـارـهـ أـمـوـرـ لـوـلـاـ ثـبـوتـ الدـلـيلـ عـلـىـ
 وـجـودـهـ لـأـ وـجـبـتـ الـجـدـ ، فـاـنـهـ يـفـرـقـ الـبـحـرـ لـبـنـيـ اـسـرـائـيلـ ، وـذـلـكـ شـئـ لـاـ يـقـدـرـ

عليه سوى الأخلاق. ويصير العصى حية ثم يعيدها عصا و تلتف ما صنعه او لا
 يزيد فيها شيء . فهل بعد هذا بيان . فإذا آمنت السحرة تركهم مع فرعون
 يصلبهم ولا ينفع . والأنبياء يتلون بالجوع والقتل . وزكرى يانشر . ويحيى قتله
 زانية . ونبينا صل الله عليه وسلم يقول كل عام . من يؤوبني من ينصرني . فيكاد
 الجاهل بوجود الأخلاق يقول : لو كان موجودا لنصر أولياءه . فينبغي للعاقل
 الذى قد ثبت عنده وجوده بالادلة الظاهرة الجلية أن لا يعن عقله من
 الاعتراض عليه فى أفعاله . ولا يطلب بها علة ، اذ قد ثبت انه مالك و حكيم .
 فإذا خفى عليه وجه الحكمة فى فعله نسبنا العجز الى فهو منا . وكيف لا وقد
 عجز موسى عليه السلام أن يعرف حكمة خرق السفينه وقتل الغلام ، فلما
 بان له حكمة ذلك الفساد فى الظاهر أقر . فلو قد بانت الحكمة فى أفعال
 الأخلاق جحد العقل جيد موسى يوم الخضر . فتى رأيت العقل يقول لم
 فأخرسه بان تقول له : ياعاجز أنت لا تعرف حقيقة نفسك . فالملك والاعتراض
 على الملك . وربما قال العقل : أى فائدة فى الابتلاء وهو قادر أن يثيب ولا
 بلاء ، وأى غرض فى تعذيب أهل النار وليس ثم تشفي ، فقل له : حكمته
 فوق مرتبتك ، فسلم لما لا تعلم ، فإن أول من اعترض بعقله أليس فرأى
 فضل النار على الطين فأعرض . وقد رأينا خلقا كثيرا وسمعنا عنهم انهم
 يقدحون فى الحكمة لأنهم يحكمون العقول على مقتضاهما ، وينسون ان
 حكمة الأخلاق وراء العقول . فياك أن تفسح لعقلك فى تعليم أو أن تطلب
 له جواب اعتراض ، وقل له سلم تسلم ، فانك لأندرى غور البحر الا وقد
 أدركك الغرق قبل ذلك . هذا أصل عظيم ، متى فات الآدمي آخر جه
 الاعتراض الى الكفر .

٢٧٢ - فصل - العجب من يقول : أخرج الى المقابر فاعتبر بأهل اليلى . ولو فطن علم انه مقبرة يغنية الاعتبار بما فيها عن غيرها ، خصوصا من قد أوغل في السن ، فان شهوته ضعفت ، وقواهقات ، والحواس كللت والنشاط فتر ، والشعر ايض ، فليعتبر بما فقد ، وليس تنفع عن ذكر من فقد ، فقد استغنى بما عنده عن التطلع الى غيره .

٢٧٣ - فصل - متى تكامل العقل فقدت لذة الدنيا فتضاعل الجسم وقوى السقم واشتد الحزن ، لأن العقل كلما تام العواقب أعرض عن الدنيا . والتفت الى مانه سعى ولا لذة عنده بشيء من العاجل . وانما يلتفت أهل الفحمة عن الآخرة ، ولا غفلة لتكامل العقل ، ولهذا لا يقدر على مخالطة اخلاق ، لأنهم كأنهم من غير جنسه ، كما قال الشاعر :

ما في الديار أخو وجد نطارحه حديث نجد ولا خل نجاريه

٢٧٤ - فصل - ادعى الطبايعيون ان مادة الموجودات الماء والتراب والنار والهواء ، فاذا كان في القيامة أذهب الاصول ، ثم أعاد الحيوان ليعلم انها كانت بالقدرة لا عن تأثير الكليات . ومن قدر في البعث قد بالغ في القدر في الحكمة . ومن قال : الروح عرض ، فقد جحد البعث ، لأن العرض لا يبقى والاجساد تصير ترابا ، فان وجده شيء فهو ابتداء خلق .
كلا . والله يعيد النفس بعينها بدليل اعادة مذكوراتها « قال قائل منهم انى كان لي قرين » وعزته ان لطفه في البداية دليل على النهاية . حنن الوالدين ، وأجرى اللبن في الثدى ، وانشأ الأطعمة ، وأطلع العقل على العواقب .
أزي سسن أن يقال بعد هذا التدبير ، انه يهمل بعد الموت فلا يبعث ! أترى من أحب أن يعرف فانشأ الخلق وقال : كنت كنز لا أعرف فأجبت

ان اعرَف : يؤثِرُ أَنْ يَعْدِمُهُمْ فِي جَهَلِ قَدْرِهِ . سَبِّحَانَ مِنْ أَعْمَىٰ كُثُرِ الْقُلُوبِ
عَنْ مَعْرِفَةٍ .

٢٧٥—فصل — سَبِّحَانَ مِنْ ظَهَرِ خَلْقِهِ حَتَّىٰ لَمْ يَبْقِيْ خَفَاءً ثُمَّ خَفَىٰ
حَتَّىٰ كَأْنَهُ لَا ظَهُورٌ، أَىٰ ظَهُورًا أَجْلًا مِنْ هَذِهِ الْمَصْنُوعَاتِ الَّتِي كَلَّا تُنْطَقُ
بِأَنَّ لِي صَانُوا صُنْعَنِي وَرَتَبَنِي عَلَىٰ قَانُونِ الْحَكْمَةِ، خَصْوَصًا هَذَا الْأَدْمَى
الَّذِي أَنْشَأَهُ مِنْ قَطْرَةٍ، وَبَنَاهُ عَلَىٰ أَعْجَبِ فَطْرَةٍ، وَرِزْقَهُ الْفَهْمُ وَالْدَّهْنُ وَالْيِقَظَةُ
وَالْعِلْمُ، وَبِسَطَ لَهُ الْمَهَادُ وَأَجْرَى لَهُ الْمَاءُ وَالرِّيحَ، وَأَنْبَتَ لَهُ الزَّرْعَ وَرَفَعَ لَهُ مِنْ
فَوْقِهِ السَّمَاءَ فَأَوْقَدَ لَهُ مَصْبَاحَ الشَّمْسِ بِالنَّهَارِ، وَجَاءَ بِالظَّاهِمَةِ لِيُسْكِنَ ، إِلَىٰ غَيْرِ
ذَلِكَ، مَمْلَأًا يَخْنُقُ. وَكَلَّا يُنْطَقُ بِصَوْتٍ فَصِيحٍ يَدْلِلُ عَلَىٰ خَلْقِهِ. وَقَدْ تَجْلَى الْخَالِقُ
سَبِّحَانَهُ بِهَذِهِ الْأَفْعَالِ فَلَا خَفَاءَ . ثُمَّ بَعَثَ الرَّسُولَ فَقَرَأَ عَمَّا نَعْلَمُ الْأَبْدَانَ،
فَقَهَرَ بِهِمُ الْجَبَابِرَةَ، وَأَظْهَرَ عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ مَقْدُورٍ
بِشَرٍ. وَكُلُّ ذَلِكَ يُنْطَقُ وَقَدْ تَجْلَى سَبِّحَانَهُ بِذَلِكَ. ثُمَّ يَأْتِي مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ
إِلَى الْبَحْرِ فَيَنْفَرِقُ فَلَا يَبْقَى شَكٌ فِي أَنَّ الْخَالِقَ فَعَلَ هَذَا. وَيَكْلِمُ عَيْسَىٰ عَلَيْهِ
السَّلَامُ الْمَيِّتَ فَيَقُومُ. وَيَبْعَثُ طِيرًا أَبَا يَمِيلٍ تَحْفَظُ يَيْتَهُ فِيهِ مَلَكٌ قَاصِدِيهِ . وَهَذَا
أَمْرٌ يَطْوِلُ ذَكْرُهُ كَمَا يَدْلِلُ عَلَىٰ أَنَّ تَجْلَى الْخَالِقَ سَبِّحَانَهُ بِغَيْرِ خَفَاءٍ. فَإِذَا ثَبَتَ
عِنْدَ الْعُقْلَاءِ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَرْتِيَابٍ وَلَا شَكٍ، جَاءَتْ أُشْيَاءٌ كَأَنَّهَا تَسْتَرُ الظَّاهِرَ
عَلَىٰ مَا سَبَقَ مِنْ تَسْلِيْطِ الْأَعْدَاءِ عَلَىٰ الْأَوْلِيَاءِ، وَإِذَا ثَبَتَ التَّجْلِيُّ بِأَدْلَةٍ لَا تُحْتَمِلُ
الْتَّأْوِيلُ، عَامَتْ إِنْ لِهَا إِخْفَا سَرِّ الْأَنْعَامِ يَفْتَرَضُ عَلَىٰ الْعُقْلِ فِيهِ التَّسْلِيمُ
لِلْحَكِيمِ فَنَّ سَلَمٌ سَلَمٌ، وَمَنْ اعْتَرَضَ هَلَكَ.

٢٧٦—فصل — قَدْ يَدْعُى أَهْلُ مَذْهَبٍ الْاجْتِهَادَ فِي طَلْبِ الصَّوَابِ

لا يقصد الا الحق فترى الراهب يتبع بد ويتتجوّع واليهودي يذل
ويؤدي الجزية ، وصاحب كل مذهب يبالغ فيه ويحتمل الضيم والأذى
طلباً للهدى وتحصيل الأجر ، ومع هذا فيقطر بضلالاً كثرين . وهذا
قد يشكل . وإنما كشفه انه ينبغي ان يطاب المهدى بأسبابه ، ويستعمل
الاجتهاد بالابانة . فاما من فاته الاسباب أو فقد بعض الآلات فلا يقال له
محبته . فاليهود والنصارى بين عالم قد عرف صدق نبينا صلى الله عليه وسلم
ثم يسلك لرئاسته فهذا معاند . وبين مقلد لا ينظر فهذا مهمل ، فهو يتبع بد
مع اهمال الأصل ، وهذا لا ينفع ، وبين ناظر منهم لا ينظر حق النظار ،
فيقول : في التوراة ان ديننا لا ينسخ . وهو على غير ثقة ان هذا غير معمول
ولا مدخل فيها . ويقول النسخ ذا^(١) ولا ينظر في الفرق ، فينبغي أن ينظر
حق النظار . ومبين هذا الجنس تعبد الخوارج مع افتئاتهم بعلمهم القاصر ،
وهو قولهم : لا حكم الا لله ولم يفهموا ان التحكيم من حكم الله ، فجعلوا قتال
على رضى الله عنه وقتلهم مبيناً على ظنهم الفاسد . ولما نهب مسلم بن عقبة المدينة
وقتل الخلق قال : ان دخلت النار بعد هذا انى شقي . فظن بجهله انهم لما خالفوا
بيعة يزيد يجوز استباحتهم وقتلهم . فالليل لعامي قليل العلم لا يفهم نفسه في
واقعة ، ولا يدا كرمن هو أعلم منه ، بل يقطع بظنه ويقدم وهذا أصل ينبغي
تأمله ، فقد هلك في اهماله خاق لا تمحى . وقد رأينا خلقاً من العوام اذا
وقع لهم واقعة لم يقبلوا فتوى «وجوه يومئذ عاملة ناصبة تصلي ناراً حامية»
٢٧٧ - فحصل - لانفس ذخائر في البدن . منها الدم والمني وأشياء
تقوى بها ، فإذا فقدت الذخائر ولم يبق منها شيء ذهبت . ومن ذخائرها

(١) كذا

التقوى بمال واجاه وما يوجب الفرح فإذا فقدت ذلك وكانت عزيزة ذات
أنفة حرجت، وقد يرجم عليها الخوف فلا تجد ذخيرة من الرجاء يقاومه
فتقذهب، ويغلب عليها الفرح فلا تجد من الحزن ما يقاومه فتقذهب.
فاجتهد في حفظ ذخائرها وخصوصاً الشيف، فإنه ينبغي له أن لا يفرح باخراج
الدم، ولا اخراج المني وان وجده شيئاً، الا أن يكون الشبق زائداً في الحد
فيخرج المؤذى في كل حين. وعلامة أن يكون مؤذياً وجود الراحة عند
خروجه. ففي وجد ضعفاً فقد آذى خروجه. وليحفظ ذو الأنفة على نفسه
حشمتة، بأن لا يقف في موقف يعاب به، فإنه يتمتع بذخيرة العز والأنفة
ويضاد النفس وجود ضد ذلك. وكذلك ينبغي أن يستعد لآخر عمره بمال
مخافة أن يحتاج فينذر أو يسعى، وقد كلت الآلة. ولأن يختلف لمدته
أولى من أن يحتاج إلى صديقه ولا يتلتفت إلى من يذم المصال، فائهم الحق
الجهال الذين اتكلوا على خبر الراحة، فاستطابوا الكسل والدعة، ولم يأنفوا
من تناول الصدقة ولا من التعرض للسؤال. وقد كان لكل نبي معاش
وبلجيي الصحابة؛ وخلفوا أموالاً كثيرة ففهم هذا الأصل؛ ولا تلتفت
إلى كلام الجهال.

٢٧٨—فصل—رأيت في زهاد زماننا من الكبر وحفظ الناموس ⁺
ودبة الجاه في قلوب العامة ما كدت أقطع به على انهم أهل دين ونفاق.
فترى أحدهم يلبس الثوب الذي يرى بعين الزهد، ويأكل أطابع الطعام،
ويتكبر على أبناء الجنس ويصادق الأغنياء، ويماعد الفقراء، ويحب
الخطاب لمولانا، ويمشي بحاجبه، ويضيع الزمان في الهذيان، ويتوقوت
بخدمة الناس له والتسليم عليه. ولو انه لبس ثوباً يخلطه بالفقاء لذهب

الجاه ، ولم يبق له متعلق . ولو ان أفعاله ناسبت ثيابه لهان الامر ، لكنهم
بهرجو على من لا يخفى عليه من الخلق . ، فكيف اذا سُبحانه وتعالى
٢٧٩ - فصل - كثيراً ما أعيد هذا المعنى الذى أنا ذاكره في هذا
الكتاب بعبارات . ينبعى للهؤمن أن يتشارغل بمعاشه ويرفق في نفسه . فانه
قد كان للعلماء شيء من بيت المال ورفق من الاخوان ، ومعونة من العوام ،
فانقطع الكل ، وبقى المتشاغل بالعلم أو التعبد مسكيناً ، خصوصاً ذوالعائلة .
وما رأينا مثل هذا الزمان القبيح ، فما بقى من يوماً اليه يعمونه ولا باسمقر ارض
منه ، فيحتاج الانسان أن يدخل في مداخل لا تليق به ، وأن يتعرض بما
لا يصلح . فينبغي تقليل العائلة وتنقية القوت وترقية الخلق وان أمكن
معاش فهو أولى من التشتاغل بالتعبد والتعلم لفضول العلم . والا ضاع الدين
في مداخل لا تصلح . أو التعرض لبذل ندل .

٢٨٠ - فصل - ينبعى للعامل أن يحترز غاية ما يمكنه . فإذا جرى
القدر مع احترازه لم يتم . والاحتراز من كل شيء يمكن وقوعه ، وأخذ
العدة لذلك . وهذا يكون في كل حال . قد قص دجلاظفه فخاف عليه
فخبثت يده فمات . ومر شيخنا أحمد الحربي وهو راكب بمكان ضيق
فقططاً على السرج فانعصر فؤاده فمرض فمات . وكان يحيى بن نزار شيخاً
يحضر مجلس قدر طرق عليه ثقل الأذن فاستدعى طرقياً فقص آذنه فجري
شيء من مخه فمات . وانظر الى احتراز رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
سر على حاطط مائلاً فأسرع . وينبعى أن يحترز بالكسب في زمن شبابه ادخاراً
لزمن شبيهه . ولا ينبعى أن يشق بمعامل الا بوئقة . ويبادر بالوصية مخانة
أن يطرقه الموت . ويحترز من صديقه فضلاً من عدوه . ولا يشق بعوده

من قد آذاه هو ، فان الحقد في القلوب لا يزول . وليخترز من زوجته .
 فربما أطعها على سره ثم طلقها فيتأنى ذي بما تفعل به . وقد كان ابن أفلح
 الشاعر يكتب رئيسا في زمن المسترشد فعلم بذلك بوابه ، واتفق انه صرف
 بوابه قم عليه وتهضي داره . فهذه المذكرات أمثلة تنبه على مالم يذكر . وأهم
 الكل ان يخترز بأخذ العدة وتحقيق التوبة قبل أن يهجم ما لا يؤمن به جومه
 وليخدر من اصن الکسل ، فانه محظى على سرقة الزمان .

٢٨١ - فصل - تأملت خصوصيات الملك وحرص التجار ، وتفاق
 المترهدين ، فوجدت جهود ذلك على المذات الحس . واذا تفكك العاقل في
 ذلك علم أن امر الحسيات قریب يندفع بأقل شيء ، وان الغایة لا يمكن
 نيلها وان بالغ عاد بالاذى على نفسه اضعاف مانا له من اللذة ، كمن يأكل كثيرا
 أو ينكمش كثيرا . فالسعيد من اهتم لحفظ دينه . واخذ من ذلك بقة دار
 الحاجة / واعجبنا . هذا الملبوس اذا كان وسطا خدم ، واذا كان مرتفعا
 خدم ، فان نظر الالبس اليه معجبا به فان الله لا ينظر اليه حينئذ . وفي الصحيح :
 يينـا رجل يتبعثر في برده خسف به . والمشروب ان كان حراما فعقابه
 أضعف لذته . وهتكـه العرض بين الناس عقاب آخر . وان كان مباحا
 فالشره فيه يؤذى المبدن . وأما المنكوح فـدارـة المستحسن يؤذى فوق
 كل أذى . ومقـاسـة المستقبح أشد أذى . فعليـكـ بالتوسط . وتفكر في
 احوال السلاطين كيف قتلوا ظلامـوكـ اـدـركـبـواـ حـراـماـ ، وـماـ نـالـواـ الاـيسـيرـاـ
 من لذـاتـ الحـسـ ، فـانـقـشعـ غـيمـ العـمـرـ عنـ حـسـراتـ الفـضـائلـ . وـحـصـولـ
 العـقـابـ ، فـليـسـ فيـ الدـنـيـاـ اـطـيـبـ عـيشـاـ مـنـ مـنـفـرـدـ عـنـ عـالـمـ بـالـعـلـمـ . فـهـوـ
 أـنـيـسـهـ وـجـلـيـسـهـ ، قـدـ قـنـعـ بـعـاـسـلـمـ بـهـ دـيـنـهـ مـنـ الـمـبـاحـاتـ الـحاـصـلـةـ . لـاـعـنـ تـكـلـفـ

ولا تضييع دين ، وارتدى بالعز عن الذل للدنيـا وأهـلها . والتحفـ بالقـناعـةـ
بـالـيسـيرـ ، اذا لمـ يـقـدرـ عـلـىـ الـكـثـيرـ فـوـجـدـتـهـ يـسـلـمـ دـيـنـهـ وـدـنـيـاهـ . وـاشـعـالـهـ بـالـعـلمـ
يـدـ لـهـ عـلـىـ الـفـضـائـلـ . وـيـفـرـجـهـ فـيـ الـبـسـانـيـفـ . فـهـوـ يـسـلـمـ مـنـ الشـيـطـانـ وـالـسـاطـانـ
وـالـعـوـامـ بـالـعـزـلـةـ . وـلـكـنـ لـاـ يـصـلـحـ هـذـاـ الـلـعـامـ ، فـاـنـهـ اـذـ اـعـزـلـ الـجـاهـلـ
فـاتـهـ الـعـلـمـ فـتـخـبـطـ .

٢٨٢ - فصل - تأملت حالة تدخل على طلاب العلم توجب
الغفلة عن المقصود ، وهو حرصهم على الكتبـةـ . خصوصاً المـهـدىـينـ
فيستغرق ذلك زمانـهمـ عن ان يـحـفـظـواـ وـيفـهـمـواـ ، فيـذـهـبـ العـمـرـ وـقـدـ عـرـواـ
عـنـ الـعـلـمـ الـاـ يـسـيرـ . فـنـ وـفـقـ جـعـلـ مـعـظـمـ الزـمـانـ مـصـرـوـفـاـ فـيـ الـاعـادـةـ
وـالـحـفـظـ . وـجـعـلـ وقتـ التـعـبـ منـ التـكـرارـ لـالـنـسـخـ فـيـ حـصـلـ لـهـ الـمـرـادـ .
وـلـمـوـقـعـ منـ طـلـبـ الـمـهـمـ . فـاـنـ الـعـمـرـ يـعـجـزـ عـنـ تـحـصـيلـ الـكـلـ ، وـجـهـورـ
الـعـلـومـ الـفـقـهـ . وـفـيـ النـاسـ مـنـ حـصـلـ لـهـ الـعـلـمـ وـغـفـلـ عـنـ الـعـلـمـ بـمـقـضـاهـ ،
وـكـأـنـهـ مـاـحـصـلـ شـيـئـاـ . نـعـوذـ بـالـلـهـ مـنـ إـخـذـلـانـ .

٢٨٣ - فصل - ماـعـتـمـدـ أـحـدـ أـمـرـاـ إـذـ هـمـ بـشـىـءـ مـثـلـ التـثـبـتـ ، فـاـنـهـ
مـتـىـ عـمـلـ بـوـاقـعـةـ مـنـ غـيـرـ تـأـمـلـ لـلـعـوـاقـبـ كـاـنـ الـغـالـبـ عـلـيـهـ النـدـمـ . وـلـهـذـاـ أـمـرـ
بـالـشـاـوـرـ لـاـنـ الـإـنـسـانـ بـالـتـثـبـتـ يـفـتـكـرـ فـتـعـرـضـ عـلـىـ نـفـسـهـ بـالـتـفـكـرـ الـاحـوالـ
وـكـأـنـهـ شـاـوـرـ وـقـدـ قـيـلـ : خـيـرـ الرـأـيـ خـيـرـ مـنـ فـطـيرـهـ . وـأـشـدـ النـاسـ تـفـريـطـاـمـنـ
عـمـلـ مـبـادـرـةـ فـيـ وـاقـعـةـ مـنـ غـيـرـ تـثـبـتـ وـلـاـسـتـشـارـةـ . خـصـوصـافـيـماـ يـوجـبـهـ الـغـضـبـ
فـاـنـهـ طـلـبـ الـهـلـلـاـكـ أـوـ النـدـمـ الـعـظـيمـ : وـكـمـ مـنـ غـضـبـ فـقـتـلـ وـضـرـبـ ثـمـ لـمـاسـكـنـ
غـضـبـهـ بـقـىـ طـولـ دـهـرـهـ فـيـ الـحـزـنـ وـالـبـكـاـ وـالـنـدـمـ . وـالـغـالـبـ فـيـ الـقـاتـلـ أـنـهـ يـقـتلـ
فـتـفـقـوتـ الـدـنـيـاـ وـالـآـخـرـةـ . فـكـذـلـكـ مـنـ عـرـضـتـ لـهـ شـهـوـةـ فـاستـعـجلـ لـدـيـهاـ وـنـسـىـ

عاقبته، فكم من ندم يتجرعه في باقي عمره . وعتاب يسبقها من بعد موتها
وعقاب لا يؤمن وقوعه . كل ذلك للذلة لحظة كانت كبرى . فالله الله التثبت
التثبت في كل الأمور والنظر في عواقبها . خصوصاً الغضب المثير للخصومة
وتحجيم الطلاق .

٢٨٤ - فصل - سأني سائل، قد قال بعض الحكماء : من لم يحترز

بعقله هلك بعقله . فما معنى هذا . فبقيت مدة لا ينكشف إلى المعنى . ثم اتضحت
وذلك أنه اذا طلبت معرفة ذات الخالق سبحانه من العقل فزع إلى الحسن
فوقع التشبيه فالاحتراز من العقل بالعقل هو أن ينظر فيعلم أنه لا يجوز أن
يكون جسمًا ولا شهراً شيئاً . وإذا نظر العاقل إلى أفعال العباد سبحانه
رأى أشياء لا يقتضيها العقل ، مثل الآلام والذبح للحيوان وتسلیط الأعداء
على الأولياء مع القدرة على المنعم ، والابتلاء بالجماعة للصالحين . والمعاقبة على
الذنب بعد البعد بزلة وأشياء كثيرة من هذا الجنس يعرضها العقل على
العادات في تدبره فيرى أنه لا حكمة تظهر له فيها ، فالاحتراز من العقل
به أن يقال له : أليس قد ثبت عندى أنه مالك وأنه حكيم وأنه لا يفعل
 شيئاً عيناً ، فيقول بلى . فيقال : فحين نحترز من تدبرك الثاني بما ثبت عندك
في الأول ، فلم يبق إلا أنه خفى عليك وجهاً حكمة في فعله ، فيجب التسليم
له ، لعلمنا أنه حكيم . حيث أنه يدعون ويقول : قد سلمت . وكثير من الخلق
نظر والمقتضى واقع العقل الأول فأعترضوا . حتى أن العامي يقول : كيف
قضى على سوء عاقبتي ، ولم ضيق رزقي ، وما وجهاً حكمة في ابتلائي بفنون
البلاء . ولو أنه تلمح أنه مالك حكيم لم يبق إلا التسليم لما خفى . ولقد أنس
بدينه العقل خلق من الأكابر أو لهم أبليس ، فإنه رأى تفضيل النار على

الطين ، فاعتراض . ورأينا خلقاً من نسب إلى العلم قد ذروا في هذا واعتراضوا ورأوا أن كثيراً من الأفعال لا حكمة تحتها . والسبب ما ذكرنا وهو الإنسان بنظر العقل في البادية والعادات والقياس على أفعال المخلوقين ، ولو استخرجوا علم العقل الباطن ، وهو أنه قد ثبت **الكلال** للاخلاق وانتفت عنه النقاوئص وعلم أنه حكيم لا يجهل ، ليبقى التسليم ملائماً لعقل . وأعتبر هذا بحال الخضر وموسي عليهما السلام لما فعل الخضر أشياء تخرج عن العادات ، **أنكر** موسي ونبي إعلامه له بانى **أنظر** فيما لاتعلم من العواقب . فإذا خفيت مصلحة العواقب على موسي عليه السلام مع مخلوق فاولى أن يخفى علينا كثيراً من حكمة الحكيم . وهذا أصل أن لم يتثبت عند الإنسان اخرجه إلى الاعتراض والكفر ، وإن ثبت استراح عند تزول كل آفة .

٢٨٥ - فصل - بلغني عن بعض الكرماء ان رجلاً سأله فقال أنا الذي أحسنت إليك يوم كذا وكذا فقال : مرحباً بين يتولى اليانا بنا ، ثم قضى حاجته . فأخذت من ذلك اشارة فتاجيت بها فقلت : أنت الذي هديته من زمن الطفولة وحفظته من الصبا ، وعصمته عن كثير من الذنوب ، وأهمته طلب العلم لا بهم شرف ، لموضع الصغر ، ولا بحب والده . ورزقته فيما لتفقهه وتصنيفه ، وهيأت له أسباب جمعه ، وقدمت برقه من غير تعب منه ، ولا ذل لخلق بأسؤال وحامست عنه الاعداء ، فلم يقصده جبار . وجمعت له ما لم يجمع لأكثر الخلق من فنون العلم التي لا تقاد تجتمع في شخص . وأصنفت فيها تعلق القلب بمعرفتك ومحبتك وحسن العبادة ولطفها في الدلاله عليك ، ووضعت له في القاوب القبور حتى ان أخلاق يُقبلون عليه ويقبلون ما يقوله ، ولا يشكون فيه ، ويشاركون الى كلامه ،

ولا يدركهم الملل منه ، وصنته بالعزلة عن مخالطة من لا يصلح . وآنساته في خلوته بالعلم تارة وبمناجاتك أخرى . وان ذهبت اعد لم أقدر على احصاء عشير العشير « وان تعدوا نعمة الله لا تمحضوها » فيما حسنا الى قبل ان اطلب لتخيب أمل فيك وأنا اطلب . فيما نعامك المتقدم أنوسل اليك .

٢٨٦ - فصل - سبعة - ان من جعل الخلق يين طرق تقىض

والمتوسط منهم يندر . منهم من يغضب فيقتله ويضرب . ومنهم من هو أبله بقوه الحلم لا يؤثر عنده السب . ومنهم شره يتناول كلها ليشتهي . ومنهم متزهد يتجفف فيمنع النفس حقها . وكذلك سائر الاشياء المحمود منها التوسط فالمتفق كلاما يحد مبذر . والبخيل يحب المال وينعن نفسه حظها . ومعلوم أن المال لا يراد لنفسه بل للمصالح ، فإذا ابذر الانسان فيه احتاج الى بذل وجهه ودينه ومنه البخل عليه ، وهذا لا يصلح . ولأن يخالف الانسان لعدوه أحسن ما يحتاج الى صديقه . وفي الناس من يبذل ثم يتفاوتون في البخل حتى ينتهي بالبخلاء الامر الى عشق عين المال ، فربما مات أحدهم هزا ولا ينفقه ، فياخذه الغير ويندم المخلف . ولقد بلغنى في هذا ما ليس فوقه مزيد ذكره لتعتبر به . فحدثني شيخنا أبو الفضل بن ناصر عن شيخه عبد الحسن الصورى ، قال : كان بصور تاجر في غرفة له يأخذ كل ليلة من البقال دغيفين وجوزة فيدخل الى غرفته وقت المغرب فيضرم النار في الجوزة فقضى بمقدار ما ينزع ثوبه ، وفي زمان احراق القشر قد استوت فيمسح بها الرغيفين ويا كلهم ، فبقى على هذا مدة فمات ، فأخذ منه ملك صور ثلاثة ألفاً . ورأيت أن رجلا من كتاب العلماء قد مرض فاستلقى عند بعض أصدقائه ليس له من يخدمه ولا يرافقه وهو مضر ، فلما

مات وجدوا بين كتبه خمسةمائة دينار . وحدى أبو الحسن الراندسى قال :
 مرض رجل عندنا فبعث الى فحضرت فقال : قد ختم القاضى على مالى
 فقلت : ان شئت قمت وفتحت الختم وأعطيتك الثالث تفرقه وتعمل به
 ما تشاء . فقال : لا والله ما أريد أن أفرقه ، بل أريد مالى يكون عندي .
 فقلت : ما يعطونك ، بلى أنا آخذ ذلك الثالث . فقال : لا أريد ، فات وأخذ ماله .
 قال : وجاء رجل فحدثنى بعجيبة قال : مرضت حماتي فقالت لى ، أريد أن
 تشتري لي خبيصا فاشترى لها ، وكانت ملقاء في صفةٍ ونحن في صفةٍ أخرى
 فجاءنى ولدى الصغير وقال . ياسيدى ، إنها تبلغ الذهب ، فقمت واذابها أجعل
 الدينار في شيء من الخبيص فتبليه ، فامسكت يدها وذرتها عن هذا
 فقالت : أنا أخاف أن تتزوج على بنى ، فقلت : ما أفعل فقالت : إاحلف لي
 فحلفت ، فاعطتني باقى الذهب ثم ماتت فدفنتها ، فلما كان بعد أشهر مات
 لناطفل فحملناه اليها ، وأخذت معي خرقه خام وقلت للاهفار اجمع على عظام
 تلك العجوز في الخرقه ، فجئت بها الى البيت وتركتها في اجابة وصبت
 عليها الماء وحركتها ، فاخرجت ثمانين ديناراً أونحوها كانت قد ابتعتها .
 وحكى لي صديق لنا ، أن رجلات ودفن في الدار ، ثم نبش بعد مدة ليخرج
 فوجد تحت رأسه لبنة مقبرة فسئل أهلها عنها فقالوا : هو قير هذه اللبنة
 وأوصى أن ترك تحت رأسه في قبره وقال : إن اللبن يبل سريراً وهذه الموضع
 القار لا تبني . فأخذوها فوجدوها رazine ، فكسروها فوجدوا فيها تسعةمائة
 دينار فنولاها أصحاب التراث ، وبلنوى أن رجالاً كان يكنس المساجد ويجمع
 ترابها ثم ضربه لبناء فقيل له هذا الأى شيء فقال : هذا تراب مبارك ،
 واريد أن يجعلوه على لحدى ، فلما مات جعل على لحده ، ففضل منه لبنيات ،

فرموها في البيت ، فجاء المطر فتفسخت اللبنات فإذا فيها دنائزير ، فضوا وكشفوا اللبن عن لحده وكم ملوء دنائزير . ولقد مات بعض أصدقائنا وكتبت أعلم له مالاً كثيراً ، وطال مرضه فما أطمع أهله على شيء ولا أكاد أشك أنه من شحنه وحرصه على الحياة ورجائه أن يبقى لم يعافهم بمدفونه خوفاً أن يؤخذ فيحيا هو وقد أخذ المال . وما يكون بعد هذا الخزي شيء . وحدثني بعض أصحابنا عن حالة شاهدها من هذا الفن . قال : كان فلان له ولدان ذكران وبنتان وله ألف دينار مدفونة . فمرض مرض شديد فاحتؤشه أهله ، فقال لا أحد ابنيه لا تبرح من عندي ، فلما خلا به قال له إن أخاك مشغول باللعب بالظيور ، وإن اختك لها زوج تركي ، ومتى وصل من مالي إليهما شيء انفقوه في اللعب ، وأنت على سيرتي وأخلاقي ، ولئن في الموضع الفلاني ألف دينار ، فإذا أنا مت فخذها وحدك . فاشتهد بالرجل المرض فمضى الولد فأخذ المال فعندي الأب ، فجعل يسأل الولد إن يرد المال إليه فلا يفعل ، فمرض الولد فجعل الأب يتضرع إليه ويقول : ويحك خصصتك بمال دونهم فتموت فيذهب المال ، ويحك لا تفعل ، فازال به حتى أخبره بمكانه ، فأخذه ثم عوف الولد ومضت مدة فمرض الأب ، فاجتهد الولد أن يخبره بمكان المال وبالغ فلم يخبره ومات وضع المرض . فسبحان من أعدم هؤلاء العقول والفهم . إنهم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلاً .

٢٨٧ فصل — كان لنا أصدقاء وأخوان اعتد بهم . فرأيت منهم من الجفاء وترك شروط الصداقة والأخوة عجائب فأخذت اعتب ، ثم انبهت لنفسى فقلت : وما ينفع العتاب ، فأنهم أن صلحوا فللعتاب لا الصيفاً فهم مت

بمقاطعتهم ، ثم تذكرت فرأيت الناس بين معارف وأصدقاء في الظاهر والأخوة
مباطئين ، فقلت لا تصالح مقاطعهم ، إنما ينبغي أن تنقلهم من ديوان الأخوة
إلى ديوان الصدقة الظاهرة ، فإن لم يصلحوا لها نقلتهم إلى جملة المعارف ،
وعلمتهم معاملة المعارف ، ومن الغلط أن تتعاتبهم ، فقد قال يحيى بن معاذ:
بئس الأخ إخ تحتاج أن تقول له اذكرني في دعائتك . ووجهور الناس
اليوم معارف ويندر فيهم صديق في الظاهر؛ فإن الأخوة والمصافة فذاك
شيء نسخ فلا يطمع فيه . وما أرى الإنسان يصفو له أخوة من النسب
ولا ولده ولا زوجته . فدفع الطمع في الصفا . وخذ عن السكل جانبا ،
وعلمتهم معاملة الغرباء . واياك أن تتخندع بين يظهر لك الود ، فإنه مع
الزمان يبيّن لك الحال فيما أظهره وربما أظهر لك ذلك لسبب يناله منه ، وقد
قال الفضيل بن عياض : إذا أردت أن تصادق صديقا فأغضبه فإن رأيته كما
ينبغي فصادقه . وهذا اليوم مخاطرة . لأنك إذا أغضبت أحدا صار
عدوا في الحال . والسبب في نسخ حكم الصفا ، أن السلف كان همته
الآخرة وحدها فصنفت نياتهم في الأخوة والمخالطة فكانت ديننا لادينا .
والآن فقد استولى حب الدنيا على القلوب ، فإن رأيت متمقا في باب
الدين فاخبر ^{هؤلئك} تقله

٢٨٨ — فصل — رأيت المعافي لا يعرف قدر العافية إلا في المرض .
كما لا يعرف شكر الطلق إلا في الحبس . وتأملت على الأدمي حالة عجيبة .
وهو أن يكون معه امرأة لا يأس بها إلا أن قابه لا يتعانق بمحبتهما تعلقا
يالتذهبه . ولذلك سبيان . أحدهما أن تكون غير غاية في الحسن . والثاني أن
كل مملوك مكروه ، والنفس تطلب مالا تقدر عليه ، فتراه يضيع ويشتهى

شيئاً يحبه أو امرأة يعشقها، ولا يدرى انه انما يتطلب قيداً وثيقاً يمنع القلب من التصرف في أمور الآخرة، أوفي علم أو عمل ، ويختبئ في تصرف الدنيا ، فيبقى ذلك العاشق أسير المعشوق ، همه كله معه فالعجب بعطله يؤثر القيد .
ومستريح يؤثر التعب . فان كانت تلك المرأة تحتاج أن تحفظ فالويل له لاقرار له ولاسكون . وان كانت من المترجات اللواتي لا يؤمنن فسادهن فذاك هلاكه بمرة . فلا هو ان نام يتلذذ بنومه ، ولا ان خرج من الدار يأمن محننة وان كانت تؤيد نفقة واسعة وليس له ، فـ كـ يـ دـخـلـ مـدـخـلـ سـوـءـ لـاجـلـهاـ . وـ انـ كـانـتـ تـؤـرـ الجـمـاعـ وـقـدـ عـلـتـ سـنـهـ فـذـاكـ الـهـلـالـ الـعـظـيمـ . وـ انـ كـانـتـ تـبـغـضـهـ فـإـقـيـمـتـ مـنـ أـسـبـابـ تـلـفـهـ بـقـيـةـ فـيـكـونـ هـذـاـ سـاعـيـاـ فـيـ تـلـفـ نـفـسـهـ كـلـفـالـقـائـلـ :

نـحـبـ الـقـدـوـدـ وـنـعـلـمـ اـنـ نـحـبـ النـوـنـاـ

وهذا على الحقيقة كما بدى صنم . فليتحقق الله من عنده امرأة لا يأس بها ولايعرض عن حديث النفس ومنها فالله منتهى . ولو حصل له غرضه كما يريد وقع الملل وطلب ثالثة ، ثم يقع الملل ويطلب رابعة ، وما لهذا أخير .
انما يفيده بالعاجل تعلق قلبه وأسر لبه ، فيبقى كالمبهوت ، فـ كـرهـ كـاهـ في تحصيل ما يريد محبوبه ، فـانـ جـرـتـ فـرـقـةـ اوـ آـفـةـ فـتـلـكـ الـحـسـرـاتـ الدـائـمـةـ انـ بـقـىـ اوـ التـلـفـ عـاجـلاـ . وـانـ الـمـسـتـحـسـنـ الـمـصـوـنـ الـدـيـنـ الـقـنـوـعـ الـحـبـ لـمـ يـحـبـهـ هذا أقل من الكبريت الأحمر . فلينظر في تحصيل ما يجمع معظم الهم .
ولايقت إلى سواد الهوى وغاية المني ، وقد سلم .

٢٨٩ - فصل - اذا تم علم الانسان لم ير نفسه عملاً وانما يرى إنعام الموفق لذلك العمل الذي يمنع العاقل ان يرى لنفسه عملاً او يعجب به ، وذلك بأشياء منها انه وفق لذلك العمل « وحب اليكم الآيات وزينه في قلوبكم » ومنها

انه اذا قيس بالنعم لم يف بعشرها ، ومنها انه اذا لوحظت عذمة المخدوم
 احتقر كل عمل وتعبد . هذا اذا سلم من شائبة وخلص من غفلة . فاما
 والغفلات تحيط به فينبغي ان يغلب الحذر من رده ، ويحاف العتاب على
 التقصير فيه ، فيشتغل عن النظر اليه ؛ وتأمل على الفطن اذا حوالهم في ذلك ،
 فالملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون قالوا : ما عبد ناك حق
 عبادتك . والخليل عليه السلام يقول «والذى اطعم ان يغفر لى» وما دل
 بنصيره على النار وتسليمه الولد الى الذبح . ورسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول : مامنكم من ينجيه عame قالوا ولا انت قال : ولا انا الا ان يتغمدنى
 الله برحمته . وابو بكر رضي الله تعالى عنه يقول : وهل انا املى الا لك
 يا رسول الله . وعمر رضي الله عنه يقول : لو انى طلاع الارض لافتديت
 بها من هول ما امامى قبل أعلم ما الخبر . وابن مسعود يقول : ليتنى اذامت
 لا ابعث . وعائشة رضي الله عنها تقول : ليتنى كنت نسيما منسيا . وهذا
 شأن جميع المقلاء فرضي الله عن الجميع . وقد روى عن قوم من صلحاء
 بني اسرائيل ما يدل على قلة الافهام لما شرحته لأنهم نظروا الى أعمالهم فأدوا
 بها . ففيه حديث العابد الذي تعبد خمساً ثانية سنة في جزيرة وأخرج له كل
 ليلة رمانة ، وسأل الله تعالى ان يمتهن في سجوده . فاذا حشر قيل له ادخل الجنة
 برحمتي قال : بل بعملي ، فيوزن جميع عمله بنعمة واحدة فلا يفي ، فيقول :
 يا رب برحمتك ، وكذلك اهل النار الذين انطبقت عليهم الصخورة فان احدهم
 توسل بعمل كان ينبغى ان يستحبى من ذكره ، وهو انه عزم على الزنا ثم
 خاف العقوبة فتركه . فليت شعري بماذا يدل من خاف ان يعاقب على شيء
 فتركه تخوف العقوبة . انما لو كان مباحا فتركه كان فيه مافيه . ولو فهم

لشغله خجل المهمة عن الادلال، كما قال يوسف عليه السلام: وما أبرئ نفسي.
والآخر ترك صبيانه يتضاغون الى الفجر ليسقى ابوه اللبن . وفي ضمن
هذا البر أذى للاطفال ، ولكن الفهم عزيز . وكأنهم لما احسنوا قال لسان
الحال : أعطوه ما طلبوا ، فانهم يطلبون أجرة ما عملوا . ولو لا عزة الفهم
ما تكبر متكبر على جنسه ولكن كل كامل خائفاً محقر العمل حذر من
التقصير في شكر ما النعم عليه . وفهم هذا المشروح ينكس رأس الكبر .
ويجب مسامحة الذل . فتأمله فإنه اصل عظيم .

٢٩٠ - فصل - ينبغي للعامل ان يكون على خوف من ذنبه وان
تاب منها و بكى عليها . واني رأيت اكثرا الناس قد سكنوا الى قبول
التنورة ، وكأنهم قد قطعوا على ذلك . وهذا أمر غائب . ثم لو غفرت بقي الخجل
من فعلها . و يؤيد الخوف بعد التوبة انه في الصلاح: ان الناس يأتون الى
آدم عليه السلام فيقولون : اشفع لنا فيقول: ذنبي . والى نوح عليه السلام
فيقول: ذنبي و الى ابراهيم . والى موسى . والى عيسى صلوات الله وسلامه
عليهم فهؤلاء اذا اعتبرت ذنبهم لم تكن اكثيرها ذنب باحقيقة . ثم ان
كانت فقد تابوا منها واعتذرها وهم بعد على خوف منها . ثم ان الخجل بعد
قبول التوبة لا يرتفع وما احسن ما قال الفضليل بن عياض رحمه الله:
واسوأناه منك وان عفوت . فأفأ والله لختار الذنوب ومؤثر لذلة لحظة
تبقى حسرة لا تزول عن قلب المؤمن وان غفر له . فالحذر الحذر من كل
ما يجب خجلا . وهذا أمر قل ان ينظر فيه تائب أو زاهد ، لانه
يرى ان العفو قد غمر الذنب بالتنورة الصادقة . وما ذكرته يجب دوام
الحذر والخجل .

٢٩١ - فصل - نعوذ بالله من سوء الفهم وخصوصاً من المتسفين
 بالعلم . روى أحمد في مسنده انه تنازع ابو عبد الرحمن السلمي وحيان بن
 عبد الله . فقال ابو عبد الرحمن لحيان : فد عالمت ما الذي حدا صاحبك يعني
 عليا . قال ما هو قال قول النبي صلى الله عليه وسلم : لعل الله اطلع الى اهل بدر
 فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . وهذا سوء فهم من ابي عبد الرحمن
 حين ظن ان عليا قاتل وقتل اعتمادا على انه قد غفر له . وينبغي ان يعلم ان
 معنى الحديث لتكن اعمالكم المتقدمة ما كانت فقد غفرت لكم . فاما
 غفران ماسياتي فلا يتضمنه ذلك اتراء او وقع من اهل بدر وحاشاه الشرك
 اذ ليسوا بمعصومين أما كانوا يؤخذون به فـ كذلك العاصي . ثم لو قلنا:
 انه يتضمن غفران ماسياتي ، فمعنى ان مـ لكم الى الغفران . ثم دعنامن معنى
 الحديث ، كيف يحمل المسلم ان يظن في أمير المؤمنين على رضى الله عنه
 انه فعل مـ لا يجوز اعتمادا على انه سيغفر له حوشى من هذا . واما قاتل
 بالدليل المضطر له الى القتال ، فـ كان على الحق . ولا يختلف العلماء ان
 عليا رضى الله عنه لم يقاتل احدا الا والحق مع على . كيف وقد قال رسول
 الله ﷺ : اللهم ادر معه الحق كيما دار فقد غلط ابو عبد الرحمن غلط اقيبيه ،
 جمله عليه انه كان عـ اانيا

٢٩٢ - فصل - تاملت على مـ زهدى زماننا اشياعتدل على النفاق
 والرياء وهم يدعون الاخلاص . منها انهم يلزمون زاوية فلا يزورون صديقا ،
 ولا يعودون صريضا ، ويدعون انهم يريدون الانقطاع عن الناس استغلا
 بالعبادة . وانا هى اقامة نواميـس ليشار اليـم بالانقطاع . اذ لو مشوا بين
 الناس ذات هـيتـهم . وما كان الناس كذلك . كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم يعود المريض ويشترى الحاجة من السوق . وابو بكر ورضي الله عنه
 يتجر في البر . وابوعبيدة بن الجراح يحفر القبور ، وابو طلحة ايضا : وابن
 سيرين يغسل الموتى . وما كان عند القوم اقامة ناموس . واصحابنا يازمون
 الصمت بين الناس والتخشعش والهداوة ، وهذا هو النفاق . فقد كان ابن
 سيرين يضحك بالنهار وبين الناس وي بكى بالليل . وقد رأيت من المترهدين
 من يلزم المسجد ويصلى فيجتمع الناس فيصلون بصلاتهم ليلاً ونهاراً ، وقد
 شاع هذا له فتقوى نفسه عليه بحب المحمدة . والنبي صلى الله عليه وسلم
 قال في صلاة التطوع : اجعلوا هذه في البيوت . وفي اصحابنا من يظهر
 الصوم الدائم ، ويتفقىء بقول الناس : فلا زمان ما يفطر اصلا . وهذا الابله
 ما يدرك انه لاجل الناس يفعل ذلك ، ولو لا هذا كان يفطر والناس يرون انه
 يومين او ثلاثة حتى يذهب عنه ذلك الاسم ثم يعود الى الصوم . وقد كان
ابراهيم بن ادهم اذا مرض يترك عنده من الطعام ما يأكله الا صحاء .
 ورأيت في زهادنا من يصلى الفجر يوم الجمعة بالناس ويقرأ العوذتين والمعنى
 قد ختمت ، فان هذه الاعمال هي صريحه في النفاق والرياء ، وفيهم من
 يأخذ الصدقات وهو غنى ، ولا يبالي أخذ من الظالم او من اهل الخير ،
 وبشي الى الاصداء يسامحهم ، وهو يدرك من اين حصلت اموالهم . فالله الله
 في اصلاح النيات فان جمهور هذه الاعمال مردودة . قال مالك بن دينار :
 وقولو المن لم يكن صادقا لا يتعيني . ولابعد المرائي ان الذى يقصده يفوته ،
 وهو التفات القلوب اليه ، فانه متى لم يخلص حرم محبة القلوب ، ولم يلتفت
 اليه . والخلص محبوب . فلو علم المرائي ان قلوب الذين يرائهم بيدهم
 يعصيه لما فعل . وكم من قدرأينا من يلبس الصوف ويظهر النساك لا يلتفت

الىه . وآخر يلبس حيد الشياطين ويتبسم والقلوب تحبه . نسأل الله عز وجل
اخلاصاً يخلصنا . ونستعيذ به من رباء يبطل اعمالنا انه قادر .

٢٩٣ - فصل - من الجهل ان يخفي على الانسان مراد التكليف
فانه موضوع على عكس الاغراض . فينبغي للعامل ان يأنس بانعكاس
الاغراض . فان دعا وسائل بلوغ غرض تعبد بالدعاء . فان أُعطيَ مراده
شكراً . وان لم ينل مراده فلا ينبغى ان يلح في الطلب ، لأن الدين ليست
بلوغ الاغراض . وليرسل لنفسه «وعسى ان تذكرهوا شيئاً وهو خير لكم»
ومن اعظم الجهل ان يتمغص في باطنها لانعكاس اغراضه . وربما اعترض في
الباطن . وربما قال: حصول غرضي لا يضر ، ودعائى لم يستحب . وهذا كله
دليل على جهله وقلة ايمانه وتسليمها للحكمة . ومن الذى حصل له غرض
ثم لم يكدر . هذا آدم طاب عيشه في الجنة وأخرج منها . ونوح سال في
ابنه فلم يعط صرادة . والخليل ابتلى بالنار . واسحاق بالذبح . ويعقوب بفقد
الولد . ويوفى بمجاهدة الموى . وأبوب بالبلاء . وداود وسلميان بالفتنة .
وجميع الانبياء على هذا . وما لقى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الجوع
والاذى وكدر العيش فعلم . فالدنياوضحت للبلاء فينبغي للعامل أن يوطن نفسه
على الصبر ، وان يعلم ان ما حصل من المراد فلطف ، وما لم يحصل فعل
أصل الخلق والجبلة للدنيا كما قيل :

طبعت على كدر وأنت تريدها	صفوا من الأذاء والاكيدار
ومكافف الأيام ضد طماعها	متطلب في الماء جذوة نار

وهاهنا يتبيان قوة الايان وضمه فليستعمل المؤمن من ادوية هذا
المرض التسلیم للملك ، والتحکیم لحكمته ، وليرسل قدقيـل لـسید السـکـل

«ليس لك من الامر شيء» ثم ليس ^{لنفسه} بان المنع ليس عن بخل؛ وإنما هو لمصلحة لا يعلمها . وليؤجر الصابر عن أغراضه ، وليعلم الله الذين سلموا ورضوا ، وان زمن الابتلاء مقدار يسير ، والاغراض مدخرة تلقى بعد قابل ، وكأنه بالظلمة قد انجلت ، وبفجر الاجر قد طلع . ومتي ارتقى فهمه الى ان ماجرى مراد الحق سبحانه ، اقتضى ايمانه ان يريد ما يريد ، ويرضى بما يقدر ، اذ لو لم يكن كذلك كان خارجا عن بقية العبودية في المعنى . وهذا أصل ينبغي أن يتأمل ويعمل عليه في كل غرض انعكاس .

٢٩٤ - فصل - رأيت خلقا من العلامة والقصاص تصييق عليهم الدنيا فيفزعون إلى مخالطة السلاطين لينالوا من أموالهم ، وهو يعلمون أن السلاطين لا يكادون يأخذون الدين من وجها ، ولا يخرجونها في حقها . فان أكثرهم اذا حصل له خراج ينبغي ان يصرف إلى المصالح وهمه لشاعر . وربما كان معه جندي يصلح أن تكون مشاهيرته عشرة دنانير فأعطيها عشرة آلاف . وربما أغزا فأخذ ما ينبغي ان يقسم على الجيش فأصطفاه لنفسه ، هذا غير ما يحرى من الظلم في المعاملات . وابول ما يحرى على ذلك العالم انه قد حرم النفع بعلمه . وقد رأى بعض الصالحين رجلا عالما يخرج من دار يحيى بن خالد البرمكي فقال : أعود بالله من علم لا ينفع ، ألم تذكرن الكرات ولا تذكر ، وتتناول من طعامهم الذي لا يكاد يحصل الا بظلم فينطمس قلبك ، وتحرم لذة المعاملة للحق سبحانه ، ولا يقدر لك أن يهتدى بك أحد ، بل ربما كان فعل هذا سببا لاضلال الناس في الاقتداء به ، فهو يؤذى نفسه ويؤذى أميره ، لأنه يقول لو لانا على صواب ما صحبني ولا نكر على . ويؤذى العوام تارة بان يروا ان ما فيه الامير صواب وان

الدخول والسكوت عن الاذكار جائز . ومحبب اليهم الدنيا . ولا خير والله في سعة من الدنيا ضيق طريق الآخرة . وانا افدى اقواما صابروا عطش الدنيا في هجير الشهوات زمان العمر حتى روا يوم الموت من شراب الرضى ، وبقيت اذكارهم تروي صدأ القلوب وتجلو صداتها . هذا الامام احمد يحتاج فيخرج الى اللقاط ولا يقبل مال سلطان . هذا ابراهيم الحربي يتغذى بالبقل ويرد على المعتصم الفدينار . هذا بشر الحافي يشكو الجوع فيقال له : يصنع لك حسنا ، من دقيق فيه قول : اخاف ان يقول لي هذا الدقيق من اين لك . بقيت والله اذكار القوم ، وما كان الصبر الاغفوة نوم ، ومضت لذات المرخصين وبلية الابدان ، ووهن الدين . فالصبر الصبر يامن وفق . ولا تغبطن من اتسع له أمر الدنيا ، فانك اذا تأملت تلك السعة رأيتها ضيقا في باب الدين . ولا ترخص لنفسك في تاويل ، فعمراك في الدنيا قليل :
وسواء اذا انتقضى يوم كسرى في سرور ويوم صابر كسره

ومتي ضجت النفس لقلة صبر فائل عليها اخبار الزهاد ، فانها ترعوى وتستحي وتنكسر ان كانت لها همة او فيها يقظة . ومثل لها بين ترخص علي بن المديني وقبوله مال ابن ابي داود ، وصبر احمد . وكم بين الرجلين والذرين . وانظر ما يروى عن كل واحد منهمما وما يذكر ان به . وسيندم ابن المديني اذا قال احمد سلم ديني .

٢٤٥ — فصل — تاملت احوال الناس فرأيت جهورهم منسلاً من درجة العبودية ، فان تعبد وافعاً دة او فيما لا ينافي اغراضهم منافاة تؤذى القلوب . فاكثر السلاطين يحصلون الاموال من وجوه ردية وينفقونها في وجوه لا تصلاح ، وكأنهم قد تملّكواها . وليس مال الله الذي اذا غزا احدهم فغم

الاموال اصطفاها لنفسه، واعطاها اصحابه كيف اشتتها . والعلماء لقوه فقرهم
وشدة شره، يوافقون وينخرطون في سلوكهم . والتتجار على العقود الفاسدة .
والعوام في المعاهدي والاهمال بجانب الشريعة . فان فات بعض أغراضهم فربما
قالوا ما زرني نصلي . لا صلي الله عليهم . وقد منعوا الزكاة وتركوا الامر بالمعروف .
فن الناس من يغره تأخير العقوبة . ومنهم من كان يقطع بالعفو واكثرهم
متزلف الايمان . فنسأله ان يميتنا مسامين .

٢٩٦ - فصل - من العجيب سلامه دين ذى العيال اذا ضاق به الكسب .
فاما مثله الا كمثل الماء اذا ضرب في وجهه سكر ، فإنه يعمل باطناؤ يبالغ حتى يفتح
فتحة . فكذلك صاحب العيال اذا ضاق به الامر لا يزال يحتال ، فإذا لم يقدر
على الحلال ترخص في تناول الشبهات ، فان ضعف دينه مدده الى الحرام .
فالمؤمن اذا علم ضعفه عن الكسب اجتهد في التعفف عن النكاح ، وتقليل
النفقة اذا حصل الاولاد ، والقناعة باليسير . فاما من ليس له كسب
كالعلماء والمترهددين ، فسلامتهم ظريفة ، إذ قد انقطعت مواد السلاطين
ومراة العوام ، فإذا اكررت عائلتهم لم يؤمن عليهم شر ما يجرى على الجبال .
فمن قدر منهم على كسب بالنسخ وغيره فليجتهد فيه مع تقليل النفقة والقناعة
باليسير ، فإنه من ترخص منهم اليوم أكل الحرام ، لأنه يأخذ من الظلمة
خصوصا بحجة التنسق والتزهد . ومن كان لهم مال فليجتهد في تنميته
وحفظه ، فما بقى من يؤثر ولا من يفرض . وقد صار الجهد بدل الكل كاهم
يعبدون المال . فن حفظه حفظ دينه . ولا يلتفت الى قول الجملة الذين يأمرؤن
باخراج المال ، فما هذا وقته . واعلم انه اذا لم يجتمع الهم ، لم يحصل العلم ولا
العمل ولا التشاغل بالتفكير في عظمة الله وقد كان هم القدماء يجتمع باشياء

جهورها انه كان لهم من بيت المال نصيب في كل عام، وكان يصلهم فيفضل
 عليهم، وفيهم من كان له مال يتجربه كسعید بن المسیب وسفیان وابن
 المبارک وكان همـ مجتمعـا ، فقال سفیان فـي الـدیـانـة : لـوـلـاـكـ اـبـهـدـلـونـیـ .
 وقدت بضاعة لـابـنـ المـبارـکـ فـبـكـیـ وـقـالـ : هـوـ قـوـامـ دـینـیـ . وـكـانـ جـمـاعـةـ
 يـسـكـنـونـ إـلـىـ عـطـاءـ الـاخـوـانـ الـذـيـنـ لـاـيمـنـونـ . وـكـانـ اـبـنـ المـبارـکـ يـبـعـثـ إـلـىـ
 الفـضـلـ وـغـيـرـهـ . وـكـانـ الـلـيـثـ بـنـ سـعـدـ يـتـفـقـدـ الـأـكـابرـ، فـبـعـثـ إـلـىـ مـالـكـ الـفـ
 دـيـنـارـ، وـإـلـىـ اـبـنـ هـمـیـعـةـ الـفـ دـيـنـارـ، وـاعـطـیـ مـنـصـورـ بـنـ عـمـارـ الـفـ دـيـنـارـ
 وـجـارـیـةـ بـلـلـمـائـةـ دـيـنـارـ . وـماـزـالـ الزـمـانـ عـلـىـ هـذـاـ إـلـىـ اـنـ آـلـ الـأـمـرـ عـلـىـ
 انـهـاقـ ذـلـكـ، فـقـلـتـ عـطـایـاـ السـلاـطـینـ، وـقـلـ منـ يـؤـثـرـ مـنـ الـاخـوـانـ، إـلـاـ اـنـهـ
 كـانـ فـيـ ذـلـكـ التـقـلـيلـ مـاـيـدـفـعـ الزـمـانـ . فـاماـ زـمـانـهـذاـ، فـقـدـ اـتـقـبـضـتـ الـاـيـدـیـ
 كـلـهـاـ، حـتـىـ قـلـ مـنـ يـخـرـجـ الزـكـاةـ الـواـجـبـةـ، فـكـيـفـ يـجـتـمـعـ هـمـ مـنـ يـرـيدـ
 مـنـ الـعـامـاءـ وـالـزـهـادـ اـنـ يـعـمـلـ هـمـهـ لـيـلـاـ وـنـهـارـاـ فـيـ وـجـوـهـ السـكـبـ وـلـيـسـ
 مـنـ شـأـنـهـ وـلـاـ يـقـدـىـ لـهـ . فـقـدـ رـأـيـناـاـلـاـ مـرـاحـوـجـ إـلـىـ التـعـرـضـ باـسـلـاطـینـ
 وـالـتـرـخـصـ فـيـ اـخـذـ مـاـلـاـيـصـلـحـ، وـأـخـرـجـ الـمـتـزـهـدـينـ إـلـىـ التـصـنـعـ لـتـحـصـیـلـ
 الدـنـیـاـ . فـالـلـهـ يـامـنـ يـرـيدـ حـفـظـ دـینـهـ، قـدـ كـرـدـتـ عـلـیـكـ الـوـصـیـةـ بـالـتـقـلـیـلـ جـهـدـكـ،
 وـخـفـفـ الـعـلـاـئـقـ مـهـماـ اـمـكـنـكـ . وـاحـفـظـ بـدـرـهـمـ يـكـوـنـ مـعـكـ فـاـنـهـ دـینـكـ .
 وـافـهـمـ مـاـقـدـشـرـحـتـهـ، فـاـنـ ضـجـتـ النـفـسـ لـمـرـادـاتـهـ فـقـلـ لـهـ: اـنـ كـانـ عـنـدـكـ اـیـانـ
 فـاصـبـرـیـ، وـاـنـ اـرـدـتـ التـحـصـیـلـ لـمـاـيـفـنـیـ بـيـذـلـ الدـینـ فـمـاـنـفـعـكـ . فـتـفـکـرـیـ
 فـالـعـلـمـاءـ الـذـيـنـ جـمـعـواـ مـنـ غـيرـ وـجـهـ وـفـيـ الـمـنـسـيـنـ ذـهـبـ دـینـهـمـ، وـزـالـتـ
 دـینـهـمـ . وـتـفـکـرـیـ فـيـ الـعـلـمـاءـ الصـادـقـینـ كـاـمـدـ وـبـشـرـ، اـنـدـفـعـتـ الـاـيـامـ وـبـقـیـ
 لـهـمـ حـسـنـ الذـکـرـ . وـفـيـ الـجـملـةـ «ـمـنـ يـتـقـ اللـهـ يـجـعـلـ لـهـ مـخـرـجاـ وـبـرـزـقـهـ مـنـ

حيث لا يحتسب » ودزق الله نارة بامداد الصبر على البلاء والآيات تندفع ،
واعقبة الصبر الجميل جميلة .

٢٩٧ - فصل - شكى رجل من بغضه لزوجته وقال : ما أقدر على
فراقها لأمور منها كثرة دينها على وصبرى قليل ، ولا ا Kad اسلم من فلتات
لسانى في الشكوى ، وفي كلمات تعلم بغضى لها فقلت له : هذا لا ينفع وإنما
تؤتي البيوت من أبوابها ، فينبغي أن تخلو بنفسك فتعلم إنها إنما سلطت عليك
بذنبك فتباخ في الاعتذار والتوبة . فاما التضجر والأذى لها فما ينفع كما
قال الحسن بن الحجاج : عقوبة من الله لكم فلا تقاولوا عقوبته بالسيف
وقابلوها بالاستغفار . واعلم إنك في مقام مبتلى ولذا اجر بالصبر « وعسى
ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » فعامل الله سبحانه بالصبر على ما قضى
واسأله الفرج . فإذا جمعت بين الاستغفار وبين التوبة من الذنوب والصبر
على القضاء وسؤال الفرج ، حصلت ثلاثة فنون من العبادة ثواب على كل
منها . ولا تضيع الزمان بشيء لا ينفع ، ولا تختل ظاناً منها إنك تدفع ماقدر :
« وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو » وقد روينا ان جندياً نزل يوماً
في دار ابي يزيد ، فجاء ابو يزيد فرأه فوق قبر وقال بعض اصحابه : ادخل الى
المكان الفلانى فاقلع الطين الطرى فانه من وجه فيه شبهة فقلعه ، فخرج
الجندي . واما اذا لك لمرأة فلما وجه له لأنها مسلطة فليكن شغلك بغير هذا .
وقد روى عن بعض السلف ان رجلاً شتمه فوضع خده على الأرض وقال
اللهم اغفر لي الذنب الذي سلطت هذا به علي قال الرجل : وهذه المرأة تحبني
زادها في الحمد ، وتباخ في خدمي ، غير ان البعض لها مرکوز في طبعي .
قلت له : فعامل الله سبحانه بالصبر عليها فانك ثواب . وقد قيل لابي عثمان

النیسا بوری : مارجی عملک عندك ، قال كنت في صبوتي يجتهد اهلی ان اتزوج فآبی فجاءتني امرأة فقالت : ياً باعْمَان انى قد هو يتك ، وانا سالك بالله ان تزوجني فاحضرت اباها وكان فمیرا فزوجني وفرح بذلك . فلما دخلت الى رأيتها عوراء عرجاء مشوهة ، وكانت لحبيتها لى تمعنی من الخروج فاقعد حفظا لقلبه او لا اظهر لها من البعض شيئاً وكأنی على جمر الغضا من بغضها . فبقيت هكذا خمس عشرة سنة حتى ماتت فمامن عمل شیء هوارجی عندي من حفظی قلبه . قالت له : فهذا عمل الرجال . واى شیء ينفع ضجيج المبتلى بالتضجر باظهار البعض : وانما طریقه ماذ کرته لك من التوبة والصبر وسؤال الفرج . وتذکر ذنو با كانت هذه عقوبها . وبالغ فان وقع فرج في الحساب ، والا فاستعمال الصبر على القضاء عبادة ، وتكلف اظهار المودة لها وان لم يكن في قلبك ثبت على هذا ، وليس القيد ذنب فيلام ، انما ينبغي التشاغل مع من قيده والسلام :

٢٩٨ - فصل - لاریب ان القلب المؤمن بالله سبحانه و بأوامره يحتاج الى الانكaf على ذكره وطاعته وامتثال اوامره وهذا يفتقر الى جمع الهم ، وكفى بما وضع في الطبع من المنازعه الى الشهوات مشتتا للهم المجتمع . فينبغي للانسان ان يجتهد في جمع همه لينفرد به بذكر الله سبحانه وتهالى واوامره والتھیء للقاءه . وذلك انما يحصل بقطع القواطع والامتناع عن الشواغل . وما يمكن قطع القواطع جملة ، فينبغي ان يقطع ما يمكن . وما رأيت مشتتا للهم مبددا للقلب مثل شيئاً : احدهما ان تطاع النفس في طلب كل شيء تشهيه وذلك لا يوقف على حد فيه ، فيذهب الدين والدنيا ولا ينال كل المراد ، مثل ان تكون الهمة في المستحسنات

اوفي جمع المال او في طلب الرئاسة وما يشبه هذه الاشياء . فيما له من شتات لا جامع له ، يذهب العمر ولا ينال بعض المراد . والثاني مخالطة الناس خصوصاً العوام والمشي في الأسواق ، فان الطبع يتغاضى بالشهوات وينسى الرحيل عن الدنيا ، ويحب السكسل عن الطاعة والبطالة والغفلة والراحة . فيشقى على من الف مخالطة الناس التشاغل بالعلم او بالعبادة . ولا يزال يخالطهم حتى تهون عليه الغيبة وتضيع الساعات في غير شيء . فمن أراد اجتماع همه فعليه بالعزلة بحيث لا يسمع صوت احد ، فحينئذ يخلو القلب بمعارفه ولا تجد النفس رفيقاً مثيل لها يذكرها ما شاهد ، فاذا اضطر الى المخالطة كان على وفاق كاتهوى الضفدع لحظة ثم تعود الى الماء فهذه طريق السلام ، فتأمل فوائدها تطب لك :

٢٩٩ - فصل — مرأة عيني مصيبة نزلت بالخلق اعظم من سببهم للزمان وعيتهم للدهر . وقد كان هذا في الجاهلية . ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر . ومعناه انتم تسبون من فرق شملكم وامات اهاليكم ، وتنسبونه الى الدهر ، والله تعالى هو الفاعل لذلك فتعجبت كيف علم اهل الاسقام بهذه الحال وهم على ما كان اهل الجاهلية عليه ما يتغبون حتى ربما اجتمع الفطنة الادباء الظراف على زعمهم فلم يكن لهم شغل الاذم الدهر . وربما جعلوا الله الدنيا ويقولون فعلت وصنعت حتى رأيت لأبي القاسم الحريسي يقول :

وَمَا تَعَمِّي الدَّهْرُ وَهُوَ بُوْرَدِيٌّ
عَنِ الرَّشْدِ فِي الْحَمَّانَهِ وَمَقَاصِدِهِ
تَعَامِيْتُ حَتَّى قِيلَ أَنِّي أَخْوَ عَمِيْ
وَلَاغَرُوا إِنْ يَحْمِدُو الْفَقِيْهُ حَذْوَوَالَّدِهِ
وَقَدْ رَأَيْتُ خَلْقًا يَعْقِدُونَ إِنْهُمْ فَقَهَاءُ وَفَهَمَاءُ وَيَتَحَشَّوْنَ مِنْ هَذَا

وهو لا انت ارادوا بالدهر مرور الزمان ، فذاك لا اختيار له ولا مراد ولا يعرف
دشدا من ضلال ، ولا ينبغي ان يلام ، فانه زمان مدبر لامد برفية صرف فيه
ولا يتصرف . وما يظن بعاقل انه يشير الى ان المذموم المعرض عن الرشد السيء
الحكم هو الزمان . فلم يبق الا ان القوم خرجوا عن ربيعة الاسلام ، ونسبوا
هذه القبائح الى الصانع ، فاعتقدوا فيه قصور الحكمة وفعل مala يصح ، كما اعتقدوا
ابليس في تفضيل آدم . وهو لا ينفعهم مع هذا اعتقاد الاسلام ، ولا فعل صلاة .
بل هم شر من الكفار ، لأن اصلاح لهم شأننا ولا هداهم الى رشاد .

٣٠٠ - فصل - من عجائب ما دار في من نفسي ومن اخلق كلهم الميل
إلى الغفلة عمما في ايدينا مع العلم بقصر العمر ، وان زيادة الثواب هناك يقدر
العمل هه هنا . فيما قصير العمر اغتنم يومي مني ، وانتظر ساعة النفر وياك تشغله
قلبك بغير ما خلق له ، واحمل نفسك على المر واقعها اذا أبت ، ولا تسروح
لها في الطول ، فما انت الا في مرعى ، وقبح من كان بين الصفيين اذا تشغل
بغير ما هو فيه .

٣٠١ - فصل - قد كررت هذا المعنى في هذا الكتاب . وهو الامر
بحفظ السر والحدى من الانبساط فيما لا يصلح بين يدي الناس . فرب من ينسط
بين يدي من يظنه صديقا بقول في صديق او في سلطان انه لا يفهم في ذلك ،
فيكون سبب هلاك ذاك . فأوصي السليم الصدر الذي يظن في الناس الخير
ان يحتذر من الناس ، وان لا يقول في اخلق كلة لا تصلح للخلق . ولا يغتر
بن يظهر الصدقة او التدين فقد عم الخبث .

٣٠٢ - فصل - تاملت على اكثرا الناس عبادتهم فاذاهى عادات . فاما
أرباب اليقظة فعادتهم عبادة حقيقة . فان الغافل يقول سبحانه الله عادة والمتعاظم

لأيصال فكره في عجائب الخلق أو في عظمة الخالق ، فيحرر كه الفكر في ذلك فيقول : سبحان الله . ولو ان انسانا تفكرا في دمانه فنظر في تصفيف جهها وحفظه بالاغشية لئلا يتضليل ، واقامة الماء على عظم العجم ، وجعل الغشاء عليه يحفظه . وتصویر الفرج في بطنه البيضاء ، والآدمي في حشا الأم ، إلى غير ذلك من الخلق ، ازعجه هذا الفكر الى تعظيم الخالق . فقال : سبحان الله ، وكان هذا التسبيح ثمرة الفكر . فهذا تسبيح المية ظين . وما تزال افكارهم تتحول فتفعل عبادا لهم بالتسبيحات محققة . وكذلك يتذكر وذنوب قبائح ذنوب قد تقدمت فيوجب ذلك الفكر حبا للباطن وفراق القلب وندم النفس فيشعر ذلك أن يقول قائل لهم : استغفر الله ، فهذا هو التسبيح والاستغفار . فاما الغافلون فيقولون ذلك عادة وشتان ما بين الفريقين .

٣٠٣ - فصل - لا يصلح المعبد والتزهد والاشتغال بالآخرة إلا بالانقطاع الشكلي عن الخلق ، بحيث لا يبصرهم ولا يسمع كلامهم الا في وقت ضرورة كصلاة الجمعة أو جماعة . ويختبر في تلك الساعات منهم . وإن كان عالما يريد نفعهم وعدهم وقتا معروفا واحتذر في الكلام . وأما من يعشى في الأسواق اليوم ويبيع ويشرى مع هذا العالم المظلم ، ويرى المنكرات والمستحبنات فما يعود إلى البيت إلا وقد اظلم القلب . فلا ينبغي لمريدان يكون خروجه إلا إلى الصحراء والمقابر . وقد كان جماعة من السلف يدعون ويشربون ويختبرون ومع هذا ما صفت لصاففهم وقت حتى قاطع الخلق . قال أبو الدرداء : زوات العبادة والتجارة فلم يجتمعوا فاخترت العبادة . وقد جاء في الحديث : الأسواق تلهى وتلغى . فمن قدر على الجماعة النافحة واضططر إلى الحالطة والكسب للعائدة ، فيختبر احترازاً الماشي في الشوك . وبعيد سلامته

٤٣٠ - فصل - من رزق قلبا طيبا ولذة مناجاة فليراع حاله
وليهترزمن التغيير وانما تدوم له حاله بدوام التقوى . وكنت قد رزقت قلبا
طيبا ومناجاة خلوة فأحضرني بعض ارباب المناصب الى طعامه ، فـأـمـكـنـ
خلافه . فـفـنـادـلـتـ وـاـكـلـتـ مـنـهـ فـلـقـيـتـ الشـدائـدـ ، وـرـأـيـتـ العـقوـبـةـ فيـ الـحـالـ ،
واستقرت مدة ، وغضبت على قلبي ، وفقدت كل ما كنت اجده . فقلت : واعجبا
كـنـتـ فـهـذـاـ كـالـكـرـهـ ، فـفـكـرـتـ وـاـذـاـ بـهـ قـدـ يـكـنـ مـدـارـةـ الـاـمـرـ بـلـقـيـاتـ
يسـيـرـةـ ، وـاـنـاـ التـأـوـيلـ تـنـاوـلـ بـشـهـوـةـ اـكـثـرـ مـاـ يـدـفعـ المـدارـاـ . فـقـالـتـ النـفـسـ :
وـمـنـ اـيـنـ لـىـ اـنـ عـيـنـ هـذـاـ حـرـامـ . فـقـالـتـ الـيـقـظـةـ : وـاـيـ الـورـعـ عنـ الشـبـهـاتـ .
فـلـمـ تـنـاوـلـ بـالتـأـوـيلـ لـقـمـةـ اـسـتـجـابـتـهاـ بـالـطـبـعـ فـلـقـدـ لـقـيـتـ الـاـمـرـ بـفـقـدـ القـابـ
فـاعـتـبـرـوـاـ يـأـوـلـ الـاـبـصـارـ .

٣٥٠ - فصل - هـمـةـ الـمـؤـمـنـ مـتـعـلـقـةـ بـالـآـخـرـةـ . فـكـلـ مـاـ فـيـ الدـنـيـاـ يـحـرـكـهـ إـلـىـ
ذـكـرـ الـآـخـرـةـ . وـكـلـ مـنـ شـغـلـهـ شـىـءـ فـهـمـتـهـ شـغـلـهـ ؛ الـأـتـرـىـ أـنـهـ لـوـ دـخـلـ اـدـبـ الـصـنـاعـ
إـلـىـ دـارـ مـعـمـورـةـ رـأـيـتـ الـبـزـازـ يـنـظـرـ إـلـىـ الـفـرـشـ وـيـحـزـرـ قـيـمـتـهـ ، وـالـنـجـارـ إـلـىـ
الـسـقـفـ وـالـبـنـاـ إـلـىـ الـحـيـطـانـ وـالـحـائـنـ إـلـىـ نـسـجـ النـيـابـ . وـالـمـؤـمـنـ إـذـارـأـيـ ظـلـمـةـ
ذـكـرـ ظـلـمـةـ الـقـبـرـ . وـاـنـ رـأـيـ مـؤـلـماـ ذـكـرـ الـعـقـابـ . وـاـنـ سـمـ صـوتـاـ فـظـيـعاـ ذـكـرـ
نـفـخـةـ الصـورـ . وـاـنـ رـأـيـ النـاسـ نـيـاماـ ذـكـرـ الـمـوـيـ فـيـ الـقـبـورـ . وـاـنـ رـأـيـ لـذـذـ ذـكـرـ
الـجـنـةـ فـهـمـتـهـ مـتـعـلـقـةـ بـعـامـ : وـذـلـكـ يـشـغـلـهـ عـنـ كـلـ مـاتـمـ : وـاعـظـ مـاعـنـدـهـ اـنـهـ يـتـخـاـيلـ
دوـامـ الـبـقـاـ فـيـ الـجـنـةـ ، وـاـنـ بـقاـهـ لـاـ يـنـقـطـعـ وـلـاـ يـزـوـلـ وـلـاـ يـعـتـرـيهـ نـفـصـهـ ؛ فـيـكـادـ
اـذـاـ تـخـاـيلـ نـفـصـهـ مـتـقـلـبـاـ فـيـ تـلـكـ الـلـذـاتـ الدـائـمـةـ الـتـيـ لـاـ تـغـنـىـ يـطـيـشـ فـرـحـ اوـسـهـلـ
عـلـيـهـ مـاـ فـيـ الـطـرـيقـ اـلـيـهـ مـنـ الـمـ وـرـضـ وـابـلـاءـ وـفـقـدـ مـحـبـ وـهـجـومـ الـمـوـتـ
وـمـعـالـجـةـ غـصـصـهـ ، فـاـنـ الـمـشـتـاقـ اـلـيـ الـكـعـبـةـ يـهـوـنـ عـلـيـهـ دـمـلـ زـدـودـ ، وـالـتـائـقـ

إلى العافية لا يمالي بعراة الدواء ، ويعلم أن جودة الشمر ثم على مقدار
جودة البدر هنـا فهو يتغير الأجوـد ، ويغتـمـزـ الزـرعـ في تـشـرـينـ العـمـرـ منـ
غـيرـ فـتـورـ . ثمـ يـتـخـاـيـلـ المؤـمنـ دـخـولـ النـارـ وـالـمـقـوـبـةـ فـيـتـنـغـصـ عـيـشـهـ وـيـقـوـىـ
قـلـقـهـ ، فـعـنـدـهـ بـالـحـالـيـنـ شـغـلـ عـنـ الـدـنـيـاـ وـمـاـفـيهـاـ ، فـقـابـهـ هـائـمـ فـيـ يـدـاءـ الشـوـقـ تـارـةـ
وـفـيـ صـحـراءـ الـخـوـفـ أـخـرـيـ ، فـأـيـرـىـ الـبـنـيـانـ ، فـإـذـاـ نـازـلـهـ الـمـوـتـ قـوـىـ ظـنـهـ الـمـلـائـكـةـ
بـالـسـلـامـةـ ، وـرـجـىـ لـنـفـسـهـ الـنـجـاةـ فـيـهـونـ عـلـيـهـ : فـإـذـاـ نـزـلـ إـلـىـ الـقـبـرـ وـجـاءـهـ
يـسـأـلـونـهـ ، قـالـ بـعـضـهـمـ بـعـضـ : دـعـوهـ مـاـسـتـرـاحـ الـاسـاعـةـ . نـسـأـلـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ
يـقـظـةـ تـامـةـ تـحـرـكـناـ إـلـىـ طـلـبـ الـفـضـائـلـ ، وـتـمـعـنـاـ مـنـ اـخـتـيـارـ الرـذـائـلـ ، فـاـنـهـ اـنـ
وـفـقـ ، وـالـافـلـانـافـ :

٣٠٩ - فصل - لقد اعتبرت على مولاي سبحانه وتعالى أمرا
عجبـياـ وـهـوـأـنـهـ تعـالـىـ لـاـيـخـتـارـ لـحـبـتـهـ وـالـقـرـبـ مـنـهـ إـلـاـ الـكـامـلـ صـورـةـ وـمـعـنـىـ .
وـلـسـتـ أـعـنـ حـسـنـ التـخـاطـيـطـ وـإـنـماـ كـالـصـورـةـ اـعـتـدـاهـاـ ، وـالـمـعـتـدـلـةـ
مـاـنـخـلـوـ مـنـ حـسـنـ ، فـتـتـبعـهـ حـسـنـ الصـورـةـ الـبـاطـنـةـ ، وـهـوـ كـالـأـخـلـاقـ
وـزـوـالـ الـأـكـدـارـ ، وـلـاـيـرـىـ فـيـ باـطـنـهـ خـبـثـاـ وـلـاـكـدـرـاـ ، بلـ قـدـ حـسـنـ باـطـنـهـ كـاـ
حـسـنـ ظـاـهـرـهـ . وـقـدـ كـانـ مـوـسـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ كـلـ مـنـ رـآـهـ يـحـبـهـ . وـكـانـ نـبـيـنـاـ
صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ كـالـقـمـرـ لـيـلـةـ الـبـدرـ . وـقـدـ يـكـوـنـ الـوـلـىـ أـسـوـدـ الـلـوـنـ ،
لـكـنـهـ حـسـنـ الصـورـةـ لـطـيفـ الـمـعـانـىـ . فـعـلـىـ قـدـرـ ماـعـنـدـ الـأـنـسـانـ مـنـ التـنـامـ فـيـ
كـالـخـلـقـ وـالـخـلـقـ ، يـكـوـنـ عـمـلـهـ ، وـيـكـوـنـ تـقـرـيـبـهـ إـلـىـ الـحـضـرـةـ بـحـسـبـ
ذـلـكـ . فـنـهـمـ كـاخـادـمـ عـلـىـ الـبـابـ . وـمـنـهـمـ حـاجـبـ ، وـمـنـهـمـ مـقـرـبـ . وـيـنـدـرـ مـنـ
يـتـمـ لـهـ الـكـيـالـ . وـلـعـلـهـ لـاـيـوـجـدـ فـيـ مـائـةـ سـنـةـ مـنـهـمـ غـيرـ وـاحـدـ . وـهـذـهـ حـكـاـيـةـ
مـاـنـحـصـلـ بـالـاجـتـهـادـ . بلـ الـاجـتـهـادـ يـحـصـلـ مـنـهـاـ . لـاـنـهـ اـذـاـ وـقـعـ تـعـامـ حـتـ

على الجد على قدر تقضيأه . وهذا لا حيلة في أصله ، إنما هو جبلة . و اذا أرادك
لأمر هيأتك له .

٣٠٧ - فصل - تأملت على قوم يدعون العقول معتبرين على حكمه الخالق . فينبغي ان يقال لهم هذا الفهم الذي دلكم على رد حكمته ليس هو من منحه : فأعطيكم الكمال و درى لنفسه بالنقض : هذا هو الكفر الحض الذي يزيد في القبح على المجد . فاول القوم ابليس ، فإنه رأى بعقله أن جوهر النار أشرف من جوهر الطين فرد حكمه الخالق ، ومر على هذا خلق كثير من المعرضين ، مثل ابن الرواندي والبصري وهذا المعري اللعين يقول : كيف يعاب ابن الحجاج بالسخف والدهر اصبح فعلا منه : أترى يعني به الزمان : كلا . فان عمر الاوقات لا يفعل شيئا وإنما هو تسقيف . وكان يستعجل الموت ظنا منه انه يسرىح . و كان يوصى بترك النكاح والنسل . ولا يرى في الاجداد حكمه الا العناء والتعب ومصير الا بدان الى البلا . وهذا لو كان كما ظن كان الاجداد عبئنا ، والحق منزه عن العبث . قال تعالى « وما خلقنا السموات والارض وما ينفهم باطلاقا » فإذا كان ما خلق لنا لم يخلق عينا . أفنكون نحن ونحن مواطن معرفته ومحال تكليفيه قد وجدنا عينا . ومثل هذا الجهل إنما يصدر من ينظر في قضيائنا العقول التي يحكم بها على الظواهر ، مثل ان يرى مبنيا ينقض ، والعقل ب مجرد لا يرى ذلك حكمة ولو كشفت له حكمه ذلك لعلم انه صواب . كما كشف لموسى مراد الخضر في خرق السفينة وقتل الغلام . و معلوم ان ذبح الحيوان و تقطيع الرغيف ومضغ الطعام لا يظهر له فائدة سوى الاطلاق . فإذا علم انه غذاء لبدن من هو اشرف بدننا من المذبوح حسن ذلك الفعل . واعجبا أو ماتقتضى

العقل بوجوب طاعة الحكيم الذي يعجز عن معرفة حكم مخلوقاته . فكيف يعارضه في افعاله ، نعوذ بالله من الخذلان .

٣٠٨ - فصل - ينبغي لمن وعظ سلطاناً أن يبالغ في التلطف ولا يواجهه بما يقتضي أنه ظالم ، فإن السلاطين حظهم التفرد بالقهر والغلبة فإذا جرى نوع توبيخ لهم كان اذلاً لهم لا يحتملون ذلك . وإنما ينبغي أن يمزج وعظه بذكر شرف الولاية ، وحصول الثواب في رعاية الرعايا ، وذكر سير العادلين من أسلافهم ثم لينظر الواعظ في حال الموعظ قبل وعظه : فإن كانت سيرته حميدة كما كان منصور بن عمار وغيره يعظون الرشيد وهو يبكي . وقصده الخير زاد في وعظه ووصيته . وإن رأى ظالماً لا يلتفت إلى الخير ، وقد غلب عليه الجهل ، اجهد في أن لا يراه ولا يعظه ، لأنه إن وعظه خاطر بنفسه ، وإن مدحه كان مداهنا ، فإن اضطر إلى موعظه كانت كالإشارة . وقد كان أقوام من السلاطين يلعنون عند الموعظة ويحتملون الواعظين . حتى أنه قد كان المنصور يواجه بملك ظالم فيصبر . وقد تغير الزمان . وفسد أكثر الولاية وداهنهم العلماء ، ومن لا يداهن لا يجد قبولاً للصواب فيسكن . وقد كانت الولايات لا يسألها الأمان أحكمتها العلوم ، ونفقة التجارب ، فكان أكثر الولاية يتساورون في الجهل فتاتي الولاية على من ليس من أهلها . ومثل هؤلاء ينبغي الحذر منهم والبعد عنهم . فمن ابتلى بوعظمهم فليكن على غاية التحرز فيما يقول ولا ينبغي أن يفتر بقولهم ظناً فإنه لو قال كلمة لا توافق أغراضهم ثارت حراياتهم . ولتحذر من ذكر السلطان أن يعرض له بار باب الولايات فانهم إذا سمعوا بذلك صار الواعظ مقصوداً لهم بالآهالك خوفاً من أن يعتبر السلطان أحوالهم فتفسد أمورهم . والبعد في هذا الزمان عنهم

اصلح، والسكوت عن المواعظ لهم أسلم، فلن اضطر تلطف غاية التلطف،
وجعل وعظه للعوام وهم يسمعون ولا يعنهم منه بشيء والله الموفق.

٣٠٩ - فصل - الحق لا يشتبه بباطل إنما يوه الباطل عند من
لا فهم له وهذا في حق من يدعى النبوات، وفي حق من يدعى الكرامات.
اما النبوات فإنه قد ادعها خلق كثير ظهرت قبائحهم، وبانت فضائحهم.
ومنها ما يوجبه خسنة الهمة والتهتك في الشهوات، والتهافت في الأقوال
والاعمال حتى اف逞حوا . فمهمهم الاسود العنسي ، ادعى النبوة ولقب
نفسه ذا الحمار لانه كان يقول ياتيني ذو الحمار ، وكان اول امره كاهنا يشعوذ
فيظهر الاعاجيب . فخرج في اواخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم فكانت به
مزحوج وواعد وبحران واخرجوا عمرو بن حزم وخالد بن سعيد صاحبي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفاته اليمن ، وقاتل شهر بن بادام فقتله
وتروج بنته فاعانت على قتله فهلك في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وبان للعقلاء انه كان يشعبد . ومنهم ميسيلمة، ادعى النبوة وتسنم رحمي الميامة
لانه كان يقول : الذى يأتيني رحـان . فـا من برسـول الله صلى الله عليه وسلم
وادعـى انه قد اـشرـكـ معـه . فالـعـجـبـ انه يـؤـمنـ بـرسـولـ ويـقـولـ انهـ كـذـابـ . ثـمـ
 جاء بـقـرـآـنـ يـصـحـلـكـ النـاسـ ، مـثـلـ قولـهـ: يـاضـفـدـعـ بـنـتـ ضـفـدـعـينـ تـنـقـيـ
ماـتـنـقـيـزـ ، اـعـلـاكـ فيـ المـاءـ وـاـسـفـلـكـ فيـ الطـيـنـ ، وـمـنـ العـجـابـ شـاةـ سـوـدـاءـ تـحـلـبـ
لـبـنـاـ أـيـضـ فـاـهـتـكـ سـتـرـهـ فيـ هـذـهـ الفـصـاحـةـ . ثـمـ مـسـحـ يـيدـهـ عـلـىـ رـأـسـ صـبـيـ
فـذـهـبـ شـعـرـهـ: وـبـصـقـ فـيـ بـثـرـفـيـسـتـ وـتـرـوجـ سـجـاجـ التـيـ اـدـعـتـ النـبـوـةـ .
فـقـالـواـ: لـاـ بـدـلـهـاـ مـهـرـهاـ اـنـيـ قـدـ اـسـقطـتـ عـنـكـ صـلـادـةـ الـفـجـرـ وـالـعـقـمـةـ .
وـكـانـتـ هـذـهـ سـجـاجـ قـدـ اـدـعـتـ النـبـوـةـ بـعـدـ مـوـتـ رـسـولـ اللهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ

وسلم . فاستجيب لها جماعة . فقالت : اعدوا الركاب ، واستعدوا اللثاب ، ثم اعبروا على الباب ، فيليس دونهم حجاب ، فقال لهم . ثم قصدت التمامة فهاها مسييامة فراسلها وأهدي لها فحضرت عنده فقالت : اقرأ على ما تأريك به جبريل فقال : انك من عشر النساء خلقهن افواجا ، وجعلتن لنا ازواجا ، نوجه في يكن ايلاجا . فقالت : صدقت انتنبي . فقال لها : قومي الى المخدع ، فقد هي لك المضيوع ، فان شئت مستلقاة وان شئت على اربع ، وان شئت بشليه وان شئت به اجمع . فقالت : بل به اجمع فهو للشمل اجمع . فافتضحت عند العقلاء من اصحابها ، فقال منهم عطارد بن حاجب :

اضحت نبيتنا ائي يطاف بها واصبحت انباء الناس ذكرانا
 فلعنة الله رب الناس كلهم على سجاح ومن بالافك اغوانا
 اعني مسييامة الكذاب لاسقيت اصداؤه من دعيث حينما كانا
 ثم انها رجعت عن غيها وأسلمت ، وما زالت تبين فضائح مسييامة حتى قتل
 ومنهم طليحة بن خوبيل ، خرج بعد دعوى مسييامة النبوة وتبعه عوام
 ونزل سميرا ، فتسمى بذى النون ، يقول : ان الذى يأبه يقال له ذو النون ،
 وكان من كلامه : ان الله لا يصنع بتفريح وجهكم ولا فرح ادبادكم شيئا
 فاذكروا الله اعفة قياما . ومن قرآن : والحرام واليمام والصرد الصوام لم يبلغن
 ملائكتنا العراق والشام . وتبعه عيينة بن حصين ، فقال له خالد بن
 عيينة فجاء عيينة الى طليحة فقال : ويحك أجزاءك الملك . قال لا فارجع
 فقال فقاتل ثم عاد ، فقال أجزاءك . فقال لا فعاد فقال أجزاءك
 قال نعم قال ما قال لك قال : ان لك جيشا لاتنساه ، فصاح عيينة الرجل والله
 كذاب . فانصرف الناس منهزمين وهرب طليحة الى الشام . ثم اسلم وصح

اسلامه وقتل بنياوند . وذكر الواقدى : ان دجلا من بنى يربوع يقال له
 جندب بن كلثوم ، كان يلقب كردا نادى النبوة على عهد رسول الله صلى
 الله عليه وسلم . وكان يزعم ان دليله على نبوته انه يسرج مسامير الحديد
 والطين . وهذا لانه كان يطلى ذلك بدهن البيلسان فتعميل فيه النار . وقد تنبأ
 دجل يقال له كهمش الكلابي ، وكان يزعم ان الله تعالى اوحى اليه : يا ابا الجائم
 اشرب لينا تسبع ، ولا تضرب الذى لا ينفع ، فانه ليس بقمعن . و Zum ان دليله
 على نبوته انه يطرح بين السبع الضاربة فلا تأكله . وحياته في ذلك انه يأخذ
 دهن الغار وحجر البرسان وقنفدا محرقا وزيد البحر وصدفا محرقا مسحوقا
 وشيئا من الصبر والحبط فيطلى به جسمه ، فإذا قربت منه السبع فتشمت
 تلك الاذياح وزفورتها نفرت ، وتنبأ بالطريف رجل يقال له ابو جموانة
 العامرى ، و Zum ان دليله انه يطرح النادى القطن فلا يحترق . وهذا لانه يدهنه
 بدهن معروف . ومنهم هذيل بن يعقوب من بنى سعد بن زهير ، حكى عنه
 الاصمى انه عارض سورة الاخلاص فقال : قل هو الله أحد الله كالاسد
 جالس على الرصدة لا يفوته أحد . ومنهم هذيل بن واسع كان يزعم انه من
 ولد النابغة النبىاني ، عارض سورة الكوثر فقال له رجل ماقلت فقال : أنا أعطيناك
 الجواهر ، ففصل لربك وجاهر ، فما يردنك الاكل فاجر ، فظهر عليه السنوى
 فقتله وصلبه على العمود ، فعبر عليه الرجل فقال : أنا أعطيناك العمود ، ففصل
 لربك من قعود ، بلا دكوع ولا سجود ، فما اراك تعود . ومن ظهر فادعى انه
 يوحى اليه المختار بن ابي عبيد ، وكان متخفطا في دعواه ، وقتل خلقا كثيرا و كان
 يزعم انه ينصر الحسين رضوان الله عليه ثم قتل . ومنهم حنظلة بن يزيد
 الكوفي ، كان يزعم ان دليله انه يدخل البيضة في القنيينة ويخرجها منها صحيحة .

وذاك انه كان ينفع البيضة في الخل الحامض فيلين قشرها ثم يصب ماء في قنية، ثم يدس البيضة فيها، فإذا لقيت الماء صلبت. وقد تنبأ أقوام قبل نبينا صلي الله عليه وسلم بزاد شت مانى، وافتضوا ومامن المدعين الامن خذل. وقد جاءت القراءة بحيل عجيبة. وقد ذكرت جهودهؤلاء وحيلهم في كتابي التاريخ المسمى بالمنتظم. وما فيهم من يتم له أمر الا ويفتضـح . ولـليل صحة نبوة نبينا صلي الله عليه وسلم اجلـامـنـ الشـمـسـ . فـانـهـ ظـهـرـ فـقـيرـاـ وـالـخـلـقـ أـعـدـاؤـهـ فـوـعـدـ بـالـمـلـكـ فـلـكـ . وـاـخـبـرـ بـمـاـ سـيـكـونـ فـكـانـ . وـصـيـنـ منـ زـمـنـ النـبـوـةـ عـنـ الشـرـهـ وـخـسـاسـهـ الـهـمـةـ وـالـكـذـبـ وـالـكـبـرـ . وـأـيـدـ بـالـثـقـةـ وـالـاـمـانـةـ وـالـزـاهـةـ وـالـعـفـةـ . وـظـهـرـتـ مـعـجـزـاتـهـ لـبـعـيدـ وـالـقـرـيبـ . وـاـنـزـلـ عـلـيـهـ الـكـتـابـ الـعـزـيزـ الـذـىـ حـارـتـ فـيـهـ عـقـولـ الـفـصـحـاءـ ، وـلـمـ يـقـدـرـوـاـ عـلـىـ الـاـتـيـانـ بـآـيـةـ تـشـبـهـهـ فـضـلـاـ عـنـ سـوـرـةـ . وـقـدـ قـالـ قـائـلـهـمـ وـافـتـضـحـ . ثـمـ أـخـبـرـ اـنـهـ لـاـ يـعـارـضـ فـيـهـ فـكـانـ كـاـقـالـ . وـذـلـكـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ «ـفـأـتـوـاـ بـسـوـرـةـ»ـ . ثـمـ قـالـ «ـفـإـنـ لـمـ تـفـعـلـوـاـ وـلـنـ تـفـعـلـوـاـ»ـ . وـكـذـلـكـ قـوـلـهـ «ـفـتـمـنـوـاـ الـمـوـتـ وـلـنـ يـتـمـنـوـهـ»ـ فـاتـنـاهـ أـحـدـاـذـ لـوـ قالـ قـائـلـ قـدـ تـمـنـيـتـهـ لـبـطـلـاتـ دـعـواـهـ . وـكـانـ يـقـولـ لـيـلـةـ غـزـةـ بـدـرـ: غـداـ مـصـرـ فـلـانـ هـنـاـ فـلـاـ يـتـعـدـاهـ . وـقـالـ: إـذـاـ هـلـكـ كـسـرـىـ فـلـاـ كـسـرـىـ بـعـدـهـ . وـاـذـ هـلـكـ قـيـصـرـ فـلـاـ قـيـصـرـ بـعـدـهـ . فـاـمـلـكـ بـعـدـهـاـ مـنـ لـهـ كـبـيرـ قـدـرـ، وـلـاـ مـنـ استـبـ لـهـ حـالـ . وـمـنـ اـعـظـمـ دـلـيلـ عـلـىـ صـدـقـهـ اـنـهـ لـمـ يـرـدـ الدـنـيـاـ فـكـانـ يـبـيـتـ جـائـعـاءـ وـيـؤـثـرـ اـذـاـ وـجـدـ، وـيـلـبـسـ الصـوـفـ وـيـقـومـ الـلـيـلـ . وـاـنـماـ تـطـلـبـ الـنـوـامـيـسـ لـاجـتـلـابـ الشـهـوـاتـ ، فـلـمـ يـرـدـهـاـ دـلـ علىـ اـنـهـ يـدـلـ عـلـىـ الـآـخـرـةـ الـتـىـ هـىـ حـقـ . ثـمـ لـمـ يـرـلـ دـيـنـهـ يـعـلـوـ حـتـىـ عـمـ الدـنـيـاـ . وـاـنـ كـانـ الـكـفـرـ فـيـ زـوـاـيـاـ الـأـرـضـ اـنـهـ مـخـذـولـ . وـصـارـ فـيـ تـابـعـيـهـ مـنـ اـمـتـهـ الـفـقـهـاءـ الـذـينـ لـوـ سـمـعـ كـلـمـهـمـ الـأـنـيـاءـ

القدماء تحرروا في حسن استخراجهم ، والزهد الذين لو رأهم الرهبان
 تحرروا في صدق زهدهم . والقطناء الذين لا نظير لهم في القدماء . أو ليس قوم
 موسى يعبدون بقرة ، ويتوقفون في ذبح بقرة ، ويعبرون البحر ، ثم يقولون :
 أجعل لنا إلهنا . وقوم عيسى يدخلون من المائدة وقد نهوا . والمعتدون في
 السبب يعصون الله لأجل الحيتان . وامتنا بحمد الله تعالى سليمة من هذه
 الأشياء ، وإنما في بعضها ميل إلى الشهوات المنهى عنها . وذلك من الفروع
 لافي الأصول . فإذا ذكروا بكل وندموا على تفريطهم . فنحمد الله على هذا
 الدين وعلى انتقام أمة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد كان جماعة
 من المتصنيفين بالزهد مالوا إلى طلب الدنيا والرئاسة . فاستغوا هم الهوى
 فخرقوا باظهار ما يشبه الكرامات كالحلاج وابن الشاش وغيرهما من ذكرت
 حال تلبيسه في كتاب تلبيس أبيليس . وإنما فعلوا ذلك لاختلاف أغرائهم .
 ولم ينزل الله ينشيء في هذا الدين من الفقهاء من يظهر مастره المتعامون ،
 كما ينشئ عن علماء الحديث من يهتك ما أخفاه الواضعون ، حفظاً لهذا
 الدين ، ودفعاً للشبهات عنه . فلا يزال الفقيه والمحدث يظهر أن عوار كل
 ملبس بوضع حديث أو باظهار دعوى تزهد وتنميس فلا يؤثر ما ادع به .
 إلا عند جاهل بعيد عن العلم والعمل «لتحق الحق ويبطل الباطل ولو
 كره الكافرون .

٣١٠ - فصل - واعجبا من موجود لا يفهم معنى الوجود ،
 فإن فهم لم يعلم بمقتضى فهمه ، يعلم أن العمر قصير ، وهو يضيّعه بالنوم
 والبطالة والحديث الفارغ وطلب اللذات . وإنما أيامه أيام عمل لازمان فراغ .
 وقد كلف بذلك المال بمخالفة الطبع من الشرع فيدخل به إلى أن تضائق

الخناق فيقول حينئذ : فرقوا عنى بعد موتي وافعلوا كذا ، فاين يقع هذا
لو فعل ، وبعيد أن يفعل ، وإنما يراد باتفاقك في صحتك مخالفة لطبع في
تكلف مشاق الالخاراج في زمن السلامة ، ففرق بين الحالتين ان كان لك
فهم . فالسعيد من انتبه بنفسه وعمل بمحنة عقله ، واغتنم زمان نهايته الزمان
وانهاب عمرا يقرب انقطاعه . ويحك ما تصنع بادخار مال لا يؤثر حسنة
في صحيحه ولا مكرمه في تاريخ . اما سمعت باتفاق ابي بكر ونخل ثعلبة ؟ اما
رأيت تأثير مدح حاتم ونخل الحباجب ؟ ويحك لوابطلاك في مالك لاستغشت
أو في بدنك ليلة بمرض اشகوت . فانت تستوفى مطلوباتك منه ، ولا
تستوفى حقه عليك «ويل للمطففين» ولتعلم أن هذا القدر المفترط فيه يحل
الخلود الدائم في ثواب العمل فيه . فسبحان من من على أقوام فهموا المراد فأتبعوا
الاجساد . وغطى على قلوب آخرين فوجودهم كالعدم . وكيف لا يتعب
العاقل بدنه اتعاب البدن والمقصود مني . أترى ما بال الحق متجليا في ايجادك
أيها العبد ! بلى . والله ان وجودك دليل وجوده . وان نعمه عليك دليل
وجوده . فكما قدمك على سائر الحيوانات ، فقدمه في قلبك على كل المطلوبات .
واخيبة من جهله ، وافقر من أعرض عنه ، واذل من أعزز بغيره ، واحسرة
من استغل بغير خدمته .

٣١١ - فصل - اني أعجب من عاقل يرى استيلاء الموت

على اقرانه و غير انه كيف يطيب عيشه ، خصوصا اذا علت سنـه . واعجبـا
لمن يرى الافاعى تدب اليـه وهو لا يزعـج . اما يرى الشـيخ دـيبـ الموت
في اـضـاءـاـءـاـ ، قد اخرج سـكـيزـ القـوىـ و اـنـزلـ مـقـعـشـرـمـ الضـعـفـ ، و قـلـبـ الاسـوـادـ
بـيـاضـاـ ، ثمـ فـكـلـ يـوـمـ يـزـيدـ النـاقـصـ . فـقـىـ نـظـرـ العـاقـلـ إـلـىـ نـفـسـهـ ماـ يـشـغـلـهـ

عن النظر الى خراب الدنيا وفرق الاخوان وان كان ذلك مزعجا . ولكن
شغل من احرق بيته بنقل ممتلكاته يلهي عن ذكر بيوت الجيران . وانه لما
يسلي عن الدنيا ويرون فراقها استبدال المعارف ثم تنكره^(١) فقدر اينا اغنياء
كانوا ظنون وفقراء كانوا يصبرون ، ومحاسبين لأنفسهم يتودعون فاستبدل
السفهاء عن العقلاء ، والبخلاء عن الكرماء . فيا سهولة الرحيل ، لعل النفس
تلقي من فقدت ، فتلحق بمن أحببت .

٣١٢ - فصل - نظرت في قول الله تعالى « ألم تر أن الله يسجد
له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والشجر
والدواب » ثم قال « وكثير من الناس » فرأيت الجمادات كلها قد وصفت
بالسجود ، واستثنى من العقلاء . فذكرت قول بعضهم : شعر
ما جيد الصامت من انشاء ومن ذوى النطق أنى الجحود
فقلت : ان هذه لقدرة عظيمة ، يوهب عقل الشخص ثم يسلب فائدته وان
هذا لا يقوى دليل على قادر قاهر ، والا فكيف يحسن من عاقل أن لا يعرف
بوجوده وجود من أو جده ، وكيف ينحيت صنها بيده ثم يعيده غير أن
الحق سبحانه وتعالي وهب لأقوام من العقل ما يثبت عليهم الحاجة ، واعمى
قلوهم كما شاء عن الحجة .

٣١٣ - فصل - ما رأيت أكثر أذى للمؤمن من مخالطة من
لا يصلح ، فان الطبع يسرق ، فان لم يتشبه بهم ولم يسرق منهم فتر عن
عمله . فان رؤية الدنيا تحث على طلبها . وقد رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم سترا على بابه فهتكه وقال : مالى وللدنيا . ولبس ثوباله طراز فرماد
وقال : شغلتني أعلامه . ولبس خاتما ثم دماه وقال : نظرت اليكم ونظرت

اليه . وكذلك رؤية أرباب الدنيا ودورهم واحوالهم ، خصوصاً ملئ نفوس
 تطلب الرفعة . وكذا سماع الأغاني ومخالطة الصوفية اليوم الذي لا نظر
 لهم في الرزق الحاصل ، بل لو كان من اين كان قبلوه ، ولا يتورعون ان
 يأخذوا من ظالم ، وليس عندهم خوف كا كان أوائلهم . فقد كان سرى
 السقطى يبكي طول الليل ، وكان يبالغ فى الورع ، ولا لهم تعبد الجنيد ،
 وانما ثم أكل ورقص وبطالة وسماع أغاني من المرادان ، حتى قال بعض من
 يعتبر قوله حضرت مع دجل كبير يوماً اليه من مشائخ الربط ومحنيهم
 امرد ، فقام الشيخ ونقطه بدينار على خده . وادعوا لهم ان سماع هذه الاشياء
 تدعوا الى الآخرة فوق الكذب . وليس العجب منهم ، انا العجب من
 جهال ينفقون عليهم فيما ينفقون عليهم . ولقد كان جماعة من القدماء يرون
 اوائل الصوفية يتبعدون ويتوارعون فيعجبهم حالتهم ، وهم معزورون
 في اعجابةهم ، وان كان اكثراً القوم في تعبدهم على غير الجادة ، كما ذكرت
 في كتاب المسمى بتلبيس ابليس . فاما اليوم فقد برح الخفاء . أحدهم يتعدد
 الى الظلمة ويأكل اموالهم ، ويصافحهم بقميص ليس فيه طراز ، وهذا هو
 التصوف فحسب . أو لا يستحيي من الله من زهد في رفع الآثار
 لاجل الخلائق لا لأجل الحق ، ولا يزهد في مطعم ولا في شبهة : فالبعد
 عن هؤلاء لازم . وينبغى للمنفرد لطاعة الله تعالى عن الخلق ان لا يخرج
 الى سوق جهده ، فان خرج ضرورة غض بصره . وان لا يزور صاحب
 منصب ولا يلقاه ، فان اضطر دارى الامر . ولا يخالط عامياً الا لضرورة
 مع التحرز . ولا يفتح على نفسه باب التزوج بل يقنع بأمرأة فيها دين
 فقد قال الشاعر :

والمرء ما دام ذا عين يقلّبها
في أعين العين موقوف على الخطر
يسر مقاته ما ضر مجته لا صرحا بسرور عاد بالضرر
فإن كان يغلب عليه العلم انفرد بدراسته، واحترز عن الآتى بالتعلمين.
وان غلبت عليه العبادة ، زاد في احترازه . وليجعل خلوته اينسه . والنظر
في سير السلف جليسه . ول يكن له وظيفة من زيارة قبور الصالحين
والخلوة بها . ولا ينبغي أن يفوته ورد قيام الایل ، ول يكن بعد النصف
الاول . فليطّل مهما قدر ، فإنه زمان بعيد المثل . ول يجعل رحيله عن قرب
ليقصر أمله . ول يتزود في الطريق على قدر طول السفر . نسأل الله عزوجل
يقظة من فضله . واقبالا على خدمته . وان لا يخذلنا بالالتفات عنه . انه
قريب محيب .

٣١٤ - فصل - كلما نظرت في تواصل النعم على تحيرت في
شكرها . وأعلم أن الشكر من النعم فكيف أشكر ، لكنني معترف بالتقدير .
وارجوا أن يكون اعترافي قاما ببعض الحقوق . وعندي خلة ارجوا
بها كل خير؛ وهي أن من يصوم أو يصلى يرى انه تعبد وينخدم كأنه
يقضى حق الخدوم . وانا أرى أنني اذا صلّيت ركتعتيز فانما قمت اكدى
فلنفسى اعمل ، اذ الخدوم غنى عن طاعتي . وكان بعض المشائخ يقول: جاء في
الحديث : الدعاء عبادة . وانا أقول : العبادة دعاء . فالعجب من يقف
للخدمة يسأل حظ نفسه ، كيف يرى أنه قد فعل شيئا . إنما أنت في
حاجتك . ومنه من أيقظك لاتقاومها خدمتك . فأنا أقول كما قال الأول :
يا متى الامال أنت كفلتني وحفظتني
وعدا الزمان على كي مجتها حنني فنعتني

فانقاد لى متختشعا لما رأك نصرتني
وكسوتني ثوب الغنا ومن المطالب صفتني
فاذ سكت بدأتنى وإذا سألت اجبتني
فاذ شكرتك زدتني ففتحتني وبهرتني
أو أن أُجد بالمال فا لأموال أنت أفردتني

٣١٥ - فصل - دأيت أكثر العلماء يتشاغلون بصورة العلم . فهم
الفقية التدريسيون الوعاظ . فهذا يراعي درسه فيفرح بكثرة من يسمعه ،
ويقبح في كلام من يخالفه ، ويضي زمانه في التفكير في المناقضات ، ليظهر
من يجادله ؛ وعینه إلى التصدر والارتفاع في المجالس . وربما كانت همته
جمع الخطام ، ومخاطلة السلاطين . والوعاظ همته ما يزوق به كلامه ويذكر
جممه ويجلب به قلوب الناس إلى تعظيمه ، فان كان له نظير في شغله أخذ
يطعن فيه . وهذه قلوب غافلة من الله عز وجل ، اذ لو كانت لها به معرفة
لاشتغلت به ، وكان انسها بإنجاته ، وايشارها لطاعاته ، واقبلاها على الخلوة به ،
لكنها لما خلت من هذا اشاغات الدنيا أو ذلك دنيا مثلاها . فاذاخت بخدمة الله تعالى
لم تجد لها طعم ، وكان جميع الناس أحبت إليها ، وزيارة الخلق لها آثر عندها .
وهذه عالمة الخزلان . وعلى ضد هذا مي كان العالم مقبلًا على الله سبحانه
مشغولا بطاعته ، كان أصعب الأشياء عنده إبقاءخلق ومحادثتهم ، وأحب
الأشياء إليه الخلوة . وكان عنده شغل عن القبح في النظر أو عن طلب
الرياسة ، فان ما علق به همته من الآخرة أعلا من ذلك . والنفس لا بد لها
ما تشاغل به . فمن اشتغل خلدة الخلق أعرض عن الحق ، فاما يربى
دياسته ، وذلك يوجب الاعراض عن الحق . وما جعل الله لرجل من قلبيين في جوفه

٣٦ فصل — قد جاء في الآخر ، اللهم أرنا الأشياء كما هي . وهذا كلام حسن غاية . وأكثرون الناس ما يرون الأشياء بعيونها ، فأنهم يرون الفاني كأنه باق . ولا يكادون يتخيالون زوال ماه فيه وان علموا ذلك . الا ان عين الحسن مشغولة بالنظر الى الحاضر . الاترى زوال اللذة وبقاء ائتها . ولو رأى العاص قطع يده هان عنده المسروق . فمن جمع الاموال ولم ينفقها فراراً بها بعيونها ، اذ هي آلة لتحصيل الاغراض ، لا تراد لذاتها . ومن رأى المعصية بعيوني الشهوة فما رأها . اذ فيها من العيوب ما شئت ثم ثمرتها عقوبة آجلة ، وفضيحة عاجلة . وانظر الى اكبر شهوات الحس وهو الوطء فان الماء لا يحصل الا بعد مطعم ومشرب ومن تفكك في المطعم نظر الى حرث الارض وانها تفققر الى بقر للحراثة عاينهن المحرات ، وهو حديد ومعه خشب ويتعلق به حبال ، فمن تفكك في عمل الحبال نظر في زرع القنب وتسريحه وفتهن الحديد وجليه وضربه . وانه خشب وبناته ونجارته . ودوران الدولاب وعمـله ، ثم استحصاد الزرع وحصده وتذریته وطحنه وعجنـه وخبزـه . ومن عمل التمور وجاب الشوك . ومن هذا الجنس اذا نظر فيه كبر جدا حتى قالوا لاتنال لقمة الا وقد عمل فيها ثلاثة نفوس او نحوهم . فإذا كل تلك اللقمة فليـفكـرـ في خلق الاسنان لفطعها او الضراس لطحـنـها وعذوبة ماء الفم خلطـهاـ ، والسان ليـقلـبـهاـ ، وعضلات الفم يـصـعدـ منهاـ شـيءـ ويـبـقـ شـيءـ حتى يـصلـحـ البـلـعـ . ثم يـتـناـوـلـهاـ المـعـاـ فيـوـصـلـهاـ الىـ الـكـبـدـ فـيـقـومـ طـابـخـاـ لهاـ ، فـاـذـ صـارـتـ دـمـاـ نـفـتـ دـسوـبـهاـ الىـ الطـحالـ ، وـمـائـيـهاـ الىـ المـثانـةـ ، وـاـسـتـخـلـصـتـ مـنـ أـخـلـصـ الدـمـ وـأـصـفـاهـ لـالـكـبـدـ وـالـدـمـاغـ وـالـقـلـبـ . واـخـذـتـ اـجـودـ ذـلـكـ فـحـدرـتـهـ الىـ الـأـنـثـيـيـنـ مـعـدـاـ خـلـقـ آـدـمـيـ . فـاـذـ اـخـرـكـتـ زـيـرانـ

الشهوة تورث تلك النطفة ، وقد حكم الشرع بطهارتها ؛ وحكم لها بطهارة الرحم والمحل الذى يباشره الذكر ، فيخلق منها الآدمى الموحد . فما جاء هذا الشخص الا باغلا الفلاء وبعد عجائب أشرنا إليها ، لأننا عدناها : ألم من فهم هذا يحسن منه ان يبعد تلك النطفة في حرام ، وان يطأ في محل نجس فتضيع . فكم يتعلق بالزنا من محن لا يفوي معاشر عشرها بلذة لحظة . منها هتك العرض بين الناس . وكشف العورات الحرمة . وخيانة الآخر المسلم في زوجته ان كانت متزوجة . وفضيحة المزنى بها وهي كاخت أو بنت . فان علقت منه ولها زوج الحقته بذلك الزوج . وكان هذا الزانى سببا في ميراث من لا يستحق ، ومنع من يستحق . ثم يتسلسل ذلك من ولد الى ولد . وأما سخط الحق سبحانه فهو مععلوم . قال تعالى « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا » وقال صلى الله عليه وسلم : مامن ذنب بعد الشرك اعظم عند الله تعالى من نطفة وضعها ارجل في رحم لا تحمل له . ومن له فهم فهو يعلم ان المراد من النطفة ايجاد الموحدين . ولو لا تركيب الشهوة لم يقع الوطء ، لأن التقاء عضوين غير مسحة حسنة ولا صورتها حسنة ولاريحهما طيب . وانا الشهوة تقطى عين الناظر ليحصل الولد اصلا فهى عارض فمن طلب الشهوة ونسى جنائيته بالزنا فهارأى الاشياء على ماهى . وقس على هذا المطعم والمشرب وجمع المال وغير ذلك .

٣١٧ - فصل – ان قال قائل أى فائدة في خلق ما يؤذى ؟ فالجواب انه قد ثبتت حكمة الخالق فاذ خفيت وجوب التسليم . ثم ان المستحبسنات في الجملة أنموذج ما أعد من الثواب . والمؤذيات أنموذج ما أعد من العقاب . وما خلق شيء يضر الا وفيه منفعة . قيل لبعض الاطباء : ان فلانا يقول

انا كالعقرب أضر ولا أفع . فقال : ما أقل عالمه . انها تنفع اذا شق بطنه اثم شدت على موضع اللسان . وقد تجعل في جوف فخار مسدود الرأس مطبيق الجوانب ، ثم يوضع الفخار في تنور فاذا صارت رمادا سقى من ذلك الرماد مقدار نصف دانق او أكثر من بة الحصاة فيفتها من غير ان يضر بشيء من سائر الاعضاء . وقد تلسع العقرب من به حتى عتيبة فتزول . ولسعت رجلا مفلوجا فزال عنه الفالج . وقد تلقى في الدهن حتى يجتذب قواها فيزيل ذلك الدهن الا ودام الغليظة ، ومثل هذا كثير . فالجاهل عدو لما جهله . وأكبر الجماقة رد الجاهل على العالم .

٣١٨ - فصل - كلما أوغلت الفهوم في معرفة الخالق فشاهدت عظمته واطفه ورفعته ، تاهت في محبتة فخررت عن حد الثبوت . وقد كان خلق من الناس غلبت عليهم محبتهم فلم يقدروا على مخالطة الخلق . ومنهم من لم يقدر على السكوت عن الذكر . وفيهم من لم يتم الاغلبية . وفيهم من هام في البراري . وفيهم من احترق في بدنـه . فيا حسن مخمورهم ما اللذ سكره ويأيش قلقهم ما احسن وجده . كان ابو عبيدة اخواص قد غلبـه الوجد فـكان يـشـىـ في الاسواق ويـقولـ : وـاـشـوـقـاهـ الىـ منـ يـرـانـيـ وـلـاـ اـرـاهـ . وكان فتح بن سخـرـفـ يقولـ : قد طـالـ شـوـقـىـ الـيـكـ ، فـعـجـلـ قـدـوـمـىـ عـلـيـكـ . وكان قيس بن الـرـيـعـ كانـهـ مـخـمـورـ منـ غـيـرـ شـرـابـ . وكان ابن عـقـيمـ يقولـ : انـ التـبـذـلـ فـيـهـ سـبـحـانـهـ اـحـسـنـ منـ التـجـمـلـ فـغـيرـهـ . هلـ رـأـيـتـ قـطـ عـرـاءـ اـحـسـنـ منـ الـمـحـرـمـيزـ ؟ هلـ رـأـيـتـ لـلـمـتـزـينـينـ بـرـيـاشـ الدـنـيـاـ كـأـثـوابـ الصـالـحـينـ ؟ هلـ رـأـيـتـ خـمـارـاـ اـحـسـنـ منـ نـعـاسـ الـمـتـهـجـدـينـ ! هلـ رـأـيـتـ سـكـرـاـ اـحـسـنـ منـ صـعـقـ الـوـاجـدـينـ ؟ هلـ شـاهـدـتـ مـاءـ صـافـيـاـ اـصـفـيـ منـ دـمـوعـ الـمـتـأـسـفـينـ ؟ هلـ

رأيت رؤساً مائلاًة كرؤس المنكسرین : هل لصدق بالارض احسن من حياة
المصلين ! هل حرك نسيم الاسحاق اوراق الاشجار فبلغ مبلغ تحريكه
اذیال المتجددین : هل ارتفعت اکف وانبساطت ایدي فضاحت اکف الراغبین !
هل حرك القلوب صوت ترجيع لحن اورقة وتر كما حرك حذین المشتاقین !
وانما بحسن التبذل في تحصیل او في الاغراض . فلذاك حسن التبذل في
خدمة المنعم .

٣١٩ - فصل - في سبب تبذیر الولاۃ . اکرّهم لا يعرف ولا
يتقدّب بآدابه بمرة . ينفق قلة العقل في أصل الوضع ، ثم ذلك الفليل لا يعاون
بل يعاف عليه . وذاك ان الجارحة اذا دام تعطلها عن عملها الذي هيئت له
تعطلت وخدمت . ولهذا تنقص ابصار النساء والرفاّئن وتحتمد ابصار اهل
البوادي . لانه لا صدام لا بصارهم . وشغل العقل التفكير والنظر في عوائق
الاحوال والاستدلال بالشاهد على الغائب . وهم يعتقدون من الطعام دائماً
وذلك يؤذى العقل . ثم يطيلون النوم ، فإذا اتبهوا شربوا المسكر فاتفاق
للعقل تعطيل وتفطيمه فساد التدبير .

٣٢٠ - فصل - من المخاطرات العظيمة تحديـث العوام بالايجـتمـله
قلوبـهم ، او بما قد درسـخـ في نفوسـهم ضـدهـ . مـثالـهـ ان قـومـاـ قد درسـخـ في قـلـوبـهم
التـشـبيـهـ ، وـاـنـ ذاتـ اـخـالـقـ سـبـحـانـهـ مـلاـصـقـةـ للـعـرـشـ ، وـهـىـ بـقـدرـ العـرـشـ ، وـيـفـضـلـ
منـ العـرـشـ أـرـبعـ أـصـابـعـ ، وـسـمعـواـ مـثـلـ هـذـاـ مـنـ أـشـيـاـخـهـ ، وـثـبـتـ عـنـدـهـمـ أـنـهـ
اـذـنـزـلـ اـنـتـقـلـ اـلـىـ السـمـاءـ الدـنـيـاـ ، خـلـمـتـ مـنـهـ سـتـ سـمـوـاتـ ، فـاـذـاـ دـعـىـ اـحـدـهـمـ
اـلـىـ التـنـزـيـهـ وـقـيلـ لـهـ لـيـسـ كـاـخـطـرـ لـكـ ، اـنـماـ يـنـبـغـىـ اـنـ تـمـرـ اـلـأـحـادـيـثـ كـاـمـاـ
جـاءـتـ مـنـ غـيـرـ مـسـاـكـنـةـ مـاـ تـوـهـمـ ، صـعـبـ هـذـاـ عـلـيـهـ لـوـجـيـهـ : اـحـدـهـاـ

لغلبة الحس عليه والحس على العوام أغلب . والثاني لما قد سمعه من ذلك من الاشياخ الذين كانوا أجهل منه . فالخاطب لهذا مخاطر بنفسه . وان قد بلغى عن بعض من كان يتدين أنه من زدرسخ في قلبه التشبيه انه سمع من بعض العلماء شيئاً من التزويه فقال : والله لو قدرت عليه لقتله . فالله ان تحدث مخلوقاً من العوام بما يكتمله ، فإنه لا يزول ما في نفسه ، ويختاطر الحديث له بنفسه فكذلك كل ما يتعلق بالاصول .

٣٢١ - فصل - لا يفرك من الرجل طنطنته وملته يفعل من صلاة وصوم وصدقة وعزلة عن الخلق . إنما الرجل هو الذي يراعي شيئاً ، حفظ الحدود ، واحلاص العمل ، فكم قد رأينا متعبداً يخرق الحدود بالغيبة وفعل ما لا يجوز مما يوافق هواه . وكم قد اعتبرنا على صاحب دين أنه يقصد بفعله غير الله تعالى . وهذه الآفة تزيد وتنقص في الخلق . فالرجل كل الرجل هو الذي يراعي حدود الله ، وهي ما فرض عليه والزم به ، ويحسن القصد ، فيكون عمله وقوله خالص لله تعالى ، لا يريده الخلق ولا تعظيمهم له . فربما خاشع ليقال ناسك ، وصامت ليقال خائف وتارك للدنيا ليقال زاهد . وعلامة الخالص أن يكون في جلوته كخلوته . وربما تكلف بين الناس التبسم والانبساط ليتحمّح عن اسم زاهد . فقد كان ابن سرين يضحك بالنهار فإذا جن الليل فكانه قتل أهل القرية . واعلم أن المعمول معه لا يريد الشركاء . فالخلاص مفرد له بالقصد ، والمرأة قد أشرك ليحصل له مدح الناس ، وذلك ينقلب . لأن قلوبهم ييد من أشرك معه ، فهو يقلبهما عليه لا إليه . ثم الموفق من كانت معاملته باطننة واعماله خالصة . وذاك الذي تحبه الناس وإن كرهوا ، كما يمقتون المرأة وإن زاد عبده . ثم أن الرجل الموصوف

بهذه الحصال لا ينهاى عن كمال العلوم ولا يقتصر عن طلب الفضائل ، فلألا
ازمان أكثر مما يسعه من الخير ، وقلبه لا يفتر عن العمل القلبي ، الا أن
شغله بالحق سبحانه وتعالى .

٣٢٢ - فصل - رأيت خلقاً يفرّطون في أديانهم ثم يقولون أحملونا
اذا متنا الى مقبرة أحمد . أترأ لهم ما سمعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
امتنع من الصلاة على من عليه دين وعلى الغال وقال : ما ينفعه صلاتي عليه .
ولقد رأيت أقواماً من العلماء حملهم حب الصدقة على أن استخرجوا الذنا
من السلطان فدفنوا في دكة أحمد بن حنبل وهم يعلمون أن هناك خلق
بعضهم على بعض ، وما فيهم إلا من يعلم أنه ما يستحق القرب من مثل ذلك .
فأين احتقار النفوس . أما سمعوا أن عمر بن عبد العزيز قيل له تدفن في
المجرة فقال : لأن القى الله بكل ذنب ما خلا الشرك أحب إلى من أنا أداري
نفسى أهلاً لذلك لكن . العادات وحب الرئاسة غابت على هؤلاء ، فبمقى العلم
يجرى على الألسن عادة لا للعمل به ، ثم ألل الأمر إلى جماعة خالطوا السلاطين
وبashروا الظالم ، يزاحمون على الدفن بمقبرة أحمد ويوصون بذلك ، فليتهم أوصوا
بالدفن في موضع فارغ ، إنما يدفنون على موئل ، ويخرج عظام أولئك فيحشرون
على ما ألغوا من الظلم حتى في موتهم ، وينسون أنهم كانوا من أووان الظلمة .
اترى ماعلموا أن مساعد الظلم ظالم . وفي الحديث : كفى بالمرء خيانة أن يكون
أميناً للخونة . قال السجاف لـ أـ حـمـدـ بـنـ حـنـبـلـ : هل أنا من أووان الظلمة ؟ فقال :
لأنـتـ مـنـ الـظـلـمـةـ . إنـماـ أـعـوـانـ الـظـلـمـةـ مـنـ أـعـانـكـ فـيـ أـمـرـ .

٣٢٣ - فصل - رأيت الناس يذمون الحاسدين بالغون ويقولون :
لا يحسد إلا شرير يعادى نعمة الله ، ولا يرضي بقضائه ، ويفعل على أخيه

المسلم . فنظرت في هذا فما رأيته كما يقولون . وذاك ان الانسان لا يحب أن يرتفع عليه أحد ، فإذا رأى صديقه قد علا عليه تأثير هو ولم يحب أن يرتفع عليه ، وود أن لوم ينزل صديقه ما ينال ، وأن ينال هو مانال ذلك ليرتفع عليه وهذا معجون في الطين . ولا لوم على ذلك . إنما اللوم أن يعمل بحقيقة ضهاره من قول أو فعل . وكنت أظن أن هذا قد وقع لي عن سرّي وفحصي ، فرأيت الحديث عن الحسن البصري قد سبقني إليه . قال أخبرنا عبد الخالق بن عبد الصمد قال أخبرنا ابن النقود قال أخبرنا المخاص قال حدثنا البعوبي قال حدثنا أبو دوح قال حدثنا مخلد بن الحسين عن هشام عن الحسن قال : ليس من ولد آدم أحد إلا وقد خلق معه الحسد ، فمن لم يتجاوز ذلك بقول ولا بفعل لم يتبعه شيء .

٣٤ - فصل - من أعظم الضرر الداخلي للإنسان كثرة النساء ، وانه أول ما يتشتت بهم في محبتهم ، ومداراتهم وغيرهن ، والاتفاق عليهم ولا يأمن احداهن أن تكرره وتريد غيره فلا تخلص إلا بقتله ، ولو سلم من جميع ذلك لم يسلم في السكب لهن ، فإن سلم لم ينج من السآمة لهن أو لبعضهن ، ويطلب مالا يقدر عليه من غيرهن ، حتى انه لو قدر على نساء بغداد كلهن فقدمت امرأة مستترة من غير البلد ظن أنه يجد عندها ماليس عندهن . ولعمري إن في الجدة لذة ، ولكن رب مستور اذا انكشف افتقضي ، وإذا سلم من كل أذى يتعلق بهن انهك بدنها في الجماع ، فيكون طلبه للالتذاذ مانعا من دوام الالتذاذ . ورب لفحة منعت لفمات . ورب لذة كانت سببا في انقطاع لذات . والعاقل من يقتصر على الواحدة اذا وقعت غرضه ، ولا بد أن يكون فيها شيء لا يوافق انا العمل على الغائب .

في وهب الخلة الرديمة لمجيدة وينبغي أن يكون النظر إلى باب الدين قبل النظر إلى الحسن ، فإنه إذا قل الدين لم ينتفع ذو مروءة بتلك المرأة . ومما يهمك الشيئ سريعاً الجماع ، فلا يغتر بما يرى من انساط الآلة وحصول الشهوة . وذلك هستخرج من قوته ما لا يعود مثله ، فلابدّ أن يغتر بحركة وشهوة ولا يقرب من النساء إن كان له رأى في البقاء .

٣٢٥ - فصل - اذا رأيت قليل العقل في أصل الوضع فلا ترج خيره : فأما ان كان وافر العقل لكنه يغلب عليه الهوى فارجه . وعلامة ذلك أنه يدبر أمره في ، جهله فيستر من الناس اذا أُنى فاحشة ، ويراقب في بعض الاحوال ، ويذكر عنـد الموعظة ، ويحترم أهل الدين ، فهذا عاقل مغلوب بالهوى . فإذا انتهـى بالندم انبساط شيطان الهوى وجاء ملك العقل . فاما اذا كان قليل العقل في الوضع ، وعلامةـه أن لا ينظر في عاقبة عاجلة ولا آجلة ولا يستحقـى من الناس أن يروه على فاحشة ، ولا يدبر أمر دنياه ، فذلك بعيد الرجاء . وقد يندر من هؤلاء من يفلح ، ويكون السبـب فيه خــيرة من العقل غطـى عليها كثـرة الهوى . فــمثالـهم كمثل مصروع أفق ،

٣٢٦ - فصل - ينبعـى الاحترازـمنـ كلـ ماـيجـوزـأنـ يكونـ ، ولاـينـبعـى أنـ يـقالـالـغالـبـالـسلامـةـ . وقدـ رـأـيـناـ منـ نـزـلـ معـ الخـيلـ فـاضـطـرـبتـ فـغرـقـ منـ فـالـسـفـيـنةـ وـانـ كـانـالـغالـبـالـسلامـةـ . وكـذاـينـبعـى أنـ يـقدرـالـاـنسـانـ فـنـفـقـتـهـ وـانـ رـأـيـ الدـنـيـاـ مـقـبـلـةـ ، لـجـواـزـأنـ تـنـقـطـعـ تـلـكـالـأـسـبـابـ وـحـاجـةـ النـفـسـ لـابـدـ منـ قـضـائـهاـ ، فـاـذـاـ بـذـرـ وقتـ السـعـةـ فـجـاءـ وقتـ الضـيقـ لمـ يـأـمـنـ أنـ يـدـخـلـ فـيـ مـادـاـلـ سـوـءـ ، وـانـ يـتـعـرـضـ بـالـطـلـبـ منـ النـاسـ . وكـذـلـكـ

ينبغي للمعافى أن يعد للمرض ويقتوى أن يتمهياً للهرم . وفي الجملة فالنظر في العواقب وفيما يجوز أن يقع شأن العقلاء . فاما النظر في الحالة الراهنة فحسب في حالة الجملة الحقاء . مثل أن يرى نفسه معافي وينسى المرض ، أو غنياً وينسى الفقر أو يرى المدة عاجلة وينسى ما يحيى عواقبها ، وليس للعقل شغل الا النظر في العواقب ، وهو يشير بالصواب أين من يقبل

٤٢٧- فصل - بين ايمان المؤمن عند الابلاء ، فهو يبالغ في الدعاء ولا يرى أثراً لللجاجة ، ولا يتغير أمله ورجاؤه ولو قويت أسباب اليأس ، لعله أن الحق أعلم بالمصالح ، أولان المراد منه الصبر أو الامان فإنه لم يحكم عليه بذلك إلا وهو يريد من القلب التسلیم لينظر كيف صبره ، أو يريد كثرة اللجاج والدعا . فاما من يريد تعجیل الاجابة ويتذمر ان لم تتعجل فذاك ضعيف الاعيان . يرى أنه له حقاً في الاجابة ، وكان يتلقى باجرة عمله . أما سمعت قصة يعقوب عليه السلام : بقى ثمانين سنة في البلاء ورجاؤه لا يتغير ، فاما ضم الى فقد يوسف فقد ابن يامين لم يتغير أمله وقال « عسى الله أن ياتيكم بهم جميعاً » وقد كشف هذا المعنى قوله تعالى « أَمْ حسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا جَنَّةً وَلِمَا يَأْتِكُم مِّمَّا تَرَكَ الَّذِينَ خَلُوا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهُمُ الْبَاسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزَلَّلُوا حَتَّى يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ » ومعلوم ان هذا لا يصدر من الرسول والمؤمنين الا بعد طول البلاء وقرب اليأس من الفرج . ومن هذا قول رسول الله ﷺ : لا يزال العبد يخسر ما لم يستعجل . قيل له وما يستعجل قال : يقول دعوت فلم يستجب لي . فاياك أياك أن تستطيل زمان البلاء ، وتضجر من كثرة الدعاء ، فانك مبتلى بالبلاء ، متعبد بالصبر والدعاء ، ولا تيأس من روح الله وان طال البلاء .

٣٢٨ - فصل — تذكرت في سبب دخول جهنم فإذا هو المعاصي، فنظرت في المعاصي فإذا هي حاصلة من طلب اللذات، فنظرت في اللذات فإذايتها خدعاً ليست بشيء، وفي ضمها من إلا كدار ما يصيّرها نعضاً فتخرج عن كونها لذات، فكيف يتبع العاقل نفسه ويرضى بجهنم لأجل هذه إلا كدار. فمن اللذات الزنا، فإن كان المراد ارادة الماء فقد يراق في حلال، وإن كان في معشوق فمراد النفس دوام البقاء مع المعشوق، فإذا هو ملوك فالمملوك، وإن هو قاربه ساعة ثم فارقه فجسراً الفراق تربى على لذة القرب. وإن كان ولد من الزنا فالفضيحة الدائمة. والعقوبة التامة. وتنكيس الرأس عند الخالق والخلق. وأما الجاهل فيرى لذته في بلوغ ذلك الغرض، وينسى ما يعني مما يكره عيش الدنيا والآخرة. ومن ذلك شرب الخمر، فإنه تنجيس للفم والثوب، وابعاد للعقل، وتأثيراته معلومة عند الخالق والخلق. فالعجب من يؤثر لذة ساعة تجني عقاباً وذهاباً. وربما خرج بالعربدة إلى القتل. وعلى هذا فقس جميع المذوقات، فإن لذاتها إذا وزنت بميزان العقل لا تبقى بعشاد عشر عواقبها القبائح في الدنيا والآخرة. ثم هي نفسها ليست بكثير شيء فكيف تباع الآخرة بمثل هذا. سبحان من أنعم على أقوام كلاماً لا حت لهم لذة نصبوا ميزان العقل ونظروا فيها يعني وتلمحو ما يبئرونها فرجحوا الأصلاح. وطمس على قلوب فهمى ترى صورة الشيء وتنسى جنایاته. ثم العجب أن انرى من يبعد عن زوجته وهو شاب ليعدو في الطريق فيقال ساعي. فيغلب هواه لطلب ما هو أعلى وهو المدح. كيف لا يترك محراً لمدح في الدنيا والآخرة؟ ثم قد حصل ماطلبت من اللذات وذهبها واحسب أنها قد كانت وقد

هانت وتخلاصت من محنتها . وأين تعب عالم قد درس العلم خمسين سنة ؟
ذهب التعب وحصل العلم . وأين لذة البطال ؛ ذهبت الراحة واعقبت الندم .

٣٢٩ - فصل - من وقف على موجب الحس هلك . ومن تبع العقل سلم . لأن مجرد الحس لا يرى إلا الحاضر وهو الدنيا . وأما العقل فإنه ينظر إلى المخلوقات ، فيعلم وجود الخالق قد منع وأباح واطلق وحظر .
واخــبرــ أــنــ ســأــلــكــ وــمــبــتــايــكــ لــيــظــاـهــرــ دــلــيــلــ وــجــوــدــ عــنــدــكــ بــتــرــكــ مــاـ لــشــهــونــ طــاعــةــ لــىــ . وــإــنــ قدــ بــنــيــتــ لــكــ دــارــاـ غيرــ هــذــهــ لــأــثــابــةــ مــنــ يــطــيعــ وــعــقــوبــةــ مــنــ يــخــالــفــ . ثــمــ لــوــرــكــ الحــســ وــمــاـ يــشــهــ مــعــ أــغــرــاضــهــ قــرــبــ الــأــرــ اــنــاــيــزــنــ فــيــ جــلــدــ . وــيــشــرــبــ الــخــمــرــ فــيــعــاـقــبــ . وــيــســرــقــ فــيــقــطــعــ وــيــفــعــلــ ذــلــكــ فــيــضــحــ بــيــنــ الــخــلــقــ . وــيــعــرــضــ عــنــ الــعــلــمــ إــلــىــ الــبــطــاـلــةــ فــيــقــعــ النــدــمــ عــنــ حــصــوــلــ الــجــهــلــ ثــمــ اــنــاــزــىــ الســكــيــرــ مــنــ عــمــلــ بــعــقــتــضــىــ عــقــلــهــ قــدــ ســلــمــتــ دــنــيــاهــ وــآــخــرــهــ . وــمــيــزــ بــيــنــ الــخــلــقــ بــالــتــعــظــيمــ . وــكــانــ عــيــشــهــ فــيــ لــذــاتــهــ غــالــبــاـ خــيــراـ مــنــ عــيــشــ موــافــقــ لــاـهــوــيــ . فــلــيــعــتــبــرــ ذــوــالــفــهــ بــمــاـ قــلــتــ . وــلــيــعــمــلــ بــعــقــتــضــىــ الدــلــيــلــ وــقــدــ ســلــمــ .

٣٣٠ - فصل - العجب لمؤثر شهوات الدنيا . ألا يتدربر أمرها بالعقل قبل أن يصير إلى منقولات الشرع . ان اعظم لذات الحس الوطء فالمرأة المسنة انا يكون حال كمالها من وقت بلوغها إلى الثلاثين فإذا بلغتها آخر فيها ، وربما ابيضت شعرات من رأسها فينفر الانسان منها . وقد يقع للملل قبل ذلك ، وطول الصحبة يكشف العيوب . وما عيب نساء الدنيا بابلغ من قوله تعالى « لهم فيها أزواج مطهرة » فلو تفكروا الانسان في جسد مملوء بالنجاسة ما طاب له ضمه ، غير ان الشهوة تغطى عين الفكر . فالماقال من حفظ دينه ومرءاته بترك الحرام ، وحفظ

قوّته في الحالل فأفقها في طلب الفضائل من علم أو عمل، ولم يسمع في
افناء عمره وتشتت قلبه في شيء لا تحسن عاقبته :

ما في هؤا دجك من مهجتي عوض ان مت شوقا ولا فيها لها نعن
و عموم من رأينا من الكبار غلبت عليهم شهوة الوراء فانهدمت
اعمارهم ، ورحلوا سرعا . وقد رأينا من العقلاء من زجر نفسه عن هذه
المخنة ولم يستعملها الا وقت الحاجة ، فبقي لهم سواد شعورهم وقوتهم حتى
تقعموا بها في الحياة وحصلوا المنابر ، وعرفت منهم النفوس قوة العزيمة
فلم تطالبهم بما يؤذى .

٣٣١ - فصل - قد أشكل على بعض الناس دوئية النبي صلى الله عليه وسلم وقوله : من رأني في المنام فقد رأني . فقال ظاهر الحديث انه يراهحقيقة ، وفي الناس من يراه شيئا وشاما ومرضا ومعافا . فالجواب انه من ظن ان جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم الموعظ في المدينة خرج من القبر وحضر في المكان الذي رأاه فيه فهذا جهل لا جهل يشبهه . فقد يراه في وقت واحد الف شخص في الف مكان على صور مختلفة ، فكيف يتصور بهذا في شخص واحد ! وإنما الذي يرى مثاله لاشخصه . فيبقى من رأني فقد رأني معناه قد رأى مثالى الذي يعرفه الصواب وتحصل به الفائدة المطلوبة . فأن قيل : فما تقولون في دوئية الحق سبحانه ! فنقول : يرى مثلا لا مثيل والمثال لا يفتقر الى المساواة والمشابهة كما قال تعالى « أتزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها » فضرره مثلا للقرآن وانتفاع اخلاق به . ويوضح هذا انه إنما يرى من رأى الحق سبحانه وتعالى على هيئة مخصوصة ولحق سبحانه وتعالى منه قد توحد وصح ما قلناه .

٣٣٣ - فصل - غزير الفائدة . اعلم انه لو اتسع العمر لم امنع من
 الالتفاف في كل علم الى منتهاه . غير ان العمر قصير . والعلم كثير . فينبغي
 للانسان أن يقتصر من القراءات اذا حفظ القرآن على العشرة . ومن
 الحديث على الصحاح . والسنن والمسانيد المصنفة . فان علوم الحديث
 قد انبسطت زائدة في الحد . وما في هذا الجزء . وانما الطرق تختلف ،
 وعلم الحديث يتعلق ببعضه ببعض وهو مشتهى ، والفقهاء يسمونه علم
 السكالي ، لأنهم يتشاركون بكتاباته وسماعه ، ولا يكادون يمانعون حفظه ،
 ويغوغون المهم وهو الفقه وقد كان الحدثون قد يدعون الفقهاء . ثم صار
 الفقهاء لا يعرفون الحديث . والحدثون لا يعرفون الفقه . فمن كان ذا همة
 ونصح نفسه تشاغل بالمهم من كل علم ، وجعل جل شغله الفقه ، فهو
 أعظم العلوم وأهمها . وقد قال أبو زرعة : كتب إلى أبو ثور : فان هذا
 الحديث قد رواه ثانية وتسعون رجلا عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم . والذى صح منه طرق يسيرة . فالتشاغل بغير ما صح يمنع التشاغل
 بما هو أهم . ولو اتسع العمر كان استيفاء كل الطرق في كل الاحاديث
 غاية في الجودة . لكن العمر قصير . ولما تشاغل بالطرق مثل يحيى بن معين
 فأنه من الفقه كثير ، حتى انه سئل عن الحائض أبىحوز ان تغسل الملوثى ! فلم
 يعلم ، حتى جاء ابو ثور فقال : يجوز ، لأن عائشة رضى الله عنها قالت :
 كنت أرجل رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا حائض . فيحيى أعلم
 بالحديث منه ، ولكن لم يتشاركن بهمه . فانا اناهى أهل الحديث ان
 يشغلهم كثرة الطرق . ومن أقبح الاشياء ان تجرى حادثة يسأل عنها
 شيخ قد كتب الحديث ستين سنة فلا يعرف حكم الله عز وجل فيها .

وكذلك انهى من يتشارق بالزهد والانقطاع عن الناس ان يعرض عن العلم . بل ينبغي ان يجعل لنفسه منه حظا ليعلم ان ذل كيف يتحقق .

٤٣٣ - فصل - معرفة الله سبحانه لا تحصل الا لتكامل العقل .

صحيح المزاج . والتوري الى محبتة بذلك يكون . وان اقواما قلت عقولهم وفسدت امزجهم فساقت مطاعمهم وقلت فتخايلت لهم اخیالات الفاسدة فادعوا معرفة الحق ومحبتة ، ولم يكن عندهم من العلم ما يصدقهم عملاً ادعوا فهل كانوا . ولنعلم ان في المأكولات افساد العقل وفيها ما يزيد في السودا فيوجب الماليخوليا ، فترى صاحبها يحب الخلوة ، ويهرب من الناس ، ويقلل المطعم ، فيقوى مرضه فيتخايل له خيالات يظنها حقا . فنهم من يقول : اني رأيت الملائكة . وفيهم من يخرجه الامر الى دعوى محبة الحق والله فيه ولا يكون ذلك عن اصل معتمد عليه . وانما العاقل العالم يسير في الطريق بين الرفيقين العلم والعقل . فان تقلل من الطعام فبعقل . وحد التقلل ترك فضول الطعام وما يخاف شره من شبهة او شهوة يحذر تعودها ، واما زيادة التقلل مع القدرة فليس لعقل ولا شرح . الا ان يكون الفقر عم فيتقلل ضرورة . ومن تأمل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه : وجدهم يأخذون بقدر ، ولا يتركون حظوظ النفس التي تصلحها . وما أحسن الامر واعده قوله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلث طعام ، وثلث شراب ، وثلث نفس ، وقد قال لعلى بن أبي طالب رضي الله عنه وهو مريض : اصاب من هذا الطعام فهو اوفق لك من هذا . وكان صلى الله عليه وسلم يشاور الاطباء ويتحجج ويبحث على التداوى ويقول : ما أنزل الله داء الا وأنزل له شفاء فتداووا . فجاء اقوام جهموا العلم والحكمة في

بنيان البدان . فنهم من أقام في الجبال يأكل البلوط فأصابه التولنج .
 ومنهم من قلل المطعم الى ان ضعفت قواهم . ومنهم من اقتصر على نبات
 الصحراء . ومنهم من كان لا يقوت الا الباقلاء والشعير . فأوجب هذه
 الافعال امراضًا في البدن ، وتركت الى افساد العقل . واتفق لهم قلة العلم ،
 اذ لو علموا فهموا ان الحكمة تنهى عن مثل هذا ، فان البدن مبني على
 اخلاط اذا اعتدلت وقعت السلامه . واذا زاد بعضها وقع المرض . وأكثر
 هؤلاء مرضى وتعجل لهم الموت . وفيهم من خرج الى التسودون . وفيهم
 من لاحت له لواحه فادعى رؤية الملائكة الى غير ذلك . فاما اهل العلم
 والعقل فهو بغيرهم من الخلق لخوف العاصي ورؤيه المنكر . وفيهم من قويت
 معرفته فشغله معرفة الحق ومحبته عن ملاقاة الخاق . فهذه هي الخلوات
 الصافية ؛ لأنها تصدر عن علم وعقل فتحفظ البدن ، لانه ناقة توصل . ولا
 ينبغي ان يتهاون بالماكولات ، خصوصا من لم يعتقد ، ولا يلبس الصوف
 على البدن من لم يعتقد . ولينظر في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وصحابته ، فانهم القدوة . ولا يلتفت الى بنيات الطريق ، فيقال : فلان
 الزاهد قد أكل الطين ، وفلان كان يمشي حافيا ، وفلان بي شهرًا ما أكل ،
 فان المحقدين من هؤلاء الخاصيئ لله تعالى على غير الجادة ، لأن الجادة اتباع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وما كانوا يفعلون . هذا ولعمري
 انه قد كان فيهم من يقنع بالمدققة من اللبن ، ويصبر الايام عن الطعام .
 ولكن اما اخسرورة ، او لانه معتقد لذلك كما يعتقد البدوى شرب اللبن
 وحده ولا يؤذيه ذلك . وفي الحديث : عودوا كل بدن ما اعتد وفي المزهدين
 من اخرج ماله كله عن يده زهدًا . ومعلوم ان الحاجات لاتنفعني ، فاما

احتاج تعرّض للطلب ، وافتقر الى اخذ مال من يد من يعلم انه ظالم وبذل وجهه . وقد كانت الصحابة تتجر وتحفظ المال . وجهاز المزهدين يرون جمع المال ينافي الزهد . فمُخْضه هذا الفصل ان اقول : ينبغي لمن دُرِّزَ
فهمما ان يسعى في صلاح بدنـه ، ولا يحمل عليه ما يؤذـيه ، ولا ينـاوله من
القوـت ما لا يـوافـقه ، ولا يـضـيـعـ مـالـه ، ولـيـجـهـدـ فيـ اـسـتـهـارـهـ لـنـلـيـحـتـاجـ ،
فـانـهـ مـاـنـاقـ زـاهـدـ الاـ لـأـهـلـ الدـنـيـاـ : ولـيـنـظـرـ فيـ سـيـرـ الـكـامـلـيـنـ مـنـ السـلـفـ .
ولـيـتـشـاغـلـ بـالـعـلـمـ ، فـانـهـ الدـلـيلـ . فـيـنـتـذـ يـحـمـلـ الـاـمـرـ عـلـىـ الـخـلـوـةـ بـرـبـهـ ، وـالـاشـتـغـالـ
بـحـبـهـ ، فـيـكـونـ مـاـظـهـرـ مـنـهـ ثـمـرـةـ نـضـجـةـ لـافـجـةـ . وـالـلـهـ الـمـوـقـقـ .

٤٣٣ - فـصـلـ - ما رأـيـتـ أـظـرـفـ منـ لـعـبـ الدـنـيـاـ بـالـعـقـولـ . وـقـدـ
سمـعـناـ وـرـأـيـناـ جـمـاعـةـ مـنـ الـفـطـنـاءـ الـكـامـلـيـنـ العـقـلـ لـعـبـتـ بـهـمـ الدـنـيـاـ حـتـىـ صـارـواـ
كـالـجـانـيـنـ . فـوـلـواـ الـوـلـاـيـاتـ خـرـجـواـ إـلـىـ الـقـتـلـ وـالـضـرـبـ وـالـحـبـسـ وـالـشـتمـ
وـذـهـابـ الدـيـنـ ، وـالـمـباـشـرـةـ لـلـظـلـمـ كـلـهـ لـاـجـلـ دـنـيـاـ تـذـهـبـ سـريـعاـ . وـفـيـ مـدـةـ
اـقـامـهـ هـىـ مـعـجـونـةـ بـالـنـفـصـ . فـيـأـيـهـاـ الـمـرـزـوقـ عـقـلاـ لـاـتـبـخـسـهـ حـقـهـ ، وـلـاـ
تـطـقـ نـورـهـ ، وـاسـمـعـ مـاـنـشـيرـ بـهـ ، وـلـاـ تـلـتـفـتـ إـلـىـ بـكـاءـ طـفـلـ الطـبـيعـ لـفـوـاتـ
غـرـضـهـ ، فـانـكـ اـنـ رـحـمـتـ بـكـاءـهـ لـمـ تـقـدـرـ عـلـىـ فـطـامـهـ ، وـلـمـ يـمـكـنـكـ تـأـديـبـهـ ،
فـيـبـلـعـ جـاهـلـاـ فـقـيرـاـ :

لـاتـسـهـ عـنـ أـدـبـ الصـغـيـرـ وـلـوـ شـكـيـ أـلـمـ التـعبـ
وـدـعـ الـكـبـيـرـ لـشـائـنـهـ كـبـرـ الـكـبـيـرـ عـنـ الـادـبـ
وـاعـلـمـ اـنـ زـمـانـ الـاـبـلـاءـ ضـيـفـ قـرـاهـ الصـبـرـ ، كـمـ قـالـ أـمـدـ بنـ حـنـبـلـ : اـنـاـ
هـوـ طـعـامـ ، وـلـبـاسـ دـوـنـ لـبـاسـ ، وـاـنـهـ أـيـامـ قـلـائلـ ، فـلـاـ تـنـظـرـ إـلـىـ
لـذـةـ الـمـرـفـينـ ، وـتـامـحـ عـوـاقـبـهـ ، وـلـاـ تـضـقـ صـدـراـ بـضـيقـ الـعـاشـ ، وـعـلـلـ

الناقة بالحد و تسير :

طاولْ بِهَا اللَّيْلَ مَالَ النَّجْمُ أَمْ جَنْحًا
وَمَا طَلَ النَّوْمُ ضَنْجَفَنْ أَمْ سَمْحَا
فَانْ تَشْكِتْ فَعْلَمَهَا الْجَرَّةُ مِنْ صَنْوَهَا الصَّبَاحُ وَعَدَهَا بِالرَّوْحِ صَنْحِي
وَقَدْ كَانَ اهْدِي إِلَى أَحْدَبِنْ حَنْبِلَ هَدِيَةً فَرَدَهَا، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ سَنَةٍ
لَاوَلَادَهُ : لَوْ كَنَا قَبْلَنَا هَا كَانَتْ قَدْ ذَهَبَتْ . وَصَرَّ بَشَرُ عَلَى بَئْرِ فَقَالَ لَهُ
صَاحِبُهُ : أَنَا عَطْشَانُ . فَقَالَ الْبَئْرُ الْأَخْرَى فَرَّ عَلَيْهَا فَقَالَ لَهُ الْأَخْرَى ، ثُمَّ قَالَ :
كَذَا تَقْطَعُ الدِّنِيَا . وَدَخَلُوا إِلَى بَشَرِ الْحَافِي وَلَيْسَ فِي دَارَهُ حَصِيرٌ ، فَقَيْلَ لَهُ
أَلَا بِذَاتِنَذِي ، فَقَالَ هَذَا أَمْرٌ يَنْقَضُ . وَكَانَ لِذَادَ الطَّائِي دَارٌ يَأْوِي إِلَيْهَا ،
فَوَعَ سَقْفَ فَاتَّقَلَ إِلَى سَقْفٍ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي الدَّهْلِيَّةِ . فَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ
نَظَرُوا فِي عَوَاقِبِ الْأَمْوَارِ . وَبَعْدَ هَذَا فَلَا إِطَالَبَكَ بِهَذِهِ الرَّتِبَةِ ، بَلْ أَقُولُ
لَكَ : أَنْ حَصَلَ لَكَ شَيْءٌ مِّنَ الْمَبَاحِ لَا مِنْ فِيهِ وَلَا أَذِي وَلَا نَلَهَ بِسُؤَالِ
وَلَا مِنْ يَدِ ظَالِمٍ تَعْلَمَ أَنْ مَالَهُ حَرَامٌ أَوْ شَبَهٌ ، فَافْسُحْ لِنَفْسِكَ فِي مِبَاحَتِهَا
بِمَقْدَارِ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَكَنْ مَقْدَرًا لِلنَّفْقَةِ غَيْرِ مُبَذَّرٍ . فَإِنَّ الْحَلَالَ لَا يَحْتَمِلُ
السُّرْفَ وَمَقْتَى أَسْرَفَتْ احْتَجَتْ إِلَى التَّعْرُضِ لِلْخَلَقِ وَالتَّنَاؤلِ مِنَ الْاِكْدَارِ .
وَإِنْ ضَاقَ بِكَ أَمْرُ فَاصِبَرْ ، فَإِنْ ضَعَفَ الصَّابِرُ فَسِلْ فَاتَّحْ الْأَبْوَابَ ، فَهُوَ
الْكَرِيمُ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ : وَإِيَّاكَ أَنْ تَبْذِلَ دِينَكَ بِتَصْنِعِ الْخُلُقِ أَوْ
بِتَقْرِبِ إِلَى الْأَمْرَاءِ وَتَسْتَعْطِي أَمْوَالَهُمْ . وَاذْكُرْ طَرِيقَ السَّلْفِ . كَانَ ابْنُ
سَمْعَوْنَ^(١) لَهُ ثَيَابٌ يَجْلِسُ فِيهَا النَّاسُ ثُمَّ يَطْوِيهَا إِلَى الْجَلْسِ الْآخِرِ وَرَثَهَا عَنْ
أَبِيهِ بَقِيمَتِ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَكَانَتْ مِيمُونَةً بِنْتَ شَاقُولَةَ تَعْظِيظَ النَّاسِ وَلَهَا ثَيَابٌ
قَدْ بَقِيمَتِ أَرْبَعِينَ سَنَةً . وَمِنْ صَفَانِظَرِهِ وَتَهْذِبُ لِفَظَهُ ، نَفْعُ وَعَظَهُ ، وَمِنْ كَدِيرٍ

(١) وَفِي نَسْعَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ

كُدر عليه . والحالة العالية في هذا اقبال القلب على الله عز وجل ، والتوكّل عليه والنظر اليه ، والتفات القلب عن الخلق ، فان احتجت فاسأله ، وان ضعفت فارغب اليه . ومتى ساكسنت الاسباب انقطعت عنه ومتى استقام باطنك استقامت لك الامور .

٣٣٥ — فصل — رأيت نفسي تأنس بخلطاء نسميهم أصدقاء فبحثت التجارب عنهم فإذا أكثرهم حсад على النعم . وأعداء لا يسترون زلة ، ولا يعرفون جليس حقا . ولا يواسون من مالهم صديقا . فتأملت الامر ، فإذا الحق سبحانه يغادر على قلب المؤمن ان يجعل له شيئا يأنس به فهو يكدر عليه الدنيا وأهلها ليكون انسه به . فينبغي ان بعد الخلق كلهم معارف ليس فيهم صديق ، بل تحسفهم أعداء . ولا تظهر سرك لخلقهم منهم ، ولا تُعِدُنَّ من يصلاح لشدة لا ولدا ولا أخا ولا صديقا ، بل عاملهم بالظاهر ، ولا تخالطهم إلا حالة الضرورة بالتوقي لحظة ، ثم انفرعنهم وأقبل على شأنك متوكلا على خالقك ، فإنه لا يحب الخير سواه ، ولا يصرف السوء الا إياه ، فليكن جليسك وانيسك وموضع توكلك وشكوكك ، فان ضعف بصرك فاستغث به ، وان قل يقينك فسله القوة ، واياك ان تميل الى غيره ، فإنه غيور . وان تشکو من اقداره ، فربما لم يحتمل . أوحى الله عز وجل الى يوسف عليه السلام : من خلصك من الجب ، من فعل من فعل . قال انت قال : فلم ذكرت غيري . فلا طيلن حبسك ، او كما قال . هذا وانا اذا تعرض يوسف عليه السلام بسبب مباح « اذكرني عند ربك » « ويوم حنين اذا اعجبتكم كثرتكم » وما اعرف العيش الا ممن يعرفه ويعيش معه ويتآدب بين يديه في حركاته وكلماته كأنه يراه ، ويقف على باب طرفة

حارسا من نظرة لا تصلح . وعلى باب لسانه حافظا له من كلة لا تحسن .
وعلى باب قلبه حماية لمسكانه من دخول الاغياد . ويستوحش من الخلق
شغلا به . وهذا يكون على سيرة الروحانيين . فاما المخلط فالكدر غالب
عليه . والحق لا يطلب الا ارفع قال القائل :

الا احباب السير الا مصاعدا ولا البرق الا ان يكون يمانيا

٣٣٦ - فصل - رأيت أكثر العلامة مشغلين بصورة العلم
دون فهم حقيقته ومقصوده . فالقاريء مشغول بالروايات ، عاكس على
الشواذ ، يرى أن المقصود نفس التلاوة ، ولا يتامح عظمة المتكلم ، ولا
زجر القرآن ووعده . وربما ظن ان حفظ القرآن يدفع عنه ، فتراه يترخص
الذنوب ، ولو فهم اعلم ان الحجة عليه اقوى من لم يقرأ . والحدث يجمع
الطرق ، ويحفظ الاسانيد ، ولا يتأمل مقصود المنسوق ، ويرى انه قد حفظ
على الناس الاحاديث . فهو يرجو بذلك السلامة . وربما ترخص في الخطايا
ظنا منه ان ما فعل في الشريعة يدفع عنه . والفقير قد وقع له انه بما قد عرف
من الجدال الذي يقوى به خصامه ، والسائل التي قد عرف فيها المذهب
قد حصل بما يفي به الناس ما يدفع قدره ، ويحو ذنبه ، فربما هجم على
الخطايا ظنا منه ان ذلك يدفع عنه ، وربما لم يحفظ القرآن ولم يعرف الحديث
وانهما ينهيان عن الفواحش بزجر وررق . وينضاف اليه مع الجهل بهما
حب الرياسة ، وايشار الغلبة في الجدل . فتزيد قسوة قلبه . وعلى هذا أكثر
الناس ، صور العلم عندهم صناعة . فهى تكسبهم الكبر والجفاقة . وقد حكى
بعض المعتبرين عن شيخ افني عمره في علوم كبيرة ، انه فتن في آخر عمره
بفسق اصر عليه ، وبارز الله به ، وكانت حاله تعطى بعض منها ان عالمي

يدفع عنى شر ما أنا فيه ولا يبقى له أثر . وكان كأنه قد قطع لنفسه بالنجاة ،
 فلا يرى عنده أثر لخوف ولا ندم على ذنب قال فتفتير آخر عمره ولا زمه
 الفقر ، فكان يلقى الشدائـد ولا ينتهى عن قبح حاله ، إلى أن جمعت له يوما
 قراريط على وجه الكدية فاستحبـا من ذلك وقال يارب إلى هذا الحـد ، قال
 الحـاكـي : فتعجبـت من غفلته كيف نسى الله عز وجل ، وأراد منه حـسن
 التدـيرـه والصـيانـة وسـعة الرـزـق ، وكـأنـه مـاسـمـع قوله تعالى « وـانـ لوـاستـقامـوا
 عـلـىـ الطـرـيقـةـ لـأـسـقـيـنـاهـمـ مـاءـ غـدـقاـ » وـلاـ عـلـمـ انـ المـاعـاصـى تـسـدـأـ بـوـابـ الرـزـقـ .
 وـانـ منـ ضـيـعـ اـمـرـ اللهـ ضـيـعـهـ اللهـ . فـاـ رـأـيـتـ عـالـمـاـ اـفـادـ كـفـلـهـ هـذـاـ ، لـانـ
 العـالـمـ اـذـلـ اـنـكـسـرـ . وـهـذـاـ مـصـرـ لـاتـؤـلـهـ مـعـصـيـتـهـ ، وـكـأنـهـ يـحـوزـلـهـ مـاـ يـفـعـلـ ،
 اوـ كـأنـ لـهـ التـصـرـفـ فـيـ الـدـيـنـ تـحـلـيـلاـ وـتـحـرـيـماـ . فـرـضـ عـاجـلاـ وـمـاتـ عـلـىـ أـقـبـحـ
 حـالـ . قالـ الحـاكـيـ : وـرـأـيـتـ شـيـخـاـ آـخـرـ حـصـلـ صـورـ عـلـمـ فـاـ اـفـادـهـ كـانـ أـيـ
 فـسـقـ اـمـكـنـهـ لـمـ يـتـحـاشـ مـنـهـ وـأـيـ أـمـرـ لـمـ يـعـجـبـهـ مـنـ الـقـدـرـ عـارـضـهـ بـالـعـتـراـضـ
 عـلـىـ الـمـقـدـيرـ وـالـلـوـمـ . فـعـاـشـ اـكـدرـ عـاـيشـ ، وـعـلـىـ أـقـبـحـ اـعـتـقادـ حـتـىـ درـجـ .
 وـهـؤـلـاءـ لـمـ يـفـهـمـواـ مـعـنـىـ الـعـلـمـ ، وـلـيـسـ الـعـلـمـ صـورـ الـاـلـفـاظـ ، اـنـماـ الـمـصـودـ فـهـمـ
 الـمـرـادـ مـنـهـ ، وـذـاكـ يـورـثـ اـخـشـيـةـ وـالـخـوـفـ ، وـيـرـىـ الـمـنـةـ لـلـمـنـعـ بـالـعـلـمـ ، وـقـوـةـ
 الـحـجـةـ لـهـ عـلـىـ الـمـتـعـلـمـ . نـسـأـلـ اللهـ عـزـ وـجلـ يـقـظـةـ تـفـهـمـنـاـ الـمـصـودـ ، وـتـعـرـفـنـاـ
 الـمـعـبـودـ . وـنـعـوذـ بـالـلـهـ مـنـ سـبـيلـ دـعـاعـ يـتـسـمـونـ بـالـعـلـمـ لـاـيـهـمـ مـاـ يـحـمـلـونـ ،
 وـيـعـلـمـونـ وـلـاـ يـعـمـلـونـ ، وـيـتـكـبـرـونـ عـلـىـ النـاسـ بـمـاـ لـاـ يـعـمـلـونـ ، وـيـأـخـذـونـ
 عـرـضـ الـاـدـنـيـ وـقـدـ هـوـ اـعـمـاـ يـأـخـذـونـ ، غـلـبـهـمـ طـبـاعـهـمـ ، وـمـارـاضـهـمـ عـلـومـهـمـ ،
 اـتـىـ يـدـرـسـونـ ، فـهـىـ اـخـسـ حـالـاـ مـنـ الـعـوـامـ الـذـينـ يـحـمـلـونـ « يـعـلـمـونـ ظـاهـرـاـ
 مـنـ الـحـيـاةـ الـدـنـيـاـ وـهـمـ عـنـ الـاـخـرـةـ هـمـ غـافـلـونـ .

٣٣٧ - فصل - للفقيه ان يطالع من كل فن طرفا من تاریخ وحدیث
 ولغة وغير ذلك . فان الفقه يحتاج الى جميع العلوم . فليأخذ من كل شيء
 منها ممما . ولقد رأيت بعض الفقهاء يقول : اجتمع الشبلي وشريك القاضي
 فاستعجبت له كيف لا يدرى بعد ما ينهم . وقل آخر في مناظرة : كانت
 الزوجية بين فاطمة وعلى رضى الله عنهمَا غير منقطعة الحكم ، فلهذا غسلها
 فقلت له : ويحك فقد تزوج أمامة بنت زينب وهي بنت اخها فانقطع . ورأيت
 في كتاب إحياء علوم الغرزى من هذا ما يدهش من التخليل في الأحاديث
 والتواریخ . فجمعت من اغاليطه في كتاب وقد ذكر في كتاب له سماه المستظہری
 وعرضه على المستظہر بالله ان سليمان بن عبد الملك بعث الى أبي حازم فقال له : ابعث
 لي من فطورك ، فبعث اليه نحالة مقلوبة فأفطر عليها ، ثم جامع زوجته فجاءت
 بعد العزيز . ثم ولد له عمر . وهذا تخليل قبيح ، فإنه جعل عمر بن عبد العزيز
 ابن سليمان بن عبد الملك ، فجعل سليمان جده ، وإنما هو ابن عمه . وقد ذكر
 أبو المعالى الجوبى في أواخر كتاب الشامل في الاصول . قال : قد ذكرت
 طائفتين من الثقات المعتبرتين بالبحث عن البواطن ان الحلاج والجبائى القرمطى
 وابن المقعن توادوا على قلب الدول وافساد المملكة واستعطاف القلوب
 وارتداد كل منهم قطراء . فقطن الجبائى في الاحسا ، وتغلب ابن المقعن في
 أطراف بلاد الترك ، وقطن الحلاج بمقداد فحكم عليه صاحباه بالملکة
 والقصود عن بلوغ الامنية بعد أهل بغداد عن الانخداع ، وتوفى فطنهم
 وصدق فراستهم . قلت : ولو ان هذا الرجل أو من حكم عنده عرف التاریخ
 لعلم ان الحلاج لم يدرك ابن المقعن ، فإن ابن المقعن أمر بقتله المنصور فقتل
 في سنة أربع وأربعين ومائة . وابو سعيد الجبائى القرمطى ظهر في سنة

ست وثمانين ومائتين . والخلاج قتل سنة تسع وثلاثمائة . فزمان القرمطى والخلاج مقتار بان . فاما ابن المقفع فـَكِلاً . فينبغي لـَكُل ذى علم ان يسامي باقى العلوم فيطالع منها طرقا ، إذ لـَكُل علم بعلم تعلق ، وما أقبح بـِحـَدث يـُسـَأـَل عن حادته فلا يدرى ، وقد شغله منها جمع طرق الــاــحــادــىــت . وقبيح بالــفــقــيــهــ ان يقال له : ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كــذــا ! فلا يدرى صحة الحديث ولا معناه . نــســأــل الله عــز وجل هــمــةــ عــالــيــةــ لــاــ تــرــضــىــ بــالــنــقــائــصــ بــعــنــهــ وــلــطــفــهــ .

٣٣٨ - فــصــلــ - كانت هــمــ الــقــدــمــاءــ مــنــ الــعــامــاءــ عــلــيــهــ ، تــدلــ عــلــيــهــ تــصــانــيــفــهــ إــلــىــ زــبــدــةــ اــعــادــرــهــ . إــلــاــ إــنــ أــكــثــرــ تــصــانــيــفــهــ دــرــتــ . لــاــنــ هــمــ الطــلــابــ ضــعــفــتــ . فــصــارــوــ اــيــطــلــبــوــنــ الــخــتــصــرــاتــ . وــلــاــ يــنــشــطــوــنــ الــمــطــوــلــاتــ . هــمــ اــقــصــرــوــاــ عــلــيــ ماــ يــدــرــســوــنــ بــهــ مــنــ بــعــضــهــ ، فــدــرــتــ الــكــتــبــ وــلــمــ تــنــســخــ . فــســبــيــلــ طــالــبــ الــكــمــالــ . فــ طــلــبــ الــعــلــمــ الــأــطــلــاعــ عــلــيــ الــكــتــبــ التــيــ قــدــ تــخــلــفــتــ مــنــ الــمــصــنــفــاتــ ، فــلــيــكــثــرــ مــنــ الــمــطــاــلــعــ فــاــنــهــ يــرــىــ مــنــ عــلــومــ الــقــوــمــ وــعــلــوــهــمــهــمــ ماــ يــشــحــدــ خــاطــرــهــ وــيــحــرــكــ عــزــيــتــهــ لــلــجــدــ ، وــمــاــ يــخــلــوــاــ كــتــابــ مــنــ فــائــدــةــ . وــأــعــوذــ بــالــلــهــ مــنــ ســيــرــ هــؤــلــاءــ الــذــينــ نــعــاـشــرــهــ . لــاــ نــرــىــ ذــاهــمــهــ فــيــقــتــدــىــ بــهــ الــمــبــتــدىــ . وــلــاــ صــاحــبــ وــرــدــ وــرــعــ فــيــســتــفــيــدــ مــنــ الزــاهــدــ . فــالــلــهــ عــلــيــكــ بــمــ لــاــ حــظــةــ ســيــرــ الســلــفــ ، وــمــطــاــلــعــ تــصــانــيــفــهــ ، وــأــخــبــارــهــ . فــالــأــســتــكــثــارــ مــنــ مــطــاــلــعــ كــتــبــهــمــ رــوــيــهــ لــهــمــ كــاــقــالــ :

فــأــتــىــ اــنــ أــرــىــ الــدــيــارــ بــطــرــفــ فــلــعــلــىــ أــرــىــ الــدــيــارـ~ بــســمــعــيــ وــأــنــيــ أــخــبــرــ عــنــ حــالــيــ ، مــاــشــبــعــ مــنــ مــطــاــلــعــ الــكــتــبـ~ وــاــذــ رــأــيــتـ~ كــتــبــاــ بــاــرــهــ فــكــأــنــيـ~ وــقــعــتـ~ عــلــيــ كــنــزـ~ وــلــقــدـ~ نــظــرــتـ~ فــنــيــتـ~ الــكــتــبـ~ المــوــقــوــفـ~ فـ~

المدرسة النظامية، فإذا به يحتوى على نحو ستة آلاف مجلد. وفي ثبت كتب أبي حنيفة وكتب الحميدى وكتب شيخنا عبد الوهاب وابن زاصر وكتب أبي محمد بن الخشاب وكانت اجمالاً وغير ذلك من كل كتاب أقدر عليه .
ولو قلت : أنى طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر وانا بعد في الطلب .
فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم وقدر هممهم وحفظهم وعبادتهم
وغرائب علومهم مالا يعرفه من لم يطالع فصرت استزرى ما الناس فيه ،
واحترمهم الطلاب والله الحمد .

٣٣٩ - فصل - ليس للآدمي أعز من نفسه ، وقد عجبت من يخاطر بها ويعرضها للهلاك . والسبب في ذلك قلة العقل وسوء النظر فهم من يعرضها للتلف ليذبح بزعمه . مثل قوم يخرجون الى قتل السبع . ومنهم من يصعد الى ايوان كسرى ليقال شاطر . وساع يئى ثلائين فرسخا .
وهو لاء اذا تأفوا حملوا الى النار . فان هلاك ذهبت النفس التي يراد المال
لأجلها . وأعجب من ذلك من يخاطر بنفسه في الهلاك ولا يدرى ، مثل
ان يغضب فيقتل المسلم فيشق غيظه بالتعذيب في جهنم . وأظرف من هذا
السود والنصارى ، فان أحدهم يبلغ فيجب عليه ان ينظر في نبوة بنينا صلى
الله عليه وسلم فاذا فرط فله الخلود في جهنم . ولقد قلت لبعضهم : ويحك
تخاطر بنفسك في عذاب الا بد ، نحن نؤمن بنبيكم فقول : لو ان مسما
آمن بنينا وكذب بنبيكم أو بالتوراة خلد في النار ، فما يتنا وينكم خلاف ،
إذ نحن مؤمنون بصدقه وكتابه ، فلو اقينا له نجاح ولو عاتبنا مثلًا وقال :
هل قتكم بالسبت والسبت من الفروع والفروع لا يعاقب عليها بالخلود .
فقال لي رئيس القوم : ما نطالبكم بهذا لأن السبب انما يلزم بي اسرائيل

فقلت : فقد سلِّمنَا بِأَجْمَاعِكُمْ وَأَنْتُمْ هَالَّكُونَ . لَا نَكُونُ مُخَاطِرُونَ بِأَرْوَاحِكُمْ
فِي الْعِذَابِ الدَّائِمِ . وَالْعَجْبُ عِنْ يَهْمِلِ النَّظَرِ فِيمَا إِذَا تَوَانَى فِيهِ أُوجُبُ الْخَلُودِ
فِي الْعِقَابِ الدَّائِمِ . وَأَعْجَبُ مِنَ الْكُلِّ جَاهْدُ الْخَالِقِ وَهُوَ يَرِي أَحْكَامَ الصِّنْعَةِ
وَيَقُولُ لِاَصْنَاعِ . وَالسَّبِبُ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ كُلُّهَا قَلْةُ الْعُقْلِ وَتَرْكُ إِعْمَالِهِ فِي
النَّظَرِ وَالْإِسْتَدْلَالِ .

٣٤٠ - فَصْلٌ - لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَظْهُرَ سَرَا حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ إِذَا ظَهَرَ
لَا يَتَأْذِي بِظَهُورِهِ . وَمَعْلُومُ أَنَّ السَّبِبَ فِي بَثِ السُّرِّ طَلْبُ الْأَسْتِرَاحَةِ يَدِيهِ،
وَذَلِكَ الْمُقْرِبُ فَلِيَصْبِرْ عَلَيْهِ ، فَرَبُّ مَظَاهِرِ سَرَا زَوْجَتِهِ فَإِذَا طَلَقَتْ بَثِتَهُ
وَهَلَكَ . أَوْ لِصَدِيقِهِ فَيَظْهُرَ عَلَيْهِ حَسْدُهُ إِذَا كَانَ مَمَاثِلًا وَإِنْ كَانَ عَامِيَا
فَالْعَامِيُّ أَحْمَقُ . وَدَبْ سَرَّ أَظْهَرَ فِي كَانِ سَبِبُ الْمَهْلَكِ .

٣٤١ - فَصْلٌ - مَا يَتَنَاهِي فِي طَلْبِ الْعِلْمِ إِلَّا عَاشِقُ الْعِلْمِ . وَالْعَاشِقُ
يَنْبَغِي أَنْ يَصْبِرَ عَلَى الْمُسْكَارَةِ، وَمِنْ ضَرُورَةِ الْمُتَشَاغِلِ بِهِ الْبَعْدُ عَنِ الْكَسْبِ .
وَمَذْفَقَدُ التَّفَقُدِ لَهُمْ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَمِنَ الْأَخْوَانِ فَلَازِمُهُمُ الْفَقْرُ ضَرُورَةً .
وَالْفَضَائِلُ تَنَادِي «هَنَالِكَ ابْتَلَى الْمُؤْمِنُونَ وَزَلَّ لِوَازْلَ الشَّدِيدَا» فـ كَلَّما
خَافَتْ مِنْ ابْتِلَى قَالَتْ :

لَا تَحْسِبَ الْمَجْدَ تَمْرَا أَنْتَ آكِلَهُ لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبِرَةِ
وَلَمَا آتَى أَحْمَدَ بْنَ حَنْبِيلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طَلْبَ الْعِلْمِ وَكَانَ فَقِيرًا ، بَقِيَ أَرْبَعِينَ
سَنَةً يَتَشَاغِلُ بِهِ وَلَا يَتَزَوَّجُ . فَيَنْبَغِي لِلْفَقِيرِ أَنْ يَصْبِرَ فَقْرَهُ كَمَا فَعَلَ أَحْمَدُ ،
وَمِنْ يَطِيقُ مَا أَطَاقَ ، فَقَدْ رَدَ مِنَ الْمَالِ خَمْسِينَ الفًا وَكَانَ يَكْلُ الْكَامِنْ وَيَتَأْدِمُ
بِالْمَلْعُونِ ، فَمَا شَاءَ لِهِ الْذَّكَرُ الْجَمِيلُ جَزاً فَأَنَّ وَلَا تَرَدَتِ الْأَقْدَامُ إِلَى قَبْرِهِ إِلَّا لِمَعْنَى
عَجِيبٍ . فِي إِلَهٍ ثَنَاءً مُلِأَ الْآفَاقَ ، وَجَمَالَ الْأَذْيَنِ الْوِجْدَ ، وَعَزَّا نَسْخَ كُلِّ ذَلِهَا .

ف العاجل ، وثواب الآجل لا يوصف . وتمتع قبوراً كثيرة للعلماء لا تعرف ولا تزد . ترخصوا وتأنلوا وخالفوا السلاطين فذهبوا برقة العلم ومحى الجاه ووردوا عند الموت حياض الندم ، فيما حسرات لاتنلأ ، وخسرانا لانجبر ، كانت صحبة اللذات طرفة عين ، ولازم الاسف دائماً . فالصبر الصبر أيها الطالب للفضائل . فان لذة الراحة بالهوى أو بالبطالة تذهب وبقى الاسى . وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه :

ي النفس ما هي الا صبر أيام كان مدتها أضفاث أحلام
ي النفس جوزى عن الدنيا بمقدمة وخل عنها فان العيش قدامى
ثم أنها العالم الفقير . أيسرك ملك سلطان من السلاطين ، وان ما تعلمه من العلم لا تعلمه . كلا . ما أظن بالمتيقظ ان يؤثر هذا . ثم أنت اذا وقم لك خالق مسقى محسن او معنى عجيب تجد لذة لا يجد لها ملتقى باللذات الحسية ، فقد حرم من رزق الشهوات ما قدر رزقت ، وقد شارك تم في قوام العيش ، ولم يبق الا الفضول الذى اذا أخذ لم يكدر يضر . ثم على المخاطرة في باب الآخرة غالباً . وأنت على السلامة في الغلب . فتلهم يا أخي عوائق الاحوال ، واقع السكسل المتباطئ عن الفضائل ، فان كثيراً من العلماء الذين ما توأم فرطين يتقلبون في حسرات وأسف . رأى رجل شيخنا ابن الزغواني في المنام ، فقال له الشيخ : أكثر ما عندكم الغفلة . وأكثر ما عندنا الندامة . فاهرب وفتك الله قبل الحبس ، وافسح عقد الهوى على الغبن الفاحش . واعلم ان الفضائل لاتنال بالهوىينا ، وان يسير التفريط يشين وجه المحسنين . فالبدار البدار ونفس النفس يتربدد ، وملوك الموت غائب ما قدم بعد ، وانهض بعزيمة عازم :

اذا هم القى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر الحوادث جانبا
 ولم يستشر في أمره غير نفسه ولم يرض الا قام السيف صاحبها
 وارفض في هذه العزيمة الدنيا وأربابها . فبارك الله لاهل الدنيا في دنياهم ،
 فحن الاغنياء ، وهم الفقراء . كما قال ابراهيم بن ادم : ولو علم الملوك وأبناء
 الملوك ما نحن فيه بالدون عليهم بالسيوف فابناء الدنيا أحدهم لا يكاد يأكل
 لقمة الا حراماً أو شبيه . وهو وان لم يؤثر ذلك فوكيله يفعله ، ولا يبالي
 هو بقلة دين وكيله . وان عمروا دارا سخروا الفعلة ، وان جمعوا مالا فن
 وجوه لا تصلاح . ثم كل منهم خائف أن يقتل أو يعزل أو يشتم ، فعيدهم
 تقص . ونحن نأكـلـ ما ظاهر الشرع يشهد له بالاباحة ، ولا تخاف من
 عدو . ولا ولاتنا تقبل المazel . والعز في الدنيا لنا لا لهم . وإقبال الخلق
 علينا . وتقبييل أيديينا وتعظيمنا عندهم كثير . وفي الآخرة يبنـناـ وينـهمـ
 تفاوت ان شاء الله تعالى . فان ألغـتـ اـرـبـابـ الدـنـيـاـ اـعـنـاقـهـمـ يـعـلـمـونـ قـدـرـ مـزـيـتـناـ
 وان غـلـتـ ايـدـيـهـمـ عنـ اـعـطـائـنـاـ فـلـذـةـ العـفـافـ اـطـيـبـ ، وـمـرـارـةـ المـنـ لـاـ تـغـيـرـ
 بـالـمـأـخـوذـ : وـإـنـماـ هوـ طـعـامـ دـوـنـ طـعـامـ وـلـبـاسـ دـوـنـ لـبـاسـ . وـإـنـهاـ أـيـامـ قـلـائلـ
 وـإـنـجـبـ لـمـنـ شـرـفـتـ نـفـسـهـ حـتـىـ طـلـبـةـ الـعـلـمـ . اـذـ لـاـ يـطـلـبـهـ اـلـاـ نـفـسـ شـرـيفـةـ
 كـيـفـ يـذـلـ لـبـذـلـ مـاـ عـزـهـ اـلـاـ بـالـدـنـايـرـ . وـلـاـ خـفـرـهـ اـلـاـ بـالـكـنـةـ وـلـقـدـ أـنـشـدـنـيـ
 أبو يعلى العلوى :

رب قوم في خلتهم عرقـدـ صـيرـواـ غـرـراـ
 سـتـرـ المـالـ الـقـيـعـ لـهـ سـرـىـ انـ زـالـ مـاسـتـراـ
 أـيـقـظـنـاـ اللـهـ مـنـ رـقـدـةـ الـفـاغـلـينـ . وـدـرـقـنـاـ فـكـرـ المـتـيقـظـينـ . وـوـقـفـنـاـ لـلـعـملـ
 بـمـقـتضـىـ الـعـلـمـ وـالـعـقـلـ . إـنـهـ قـرـيبـ مـجـيـبـ :

٣٤٢ - فصل - لا ينبغي للانسان أن يحمل على بدنـه مـا لا يـطـيق
فـإن الـبـدـن كـالـاحـلـة أـن مـا يـرـفـق بـهـا لـم تـصـل بـالـراـكـبـ . قـتـرـى فـي النـاسـ مـن
يـتـزـهـد وـقـدـ رـبـى جـسـدـه عـلـى التـرـفـ فـيـعـرـض عـمـاـ الفـهـ فـيـتـجـدـد لـهـ الـأـمـرـاـضـ
فـقـطـقـطـهـ عـنـ كـشـيرـ مـنـ الـعـبـادـاتـ . وـقـدـ قـيـلـ : عـوـدـاـ كـلـ بـدـنـ مـاـعـتـادـوـقـدـ قـرـبـ
إـلـى دـوـسـوـلـ اللـهـ صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ضـبـ فـقـالـ : أـجـدـنـيـ أـعـافـهـ لـاـنـهـ لـيـسـ
بـارـضـ قـوـمـ . وـفـيـ حـدـيـثـ الـهـجـرـةـ : إـنـ أـبـاـ بـكـرـ دـرـضـيـ اللـهـ عـنـهـ طـلـبـ لـرـسـوـلـ
الـلـهـ صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ الـظـلـلـ وـفـرـشـ لـهـ فـرـوـةـ وـصـبـ عـلـى الـقـدـحـ الـذـىـ فـيـهـ
الـلـبـنـ مـاءـ حـتـىـ بـرـدـ . وـجـاءـ دـوـسـوـلـ اللـهـ صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ عـلـىـ قـوـمـ فـقـالـ :
إـنـ كـانـ عـنـدـكـ مـاءـ بـاتـ فـيـ شـنـ وـالـاـ كـرـعـنـاـ . وـكـانـ صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يـأـكـلـ
لـحـمـ الدـجاجـ وـفـيـ الصـحـيـحـ : أـنـهـ كـانـ يـحـبـ الـحـلـوـيـ وـالـمـسـلـ . وـكـانـ اـذـاـ لـمـ يـقـدـرـ
أـكـلـ مـاـ حـضـرـ . وـلـعـمـرـىـ اـذـاـ فـيـ الـعـرـبـ وـأـهـلـ السـوـادـ مـنـ لـاـ يـؤـثـرـ عـنـهـ
التـخـشـنـ فـيـ الـمـطـعـمـ وـالـمـلـبـسـ . وـذـاكـ اـذـاـ جـرـىـ بـعـدـ نـوبـتـهـ عـلـىـ عـادـتـهـ لـمـ يـسـتـضـرـ .
فـأـمـاـ مـنـ قـدـ أـلـفـ الـلـاطـفـ فـاـنـهـ اـذـاـ غـيـرـ حـالـتـهـ تـغـيـرـ بـدـنـهـ وـقـلـتـ عـبـادـتـهـ . وـقـدـ
كـانـ الـحـسـنـ يـدـيمـ أـكـلـ الـلـحـمـ وـقـولـ . لـاـ دـغـيـفـ مـالـكـ وـلـاـ صـحـنـ فـرـقـدـ .
وـكـانـ اـبـنـ سـيـرـينـ لـاـ يـخـلـيـ مـنـ زـيـرـهـ مـنـ حـلـوـيـ . وـكـانـ سـفـيـانـ الثـوـرـيـ يـسـافـرـ وـفـيـ
سـفـرـتـهـ الـحـلـلـ الـمـشـوـىـ . وـالـفـالـوـذـجـ وـقـاتـ رـابـعـةـ : مـاـ أـرـىـ لـبـدـنـ يـرـادـ بـهـ الـعـملـ
لـهـ اـذـاـ أـكـلـ الـفـالـوـذـجـ عـيـباـ . فـنـ أـلـفـ الـتـرـفـ فـيـنـبـغـيـ أـنـ يـتـلـطـفـ بـنـفـسـهـ
اـذـاـ أـمـكـنـهـ . وـقـدـ عـرـفـتـ هـذـاـ مـنـ نـفـسـىـ ، فـانـ دـيـتـ فـيـ تـرـفـ فـلـماـ
ابـتـدـأـتـ فـيـ التـقـلـلـ وـهـجـرـ الـشـتـىـ ، أـثـرـ مـعـىـ مـرـضـاـ قـطـعـىـ عـنـ كـشـيرـ مـنـ
الـتـعـبـدـ حـتـىـ أـنـ قـرـأـتـ فـيـ أـيـامـ كـلـ يـوـمـ خـمـسـةـ أـجـزـاءـ مـنـ الـقـرـآنـ ، فـتـنـاـوـلـتـ
يـوـمـ مـاـلـاـ يـصـلـحـ فـلـمـ أـقـدـرـ فـيـ ذـاكـ الـيـوـمـ عـلـىـ قـرـاءـتـهـ ، فـقـلـتـ : اـنـ لـقـمـةـ تـؤـثـرـ

قراءة خمسة أجزاء بكل حرف عشر حسناً أن تناوله المطاعة عظيمة .
وان مطعم ما يؤذى البدن فيقوته فعل خير ينبغي أن يهجر . وقد رأى رسول
الله صلى عليه وسلم رجلاً من أصحابه حضر عند و قد تغير من التفاسف
قال له : من أمرك بهذا ؟ فالمافق يعطي بدنك من الغذاء ما يوافقه كما ينتهي
الغازي شعير الدابة : ولا تظنن أنى آمر بأكل الشهوات ، ولا بالاكتاف
من المندوز ، إنما آمر بتناول ما يحفظ النفس . وانهى عمما يؤذى البدن .
فاما التوسم في الطعام ، فإنه سبب النوم . والشبع يمعن القلب . ويهزل
البدن ويضعفه . ففهم ما أشرت إليه . فالطريق هي الوسطى .

٣٤٣ - فصل - إذا تكامل العقل قوى الذكاء والفضلة . والذكي
يتخاص اذا وقع في آفة كما قال الحسن : اذا كان اللص ظريفاً لم يقطع . فاما
المفل فيجيئ على نفسه الحزن . هؤلاء اخوة يوسف عليهم السلام . أبعدوه
عن أبيه ليتقادموا عنده ، ومامعلوا أن حزنه عليه يشغلة عنهم وتهمته أيام
تبغضهم اليه . ثم رموه في الجب فقالوا ، يلتقطه بعد السيارة « وليس بطفل »
إنما هو صبي كبير . ومامعلوا أنه اذا التقط يحدث بحاله ، فيبلغ الخبر الى
أبيه . وهذا تقفيل . ثم إنهم قالوا : أكله الذئب ، وجاؤا بقميصه صحيحاه
 ولو خرقوه احتمل الأمر . ثم لما مضوا اليه يتقاربون قال « ان دوني باخ
لكم » فلو فطنوا علماً أن ملك مصر لاغرض له في أخيهم . ثم حبسه
بحجة . ثم قال : هذا الصواب يخبرني أنه كان كذلك . هذا كلام وما يفطنون .
فلم أحس بهذه الاشياء يعقوب عليه السلام قال « اذهبوا فتحسسوا من
يوسف » وكان يوسف عليه السلام قد تهوى بالوحى أن يعلم أباه بوجوده .
ولهذا لما التقى قال له : هل لا كتبت الى فقال : ان جبريل عليه السلام

معنى . فلما نهى أن يعرّفه خبره ليتفذّب الباء كان ما فعل باخيه تنبئها .
فصار كأنه يعرض بخطبة المعتقدة ، وعلى فهم يوسف والله بكى يعقوب
لا على مجرد صورته .

٣٤ - فصل - الآدمي موضوع على مطلوبات تشتبه المهم .
لم يطلب المنظور . والسان يطلب الكلام . والبطن يطلب المأكول .
والفرج المنكوح . والطمع يحب جمع المال . وقد أمرنا بجمع الهم لذكر
الآخرة والهوى يشتته . فـ كـيـفـ إـذـ اـجـتـمـعـ إـلـيـهـ حاجـاتـ لـازـمـةـ منـ
طلب قوت البدن وقوت العيال . وهذا يذكر إلى دكانه ويفتكر في
التحصيل ، ويستعمل آلة الفهم في نيل مالاً بدمنه ، فأـيـ هـمـ يـجـتمعـ مـنـهـ خـصـوـصـاـ
ان أـخـذـهـ الشـرـهـ فيـ صـوـرـهـ فـيـمـضـيـ الـعـمـرـ ، فـيـنـهـضـ مـنـ الدـكـانـ إـلـىـ القـبـرـ .
فـ كـيـفـ يـحـصـلـ عـلـمـ أـوـعـلـمـ أـوـ أـخـلـاصـ الـقـصـدـ أـوـ طـلـبـ الـفـضـائـلـ .
فـنـ رـزـقـ يـقـظـةـ ، فـيـنـبـغـيـ أـنـ يـصـابـ لـنـيـلـ الـفـضـائـلـ . فـاـنـ كـانـ مـتـزـهـداـ بـغـيرـ
عـائـلـةـ فـقـدـ كـانـ السـبـتـ يـعـمـلـ يـوـمـ السـبـتـ فـيـكـنـفـيـ بـهـ طـوـلـ الـاسـبـوعـ . فـاـنـ
كـانـ لـهـ مـالـ باـضـ بـهـ مـنـ يـكـفـيـهـ بـدـيـنـهـ ، وـثـقـتـهـ أـنـ يـهـمـ هـوـ ، وـاـنـ كـانـ لـهـ
عـائـلـةـ جـمـعـ هـمـهـ فـيـ نـيـةـ الـسـكـبـ عـلـيـهـمـ فـيـكـونـ مـتـبـداـ . أـوـاـنـ يـكـونـ قـنـيةـ
مـالـ كـعـقـارـ نـاصـفـهـ فـيـ نـفـقـةـ لـيـكـفـيـهـ دـخـلـهـ . وـلـيـقـلـلـ الـهـمـ عـلـىـ مـقـدـارـ مـاـيـكـنـهـ
مـنـ حـذـفـ الـعـلـائقـ جـهـدـهـ لـيـجـمـعـ الـهـمـ فـيـ ذـكـرـ الـآـخـرـةـ فـاـنـ لـمـ يـفـعـلـ أـخـذـ
فـيـ غـفـلـتـهـ وـنـدـمـ فـيـ حـفـرـتـهـ . وـأـقـبـحـ الـأـحـوـالـ حـالـ عـالـمـ فـقـيـهـ كـلـاـ جـمـعـ هـمـهـ
لـذـكـرـ الـآـخـرـةـ شـتـتـهـ طـلـبـ الـقـوـتـ لـلـعـائـلـةـ ، وـرـبـاـ اـحـتـاجـ إـلـىـ التـعـرـضـ بـالـظـلـامـةـ
وـأـخـذـ الشـبـهـاتـ وـبـذـلـ الـوـجـهـ . فـيـلـزـمـ هـذـاـ التـقـدـيرـ فـيـ النـفـقـةـ . وـاـذـ حـصـلـ لـهـ
شـيـءـ مـنـ وـجـهـ دـبـرـ فـيـهـ . وـلـاـيـنـبـغـيـ أـنـ يـحـمـلـهـ قـصـرـ الـأـمـلـ عـلـىـ اـخـرـاجـ مـاـ فـيـ

يده ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : لأن ترك ورثتك أغنىاء خير من أن تتركها
عالة يتكلفون الناس . وأذل من كل ذل التعرض للبخلاء والآمراء .
فليذهب أمره ، ويقلل العلاقـة ، ويحفظ جاهـه ، فالـأيام قلائل . وقد بعـث
إلى أـحمد بن حـنبل مـال فـسـأله اـبـنه قـبـولـه فـقـالـ: يـاصـاحـبـ الصـنـىـ . ثـمـ قـالـ أـسـتـخـيرـ
الـلـهـ ، فـاصـبـحـ فـقـالـ: يـابـنـيـ قـدـ عـزـمـ لـيـ أـنـ لـأـقـبـلـهـ ، هـذـاـ وـكـانـ الـعـطـاءـ هـنـيـاـ،
وـجـاءـهـ مـنـ وـجـوهـ . فـانـعـكـسـ الـأـمـرـ الـيـوـمـ .

٣٤٥ - فصل - العزلة عن الخلق سبب طيب العيش ، ولا بد من مخالطة بقدار . فدار العدو واستحله ، فربما كادك فاها_كك . وأحسن الى من أساء اليك ، واستعن على أمرك بالكتمان ، ولتكن الناس عندك معارف . فاما صدقاء فلا ، لأن أعز الأشيماء وجود صديق ، لان الصديق ينبغي أن يكون في مرتبة مماثل . فان صادقته عاميا لم تنتفع به لسوء أخلاقه وقلة علمه وأدبها . وان صادقت مماثلاً أو مقاربا حسداك . وإذا كان لك يقظة تلمحت من أفعاله وأقواله ما يدل على حسداك « ولتعرفهم في لحن القول » وإذا أردت تأكيده ذلك فضع عليه من يضعلك عنده ، فلا يخرج اليه بمافي قلبه . فان أردت العيش فابعد عن الحسود ، لأنه يرى نعمتك . فربما أصابها بالعين ، فان اضطررت الى مخالطتها فلا تتشاهد اليه سرك ولا تشاوره ، ولا يغير نك تملقه لك ، ولا ما يظهره من الدين والتعبد ، فان الحسد يغلب الدين . وقد عرفت أن قabil آخرجه الحسد الى القتل . وأن إخوة يوسف باعوه بمن بخس . وكان أبو عامر الراهب من المتعبدين العقلاء وعبد الله بن أبي من الرؤساء . أخرجهما حسد رسو الله صلى الله عليه وسلم الى النفاق وترك الصواب . ولا ينبغي أن تطلب لحسداك عقوبة

أَكْثُر مَا هُوَ فِيهِ، فَإِنَّهُ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ مَتَّصِلٌ لَا يُرْضِيهِ الْأَزْوَالُ نِعْمَتُكَ .
وَكُلَّاً أَمْتَدَتْ أَمْتَدَ عَذَابَهُ ، فَلَا يَعِيشُ لَهُ ، وَمَا طَابَ عِيشَ أَهْلَ الْجَنَّةِ
إِلَّا حِينَ نَزَعَ الْحَسْدُ وَالْغَلَلُ مِنْ صُدُورِهِمْ ؛ وَلَوْلَا أَنَّهُ نَزَعَ تَحَاسِدُوا وَتَغْفِصُ
عِيشَهُمْ .

٣٤٦ - فصل - من سار مع العقل وخالف طريق الهوى ونظر
إلى العواقب أُمْكِنَهُ أَنْ يَتَمَتَّعَ مِنَ الدُّنْيَا أَضْعافَ مَا تَقْعُمُ مِنْ اسْتَعْمَلَ
الشَّهْوَاتِ فَمَا الْمُسْتَعْجَلُ فِي فَوْتِ نَفْسِهِ حَظُّ الدُّنْيَا وَالذِّكْرُ الْجَمِيلُ ، وَيَكُونُ
ذَلِكَ سبباً لِفَوَاتِ مَرَادِهِ مِنَ الْلَّذَّاتِ . وَبِيَانِ هَذَا مِنْ وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا
إِنْ مَالَ إِلَى شَهْوَاتِ النَّكَاحِ وَأَكْثَرُ مِنْهَا قَلَ التَّذَادُهُ وَفَنِيتَ حَرَارَتِهِ وَكَانَ
ذَلِكَ سبباً فِي عَدَمِ مَطْلُوبِهِ مِنْهَا . وَمِنْ اسْتَعْمَلَ ذَلِكَ بِمَقْدَارِ مَا يُجَيِّزُهُ الْعُقْلُ
وَيَحْتَمِلُهُ كَانَ التَّذَادُهُ أَكْثَرُ ، لِبَعْدِ مَا يَبْيَنُ الْجَمَاعَيْنِ ، وَأُمْكِنَهُ التَّرَدُّدُ لِبَقَاءِ
الْحَرَارَةِ . وَكَذَلِكَ مِنْ غَشٍّ فِي مَعْامِلَتِهِ أَوْ خَانَ ، فَإِنَّهُ لَا يَعْمَلُ فِي فَوْتِهِ
رَبِيعُ الْمَعْامِلَةِ الدَّائِمَةِ خَيْرَاتِهِ مَرَةً ، وَلَوْ عَرَفَ بِالنَّقَةِ دَامَتْ مَعْامِلَةُ النَّاسِ لَهُ فَزَادَ
رَبِيعُهُ . وَالثَّانِي أَنَّهُ مِنْ اتَّقَى اللَّهَ وَتَشَاغَلَ بِالْعِلْمِ أَوْ تَحْقِيقِ الْإِزْهَدِ ، فَتَحَجَّلَ لَهُ مِنْ
الْمُبَاحَاتِ مَا يُلْقِبُ بِهِ كَثِيرًا . وَمِنْ تَقَاعِدِهِ الْكَسْلُ عَنِ الْعِلْمِ أَوْ الْهُوَى عَنِ تَحْقِيقِ
الْإِزْهَدِ لَمْ يُحَصِّلْ لَهُ إِلَّا لِيُسِيرَ مِنْ مَرَادِهِ . قَالَ عَزُوجُلُ «وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى
الطَّرِيقَةِ لَا سَقِينَاهُمْ مَاءً غَدْقاً» .

٣٤٧ - فصل - يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ كَلَّهُ اللَّهُ وَمَمْهُ وَمِنْ أَجْلِهِ .
وَقَدْ كَفَاكَ كُلُّ مُخْلُوقٍ وَجَلَّ لَكَ كُلُّ خَيْرٍ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَمِيلَ عَنْهُ بِوَافْقَةِ
هُوَى وَارْضَاءِ مُخْلُوقٍ ، فَإِنَّهُ يَعْكِسُ عَلَيْكَ الْحَالَ ، وَيَفْوَتُكَ الْمَقْصُودُ .
وَفِي الْحَدِيثِ : مَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسُخْطَةِ اللَّهِ عَادَ حَامِدَهُ مِنَ النَّاسِ ذَاماً

وأطيب: العيش عيش من يعيش مع الأخلاق سبعاً، فان قيل كيف يعيش معه قلت بامتثال أمره، واجتناب نهيه، ومرااعة حدوده، والرضى بقضاءه، وحسن الأدب في الخلوة، وكثرة ذكره، وسلامة القلب من الاعتراض في أقداره، فان احتجبت سأله، فان أعطى والارضيت بالنعم، وعلمت أنه لم يمنع بخلا، انا نظرالك ولا تقطع عن السؤال لأنك تعبد به، ومتى دمت على ذلك رزقك محبته وصدق التوكيل عليه، فصارت الحبة بذلك على المقصود، وأئمرت لك محبته اياك؛ تعيش عيش الصديقين . ولا خير في عيش ان لم يكن كذا، فان أكثر الناس محب طفيف عيشه، يداري الأسباب ويميل اليها بقلبه، ويتعجب في تحصيل الرزق بحرص زائد على الحد، ويرغبه الى الخلوق ويعرض عند انكسار الاغراض، والقدر يجرى ولا يبالى بسخط، ولا يحصل له الا ماقدر، وقد فاته القرب من الحق والمحبة له ، والتآدب معه ، فذلك العيش عيش الباهام .

٣٤٨ - فصل - نظرت في حكمة المطعم والمشرب والملبس والمنكع، فرأيت أن الآدمي لما خلق من أصول تحمل وهي الماء والتراب والزار والهواء، وبقاوته اما يكون بالحرارة والرطوبة دائما، فلم يكن له بد من شيء يختلف مابطل، ولما كان اللحم لا ينوب عنه الا اللحم، باباح ذبح الحيوان ليقوى به من هو أشرف منه . ولما كان بدنك يحتاج الى كسوة وله قدرة تميز، وقدرة يصنع بها ما يقيه الاذى من القطن والصوف ، لم يجعل على جلدك ما يقيه خلقة ، بخلاف الحيوان البهيم ، فانه لما لم يكن له قدرة على ما يغطي جلدك عوضه بالريش والشعر والوبر . ولما لم يكن بد من فناء الآدمي والحيوان هيج شهوة الجماع لتخلف النسل . فمقتضى العقل الذي

حرك على طلب هذه المصالح أن يكون التناول للمطعم والشرب مقدار الحاجة والمصلحة ، ليقع الالتزام بالعافية : ومن البلية طلب الالتزام بالمطعم وان كان غير صالح منه والشره في تناوله، وكذلك الكسوة والنكاح . ومن الحزم جمع المال وادخاره لعارض حاجة من ذلك . ومن التغفيل انفاقاً حاصلاً ، فربما عرضت حاجة فلم يقدر عليها فأثر عدمها في البدن أو في العرض بطلبها من الأندال . ومن أقبح الأمور الانهماك في النكاح طلباً لصورة اللذة ناسياً ما يجني ذلك من انحلال القوة ويزيد في الحرام بالعقوبة . فمن مال إلى تدبر العقل سلم في دنياه وآخرته . ومن أعرض عن مشاورته أو عن القبول منه تعجل عطبه . فليفهم مقصود الموضوعات وحكمها والرادر منها ، فمن لم يفهم ولم يعمل بما قضى مافهم كان كأجهل العوام . وان كان عالماً .

٣٤٩ - فصل - في مخالطة النساء . العجب من له مسكة من عقل أو عنده قليل من دين كيف يؤثر مخالطتهم . فإنه بالمخالطة لهم أو العمل معهم يكون قطعاً خائفاً من عزل أو قتل أو سُم ، ولا يمكنه أن يعمل الابغية قضى أو أمرهم . فإن أمرروا بما لا يجوز لم يقدر أن يراجع فقد باع دينه قطعاً بدنياه فمنعه بالخوف ولم يبق بيده إلا عاجل التعظيم وان يقال بين يديه بسم الله ، وان ينفذ أوامرها . وذلك بعيد من السلام في باب الدين وما يتزلف به منه في الدنيا ممزوج بخوف العزل والقتل .

٣٥٠ - فصل - من الغلط العظيم أن يتكلم في حق معزول بالا يصلح فإنه لا يؤمن أن يلي فinetقم . وفي الجملة لا ينبغي أن يظهر العداوة لأحد أصلاً ، فقد يرفع المحترر وقد يتمكن من لا يعيده ، بل ينبغي أن يكتم ما في النفوس على الأعداء ، فإن **أ**م **ك**ن الانتقام منهم كان العفو انتقاماً

لأنه يذلهم . وينبغي أن يحسن إلى كل أحد ، خصوصاً من يجوز أن يكون له ولاية ، وإن يخدم المعزول ، فربما نفع في ولايته . وقد رويَنا أن رجلاً استأذن على قاضي القضاة ابن أبي داود وقال : قوله الله أبو جعفر بالباب فلما سمع دهش لذلك وقال : إنذنوا له ، فدخل قمام وتلقاهوا كرمه وأعطاه خمسة آلاف وودعه . فقيل له رجل من العوام فعلت به هذا ! قال إنك كنت فقيراً ، وكان هذا صديقاً لجئته يوماً فقلت له : أنا جائع فقال أجلس وخرج فجاء بشوأ وحلوى وخبز فقال : كل فقلت كل معى قال لا قلت : والله لا آكل حتى تأكل كل معى فأكل فجعل الدم يجري من فمه . فقلت ما هذا فقال : مرض ، فقلت والله لا بد أن تخبرني ، فقال . إنك لما جئتني لم أكن أملك شيئاً ، وكانت أسنانى مضببة بشريط من ذهب ، فترعرعته واشترت به . فهل أكافي مثل هذا . وعلى عكس هذه الأشياء كان ابن الزيات وزير الواشق وكان يضم من المتوكلا فلما ولى عنده بأنواع العذاب . وكذلك ابن الجزرى كان لا يوفر المسترشد قبل الولاية بحربت عليه الآفات لما ولى فالماقال من تأمل العواقب ودعاعها ، وصور كلها يجوز أن يقع فعمل بمقتضى الحزم وأبلغ من هذا تصوير وجود الموت عاجلاً ، لأنه يجوز أن يأتي بغتة من غير مرض . فالحاzman من استعد له وعمل من لا يندم إذا جاءه ، وحذر من الذنب فانها كمدو مرآصد بالجزاء ، وادخر لنفسه صالح الاعم . إلـ فانها كصدىق صدّيق ينفع وقت الشدة . والبلغ من كل شـ إـ ان يعلم المؤمن انه كلما زاد عمله في الفضائل علت مرتبته في الجنة ، وإن نقص نقصت ، فهو وإن دخل الجنة ما يجد في نقص بالإضافة إلى كمال غيره ، غير انه قد رضى به ولا يشعر بذلك . فرحم الله من تلمح العواقب ، وعمل بمقتضى التلمح . والله تعالى الموفق .

٤٥١ - **فصل** - لما جمعت كتابي المسمى بالمنتظم ، في تاريخ الملوك والامم ، اطلعت على سير الخلق من الملوك والوزراء والعلماء والأدباء والفقهاء والمحدثين والزهاد وغيرهم ، فرأيت الدنيا قد تلاعبت بالاكثرین تلاعباً أذهب أدباتهم ، حتى كانوا لا يؤمنون بالعقاب . فمن الامراء من يقتل ويصادر ويقطع ويحبس بغير حق ثم ينخرط في سلك المعاصي كأن الامر اليه ، أو قد جاءه إلا من العقاب . فربما تخايل أن حفظى الرعايا يردد عنی ؟ وينسى أنه قد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «قل اني أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم » وقد انخرط جماعة من يقسم بالعلم في سلك المعاصي لتحصيل أغراضهم العاجلة فـا نفعهم العلم . ورأينا خلقاً من المترهدين لنيل أغراضهم . وهذا لأن الدنيا فخ والناس كعصابـير ، والعصفور يريد الحبة وينسى الخفق قد نسى أكثر الخلق مـا لهم مـيلاً إلى عاجل لذاتهم ، فاقبـلو ايـسـامـرونـالـهـوـى ولا يـلـقـفـتوـنـ إـلـىـ مشـاـورـةـ العـقـلـ ، فـلـفـقـدـ باـعـواـ بلـذـةـ يـسـيـرـةـ خـيـراـ كـثـيراـ ، واستبدلوا بشـهـواتـ مرـذـولةـ عـذـابـاـ عـظـيـماـ ، فـإـذـاـ نـزـلـ بـاحـدـهـمـ الموـتـ قالـ : ليـتـيـ لمـ أـكـنـ ، ليـتـيـ كـنـتـ تـرـابـاـ ، فـيـقـالـ لـهـ الـآنـ ؟ فـوـأـسـفـيـ إـفـاتـ لـاـيمـكـنـ استـدـرـاكـهـ ، وـلـمـ رـهـنـ لـاـيـصـحـ فـكـاـكـهـ ، وـلـنـدـمـ لـاـيـنـقـطـعـ زـمـانـهـ ، وـلـمـذـبـ عـزـ عـلـيـهـ اـمـانـهـ بـالـهـ . ماـنـفـعـتـ العـقـولـ إـلـىـ لـمـ يـلـقـفـتـ إـلـيـهـاـ وـيـعـولـ عـلـيـهـاـ ؟ وـلـاـ يـكـنـ قـبـولـ مشـاـورـهـاـ إـلـىـ بـعـزـيـمـهـ الصـبـرـ عـمـاـ يـشـتـهـيـ . فـقاـملـ فـيـ الـأـمـراءـ عمرـ بنـ الخطـابـ وـابـنـ عبدـ العـزـيزـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـمـاـ ، وـفـيـ الـعـلـمـاءـ أـحـمـدـ بنـ حـنـبلـ رـحـمـةـ اللـهـ عـلـيـهـ . وـفـيـ الزـهـادـ أـوـيـسـ القرـنـيـ . لـقـدـ أـعـطـوـاـ الـحـدـحـقـهـ وـفـهـمـواـ مـقـصـودـ الـوـجـودـ ، وـمـاـهـلـكـ الـهـاـلـكـوـزـ إـلـاـ لـقـلـةـ الصـبـرـ عـنـ الشـتـهـيـ ، وـرـبـماـ كـانـ فـيـهـمـ مـنـ لـاـيـؤـمـنـ بـالـبـعـثـ وـالـعـقـابـ . وـلـيـسـ العـجـبـ مـنـ ذـاكـاـنـاـ العـجـبـ

من مؤمن يوقن ؟ ولا ينفعه يقينه ويعقل العواقب ولا ينفعه عقله .

٣٥٢ - فصل - من رزق همة عالية يعذب بقدار علوها كما قال

الشاعر :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مواردها الأجسام

وقال الآخر :

ولكل جسم في النحول بلية وبلاه جسمى من تفاوت همتى
وي بيان هذا لأن من علت همته طلب العلوم كاهما ولم يقتصر على بعضها
وطلب من كل علم نهايته ، وهذا لا يحتمله المبدن . ثم يرى ان المراد العمل
في جنته في قيام الليل وصيام النهار ، والجُمُع بين ذلك وبين العلم صعب .
ثم يرى ترك الدنيا ويحتاج الى مالا بد منه ، ويحب الايثار ولا يقدر على
البخل ، ويتقادره الكرم البذل ، وينفعه عز النفس عن الکسب ، فان
هو جرى على طبعه من الكرم ، احتاج وافتقر وتأثر بذنه وعائمه ، وان
أمسك فطبعه يأبى ذلك . وفي الجملة يحتاج الى معاناة وجمع بين اضداد ،
 فهو ابدا في نصب لا ينقضى ، وتعب لا يفرغ . ثم اذا حقق الاخلاص في
الاعمال زاد تعبه وقوى وصبه . فain هو ومن دنت همته . ان كان فقيها
فسئل عن حديث قال ما اعرفه . وان كان محمد ثنا فسئل عن مسئلة فقهية
قال ما ادرى . ولا يبالي إن قيل عنه مقصرا . والعالى الهمة يرى التقصير
في بعض العلوم فضيحة قد كشفت عيه ، وقد رأت الناس عورته ، والقصير
الهمة لا يبالي بذن الناس ولا يستقبح سؤالهم ولا يأنف من رد ، والعالى
الهمة لا يحمل ذلك ، ولكن تعب العالى الهمة راحة في المعنى . وراحة القصير
الهمة تعب وشين ان كان ثم فهم . والدنيا دار سباق الى أعلى المعالى . فينبغي

لدى الهمة أن لا يصر في شو طه . فان سبق فهو المقصود . وان كبا جواده
مع اجتهاده لم يلُم .

٣٥٣ - فصل - المصيبة العظمى رضى الانسان عن نفسه واقتناعه
بعلمه . وهذه حسنة قد عمت أكثراً الخلق . فترى اليهودي والنصراني يرى
أنه على الصواب ، ولا يبحث ولا ينظر في دليل نبوة نبينا صلى الله عليه
 وسلم ، وإذا سمع ما يأفي قلبه مثل القرآن المعجز هرب لثلايس مع . وكذلك
 كل ذي هوئ يثبت عليه ، إما لانه مذهب أبيه واهله ، أو لانه نظر نظراً
 أولًا فرأصواباً ، ولم ينظر فيما ينافيه ، ولم يباحث العلامة ليبيينوا الخطأ ومن
 هذا حال الخوارج على أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه . فانهم استحسنوا
 ما وقع لهم ولم يرجعوا الى من يعلم . ولما تقيهم عبد الله بن عباس رضى الله عنهم
 فيبين لهم خطأهم رجم عن مذهبـه منهم الفان وهم من لم يرجع عن هوا ابن
 ملجم ، فرأى مذهبـه هو الحق فاستحل قتل أمير المؤمنين رضى الله تعالى عنه
 ورآه دينا حتى انه لما قطعت أعضاؤه لم يمانع ، فلما طلب لسانـه ليقطع انزعـج
 وقال : كيف ابقى ساعة في الدنيا لا أذـكر الله . ومثلـهـذا مالـهـدواء ،
 وكذلك كان الحجاج يقول : والله ما أرجـوا الخـيرـ الا بـعدـالـوـتـ ، هـذـاـقـولـهـ
 وكـمـ قدـ قـتـلـ منـ لـايـحـلـ قـتـلـهـ ، مـنـهـمـ سـعـيدـ بنـ جـبـيرـ . وـقـدـ أـخـبـرـناـ عبدـ الـوهـابـ
 وـابـنـ نـاصـرـ الـحـافـظـ قالـ أـخـبـرـناـ الـمـبـارـكـ بنـ عـبـدـ الـجـبارـ قالـ أـخـبـرـناـ الـحـسـينـ
 ابنـ مـحـمـدـ التـصـبـيـ قالـ أـخـبـرـناـ الـسـاعـيلـ بنـ سـعـيدـ قالـ حـدـثـنـاـ أـبـوـ بـكـرـ بنـ الـأـبـارـىـ
 قالـ حـدـثـنـاـ أـبـوـ عـيـسىـ الـخـتـلـىـ قالـ حـدـثـنـاـ أـبـوـ يـعـلىـ قالـ حـدـثـنـاـ الـأـصـمـىـ قالـ
 حـدـثـنـاـ أـبـوـ عـاصـمـ عنـ عـبـادـ بنـ كـشـيرـ عنـ قـدـمـ قالـ : وـجـدـ فيـ سـجـنـ الـحجـاجـ
 ثـلـاثـةـ وـثـلـاثـونـ أـلـفـ ، مـاـ يـحـبـ عـلـىـ وـاحـدـهـمـ قـطـعـ وـلـاقـتـلـ وـلـاصـلـبـ . قـلـتـ وـعـمـومـ

السلطانين يقتلون ويقطعون ظنا منهم جواز ذلك ، ولو سألاًوا العلماء
يبنوا لهم . وعموم العوام يبارزون بالذنب اعتماداً على العفو وينسون العقاب .
ومنهم من يعتمدأني من أهل السنة ، أو أن لـ حسنات قد تنفع ، وكل
هذا لـ القوة الجهل . فينبغي للإنسان أن يبالغ في معرفة الدليل ولا يساكن
شبهته ، ولا يثق بعلم نفسه نـ سـ أـ لـ اللـ هـ السـ لـ اـ مـةـ منـ جـ يـ عـ الـ اـ فـ اـتـ .

٣٥٤ - فصل - يـ يـ بـغـيـ تـ أـ مـ لـهـ . إـ عـ لـمـ آـنـ الجـ زـاءـ بـالـ مـ رـ صـادـ آـنـ كـانـتـ
حـ سـ نـةـ آـوـ كـانـتـ . سـيـئـةـ . وـ مـنـ الـ اـغـ تـارـ آـنـ يـظـنـ المـ ذـنـبـ اـذـ لـمـ يـ عـ قـوـبـةـ
آـنـهـ قـدـ سـوـمـحـ وـ دـبـماـ جـاءـتـ عـقـوـبـةـ بـعـدـمـدـةـ . وـ قـلـ مـنـ فـعـلـ ذـنـبـاـ الـ اـ وـ قـوـبـلـ
عـلـيـهـ . قـالـ عـزـوجـلـ «ـ مـنـ يـعـمـلـ سـوـءـ يـحـزـ بـهـ »ـ هـذـاـ آـدـمـ عـلـيـهـ السـلـاـمـ أـ كـلـ
لـقـمـةـ فـقـدـ عـرـفـتـ مـاـ جـرـىـ عـلـيـهـ . قـالـ وـهـبـ بـنـ مـنـبـهـ : أـوـحـىـ اللـهـ تـعـالـىـ إـلـيـهـ
آـلـ اـصـطـنـعـكـ لـنـفـسـيـ وـاحـلـلـتـكـ دـارـيـ ، وـاسـجـدـتـ لـكـ مـلـائـكـتـيـ فـعـصـيـتـ
اـصـرـىـ وـنـسـيـتـ عـهـدـىـ ، وـعـزـتـيـ لـوـ مـلـأـتـ الـأـرـضـ كـلـهـمـ مـثـلـكـ يـعـبـدـوـنـ
وـيـسـبـحـوـنـ فـلـلـيـلـ وـلـنـهـارـ مـعـصـوـنـ لـأـنـتـهـمـ مـنـازـلـ الـعـاصـيـنـ . فـنـزـعـ جـبـرـيلـ
الـتـاجـ عـنـ رـأـسـهـ . وـ حلـ مـيـكـاـيـلـ الـأـكـلـيـلـ عـنـ جـبـيـتـهـ ، وـ جـذـبـ
بـنـاصـيـتـهـ فـأـهـبـطـ . فـبـكـىـ آـدـمـ نـلـاثـ مـائـةـ عـامـ عـلـيـهـ جـبـلـ الـهـنـدـ تـجـرـىـ
دـمـوـعـهـ فـأـوـدـيـةـ جـبـالـهـاـ ، فـبـقـتـ بـقـلـكـ المـدـامـ أـشـجـارـ طـلـيـكـ هـذـاـ
وـكـذـلـكـ دـاـوـدـ عـلـيـهـ السـلـاـمـ ، نـظـرـ نـظـرـةـ فـأـوـجـبـتـ عـتـابـهـ وـبـكـاءـ الدـائـمـ حـتـىـ
بـقـتـ الـعـشـبـ مـنـ دـمـوـعـهـ . وـأـمـاـ سـلـيـانـ عـلـيـهـ السـلـاـمـ فـانـ قـوـمـاـ اـخـتـصـمـواـ
عـلـيـهـ فـكـانـ هـوـاهـ مـعـ أـحـدـ الـخـصـمـيـنـ فـعـوـقـ وـتـغـيـرـ فـيـ أـعـيـنـ النـاسـ . وـكـانـ
يـقـولـ : اـطـعـونـيـ فـلـاـ يـطـمـ . وـأـمـاـ يـعـقـوبـ عـلـيـهـ السـلـاـمـ : فـاـنـهـ يـقـالـ آـنـهـ ذـبـحـ
عـجـلاـ بـيـنـ يـدـيـ آـمـهـ . فـعـوـقـ بـفـرـاقـ يـوـسـفـ . وـأـمـاـ يـوـسـفـ عـلـيـهـ السـلـاـمـ

فاؤخذ بالهم . وكل واحد من إخوته ولد له اثنا عشر ولدا ، ونقص هو ولدا لتلك الهمة . وأما أیوب عليه السلام فإنه قصر في الانكار على ملك ظالم لا جل خيل كانت في ناحيته فابتلى . وأما يونس عليه السلام فخرج عن قومه بغير أذن فالتهمه الحوت . وأوحى الله عز وجل إلى أدميما: إن قومك تركوا الأمراً مرت بها آباءهم، وعزتني لا هم يعجن عليهم جنو دالا يرحمون بآباءهم، فقال: يا رب هول خيلك إبراهيم ، وأمة صفيك موسى ، وقوم نبيك داود فأوحى الله تعالى إليه: إنما كرمت إبراهيم وموسى وداود بطاعتي، ولو عصوني لأنزلتهم منازل العاصيـز . ونظر بعض العباد شخصاً مستحسنـاً . فقال له شيخه: ما هذا النـظر ستـيجـدـغـبـهـ، فـنسـىـ القرـآنـ بـعـدـ أـرـبعـينـ سـنةـ . وـقـالـ آخرـ قد عـبـتـ شـخـصـاـ قـدـ ذـهـبـ بـعـضـ أـسـنـانـهـ فـانـتـرـتـ أـسـنـانـيـ . وـنـظـرـتـ إـلـىـ اـمـرـأـةـ لـاتـحـلـ . فـنـظـرـ إـلـىـ زـوـجـتـيـ مـنـ الـأـرـيدـ . وـكـانـ بـعـضـ الـعـاقـيـنـ ضـرـبـ أـبـاهـ وـسـجـبـهـ إـلـىـ مـكـانـ ، فـقـالـ لـهـ الـأـبـ : حـسـبـكـ إـلـىـ هـنـاـ سـجـبـتـ أـبـيـ . وـقـالـ ابنـ سـيرـينـ : عـيـرـتـ رـجـلاـ بـالـفـلـاسـ فـافـلـسـتـ . وـمـثـلـ هـذـاـ كـثـيرـ . وـمـنـ أـعـجـبـ مـاسـمـعـتـ فـيـهـ عـنـ الـوـزـيرـ اـبـنـ حـصـيرـ المـقـبـ بالـنـظـامـ اـنـ الـمـقـتـفـيـ غـضـبـ عـلـيـهـ وـأـمـرـ بـاـنـ يـؤـخـذـ مـنـهـ عـشـرـةـ آـلـافـ دـيـنـارـ ، فـدـخـلـ عـلـيـهـ أـهـلـهـ مـحـزـونـينـ وـقـالـوـاـهـ : مـنـ أـيـنـ لـكـ عـشـرـةـ آـلـافـ دـيـنـارـ ؟ فـقـالـ : مـاـيـؤـخـذـ مـنـيـ عـشـرـةـ وـلـاـ خـمـسـةـ وـلـاـ أـرـبـعـةـ . فـقـالـوـاـ مـنـ أـيـنـ لـكـ قـالـ : أـنـ ظـلـمـتـ رـجـلاـ فـالـزـمـتـهـ ثـلـاثـةـ آـلـافـ فـاـ يـؤـخـذـ مـنـيـ أـكـثـرـ مـنـهـ . فـلـمـاـ أـدـىـ ثـلـاثـةـ آـلـافـ دـيـنـارـ وـقـعـ اـخـلـافـيـهـ بـاطـلـافـهـ وـمـسـاحـتـهـ فـيـ الـبـاقـيـ . وـأـنـ أـقـولـ عـنـ نـفـسـيـ: مـاـتـزـلـتـ بـيـ آـفـةـ أـوـغـمـ أـوـضـيـقـ صـدـرـ إـلـاـ بـلـلـ أـعـرـفـهـ حـتـىـ يـمـكـنـيـ أـنـ أـقـولـ: هـذـ بـالـشـىـ الـفـلـانـىـ، رـبـاـ تـأـولـتـ فـيـهـ بـعـدـ، فـأـرـىـ الـعـقـوـبـةـ . فـيـمـنـغـيـ لـلـإـنـسـانـ

أن يترقب جزاء الذنب فقل أن يسلم منه . وليجتهد في التوبة . فقد روى في الحديث مامن شئ أسرع لحاقي بشى «من حسنة حديثة لذنب قديم . ومع التوبة يكون خائفا من المؤاخذة متوقعا لها ، فإن الله تعالى قد تاب على الانبياء عليهم السلام . وفي حديث الشفاعة يقول آدم ذنبي ويقول ابراهيم وموسى ذنبي . فإن قال قائل : قوله تعالى «من يعمل سوءا يجزبه» خبر فهو يقتضي أن لا يجوز عن مذنب ، وقد عرفنا بقبول التوبة والصفح عن الخطأتين . فالجواب من وجهين : أحدهما أن يحمل على من مات مصرًا ولم يتبع ، فإن التوبة تجب ماقبلاها . والثاني أنه على إطلاقه . فهو الذي اختاره أنا وأستبدل بالنقل والمعنى . أما النقل ، فإنه لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر : يارسو الله أونجازى بكل ما نعمل فقال : ألسنت تمرض ، ألسنت تحزن ، أليس يصيبك اللاإاء فذلك ما تجزون به . وأما المعنى فان المؤمن اذا تاب وندم كان أسفه على ذنبه في كل وقت أقوى من كل عقوبة . فالويل من عرف مرارة الجزاء الدائم ، ثم آثر لذة المعصية لحظة .

٣٥٥ - فصل - تفكرت في نفسي يوما تفكرا محققا ، خاسبتها قبل أن تحاسب ، وزنتها قبل أن توزن ، فرأيت الاطف الرباني ، فبدأ الطفولة والآن أرى لطفا بعد لطف ، وسرا على قبيح ، وغروا عما يوجب عقوبة وما أدى لذلك شكرنا إلا باللسان . ولقد تفكرت في خطاي وهو بعضا ملكت سريعا ، ولو كشف للناس بعضها لاستحييت . ولا يعتقد معتقد عند ساع هذا أنها من كبار الذنب حتى يظن في ما يظن في الفساق ، بل هي ذنب قبيحة في حق مثل ، وقعت بتآؤيلات فاسدة . فصرت اذا دعوت أقول : اللهم بحمدك وسترك على اغفر لي . ثم طالبت نفسي بالشكر

على ذلك فما وجدته كما ينبغي . ثم انا اتفاضى القدر من اداتي ولا اتفاضى نفسي
بصبر على مكروره ولا بشكر على نعمة ، فأخذت أنوح على تقصيرى
في شكر النعم . وكوئي أندىذ بغير اراد العلم من غير تحقيق عمل به . وقد كنت
أرجو مقامات السكبار ، فذهب العمر وما حصل المقصود . فوجدت
أبا الوفاء بن عقيل قد ناح نحو ما ناحت فاعجبتني نياحته فكتبتها ههنا . قال
لنفسه : يادعونا . **تقؤّمين الالفاظ ليقال مُناظر** . ومرة هذا يا مُناظر كا يقال
للمصارع الفارة ، ضيعت أعز الأشياء وانفسها عند العقلاء ، وهي أيام العمر
حتى شاع لك بين من يموت غدا اسم مُناظر ، وينسى الذاكر والمذكور
إذا درست القلوب . هذا ان تأخر الأصر إلى موتك ، بل ربما نشأ شاب
أفره منك فهو هو واله وصار الاسم له . والعقلاء عن الله أشاغلوا بما اذا انطروا
نشرَهم وهو العمل بالعلم والنظر الخالص لنفسهم . افي لنفسى وقد سطرت
عدة مجلدات في فنون العلوم وما عبق بها فضيلة . ان نظرت شمعت ،
وان نوحيت تعجرفت ، وان لاحت الدنيا طارت اليها طيران الرخم وسقوط
الغراب على الجيف ، فليتها أخذت أخذ المنظر من الميتة . توفر في المخالطة
عيوباتي ولا تختشم نظر الحق اليها . وان انكسر لها غرض تضجرت .
فإن امتدت بالنعم اشتغلت عن النعم . اف والله مني اليوم على وجه الأرض
وقد اتحتها ، والله ان نهن جسدي بعد نلات تحت التراب أقل من نهن
خلائقى وأنا بين الاصحاب . والله انتي قد ابهرنى حلم هذا الكريم عنى
كيف سترنى وانا انتهك ويجمعنى وأنا اتشتت . وغدا يقال : مات الخبر
العالم الصالح . ولو عرفوني حق معرفى بنفسي مادفنونى . والله لا نادين
على نفسى نداء المتكشفين معايب الاعداء ، ولا نوحن نوح الشاكلين للاعداء
(م - ٢٥)

اذ لا نأوح لى ينوح على هذه المصائب المكتومة ، والخلال المغطاة التي قد سترها من خبرها ، وغضاتها من عالمها . واللهما أجد لنفسي خلة استحسن أن أقول متوسلا بها . اللهم اغفر لي كذا بكذا . والله ما التفت قط إلا وجدت منه سبحانه برايكفيبي وواقية تحميبي ، مع تساطع الاعداء . ولا عرضت حاجة فددت يدى الا قضاهما . هذا فعله معي وهو رب غنى عنى ، وهذا فعلى وأنا عبد فقير اليه . ولا عذر لي فاقول مادريت أو سهوت . والله لقد خلقني خلقا صحيحا سليما ، ونور قلبي بالفطنة ، حتى ان الغائبات والمسكتومات تكشف لفهمي . فواحسرتاه على عمر انقضى فيها لا يطابق الرضى . واحرمانى لمقامات الرجال الفطناء . ياحسرتى على ما فرطت فى جنب الله وشماتة العدوبي . واخيبة من أحسن الظن بي اذا شهدت الجور اح على ، واخذلاني عند اقامته الحجة . سخر واللهمنى الشيطان وانا الفطن . اللهم توبه خالصة من هذه الاقدار . ونهضة صادقة لتصفيه ما باقى من الاكدار ، وقد جئتكم بعد الخسيف وانا من خلق المتعاع . وابي العلم الا ان يأخذ بيدي الى معدن الكرم . وليس لي وسيلة الا التأسف والندم فوالله ما عصيتك جاهلا بمقدار نعمك ، ولا ناسيما لما أسلفت من كرمك فاغفر لي سالف فعلى .

٣٥٦ - فصل - عداوة الاقارب صعبة . وربما دامت كحرب
بكر وتغلب بني وائل ، وعبس وذبيان ابني بغرض ، والأوس والخزرج
ابني قيلة . قال الجاحظ ركبت هذه الحرب اربعين عاما . والسبب في هذا
ان كل واحد من الاقارب يكره أن يفوقه قريبه فيقع التحاسد . فينبغي
لمن فضل على أقاربه أن يتواضع لهم . ويرفعهم جهده ، ويرفق بهم لعله يسلم .
قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لى أقارب أصلهم فيقطعنوني

فقال : فكأنما تسفهم المل ، ولن يزال معاك من الله ظهير مادمت على ذلك .

٣٥٧—فصل — رأيت كلاب الصيد إذا مرت بكلاب الحلة
نبحثها وبالفت وأسرعت خلفها ، وكأنها تراها مكرمة مجللة فتحسدها على
ذلك . ورأيت كلاب الصيد حينئذ لا تلتفت اليه ، ولا تغيرها الطرف ولا تعد
نباحها شيئا ، فرأيت ان كلاب الصيد كأنها ليست من جنس تلك الكلاب ،
لان تلك غليظة البدن كثيفة الاعضاء لا أمانة لها . وهذه لطيفة دقيقة
الخلقة ومعها آداب قد ناسبت خلقتها اللطيفة . وأنها تحبس الصيد على مالكها
خوفا من عقابه ، أو مراعاة شكر نعمته عليهما . فرأيت أن الأدب وحسن
العشرة يتبع لطافة البدن وصفاء الروح . وهكذا المؤمن العاقل لا يلتفت
إلى حاسده ولا يعده شيئا ، اذ هو في واد وذاك في واد . ذاك يحسده على
الدنيا ، وهذا همته الآخرة فيما بعد ما بين الواديين .

٣٥٨—فصل — ملاحظته من أهم الاشياء . يذهبى لمن آمن بالله
تعالى أن يسلم له في أفعاله : ويعلم أنه حكيم ومالك ، وانه لا يغيب . فان
خفيت عليه حكمة فعله نسب الجهل إلى نفسه ، وسلمه للحكيم المالك . فإذا
طالبه العقل بمحكمة الفعل قال : ما بانت لي ، فيجب على تسليم الامر لـ الله .
وان أقواما نظروا ب مجرد العقل الى كثير من أفعال الحق سبحانه فرأوها
لو صدرت من مخلوق نسب فيها الى ضد الحكمـة ، فنسبوا الخالق الى
ذلك . وهذا الكفر الحض . والجنون البارد . والواجب نسبة الجهل الى
النفوس . فان العقول قاصرة عن مطالعة حكمـته . وأول من فعل ذلك ابليس
فانه قد رأه قد فضل طينا على نار ، والعـقل يرى النار أفضل فعـاب
حكمـته ، وعمت هذه المخـنة خلقـاً من ينسب الى العلم وكثيرـ من العـوام

فَكُمْ قَدْ رأَيْنَا عَالَمًا يَتَعَرَّضُ وَعَامِيَا يَرْدِفِيكْفَرُ . وَهَذِهِ مُحْنَةٌ قَدْ شَمِلَتْ أَكْثَرَ الْخَلْقِ ، يَرَوْنَ عَالَمًا يَضِيقُ عَلَيْهِ وَفَاسِقًا وَسْعًّا عَلَيْهِ . فَيَقُولُونَ هَذَا لَا يَلِيقُ بِالْحَكْمَةِ . وَقَدْ عَلِمَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ فَرَضَ الزَّكَوْنَاتِ وَالْخَرَاجَ وَالْجَزِيَّةَ وَالْفَنَّاصَ وَالْكَفَارَاتِ لِيَسْتَغْفِي بِهَا الْفَقَرَاءُ ، فَاخْتَصَّ بِذَلِكَ الظَّالِمَةَ ، وَصَانِعٌ مِنْ تَحْبِبِهِ الزَّكَاةَ بِالْخَرَاجِ بَعْضَهَا ، بَخَاعَ الْفَقِيرَ . فَيَنْبَغِي أَنْ نَذْمَ هَؤُلَاءِ الظَّالِمَةِ وَلَا نَعْتَرَضَ عَلَى مَنْ قَدَرَ الْكَفَايَةَ لِلْفَقَرَاءِ . وَقَدْ حَصَلَ فِي صَنْنَنِ هَذَا عَقُوبَةُ الظَّالِمِينَ مِنْ حَبْسِهِمُ الْحَقُوقِ ، وَابْتِلَاءِ الْفَقَرَاءِ بِصَبْرِهِمْ عَنْ حَظْوَظِهِمْ . وَأَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْمُعْتَرِضِينَ لَا يَكَادُونَ يَسْلِمُونَ وَقَتْ خَرْجَ الرُّوحِ مِنْ اعْتِراضِ يَخْرُجُ إِلَى الْكُفَّرِ فَتَخْرُجُ النَّفْسِ كَافِرَةً . فَكُمْ عَامِيٌّ يَقُولُ : فَلَانَ قَدْ ابْتَلَى وَمَا يَسْتَحْقُ . وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ فَعَلَ بِهِ مَا لَا يَلِيقُ بِالصَّوَابِ : وَقَدْ قَلَ بَعْضُ الْخَلْعَاءِ :

أَيَارِبْ تَخْلُقُ أَقْهَادَ لَيلَ
وَاغْصَانَ بَانَ وَكَثِبَانَ دَرْمَلَ
وَتَنْهَى عِبَادَكَ أَنْ يَعْشُقُوا
أَيَا حَاكِمُ الْعَدْلِ ذَا حَكْمَ عَدِيلٍ

وَمِثْلُ هَذَا يَنْشِدُهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَيَسْتَحْسِنُونَهُ ، وَهُوَ كُفْرٌ مُعْضٌ . وَمَا فِيهِ
هَؤُلَاءِ الْثَّلَاثَةِ الْقَائِلِينَ لَهُذَا ، لَا نَهُ مَانِهِي عنِ الْعُشُقِ وَإِنَّمَا نَهُي عنِ الْعَمَلِ
بِعَقْتَضِيِّ الْعُشُقِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُحْرَمَةِ كَالنَّظَرِ وَاللَّمْسِ وَالْفَعْلِ الْقَبِيْعِ ، وَفِي
الْامْتِنَاعِ عَنِ الشَّتَّهِي دَلِيلٌ عَلَى وَجْدَ النَّاهِي كَصَبْرِ الْعَطْشَانِ فِي رَمَضَانَ
عَنِ الْمَاءِ . فَإِنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى الْإِيمَانِ بِوْجُودِ مَأْرُورِ الصَّوْمِ . وَتَسْلِيمِ النَّفُوسِ
إِلَى الْقَتْلِ وَالْجَهَادِ دَلِيلٌ عَلَى الْيَقِينِ بِالْجَزَاءِ . ثُمَّ الْمُسْتَحْسِنُ اتَّهُوذَجَ مَاقْدَأَعْدَ
فَأَيْنَ الْعُقْلُ الْمُتَأْمِلُ كَلَا . لَوْ تَأْمِلَ وَصَبَرَ قَلِيلًا لَرَبِّحَ كَثِيرًا . وَلَوْ ذَهَبَتْ
أَذْكَرَ مَا قَدْ عَرَفَتْ مِنْ اعْتِراضِ الْعُلَمَاءِ وَالْعَوَامِ لِطَالَ . وَمِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ

حالا في ذلك ، ما يحكي عن ابن الروندي أنه جاع يوما واشتد جوعه
فلبس على الجسر وقد أمضه الجوع ، فمرت خيل مزينة بالحرير والديباج ،
فقالوا : لعل بن بلتق غلام الخليفة . فمرت جوار مسنهات فقال : من هذه
فقالوا : لعل بن بلتق . فمر به دجل فرأوه عليه أثر الضر فرمى إليه رغيفين
فأخذهما ورمى بهما ، وقال هذه لعل بن بلتق . ونسى الجاهل الحق
ما يقول ويعرض ويفعل ^(١) قبل هذه المراجعة . فيما عرض بينهم وهو في غاية النقص
على من لا عيب في فعله . انت في البداية من ماء وطين ، وفي الثاني من ماء
مهين ، ثم تحملوا الانجاس على الدوام . ولو جلس عنكم الهوى لصرتم جيفا .
ولو أليق ^(٢) منكم أهلكم . وكم من رأي يراه حازمكم فإذا عرضه على
غيره تبيّن له قبح رأيه . ثم المعاصي منكم زائدة في الحد . فما فيكم إلا اعتراض
على المالك الحكيم . ولو لم يكن في هذه البلوى إلا أن يراد التسلیم .
ولو أنه أنشأ أخلق ليدوا على وجوده ثم أهل لهم ولم يُعدُّهم كان ذلك له ،
لأنه مالك ، لكنه بفضله وعد بالاعادة والجزاء والبقاء الدائم في النعيم . فمتي
ما جرى أمر لا تعرف علتة فانسب ذلك إلى قصور علمك . وقد ترى مقتولا
ظلامكم قد قتل وظلم حتى قوبلا ببعضه وقل أن يجري لأحد آفة إلا ويستحقها
غير أن تلك الآفات المجازى بها غائبة عنا ورأينا الجزاء . فسلم وسلم واحد
كلمة اعتراض أو ضمار ، فربما آخر جتك من دائرة الإسلام .

٣٥٩ - فصل - رأيت الناس يوم العيد فشبّهت الحال بالقيامة . فانهم
ما انتبهوا من نومهم خرجن إلى عيدهم كخروج الموتى من قبورهم إلى حشرهم ،
فمنهم من زينته الغاية ومركته النهاية ، ومنهم المتوسط . ومنهم المرذول ،

(١) بياض بالأصل (٢) كذلك أيضًا

وعلى هذا أحوال الناس يوم القيمة . قال تعالى « يوم نحضر المتقين الى الرحمن وفدا » أى ركبانا « ونسوق الجرميين الى جهنم وردا » أى عطاشا . وقال عليه الصلاة والسلام : يحشرون ركبانا ومشاة وعلى وجوههم . ومن الناس من يداس في زحمة العيد . وكذلك الظلمة يطأهم الناس بأقدامهم في القيمة . ومن الناس يوم العيد الغنى المتصدق . كذلك يوم القيمة أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة . ومنهم الفقير السائل فقد يعطى : أعددت شفاعتي لأهل الكبار . ومنهم من لا يعطف عليه « فما لنا من شافعين ولا صديق حميم » والأعلام منشورة في العيد . كذلك أعلام المتقين في القيمة . والموقى يضرب . كذلك يخبر بحال العبد فيقال : يا أهل الموقف ان فلانا قد سعد سعادة لاشقاوة بعدها ، وان فلانا قد شقى شقاوة لاسعادة بعدها ، ثم يرجعون من العيد بالخواص الى باب الحجرة يخبرون بامتثال الأوصار « او لئك المقربون ». فيخرج التوقيع اليهم « وكان سعيهم مشكوراً » ومن هو دونهم يختلف حاله . ففهم من يرجع الى بيت عاص « بما أسلفتم في الأيام الخالية » و منهم متوسط . و منهم من يعود الى بيت قبر « فاعتبروا يا أولى الالباب »

x ٣٦٠ - فصل - يتضمن نصيحة للعلماء والزهاد : يا قوم قد علمتم أن الاعمال بالنيات . وقد فهمتم قوله تعالى « ألا الله الدين الخالص » وقد سمعتم عن السلف انهم كانوا لا يعملون ولا يقولون حتى تقدم النية وتصبح . أينذهب زمانكم ياقهاء في الجدل والصياح : وترتفع أصواتكم عند اجتماع العوام تقصدو ز المغالية : أو ما سمعتم من طلب العلم ليباها به العلماء ، أو لم يماري به السفهاء ، أو ليصرف به وجوه الناس اليه ، لم يرج رائحة

الجنة : ثم يقدم أحدكم على الفتوى وليس من أهلها . وقد كان السلف يتدافعنها . ويامعشر المترهدين انه يعلم السر وأخفى اظهرون الفقر في لما يسمى وأنت تستوقفن شهوات النفوس : وظهورن التخاشع والبكاء في الجلوس دون الخلوات . كان ابن سيرين يضحك ويتحقق فإذا خلا بي أكثر الليل . وقال سفيان لصاحبه : ما أفحشك تصلي والناس يرونك : أفضى ظباء فلاء ما عرفن بها مضن الكلام ولا صبغ الحواجيب آه لم رأى من يوم « وحصل ما في الصدور » وهى النيات . فأفتقروا من سكركم . وتوبوا من زللكم . واستقيموا على الجادة « ان تقول نفس ياحسرت على ما فرطت في جنب الله »

٣٦١ - فصل - رأيت جمود الناس حائدين عن الشريعة جائزين على ما ألفوا من العادة . وقد يخلص منهم فريقان عمامه وعياد فتملت جمود العماماء فرأيهم في تحليط ، منهم من يقتصر على علم معاملات الدنيا ويعرض عن معاملات الآخرة ، إما لجهله بها ، أو لشلل أمرها عليه ، فهو يجري على ما يشتعل عليه مما يوجبه العلم ، ويتبع في الباقى العادات . وربما تخايل انه يسامح في الخطايا لكونه عالم ، وقد نسى ان العلم حجة عليه . ومنهم من هو واقف مع صورة العلم ، غافل عن المقصود بالعلم . وفيهم من يخالط السلطان ، فيتاً ذى الخالط بما يرى من الذنوب والظلم ولا يمكنه الانكار ، وربما مدح . ويتاً ذى السلطان فيقول : لو لا ان على صواب ما جالستى هذا . ويتاً ذى العوام فيقولون : لو لا ان أمر السلطان قريب ما خالطه هذا العالم . ورأيت الاشراف يشترون بشفاعة آباءهم وينسون ان اليهود من بني اسرائيل . وأما الفريق الثاني وهم العباد فرأيت أكثرهم

فِي تَخْلِيطٍ . أَمَا الصَّحِيحُو الْقَصْدُ مِنْهُمْ فَعَلَى غَيْرِ الْجَادَةِ فِي أَكْثَرِ عَمَلِهِمْ ،
قد وضّع لهم جماعة من المقدمين كتبًا فيها دفاین قبيحة، وأحاديث غير صحيحة ،
ويأمرؤن فيها بأشياء تخالف الشريعة ، مثل كتب الحرف الحانبي ، وابي
عبد الله الترمذى ، وقوت القلوب لأبى طالب المكى ، وكتاب الأحياء
لأبى حامد الطوسي ، فإذا فتح المبتدى عينه وهم بسلوك الطريق بهذه
الكتب فحملته إلى الخطايا ، لأنهم قد بنوا على أحاديث مخالفة ويدعون
الدنيا ولا يدرؤن ما المذموم منها ، فيتصور المبتدى ذم ذات الدنيا ، فيهرب
المنقطع إلى الجبل ، وربما فاتته الجماعة وال الجمعة ، ويقتصر على البلوط والكمثرى
فيورثه القولاج ويقنع بعضهم بشرب اللبن فينحل الطبع ، أو يأكل الباقلاء
والعدس فيحدث له قرقر . وإنما ينبغي لقادصي الحج أن يرفق أولاً بالنافقة
ليحصل . الباقي للقطن من الآثار يهتم بفرسه قبل تحصيل قوت نفسه .
وربما تصدى القاص شرح أحوال قوم من السلف والمترهدين فيتبعهم
المريض فيتأذى بذلك ومتى رددنا ذلك المنقول وبينما خطأ فأعلمه قال الجمال :
أُزد على الزهاد . وإنما ينبغي اتباع الصواب ولا ينظر إلى أسماء المظفين
في النقوش . فانا نقول : قال أبو حنيفة ثم يخالفه الشافعى ، وإنما ينبغي أن
يتبع الدليل . قال المروزى : مدح أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلَ النَّكَاحَ فَقَالَتْ لَهُ قَدْ قَالَ :
إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْمَ فَصَاحَ وَقَالَ : وَقَمْنَا فِي بَنِيَّاتِ الطَّرِيقِ ، عَامِيكَ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ . وَتَكَلَّمَ أَحْمَدُ فِي الْحَرْثِ الْحَابِيِّ
وَرَدَ عَلَى سَرِّ السَّقْطَى حِينَ قَالَ : مَا خَلَقَ اللَّهُ الْحُرُوفَ وَقَفَ الْأَلْفَ وَسَجَدَتِ
الْيَاءُ . فَقَالَ : نَفَرُوا النَّاسُ عَنْهُ . فَالْحَقُّ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْبَبَ ، فَانْهِ جَدٌ وَانِي أَرَى
أَكْثَرَ النَّاسِ قَدْ حَادُوا عَنِ الشَّرِيعَةِ ، وَصَارَ كَلَامُ الْمُتَرَهِّدِينَ كَأَنَّهُ شَرِيعَةٌ

لهم ، فيقال : قال أبو طالب المكي : كان من السلف من يزن قوته بكرَّةَ^١
 فينقص كل يوم بهداشيء ماعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه
 وإنما كانوا يأكلون دون الشبع . فاما الحيل على النفس بالجوع فمنهي عنه .
 ويقول قال داود الطائي لسفيان : اذا كنت تشرب الماء البارد متى تحب
 الموت ، وكان ماؤه في دن . وما عالم أن للنفس حظا ، وان شرب الماء الحار
 يرهق المعدة ويؤذى ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبرد الماء
 ويقول آخر منهم :منذ خمسين سنة اشتهر الشوا ما صفالى درهمه . ويقول
 آخر : أشتهر أن أغمس جزرة في دبس فاصح لي . أترأهم ارادوا حبة منذ
 خرجت من المعدن مادخلت في شبهة ؟ هذا شيء مانظر فيه رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وان كان الورع حسنا ولكن لا على حمل المشاق الشديدة . وهذا
 بشر الحافي يقول لا أحدث لأنني اشتهرت أنا أحدث وهذا تعليم لا يصلح ،
 لأن الإنسان مأمور بالنكاح ، وهو من أكبر المشتهري . وكان بشر حافيا
 حتى قيل له الحافي ، ولو ستر أمره بنعلين كان أصلح ، والحفا يؤذى العين ،
 وليس من امر الدنيا في شيء فقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم نعلان
 وما كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه على ما المتزهدون
 عليه اليوم . فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ويُرِزِّح ويختمار
 المستحسنات ويسابق عائشة رضي الله عنها . وكان يأكل اللحم ، ويحب
 الحلوى ، ويُستعبد له الماء . وعلى هذا كان طريقة أصحابه . فأظهر المتزهدون
 طرائق كانوا ابتداء شريعة ، وكما هي على غير الجادة . ويحتاجون بقول الحاسبي
 والمكي ، ولا يحتاج أحد منهم بصحابي ولا تابعى ولا بإمام من أمته الاسلام
 فإن رأوا عالماً لبست ثوباً جميلاً أو زوج مستحسنة أو أفطر بالنهار أو ضحك

عابوه . فينبغي أن يعلم أن أكثر من صح قصده منهم على غير الجادة لقلة علّمهم ، حتى أن بعضهم يقول : منذ ثمانين سنة ماأضطجعت . ويقول آخر : حلفت لا أشرب الماء سنة ، وهؤلاء على غير الصواب ، فان للنفس حقا ، فأما من ساء قصده ممن نافق ورآ لا جتلا^ب الدنيا وتقبييل اليدى فلا كلام معه ، وهم جهود المتصوفة ، فانهم رفعوا الثياب الملونة ليراهم الناس بعين الترك للزينة ، وما معهم أحسن من السفلاطون . وانما رفع القدماء للقفر . فهم في اللذات وجمع المال وأخذ الشبهات واستعمال الراحة واللعب ومخالطة السلاطين . وهؤلاء قد كشفوا القناع وباینوا زهد أوائهم ، بلى . أعجب منهم من ينفق عليه .

٣٩٢- فصل - ان الله عز وجل جعل أحوال الآدمي امثلة ليعتبر بها . فمن امثلة أحوال القمر الذي يبتدىء صغيرا ثم يتکامل بدرأ ، ثم يتناقص باندحار . وقد يطرأ عليه ما يفسده كالكسوف . فكذلك الآدمي أوله نطفة ، ثم يترقى من الفساد الى الصلاح . فإذا تم كان بمنزلة البدر الكامل ثم تناقص أحواله بالضعف فربما هجم الموت قبل ذلك هجوم الكسوف على القمر . قال الشاعر :

والمرء مثل هلال عند طلعته يبدو ضئيلاً لطيفاً ثم يتسلق
يزداد . حتى اذا ماتم أعقبه كراجديدين تقاصماً ثم ينمحق
ومن امثلة حاله ، دود القرز فانه يكون حيا الى أن يبتدىء نبات قوته
وهو ورق الفرساد ، فإذا اخضر الورق دبت الروح فيه ثم ينتقل من
حال الى حال كالتقال الطفل . ثم يرقد كغفلة الآدمي عن النظر في العواقب
ثم ينتبه فيحرص على الاكل كيرص الشره على تحصيل الدنيا ثم يسدي

على نفسه كما يخطب الأدمي الأوزار على دينه ، فيرثن في ذلك الحبس
كما يرثن الميت في قبره . ثم يفرض فيخرج خلقا آخر كما تنشر الموتى غرلاً
بعهمَا وقد دله على البعث تكون النطفة كالميت . ثم تصير آدميا والقاء الحب
تحت الأرض فيفسد ثم يهتز خضرا .

اذا المرء كانت له فكرة في كل شيء له عبرة

٣٩٣ - فصل - انما فضل العقل بتأمل العواقب . فاما القليل العقل
فانه يرى الحال الحاضرة ، ولا ينظر الى عاقبتها ، فان اللص يرى أخذ المال
وينسى قطع اليد . والبـــطال يرى لذة الراحة وينسى ما تجني من فوات العلم
وكسب المال . فاذا كبر فسئل عن علم لم يدر ، و اذا احتاج سأل فذل ، فقد
أربا ما حصل له من التأسف على لذة البـــطاله . ثم يفوته ثواب الآخرة
بترك العمل في الدنيا . وكذلك شارب الخمر ، يلتذ تلك الساعة وينسى
ما يجني من الآفات في الدنيا والآخرة . وكذلك ازنا ، فان الانسان يرى
قضاء الشهوة ، وينسى ما يجني منه فضيحة الدنيا والحمد ، وربما كان للمرأة
زوج فألحقت الحمل من هذا به وتسلسل الامر . فقس على هذه النبذة
وانتبه للعواقب ، ولا تؤثر لذة تفوت خيرا كثيرا ، وصابر مشقة تحصل
ربحا وافرا .

٣٦٤ - فصل - ليس في الدنيا يعيش الا لعلم أو زاهد . بلى ، قد يقع
في صفا حالمها كدر . وهو أن العالم يستغل بالعلم أو بالانقطاع عن الكسب ،
وقد يكون له عائلة ، فربما تغرس بالسلطان ففسد حاله . وكذلك الزاهد
فينبغي للعالم والعابد أن يحركا في معاش كنسخ بأجرة أو عمل اخوص
أو إن فتح له بشيء واقتنع باليسير ، فلا يستعبد أحد . كما كان أح مدبن

حنبل له اجرة لعلها لا تبلغ دينارا يتقوت بها . ومتى لم يقنع أفسدت مخالطة
السلطان والعام دينه . وفي الناس من يريد التوسع في الطعام . ومنهم
من لا يوافقه خشن العيش . وهنئات أن يصح الدين مع تحصيل اللذات .
وإذا قنع العالم والراهد بما يكفي ، لم يتبدل للسلطان ولم يستخدم بالتردد
إلى بابه . ولم يحتاج الراهد إلى تصنّع ، والعيش الذي لا ينقطع الذي لا يتبدل
به ولا يحمل منه .

٣٦٥—فصل — ما أَكْثُرَ تفاوتَ النَّاسِ فِي الْفَهْوِمِ ، حَتَّى الْعَلَمَاءِ
يتفاوتون التفاوت الكبير في الأصول والفروع . فترى أقواماً يسمون
أخبار الصفات فيحملونها على ما يقتضيه الحسن كقوله : ينزل
بذااته إلى السماء وينتقل . وهذا فهم رديء ، لأن المنتقل يكون من مكان
إلى مكان ويوجب ذلك كون المكان أكثر منه ويلزم منه الحركة وكل ذلك
محال على الحق عز وجل . وأما في الفروع فكما يروى عن داود أنه قال في
قوله : لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يتوضأ منه . فقال : إن بالغيره جاز
فما يفهم المراد من التنجيس بل يأخذ بمجرد اللفظ وكذلك يقول . لحم
الخنزير حرام لا جلد له نعوذ بالله من سوء الفهم وكذلك يتفاوت الشعراة
الذين شغلاهم التفطّن لدقائق الاحوال كقوله :
لنا الجفنات الفر يامن بالضحى واسيافنا في الحرب يقطرن من دما

والجفنات عدد يسير فلو قال الجفان لكان أبلغ . ولو قال بالدجى لكان
أحسن . ويقطرن دليل على القلة وكذلك قول القائل :

همها العطر والفراش يعلو هالجين منظوم ولؤلؤ
وهذا قاصر ، فإنه لو فعلت هذا سوداء لحسنها . إنما المادح هو القائل :

ألم ترأني كلاما جئت طارقا وجدت بها طيبا وإن لم تطيب
وكذا قول القائل:

أدعوا إلى هجرها قلبي فيتبعنى حتى إذا قلت هذا صادقا نزعا
ولو كان صادقا في الحبة لما كان له قلب يخاطبه . وإذا خاطبه في الهجر
لم يوافقه . إنما المحب الصادق هو القائل :
يقولون لو عانتك قبلك لارعوى فقلت وهل للعاشقين قلوب
ومثل هذا إذا نوقش كثير . فأقل موجود في الناس الفهم والغوص على
دقائق المعانى .

٣٦٦ - فصل - من تأمل الدنيا علم أنه ليس فيها لذة أصلًا ، فان
وجدت لذة شيبت بالنفus التي تزيد على اللذة اضعافا . فمن اللذات النساء .
فربما ثبتت المستحسنة ، وربما لم تحب الزوج ، ففي علم ذلك تعزل عنها ،
وربما خافت ، وذلك الملاك . فان تمت المرادات فذكر الفراق زائد في التأمل
على الالتزاد . ومن اللذات الولد ومقاسات البنت إلى أن تتزوج ، وما تلقى
من زوجها وخوف عارها محن قبيحة . والابن ان صرضا ذاب الفؤاد ،
وإن خرج عن حد الصلاح زاد الاسف ، وإن كان عدوا فراده هلاك
الأب ، ثم إن تتم المراد فذكر فراقه يذيب القلوب . ولو أن فاسقاً أحـبـ
بعض المرد انتهـتـ عـرضـهـ فـيـ الدـنـيـاـ وـذـهـبـ دـيـنـهـ ، ثم لا يـلـبـتـ أـنـ تـغـيـرـ حلـيـتهـ
فيـصـيرـ مـبـغـوـضاـ مـعـ مـاسـبـقـ مـنـ الـهـتـكـةـ وـالـأـثـمـ . وـكـمـ قدـ غـلـبـتـ شـهـوـةـ رـجـلـ
وـطـيـ الـجـوـارـيـ السـوـدـ فـجـاءـ الـلـدـأـسـوـدـ فـبـقـىـ عـارـاـ عـلـيـهـ . وـمـنـ هـذـاـ الجـنـسـ
الـالـتـذـاـذـ بـالـمـالـ ، وـفـيـ تـحـصـيـلـهـ آـثـامـ ، وـفـرـاقـهـ حـسـرـةـ ، وـذـهـابـ الـعـمـرـ فـيـهـ غـيـرـهـ .
وـهـذـاـ أـنـوـذـجـ لـمـ يـذـكـرـ فـيـنـيـغـيـ لـمـ وـفـقـهـ الـلـذـسـبـحـانـهـ أـنـ يـأـخـذـ الـفـرـودـيـ

الذى يميل إلى سلامه الدين والبدن والعاافية، ويهرج المهوى الذى نفخه
تتضاعف على لذته، ومن صبر على ما يكره قصد النفع في العاقبة التذ أضعافاً،
كـ طالب العلم فانه يتعب بسير اوينال خير الدارين مع سلامه العاقبة . ولذة
البطالة تعقب عدم العلم والعمل فيزيد الأسى على اللذة أضعافاً . فالله الله
أن يغلبك هو لك العاجل . ومتى هم المهوى بالتوبي فامنه وزن عاجله باجله .
وما يتذكر إلا أولو الالباب .

٣٩٧ - فصل - رأيت ابليس قد احتال بفنون الحيل . على اخلق
ومال أكثرهم عن العلم الذي هو مصباح السالك ، فتركتهم يتخبطون في
ظلمات الجهل ، وشغلتهم بامور الحسن ، ولا ينتتفعون إلى مشورة العقل .
فإذا ضاق باحدهم عيشه أو نكب اعترض فكره . فنهم من ينسب ذلك
إلى الدهر . ومنهم من يسب الدنيا . وهذا تسقيف لأن الدهر والدنيا
لا يفعلان وإنما هو عيب للمقدار . ومنهم من يخرجه الأمر إلى حجد الحكمة ،
فيقول أي فائدة في نقض البنى . وزعم بعضهم أنه لا يتصور عود المنقوض ،
وانكروا البعد . ويقولون ماجاء من ثم أحد . ونسوا أن الوجود ما تهوى
بعد ولو حلقت لصار الإيمان بالغيب عياناً ، ولا يصلح أن يدل على الأحياء
بالأحياء ، ثم نظر ابليس فرأى في المسلمين قوماً فيهم فطنة فأراهم أن الوقوف
على ظواهر الشريعة حالة يشاركون فيها العوام . فحسن لهم علوم الكلام
وصاروا يتحججون بقول بقراط وجالينوس وفيثاغورس ، وهو لاء ليسوا
بنتشرين ولاتبعوا بنيانا صل الله عليه وسلم . إنما قالوا بمقتضى ماسولت
لهم أنفسهم . وقد كان السلف إذا نشأ لأحدم ولد شغلوه بحفظ القرآن
وسع الحديث ، فثبتت الإيمان في قلبه . فقد تواني الناس عن هذا فصار

الولد الفطن يتشغل بعلوم الأُوائل وينبذ أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . ويقول أخبار آحاد . وأصحاب الحديث عندهم يسمون حشوية . ويعتقد هؤلاء أن العلم الدقيق علم الظفرة والميولي والجزء الذي لا يتجزأ ، ثم يتضادون إلى الكلام في صفات الخالق ، فيدفعون ماصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بواصمهم ، فيقول المعتزلة إن الله لا يرى لأن المرئي يكون في جهة ، ويختلفون قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنكم ترون ربكم كما ترون القمر لاتضامون في رؤيته . فأوجب هذا الحديث اثنار دؤيته وإن عجزنا عن فهم كيفيةها . وقد عزل هؤلاء الأغبياء عن التشاغل بالقرآن ، وقالوا مخلوق ، فزالت حرمة من القلوب . وعن السنة وقالوا أخبار آحاد . وإنما مذاهبهم السرقة من بقراط وجاليوس . وقد استفاد من قمع الفلاسفة أنه يرفه نفسه عن تعب الصلاة والصوم ، وقد كان كبار العلماء يذمون علم الكلام ، حتى قال الشافعى : حكمى فيهم أن يركبوا على البال ويشهروا ويقال : هذا جزء من ترك الكتاب والسنة واستغفل بالكلام . وقد آتى بهم الأمر إلى أن اعتقادوا أن من لم يعرف تحريرو دليل التوحيد فليس بمسلم . فالله الله من مخالطة المبتدة . وعليكم بالكتاب والسنة ترشدوا .

٣٦٨ - فصل - رأيت العادات قد غلبت الناس في تضييع الزمان وكان القدماء يخذرون من ذلك . قال الفضيل : أعرف من يعبد كلامه من الجمعة إلى الجمعة . ودخلوا على رجل من السلف فقالوا علينا أشغلناك فقال : أصدقكم كنتم أقرأ فتركت القراءة لا جلكم . وجاء رجل من المتعبدين إلى سرى السقطى فرأى عنده جماعة فقال : صرت مناخ البطالين ، ثم مضى

ولم يجلس . ومتى لأن المزور طمع فيه الزائر ، فأطال الجلوس فلم يسلم من أذى . وقد كان جماعة قعوداً عند معرفة فأطالوا افقال : إن ملك الشمس لا يفتر سوقة أفال يريدون القيام . ومن كان يحفظ اللحظات عامر بن عبدقيس . قال له رجل قف أكفك ، قال : فأمسك الشمس . وقيل لكرز بن وبرة : لو خرجت إلى الصحراء ، فقال : يبطل الزوجان . وكان داود الطائي يستفت الفتية ويقول : بين سف الفتية وأكل الخبز قراءة خمسين آية . وكان عثمان الباقلاوي دائم الذكر لله تعالى ، فقال أني وقت الافطار أحس بروحى كأنها تخرج لأجل اشتغال بالأكل عن الذكر . وأوصى بعض السلف أصحابه فقال : اذا خرجم من عندي فتفرقوا العل أحدكم يقرأ القرآن في طريقه . ومتى اجتمعتم تحدثتم . واعلم أن الزمان أشرف من أن يتضيئ منه لحظة ، فان في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له بها نخلة في الجنة . فكم يضيع الآدمي من ساعات يفوته فيها الثواب الجزيل . وهذه الأيام مثل المزرعة ، فكانه قيل للإنسان . كلما بدرت حبة أخرجننا لك الف كرز ، فهل يجوز للمأقل أن يتوقف في البذر ويتواني . والذى يعين على اغتنام الزمان الانفراط والعزلة مهما امكن ، والاختصار على السلام او حاجة مهمة لمن يلقى وقلة الأكل ، فان كثرة سبب النوم الطويل وضياع الليل . ومن نظر في سير السلف وآمن بالجزاء باذ له ما ذكرته .

٣٦٩ - فصل - في معاشر النساء . ينبغي للمأقل ان يتخير امرأة صالحة من يمت صالح يغلب عليه الفقر لترى ما ياتيها به كثيراً وليتزوج من يقاربه في السن . فاما الشیخ فإنه اذا تزوج صبية أذاها ، وربما بفرت أو قتلتة

او طلبت الطلاق وهو يحبها فيتهاذى . ولن يتم نقصه بحسن الأخلاق وكثرة النفقة . ولا ينبغي للمرأة ان تقرب من زوجها كثيرا فتمل ، ولا تبعد عنه فينساها . ولتكن وقت قربها اليه كاملة النظافة متحسنـة ، ولتحذر أن يرى فرجها او جسمها كله فان جسم الانسان ليس بمستحسنـ. و كذلك ينبغي ان لا يرى بها جسمـه و اما الجماع في الفراش . ورأى كسرى يوما كيف يسلخ الحيوان ويطبخ فتقليـت نفسه و نقـي الماحم . فذكر ذلك لوزيره . فقال : أباـ الملك ، الطبيـخ على المائدة . والمرأة في الفراش . ومعناه لاتفترش على ذلك . قالت عائشة رضي الله عنـها : ما رأيت من رسول الله صـلى الله عليه وسلم ولا رأـه منـي ، وقام ليلة عـرـيانا فـرأـيت جـسمـه قبلـها . وهذا الحـزم ، وكذلك يعيـب الرجل المرأة لـأنـه لم يـريـعـيـها . وـليـكـنـ للمرأة فـراـشـ وـلـهـ فـراـشـ . فلاـ يـجـتمعـانـ الاـ فيـ حـالـ الـكـيـالـ . وـمـنـ النـاسـ مـنـ يـسـتـهـيـنـ بـهـذـهـ الـأـشـيـاءـ فـيـ الـمـرـأـةـ مـتـبـذـلـةـ تـقـولـ هـذـاـ أـبـوـ أـلـادـيـ : وـيـتـبـذـلـ هـوـفـيـرـيـ كـلـ وـاحـدـ مـنـ الـآـخـرـ مـاـلاـ يـشـتـهـيـ فـيـنـفـرـ الـقـلـبـ وـيـقـعـ الـمـاعـشـةـ بـغـيرـ الـحـبـةـ . وـهـذـاـ فـصـلـ يـنـبـغـيـ تـأـمـلـهـ وـالـعـملـ بـهـ فـاـنـهـ أـصـلـ عـظـيمـ .

٢٧٠ - فـصـلـ - لاـ يـعـيشـ فـيـ الدـنـيـاـ إـلـاـ لـقـنـوـعـ بـالـسـيـرـ ، فـاـنـهـ كـلـاـ زـادـ الـحـرـصـ عـلـىـ فـضـولـ الـعـيـشـ زـادـ الـهـمـ وـتـشـتـتـ الـقـلـبـ ، وـاستـبـدـ الـعـبـدـ . وـأـمـاـ الـقـنـوـعـ فـلـاـ يـحـتـاجـ إـلـىـ مـخـالـطـةـ مـنـ فـوـقـهـ وـلـاـ يـبـالـيـ بـعـنـ هـوـمـثـلـهـ ، اـذـعـنـدـهـ مـاـعـنـدـهـ . وـاـنـ أـقـوـاـمـاـ لـمـ يـقـنـعـواـ وـطـلـبـواـ الـذـيـذـ الـعـيـشـ فـأـزـرـواـ بـدـيـنـهـمـ وـذـلـواـ اـغـيـرـهـ . وـخـصـوـصـاـ أـرـبـابـ الـعـلـمـ فـاـنـهـ تـرـدـدـواـ إـلـىـ الـأـمـرـاءـ فـاسـتـعـبـدـوـهـمـ وـرـأـواـ الـمـنـكـرـاتـ فـلـمـ يـقـدـرـواـ عـلـىـ اـنـكـارـهـ ، وـرـبـاـ مـدـحـواـ الـظـالـمـ اـتـقـاءـ لـشـرـهـ . فـالـذـيـ نـالـهـ مـنـ الذـلـ وـقـلـةـ الـدـيـنـ اـصـعـافـ مـاـ نـالـواـ مـنـ الـدـنـيـاـ . وـمـنـ أـقـبـحـ الـنـاسـ حـالـاـ

من تعرض للقضاء والشهادة ولقد كانت امر تبئن حستين وكان عبد الحميد القاضي لا يحابي . فبعث الى المعتضد ، وقال له : قد استأجرت وقوفاً فأد أجرتها ففعل . وقال له المعتضد : قد مات فلان ولنا عليه مال ، فقال : أنت تذكراً لما وليتني قلت لي : قد أخرجت هذا إلا من عنقى ووضعته في عنقك ولا قبل هذا إلا بشهادتين ، وكذلك كان الشهود . دخل جماعة على بعض الخلفاء فقال الخادم : أشهدوا على مولانا بـكـذا فـشـهـدوا ، فتقديم المجدوعى الى الستر فقال : يا أمير المؤمنين أشهد عليك بما في هذا الكتاب فقال : أشهد ، قال انه لا يكفى في ذلك ، لا أشهد حتى تقول نعم ، قال نعم : فاما في زماننا فتغيرت تلك القواعد من الكل ، خصوصاً من يتقرب بالمال ليس شهيد فتراه يُسحب ليشهد على مالا يرى قال لـأـبـوـالـعـالـىـ بنـشـافـعـ : كـفـتـ أحـمـلـ إلىـ بعضـ أـهـلـ السـوـادـ وـهـ مـحـبـوـسـ وـأـشـهـدـ عـاـيـهـ : وـأـعـلـمـ أـنـ لـوـلـ آـنـ مـكـرـهـ جـاءـ إـلـىـ بـقـدـمـيـهـ . وـأـنـ اـسـتـغـفـرـ اللـهـ مـنـ ذـلـكـ . وليس للشهود جرایة فيحملون ذلك لاجلها ، وإنما الذي يحصل جر الطيلسان ، وطرق الباب ، وقول المعرف : حرس الله نعمتك شهادة . ولما قيل لـأـبـرـاهـيمـ النـخـعـيـ : تكون قاضياً ، ليس قميصاً أحمر وجلس في السوق . فقالوا هذا لا يصلح . ودخل بعض الكبار على الرشيد وقد أحضره ليوليه القضاء فسلم وقال له : كيف أنت وكيف الصبيان فقيل هذا مجnoon . فيا الله جنون هو العقل . وما أظن الإيمان بالأخرة إلا متزلاً في أكثر القلوب . نسأل الله سبحانه سلامه للدين فإنه قادر .

٣٧١ - فصل - قد تكرر معناه في هذا الكتاب ، إلا أن إعادةه على النفوس مهمة لثلا يُفل عن مثله . ينبغي للمؤمن أن يعلم أن الله سبحانه

مالك حكيم لا يبغي . وهذا العلم يوجب نقى الاعتراض على القدر . وقد
 هب خلق بالاعتراض قدح فى الحكمة ، وذلك كفر . وأولهم البليس فى
 قوله : « خلقتني من نار و خلقت من طين » ومعنى قوله أن تقضيتك الطين
 على النار ليس بحكمة . وقد رأيت من كان فقيهاً به الاعتراض ، وهذا
 لأن المعترض ينظر إلى صورة الفعل ولو أن صورة الفعل صدرت من مخلوق
 مثلنا . حسن أن يعترض عليه . فاما من نقصت الأفهام عن مطالعة حكمته
 فاعتراض الناقص الجاهم عليه جنون . فاما اعتراض الخلة فدائم ، لأنهم
 يريدون جريان الأمور على أغراضهم ، فمتي انكسر لأحد هم غرض
 اعتراض . وفيهم من يتعمدى إلى ذكر الموت فيقول : بنى ونقض وكان لنا
 رفيق قرأ القرآن والقرأت وسمع الحديث الكثير ثم وقع في الذنب وعاش
 أكثر من سبعين سنة فلما نزل به الموت ذكر لـ أنه قال : قد ضاقت الدنيا
 إلا من روحى . ومن هذا الجنس سمعت شخصاً يقول عند الموت : ربى يظلمنى ،
 وهذا دليل . ويذكره أن يحكي كلام الخلة في جنونهم واعتراضاتهم
 الباردة . ولو فهموا أن الدنيا ميدان مسابقة ومارستان صبر ليبيس بذلك أثر
 الأخلاق لما اعترضوا . والذى طلبوه من السلامه وبلوغ الأغراض أمامهم
 لوفهموا لهم كالزوجارى يتلوث بالطين فإذا فرغ لبس ثياب النظافة . ولما
 أريد نقض هذا البدن الذى لا يصلح للبقاء نحيت عنه النفس الشريفة ثم بنى
 بناء يقبل الدوام . وبعد هذا فقل للمعترض : « فليمدد بسبب إلى السماء ثم
 ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيب » قل له إن اعترض لم يمنع ذلك
 جريان القدر وإن سلم جرى القدر ، فلا نجرى وهو مأجور خير من
 أن نجرى وهو مأذور . وما أحسن سكوت وضاح اليمن لما اختبا في صندوق

قال السلطان : أيها الصندوق ان كان فيك مانظني فقد حمونا أنرك ، وان لم يكن فليس بدفع خشب من جناح ، فلو أنه صاح ما اتفع بشيء ، ولربما أخرج فقتل أبشع قتلة .

٣٧٢ - فصل - من تلمح أحوال الدنيا علم أن مراد الحق سبحانه اجتنابها . فن مال إلى مباحها ليكتذو جد مع كل فرحة ترحة ، والى جانب كل راحة تعبا . وأآخر كل لذة تقاصاً يزيد عليها . وما رفع شيء من الدنيا إلا ووضع . أحب الرسول صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها فجاءه حديث الأفك ، ومال إلى ذنب فجاء : « فلما قضى زيد منها وطرا » ثم يكفي أنه إذا حصل محبوب به فعين العقل ترى فراقه فيتنقص عنده وجوده كما قال الشاعر :
 أتم الحزن عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا
 فيعلم العاقل أن مراد الحق بهذا التكدير التغفير عن الدنيا ، فيبقى
 أخذ البلقة منها ضرورة ، وترك الشواغل ، فيجتمع الهم في خدمة الحق ،
 ومن عدل عن ذلك ندم على الفوات .

٣٧٣ - فصل - العاقل يدبر بعقله عيشه في الدنيا ، فإن كان فقيراً
 اجتهد في كسب وصناعة تکفه عن الذل للخلق . وقلل العلائق واستعمل
 القناعة فما شسلينا من من الناس عزيزاً بينهم . وإن كان غنياً فينبغي له
 أن يدبر في نفقته خوف أن يفتقر فيحتاج إلى الذل للخلق . ومن البليمة
 أن يبذُر في النفقة ويماهى بها ليکمد الاعداء كأنه يتعرض بذلك إن
 أكثر لاصابته بالعين . وينبغى التوسط في الاحوال ، وكمان ما يصلح
 كثمانه ، ولقد وجد بعض الغسالين مالاً فـأَكْثَرَ النفقة فعلم به فأَخْذَ منه
 المال ، وعاد إلى الفقر . وإنما التدبير حفظ المال . والتوسط في الإنفاق .

وكمان ملا يصلح اظهاره . ومن الغلط اطلاع الزوجة على قدر المال . فانه ان
كان قليلا هان عندها الزوج . وان كان كثيرا طلبت زيادة الكسوة والحلبي .
قال الله عز وجل : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » وكذلك الولد . وكذلك الاسرار ،
ينبغى أن تحفظ منها ومن الصديق . فربما انقلب فقد قال الشاعر :

احذر عدوك مرة واحذر صديقك الف صره

فلربما انقلب الصديق فكان اعلم بالضرره

بحمد الله تعالى قد نجذ ما تواخاه الفكر الفتاوى من تقسيم ما جمعه القلم من
صييد الخطاطر . مقتصرًا فيه على ما به التخلى من الامراض النفسية . والتخلى
بالآداب الشرعية . والأخلاق المرضية . جعله الله تعالى خير هادى منبر الوعظ
والارشاد . وانفع كتاب تخلى في مرايا الظہور لهدایة العباد .

والحمد لله أولاً وآخرًا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى

آلـهـ وـصـحبـهـ وـسلـمـ



وَمَا يَأْتِي إِلَّا مُؤْمِنٌ بِهِ وَمَا يَرَى إِلَّا مُؤْمِنًا
 إِنَّ الْأَوَّلَيْنَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِمَا كَانُوا بِهِ
 وَالْآخِرُونَ لَمْ يَأْتُوكُمْ بِمَا كَانُوا بِهِ
 وَلَكُمُ الْأَدْبَارُ وَإِنَّكُمْ لَمْ تَرَوْهُ
 مِنْ أَنْفُسِكُمْ فَلَا يَرَوْهُمْ
 وَهُمْ لَا يَرَوْنَهُمْ إِنَّهُمْ لَكُلُّ
 أَنْفُسٍ وَلَكُلُّ أَنْفُسٍ
 كُلُّ أَنْفُسٍ مُّسْكُنٌ لِّمَا
 يَرَى إِنَّمَا يُعَذِّبُ
 مَنْ يَرَى إِنَّمَا يُغْنِي
 عَنْ أَنْفُسِهِ مَنْ
 يَرَى إِنَّمَا يُغْنِي
 عَنْ أَنْفُسِهِ مَنْ
 يَرَى إِنَّمَا يُغْنِي
 عَنْ أَنْفُسِهِ مَنْ
 يَرَى إِنَّمَا يُغْنِي
 عَنْ أَنْفُسِهِ مَنْ
 يَرَى إِنَّمَا يُغْنِي
 عَنْ أَنْفُسِهِ مَنْ
 يَرَى إِنَّمَا يُغْنِي
 عَنْ أَنْفُسِهِ مَنْ
 يَرَى إِنَّمَا يُغْنِي
 عَنْ أَنْفُسِهِ مَنْ
 يَرَى إِنَّمَا يُغْنِي
 عَنْ أَنْفُسِهِ مَنْ
 يَرَى إِنَّمَا يُغْنِي
 عَنْ أَنْفُسِهِ مَنْ
 يَرَى إِنَّمَا يُغْنِي
 عَنْ أَنْفُسِهِ مَنْ
 يَرَى إِنَّمَا يُغْنِي
 عَنْ أَنْفُسِهِ مَنْ
 يَرَى إِنَّمَا يُغْنِي
 عَنْ أَنْفُسِهِ مَنْ
 يَرَى إِنَّمَا يُغْنِي
 عَنْ أَنْفُسِهِ مَنْ
 يَرَى إِنَّمَا يُغْنِي
 عَنْ أَنْفُسِهِ مَنْ



- ١ خطبة الكتاب وأسباب التأليف
- قد يعرض عند سماع الموعظ للسامع يقظة
عدم دوام اليقظة بعد الموعظة يرجم لسبعين
أرباب اليقظة يتفاوتون في بقاء الأثر
- ٢ جواذب الطبع الى الدنيا كثيرة
- جواذب الطبع الى الدنيا أكثروا أقوى من جواذب الآخرة
من عين بعين بصيرته تناهى الامور في بدايتها نال خيراً الخ
- ٣ صراة الحسرات على التفريط تغلب حلاوة اللذات
- ٤ من تفكك عواقب الدنيا أخذ الحذر
- أعجب العجائب سرورك بغرورك وسهوك في هوك الخ
- ٥ من قارب الفتنة بعدت عنه السلامه الخ
- أعظم العاقبة أن لا يحس الماعقب بالعقوبة الخ
- ٦ تدبرت أحوال العلماء والمترهددين وعقوباتهم
- أول عقوباتهم اعراضهم عن الحق شغلاً باخلاق
- من خفى عقوباتهم سلب حلاوة المناجاة ولذة التعبد الخ
- ٧ من علامة كمال العقل علو اهمة الخ
- سبحان من سبقت محنته لا حبابه
- ٨ الواجب على العاقل أخذ العدة لرحيله الخ
- العاقل من أعطى كل لحظة حقها من الواجب عليه الخ

الصيغة الفصل	نمرة	نمرة
--------------	------	------

- ١٠ خطرت لي فـكرة فـيـما يـحرـى عـلـى كـثـيرـمـنـالـعـالـمـمـنـالـمـصـائـبـالـخـ
- ١١ تـأـمـلـتـ التـحـاسـدـ بـيـنـ الـعـامـاءـ فـرـأـيـتـ مـنـشـأـهـ حـبـ الدـنـيـاـ الخـ
- عـلـمـاءـالـآـخـرـةـ يـتوـادـدـونـ وـلـاـ يـتـحـاسـدـونـ
- كـانـواـ يـتـدـافـعـونـ الـفـتـوـىـ وـيـحـبـونـ الـجـمـولـ
- ١٢ من أـحـبـ تصـفـيـةـ الـأـحـوـالـ فـلـيـجـتـهـ
- ١٣ تـفـكـرـتـ يـوـمـاـ فـيـ التـكـلـيفـ فـرـأـيـتـهـ يـنـقـسـمـ إـلـىـ سـهـلـ وـصـعـبـ
- مـنـمـسـتـصـعـبـ الـنـظـرـ وـالـاستـدـلـالـ الـموـصـلـانـ إـلـىـ مـعـرـفـةـ الـخـالـقـ
- ١٤ يـنـبـغـيـ لـلـإـنـسـانـ أـنـ يـعـرـفـ شـرـفـ زـمـانـهـ وـقـدـ رـوـقـتـهـ الخـ
- وـقـدـ كـانـ جـمـاعـةـ مـنـ السـلـفـ يـبـادـرـونـ الـلحـظـاتـ
- ١٥ رـأـيـتـ مـنـ أـعـظـمـ حـيـلـ الشـيـطـانـ وـمـكـرـهـ أـنـ يـخـبـطـ أـرـبـابـ
- الـأـمـوـالـ بـالـأـمـالـ
- ١٦ تـأـمـلـتـ أـحـوـالـ الـفـضـلـاءـ فـوـجـدـتـهـمـ فـيـ الـأـغـلـبـ قـدـ بـخـسـوـاـ مـنـ
- حـظـوظـ الـدـنـيـاـ
- الـدـنـيـاـ إـنـماـ تـرـادـ لـتـعـمـرـ لـاـ لـتـعـمـرـ
- حـظـوظـ الـأـدـمـيـ مـنـ مـسـتـلـذـاتـ الـدـنـيـاـ مـبـخـوـسـةـ بـالـنـسـبـةـ لـالـحـيـوانـ
- ١٧ تـأـمـلـتـ إـقـدـامـ الـعـلـمـاءـ عـلـىـ شـهـوـاتـ النـفـسـ الـنـهـيـ عنـهاـ فـرـأـيـتـهاـ
- مـرـتـبـةـ تـزـاحـمـ الـكـفـرـ
- ١٨ مـنـ تـأـمـلـ اـفـعـالـ الـبـارـىـ سـبـحـانـهـ رـآـهـ عـلـىـ قـانـونـ الـعـدـلـ الخـ
- ١٩ تـأـمـلـتـ أـحـوـالـ الصـوفـيـةـ وـالـزـهـادـ فـوـجـدـتـ أـكـثـرـهـاـ مـنـ حـرـفاـ
-

- | نَفْرَة
الصَّحِيفَةِ الْفَصْلِ | ١٤ | عَنِ الشَّرِيعَةِ الْخَ |
|-----------------------------------|----|--|
| | ٢٠ | إِمَامُ الْمَطْعُمِ فَالْمَرَادُ مِنْهُ تَقْوِيَةُ الْبَدْنِ خَدْمَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ |
| | ٢١ | كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا كُلَّ مَا وَجَدَ |
| | ٢٢ | وَأَنَّهَا يَكْرَهُ الْأَكْلُ فَوْقُ الشَّبَعِ وَاللَّابِسِ عَلَى وَجْهِ الْاِخْتِيَالِ وَالْبَطْرِ |
| | ٢٣ | يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَتَّبِعَ الدَّلِيلَ لِأَنَّهُ يَتَّبِعُ طَرِيقَ الْقَاتِلِ يَتَطَلَّبُ لَهُ الدَّلِيلُ |
| | ٢٤ | وَقَدْ كَانَ يَسْتَعْذِبُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَاءَ |
| | ٢٥ | مَا يَرَوْنَ عَنْ جَمَاعَةِ أَنْهُمْ دَفَنُوا كَتَبُهُمْ مِنْهُمْ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ |
| | ٢٦ | قَدْ أَشْكَلَ عَلَى النَّاسِ أَمْرُ النَّفْسِ وَمَا هِيَتِهَا إِلَّا خَ |
| | ٢٧ | مَذَهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّهَا وَجُودًا بَعْدَ مَوْتِهَا إِلَّا خَ |
| | ٢٨ | الصَّوَابُ أَنَّ النَّفْسَ تَخْرُجُ بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَى نَعِيمٍ أَوْ عَذَابٍ إِلَّا خَ |
| | ٢٩ | قَلْتُ يَوْمًا فِي مَجْلِسٍ لِوَأْنِ الْجَمَالِ حَمَلَتْ مَا حَمَلَتْ لِمَجْزَتِهِ |
| | ٣٠ | مِنْ ظَنِّ أَنَّ التَّكَالِيفَ سَهْلَةٌ فَمَا عَرَفَهَا |
| | ٣١ | أَصَبَّ التَّكَالِيفَ فِيمَا لَا يَعْلَمُ الْعُقْلُ مَعْنَاهُ كَايَلَامُ الْأَطْفَالِ إِلَّا خَ |
| | ٣٢ | تَأَمَّلَتْ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَوُجِدَتْ حَوَادِثُ الدُّنْيَا طَبِيعِيَّةً |
| | ٣٣ | وَحَوَادِثُ الْآخِرَةِ إِعْانِيَّةً . |
| | ٣٤ | — عَلَيْكَ بِالْعَزْلَةِ وَالذِّكْرِ وَالنَّظَرِ فِي الْعِلْمِ إِلَّا خَ |
| | ٣٥ | تَأَمَّلَتْ حِرْصُ النَّفْسِ عَلَى مَا مَنَعَتْ مِنْهُ فَرَأَيْتَ حِرْصَهَا يَزِيدُ |
| | ٣٦ | عَنْ قَدْرِ قُوَّةِ الْمَنْعِ |
| | ٣٧ | الْسَّبَبُ فِي ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى اْمْرَيْنِ |

	نوعة النصل الصحيفة
٢٤ لازالت نفسي تنازعني بما يوجبه مجلس الوعظ الخ محاورة مقنعة مع البليس في الزهد	٢٦
مبيل النفس الى التزهد لسبعين ٢٥ تأملت المراد من الخلق فاذا هو الذل الخ	٢٨
٢٦ تأملت قوله تعالى يحبهم ويحبونه مبحث في محبة العلم والعمل	
» في محبة الله تعالى وأسبابها ٢٧ تأملت حالة عجيبة الخ	٣٠
مبحث في أن فعال الخالق حيرت العقول ٢٨ تأملت في فوائد النكاح ومعاناته وموضوعه	٣١
مبحث في أن النسل خلف عن الأصل في حكمة وضع الشهوة في الإنسان	
مبحث في أن وجود الخلل في المنكوح يجب اضطرابا في خروج المني	
في أسباب وجود الاضطراب في أحوال المولود في حكمة كراهة نكاح الأقارب	٣٢
٣٣ مبحث من اراد نجابة الولد وقضاء الوتر فليتخير المنكوح مطلوب في التوراة كل تزويج على غير هدى حسرة وندامة	
إلى يوم القيمة	

مطلب من قدر على امرأة صالحة في الصورة والمعنى فليغض
عن عوراتها

في وصاياها مساعدة لمرىء الزواج ونعداد الزوجات

٣٥ كل شيء خلقه الله في الدنيا فهو انموذج ما في الآخرة الخ

مبحث في المعاصي وما يترتب عليها والطاعات وما يترب عليها

مطلب قال الحكمة المعاشرة بعد المعاشرة عقاب المعاشرة الخ

٣٧ نظرت في الأدلة على الحق سبحانه وتعالى فوجدها أكثر

من الرمل الخ

٣٩ تأملت الأرض ومن عليها بعين فكري فرأيت خرابها أكثر

من عمارتها الخ

نظرة في أنواع الناس وأحوالها

٤٠ رأيت ميل النفس إلى الشهوات زائداً في المقدار

محاورة مع النفس في ميلها إلى الشهوات

أحوال المحرمات وما يترتب عليها

٤١ خطير لي خاطر وجلس قد طاب الخ

مبحث في يقظة النفس وقواعدها

٤٢ تفكرت فرأيت أن حفظ المال من المتعين الخ

مطلب ليس من التوكيل الشرعي انفاق ما في اليد وبقاء المتفق

كلاً على الناس يزاحم الفقراء والمساكين

- مطلب رفض الاسباب زهدا عصياني بالاجماع ٤١
- الطبع له حق يتقادنه ٤٢
- ٤٣ تأملت في شهوات النفس فرأيتها مصادفه للاك وفخوخ تلف من قوى عقله على طبيعة سلم الخ
- ٤٤ أسرع شهوات النفس هلا كالم شهوة الجماع
- ٤٥ بلغى عن بعض زهاد زماننا أنه قدم اليه طعام فقال لا أكل الخ مخالفة النفس في شهوتها على الدوام يعم قلبها ويبلد خاطرها الشهوة للنفس نعم الباءت لمصلحة البدن إلا اذا افرطت الترخصن جائز إلا أن يؤذى بباب الورع
- ٤٦ تأملت جهاد النفس فرأيته أعظم الجهاد منع النفس من حظوظها غاطس من وجهين
- ٤٧ رأيت من البلاء العجب أن المؤمن يدعوا فلا يحاب مطلب في حكمه عدم اجابة الدعاء للداعي أو تأخيرها
- ٤٨ من نزلت به بلية فأراد تحقيقها فليصورها أكثر مما هي تهن مطلب فيما يهون وطأة البالية على المبتلى
- ٤٩ لما رأيت رأى نفسي في العلم حستنا الخ
- ٥٠ مما يزيد العلم عندي فضلا الخ
- ٥١ من الجهل جعل التوكيل الشرعي هو قطع الاسباب كلها العمل على الاسباب مع تعلق القلب بالسبب هو المشروع

- | نمرة
الصفيحة | الملائكة على الانبياء والآولى اه |
|-----------------|---|
| ٤٢ | ما زال اتعجب من يرى تفضيل الملائكة على الانبياء والآولى اه |
| ٤٣ | رأيت كثيرا من اخلق لا ينتهيون عن البحث |
| ٤٤ | عن اصول الاشياء التي امرروا بترك العلم بها كالعقل والروح |
| ٤٥ | مطلوب في وجوه كف المكافف عن الخوض في البحث عن |
| ٤٦ | حقائق صفات الله تعالى كما عليه السلف |
| ٤٧ | رأيت اكثرا من اخلق في وجودهم كالمعدومين الخ |
| ٤٨ | الزاهد ذكر اعلى الفن والعالم مؤدب الصبيان والعارف ملقى الحكمة |
| ٤٩ | لما تألمت تدبير الصانع في سوق رذق الخ |
| ٥٠ | كنت في بداية الصبوة قد ألمت سلوك طريق الزهاد الخ |
| ٥١ | لما تألمت تدبير الصانع في سوق رذق الخ |
| ٥٢ | مناجاة للمؤلف مع ربه |
| ٥٣ | أعجب مصادف ابليس التي يصيده بها العلماء |
| ٥٤ | وجوب العزلة عن اخلق والحد من خواص التأويلات |
| ٥٥ | وفوادس الفتاوي |
| ٥٦ | رأيت نفسي تأويلا في مباح أزال به شيئا من الدنيا الخ |
| ٥٧ | رأيت نفسي كلما صفا فكرها الخ |
| ٥٨ | مطلوب العلم طبيب يصف كل لحظة لكل داء دواء يلاعنه |
| ٥٩ | عجبت لقوم يدعون العلم ويميلون الى التشبيه الخ |

نمرة
المحفظة الفصل

- | | |
|----|---|
| ٦٤ | مطلب في البحث في المتشابه |
| ٦٥ | تفكرت في السر الذي أوجب حذف آية الرجم من القرآن |
| ٦٦ | لظام نبوت حكمها إجماعاً الخ |
| ٦٧ | عرضت لي حالة جاءت فيها بقلبي إلى الله تعالى وحده |
| ٦٨ | تمحت على خلق كثير من الناس إهمال أبدانهم الخ |
| ٦٩ | مطلوب إهمال النظافة يؤدى إلى الخلل في الدين والدنيا |
| ٧٠ | مطلوب في فوائد النظافة الدنيوية والأخروية |
| ٧١ | تأملت مبالغة أرباب الدنيا في اتقاء الحر والبرد فرأيت هاتك |
| ٧٢ | المقصود في باب الحكمة |
| ٧٣ | مطلوب في أن المطلوب الاعتدال في الوقاية منها |
| ٧٤ | ليس في التكليف أصعب من الصبر على القضاء ولا فيه أفضل من الرضاء |
| ٧٥ | مطلوب القدر غالباً يجري بمكرره للنفس بتنوع تغير العقول |
| ٧٦ | لما أنهيت الفصل المتقدم هتف بي هاتف |
| ٧٧ | محاورة مع الهاتف تقىسة في بحث الرضى بالقضاء والقدر |
| ٧٨ | رأيت جهور العلامة يشغلهم طلب العلم في زمن الصبا عن المعاش الخ |
| ٧٩ | — ما زال جماعة من المترهدين يزدرون بكثير من العلامة اذا انسطوا في مباحثات الخ |

المحيفة الفصل	نحوة الفصل
٥٨ ليس في الوجود شيء أشرف من العلم	
مطلب زين بجماعة من القدماء دفنوا أكتيهم ورمواها في البحر	٧٤
٥٩ مربى حمالان تحت جذع ثقيل وهو يتجاو باز بإنشاء النغم	٧٥
٦٠ تأملت اشياء تجري في مجالس الوعظ يعتقدوها العوام وجهال	
العلماء قربة	
مطابق في التطريب في القرآن وتلحينه	
٦١ من أضر الأشياء على العوام كلام المتأولين للصفات والإضافات	٧٨
مطلب نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلام في القدر	٨٠
مطلب يمنع العامي من الخوض في الصفات ويكتفيه الإيمان	٨٠
الأجالي	
مطلب سيدنا ابراهيم عليه السلام طلب رؤية كيفية احياء	
الموت فارأه ميتا حيى	
مطلب أنكر ونكير يسألان عن العقائداجمالا	
٦٢ قرأت هذه الآية «قل أرأتم إن أخذ الله سمعكم وأبصركم وختم	٦٢
على قلوبكم الآية	
٦٣ نظرت فيما تكلم به الحكماء في العشق وأسبابه	٨١
٦٤ عرض لي أمر يحتاج إلى سؤال الله عز وجل ودعائه	٨٣
مطلب الاعتراف بالقصصي انفع في الاجابة من النظر إلى	
حسن العمل	

الصحيحة الفصل	غرة غرة
٦٥ قرأت من غرائب العلم وعجائب الحكم الخ	٨٤
٦٦ دعوت يوما فقلت اللهم بلغنى آمالى من العلم والعمل الخ	٨٥
٦٧ قلوب العارفين يغار عليها من الاسباب الخ	
٦٨ مطلب غيرة الله تعالى على تماق القلوب بالاسباب توجب العقوبة	٨٦
٦٩ المؤمن لا يبالغ في الذنوب وإنما يقوى الهوى وتتوقد نيران	
٧٠ الشهوة فيتحدر النخ	
٧١ افضل الاشياء التزيد من العلم النخ	٨٧
٧٢ تأملت قوله عز وجل «يمنون عليك ان أسلمو اقل لاتعنوا على	٨٨
٧٣ إسلامكم بل الله يمن عليكم ان هدكم للإيمان ان كفتم صادقين ،	
٧٤ فرأيت فيه معنى عجيبا	
٧٥ بحث في آداب المتقى مع العاصى	٨٩
٧٦ اعلم ان شرعنا مضبوط الاصول محرر القواعد لاخلل	
٧٧ فيه ولا دخل	
٧٨ مطلب الآفات الداخلة على الدين من المبتدئين والجهال	-
٧٩ كبدع النصارى واليهود	
٨٠ مطلب لعب الشيطان بعقول بعض علمائنا لكنه لم يفرقهم	٩٠
٨١ بحث في المتشابهات وردما وقم فيها من التأويل	٩١
٨٢ اعلم ان الزمان لا يثبت على حال	٩٦
٨٣ تأملت امرا عجيبة وأصلا ظريفا وهو انهيال الابتلاء على	

- ٩٦ المؤمن وعرض صور الذات عليه مع قدرته على نيلها
٧٤ تأملت حالة عجيبة وهو ان المؤمن تنزل به النازلة فيدعوه
ويبالغ فلا يرى اثرا للجاجة الخ
٩٧ آياك ان تستطيل مدة الاجابة وكن ياظروا الى انه المالك
وانه الحكيم
٩٨ لما كان بدن الادمى لا يقوم الا باحتلال المصالح ودفع
المؤذى ركب فيه الهوى الخ
مطلب لولا الهوى في المطعم والشرب والنكح لم يقدم
عليها الانسان
انما خلقت هذه الاشياء اعانة للبدن على قطع مراحل
الدنيا عليها لا للالتذاذ بها
٩٩ من تأمل عواقب العاصي رآها قبيحة
٧٧ يندفعى للعامل ان يلازم باب مولاه على كل حال
١٠٠ ينبعى لمن ظهرت نعم الله عز وجل عليه ان يظهر منها ما
يبين أكثراها ولا يكشف جلتها
رب كلمة جرى بها اللسان هلك بها الانسان
٧٩ دأيت كل من يعبر بشئ او يزور في مطر يلتفت الى ماء
به طبعا موضوعا في الخلق
٨٠ تأملت قوله تعالى فن اتبع هداي فلا يغسل ولا يشقي «
(م - ٢٨)

نمرة الصفحة	لاينال لذة العاصي الا سكران الغفلة	١٠٢
١٠٣	بكرت يوماً أطلب الخلوة إلى جامع الرصافة الخ	
١٠٤	تأملت الدخل الذي دخل في ديننا في العلم والعمل فرأيته	
١٠٥ -	من طريقين مساوى العزلة وأفاتها الدينية والدنوية	
١٠٦	موازنة بين العلم والزهد ينبعى لكل ذى لب وفطنة أن يحذر عواقب العاصي	
١٠٧	مطلوب في التحذير من غضب الله تعالى والأغترار بحمله وغفوه	
١٠٨	كثير من الناس يتسامون في أمور يظنونها قريبة رأيت من نفسي عجباً تأسأل الله عزوجل حاجاته وتنسى جنائتها	
١٠٩	أن اردت السؤال فتحقق التوبة ثم أسأل من المجب تسائل مهام الدنيا ولا تسأل صلاح القلب والدين	
١١٠	أعجب العجب دعوى المعرفة مع البعد عن العرفان بالله عزوجل	
١١١	التحذير من العجب والكبر والأمن من البطش والمكر	
١١٢	من عاش مع الله عزوجل طيب العيش في زمن السلامة خفت عليه في زمن البلاء	
١١٣	ليس في الدنيا ولا في الآخرة أطيب عيشاً من المعارف	
١١٤	بالله عزوجل خصائص المعارف ومزاياهم التي فازوا بها في الدنيا والآخرة	

نحو الصعينة الفصل	نحو الفصل
١١٠ رأيت في العقل نوع منازعة لتعلم الى جميع حكم الحق	٨٩ بالله عليك يا مرفوع القدر بالقوى لاتبع عزها بذل العاصي
٩٠ عز وجل في حكمه	٩٠ أياك والاعتراض على الحكيم اذا خفيت عليك حكمه
١١٢ أن لم يوكِّس راياتكم فلن أنت وهم للعبد أن ينتقد سيده ويتحمّم	٩١ أصعب الأشياء مجاهدة النفس
الحاizon من سلك مع نفسه خطوة الاعتدال يعطيها المهاوى ستوفي	٩٢ منها ما عليها
رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعاً عجيبة	٩٣ اضر ما على المريض التخلص طرداً ومامن أحد إلا وهو مريض بالموى
رأيت المشائخ أحواهم مختلفة يتفاوتون في مقادير هم في العلم	٩٤ سبحان الملك العظيم الذي من عرفة خافه ومن أمن مكره قط
١١٣ ما عرفه .	٩٥ رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعاً عجيبة
١١٤ رأيت المشائخ أحواهم مختلفة يتفاوتون في مقادير هم في العلم	٩٦ رأيت تأملت العلم والميل اليه والتشاغل به فإذا هو يقوى القلب الخ
١١٥ رأيت أطرف الأشياء افاقه المختضر عند موته	٩٧ رأيت أخذ المتيقظ بيت شعر فأخذ منه اشارة فانتفع بها
١١٦ رأيت أمكنني تحصيل شيء من الدنيا بنوع من أنواع الرخص الخ	٩٨ رأيت مازلت اسمع عن جماعة من الا كابر وارباب المناصب انهم
١١٧ يشربون الخمور الخ	٩٩ رأيت مازلت اسمع عن جماعة من الا كابر وارباب المناصب انهم
١١٨ رأيت مازلت اسمع عن جماعة من الا كابر وارباب المناصب انهم	١٠٠ رأيت مازلت اسمع عن جماعة من الا كابر وارباب المناصب انهم

نمرة
الصحيحة الفصل

- ١٠١ ١٢٠ اجتهد العاقل فيما يصلحه لازم له يقتضي العقل والشرع
جمع المال وحفظه وتنميته لازم شرعاً لانه سبب بقاء الإنسان
ذكر عدة من الصحابة كانوا ينتهدون في جمع المال وحفظه
- ١٠٢ ١٢٢ عرض لي في طريق الحج خوف من العرب الخ
البلاء يهيايات معلومة الوقت عند الله عز وجل
- ١٠٣ ١٢٣ لا بد للمبتلى من الصبر الى انقضاء زمان البلاء واستعجال زواله
لابد من الصبر واجب وان كان الدعاء مشرعوا المستعجل مزاحم
للمدبر
- ١٠٤ ١٢٤ ليس في الوجود شيء أصعب من الصبر
الجزع لا يفید بل يفضح صاحبه
- ١٠٥ ١٢٥ ينبغي لمن وقع في شدة ثم دعا ان لا يخلي في قلبه أمر من
تأخير الاجابة أو عدمها
Hadith Mâ'mûn Mâslim Dua' Allâh Ta'âlî al-âjâbiya
- ١٠٦ من اراد ان يعرف رتبة العلماء على الزهاد فلينظر في رتبة جبريل
وميكائيل
- ١٠٧ ١٢٦ مطلب بزيادة العلم صار آدم مسجوداً له وبقصاصاته صارت
الملائكة ساجدة له
اعلم أن أصلح الأمور الاعتدال في كل شيء

المحجة الفصل	نحو
١٠٨ من أعمل فكره الصافى دله على طلب اشرف المقامات مما ينبغي للشخص الاجتهاد فى الكسب غاية لامتنعه عن العلم	١٣٨
١٠٩ ليس للعلماء انفع من جمع المال الاستغناء عن الناس	—
١١٠ أعظم دليل على فضيلة الشيء النظر الى ثمرته	—
١٢٩ مطلب الفقهاءفضل العلوم وما فاق أزباب المذاهب الابافقه	—
١٣٠ رأيت كثيرًا من الناس يتحرزون من رشاش نجاسة ولا يتحاشون من غيبة الخ	—
١٣١ ١١٢ من أعظم القاطط الثقة بالناس والاسترسال الى الأصدقاء	—
١٣٢ ١١٣ رأيت شخصاً مني أفنى أوائل عمره في طلب العلم الخ	—
١٣٣ ١١٤ رأيت الشر في تحصيل الأشياء يفوت الشر مقصوده	—
١٣٤ ١١٥ ان للخلوة تأثيرات تبين في الجلوة	—
١٣٦ ١١٦ عوائق الطاعات والمعاصي ظهور آثارهما عند الناس	—
١٣٧ ١١٧ من عرف جريان الأقدار ثبت لها وأجهل الناس بعد هذا من قواها	—
١٣٨ ١١٨ سبعان المتصرف في خلقه بالاغتراب والاذلال ليبلو صبرهم الخ ذكر طرف من بلايا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام	—
١٣٩ ١١٩ ينبغي للعاقل أن لا يقدم على العزم حتى يؤمن نفسه هل يطيقها	—
١٤٠ ١٢٠ اللذات كلها بين حسي وعقلني فنهاية اللذات الحسية النكاح	—

- وغاية المذات العقلية العلم ١٤٢
- ١٤١ في تعلم حفظ العلم وفي الاصول المطلوب رعايتها في طلب العلوم من الغلط كثرة الاهتمام في الطلب فان عاقبته فتور المهمة جملة وصايا ثمينة تجنب رعايتها اثناء الطلب لاغنى للطالب عنها
- ١٤٣ من اراد دوام العافية والسلامة فليتق الله عز وجل
- ١٤٤ أحوال العاصي عند القدوم على العصياني انواع من اعظم الحزن الاغترار بالسلامة بعد الذنب
- ١٤٥ قدم الى بغداد جماعة من أهل البدع من الاعاجم فارتقاوا منابر التذكير للعوام الخ ذكر شبهتهم في الفاظ القرآن وحروفه بيان حل هذه الشبهة على طريقة السلف بأدلة شرعية
- ١٤٩ اعظم البلايا ان يعطيك همة عالية وينعمك من العمل بمقتضاهما
- ١٤٧ ١٥٠ تراغنت على نفسى في طلبها شيئاً من أغراضها يتأويل فاسد محاورة مع النفس في الصبر على المكاره
- ١٥١ ١٤٦ من نازعته نفسه الى لذة محمرة الخ
- ١٥٢ ١٤٧ رأيت الخلق كلهم في وصف محاربة
- ١٤٨ ١٤٨ الدنيا فخ والجاهل باول نظرة يقع
- ١٥٣ ١٤٩ اعلموا اخوانى ومن يقبل نصيحتى ان للذنب تأثيرات قبيحة

- ١٣٠ ضاق بي أمر أوجب غما لازما دائما | ١٥٣
- التقوى سبب للخروج من كل غم | ١٥٤
- من العجب إلحاحك في طلب أغراضك | ١٣١
- مطلوب عدم اجابة الدعوى يرجع لأحد امرئين | ١٣٢
- يحب على من لا يدرى متى يبعثه الموت أن يكون مستعدا | ١٥٥
- طول الامل وآفاته ودواؤه | ١٣٣
- الحذر الحذر من العاصي فان عوائبها سينة | ١٥٦
- أعظم المقوية عدم الاحساس بها | ١٣٤
- المبارزة لله تسقط العبد من عين الله | ١٣٥
- اخوانى اسمعوا نصيحة من جرب وخبر | ١٥٧
- بقدر إجلال العبد لله وتنظيم قدره يجله الله ويعظم قدره | ١٣٦
- في قلوب العباد | ١٣٧
- أيها المذنب اذا أحست نفحات الجزاء فلا تكترن الضجيج | ١٣٨
- لادواء للمبتلى الاملازمة محراب التوبه والاناية | ١٣٩
- الواجب على العاقل أن يحذر مغبة العاصي | ١٣٧
- واعجبنا من عارف بالله عز وجل بخالقه ولو في تلف نفسه | ١٤٠
- قدرت في بعض الايام على شهوه للنفس هي عندها حلام من الماء | ١٤١
- الزلال في الصادي | ١٤٢
- محاورة في الأخذ بالورع من الشبهات والتحت على الصبر عنها | ١٤٣

نوع الفصل	العنوان	النحو
صحيحة الفصل	لأنكر على من طلب لذة الدنيا طريق المباح	١٦٠
الحق عز وجيل أقرب إلى عبده من حبل الوريد	١٦١	
المخالفة توجب الوخشة والطاعة توجب الانس	١٦٢	
الدنيا في الجملة معبر فينبغي للإنسان أن لا ينافس بذلكها	١٦٣	
نبذة في آداب الزوجين وما يحسن به عشرة مما	١٦٤	
نازعتنى نفسي إلى أمر مكره في الشرع	١٦٥	
مارأيت أعظم فتنة من مقاومة الفتنة	١٦٦	
لولا غيبة العاصي فوق العاشر كان كالمعاند	١٦٧	
البلايا على مقادير الرجال	١٦٨	
الناس قسمان قسم ضعيف راض بما عنده من دين ودنيا وقسم	١٦٩	
على الحسنة لا فناء له إلا بالورع	١٧٠	
ينبغي لطلاب العلم أن يكون جل همته مصر وفالي الحفظ والإعادة	١٧١	
إذا صاح قصد العالم استراح من كلف التكليف	١٧٢	
كثير من العلماء الذين هم على غير يقين من فتواهم يأنفون	١٧٣	
أن يقولوا لا ندرى حفظا جاههم	١٧٤	
من أصلح سيرته فاح عبير فضله وعيقت القلوب بنشر طيبه	١٧٥	
نزلت في شدة وأكثرت من الدعاء اطلب الفرج والراحة	١٧٦	
وتاخرت الإجابة	١٧٧	
محاورة مع النفس واقناعها عند عدم إجابة الدعاء بخمسة أوجه	١٧٨	

- | نمرة
الصحيحة الفصل | المحتوى |
|-----------------------|--|
| ١٦٨ | حضرنا بعض اعدية أرباب الاموال فرأيت العلامة اذل الناس عندم |
| ١٦٩ | الاولى للعام أن يجتهد في طلب الغنى يصون به شرف العلم ويستغنى به عن الناس |
| ١٧٠ | تأملت وقوع المعااصي من العصاة فوجذبهم لا يقصدون العصيان وانما يقصدون موافقة هواهم السبب في هذا الاقدام ملاحظة كرم الاخالق مع عدم ملاحظة عظمته وهيبته |
| ١٧١ | رأيت عموم ارباب الاموال يستخدمون العلامة يستذلونهم بشيء يسير . |
| ١٧٢ | مدار الامر كله على العقل اذا تم العقل لم يعمل صاحبه الاعلى أقوى دليل |
| ١٧٣ | كثير من الناس من لا يحسنون طرق الاستدلال كاليمود والنصارى . |
| ١٧٤ | الواجب على العاقل ان يتبع الدليل ثم لا ينظر فيما لا يجني في مكروه . |
| ١٧٥ | بعد ثبوت حكمه اخالق وحسن تدبيره في ملكه يجب تسليم الامر اليه والاقرار بالعجز عن معرفة حكمه |
| ١٧٦ | اذا كانت عقولهم من جملة موهابته فكيف يحكم على تدبيره |

- وحكمة بعض مخلوقاته ١٧٣
- العجب من تلميذ يتعلم على أستاذه ومن ملوك يتنهى على سيده ١٥٤
- الاعتراض على الخالق ميراث إبليس حيث اعتقد سوء التدبير ١٥٥
- فتفضيل آدم عليه السلام ١٧٤
- رأيت الاشتغال في الفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي ١٥٦
- في صلاح القلب . ١٧٥
- يرقق القلب بذكر رقائق الحديث وأخبار السلف الصالح ١٥٧
- ترخصت في شيء يجوز في بعض المذاهب فوجدت ١٥٨
- في قلبي قسوة .
- مما أفادني تجارب الزمان أنه لا ينبغي لأحد أن يظاهر ١٥٩
- بالعداوة أحدا منها استطاع ١٧٦
- رأيت النفس تنظر إلى لذات أرباب الدنيا العاجلة ١٦٠
- وقد يبني وبين أرباب الولايات معاداة لأجل المذهب ١٦١
- روى عن الحجاج الصوف أنه كان يقعد في الشمس في ١٧٧
- الحر الشديد ١٦٢
- السعيد من ذل وسائل العافية ١٧٨
- قل أن تجرى القدر على خلاف مراد النفس ١٦٣
- الجادة السليمة والطريق القوية الاقتداء ب أصحاب الشرع

نمرة المحفظة الفصل	محتوى المقطع
١٨٠	طريقة المصطفى عليه السلام العلم والعمل والتلطف بالبدن
١٨١	من رأى حاله عليه السلام رأى كاملاً يعطي كل ذي حق حقه
١٨٢	ما فسد الناس إلا بالانحراف عن الشريعة
١٨٣	دخل إبليس على كل قوم من حيث قدر
١٨٤	لو مال الخلق إلى التبعيد فقط لضاعت الشريعة
١٨٥	العمل سعي الآلات الظاهرة والعلم سعي الآلات الباطنة
١٨٦	من العقل والفكر والفهم
١٨٧	من أعظم الجهل استبداد الإنسان بعلمه
١٨٨	تأملت الدخل الذي دخل في ديننا في العلم والعمل فرأيته
١٨٩	من طريقين
١٩٠	الدخل في باب العلم من الفلسفة وفي باب العمل من الرهبانية
١٩١	أعوذ بالله من صحبة البطاليين
١٩٢	رأيت من الرأى القويم أن نفع التصانيف أكثر من نفع
١٩٣	التعليم بالمشاهدة
١٩٤	التصنيف المفيد هو جمع ماقفرق أو ترتيب ماشت أو شرح
١٩٥	ما أهمل .
١٩٦	ف ترتيب وظائف الطالب على حسب درجات عمره
١٩٧	رأيت عادات الناس قد غلت على عالمهم بالشرع
١٩٨	ما أعرف للعالم قط لذة ولا عزّاً ولا شرفاً ولا راحة ولا

- سلامة أفضل من العزلة ١٩٠
- جملة خصال بها العلماء يجدون اللذة والراحة ١٩١
- تأملت أحوال الناس في حالة علو شأنهم فرأيت أكثر الخلق تبيين خسائرهم ١٩٢
- من انفق عشر الشباب في العلم فانه في زمن الشيوخوخة يحمد جنى ماغرس ١٩٣
- من الامور التي تخفي على العاقل أن يرى أنه متى لم يكن عنده امرأة الح ١٩٤
- ما ابتلى الانسان قط بأعظم من علو همه ١٩٥
- لما سطرت هذا الفصل المتقدم رأيت ادكار النفس بما لا بد لها في الطريق منه ١٩٦
- ينبغى للعاقل أن يغالط نفسه فيما يكشف العقل عن عواره ١٩٧
- في تعلم التدابير ١٩٨
- التحفظات المطلوبة في النكاح ١٩٩
- التحفظات المطلوبة في اختيار الزوجة ورعايتها ٢٠٠
- التدابير المطلوبة في معاشرة الخادم ٢٠١
- اشتبد الغلاء ببغداد الخ ٢٠٢
- تأملت حالة أزعجتني الخ ٢٠٣

نمرة المحيفة الفصل	٢٠١
١٧٥ جرى يبني وبين أصحاب الحديث كلام فى قول الامام احمد صح الحديث عن رسول الله ﷺ سبعمائة ألف حديث روى عنه ﷺ أربعة آلاف رجل وامرأة وصحابوه نيفا وعشرين سنة بمكة ثم بالمدينة	٢٠١
كان اسحاق بن راهوية يلی سبعين ألف حديث حفظا وحفظ أبو اسحاق بن عقدة لاهل البيت ثلاثة ألف حديث ظهر لابن كريب بالكوفة ثلاثة حديث أجمع المسانيد مسندا احمد الذي جم ٤٠٠ ألف حديث من سبعمائة ألف وخمسين ألفاً منها عشرة آلاف مكردة	٢٠٢
جمع ابو داود كتابه السنن من ستمائة ألف حديث مجموع المنقول عن رسول الله ﷺ نحو خمسين ألف حديث صحاح	٢٠٣
الزيادة من الثقة مقبولة وانفراده في الرواية لا عيب فيه ١٧٦ اعلم ان الله عز وجل وضع في النفوس اشياء لا تحتاج الى دليل .	٢٠٤
من الاشياء التي لا تحتاج الى دليل ان المصنوع لا بد له من صانع وان الاثنين أكثر من الواحد وان الجسم الواحد لا يكون في مكانين	٢٠٤
١٧٧ مفيد تدبرت أحوال الآخيار والاشراز فرأيت الخ	٢٠٤

- سبب صلاح الاخيار النظر وسبب فساد الاشرار اهمال النظر
العاقل ينظر الى الفوائد والعواقب والغافل لا يرى الا الحاضر
- ١٧٨ خلقت لي همة عالية تطلب الغايات ٢٠٥
- ١٧٩ ما أقل من يعمـ الله تعالى خالصـا
- ١٨٠ والله ما ينفع تأديب الوالد اذا لم يسبق اختيار الخالق
لذلك الولد ٢٠٦
- ١٨١ من أكبر الدليل على وجود الخالق سبحانه وتعالى ان هذه
النفس الناطقة الخ ٢٥٧
- ١٨٢ سبحان من من على الخلق بالعلماء الفقهاء الذين فهموا
مقصود الأمر
- الاشتغال بالحديث أفضـل من التنـفـل بالصوم والصلـة
- ١٨٣ العاقل من يحفظ جانب الله تعالى وان غضـب الخـالـق ٢٠٨
- كل من يحفظ جانب المخلوقين ويضـيـع حقـ الخـالـق يقلب الله
قلوبـهم ويسـخطـهم عليه
- ١٨٤ مفيد ينبغي للعاقل أن ينظر الى الاصول فيمن يخـالـطـهـ
احفـظـ الاـصـولـ فـانـ الشـئـ يـرـجـعـ الىـ اـصـلهـ وـصـلاحـ الصـورـ
- دلـيلـ علىـ صـلاحـ البـاطـنـ
- ١٨٥ اـحـذـرـ مـنـ بـهـ عـاهـةـ كـالـقـرـعـ وـالـاعـمـيـ وـنـحـوـهـمـ فـانـ بـوـاطـنـهـمـ
 غالـباـ رـديـةـ . ٢١١

١٨٥ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ شَغْلُ الْعَاقِلِ فِي الْعَوْاقِبِ وَالْتَّحْرِزِ مَا
يُكَوِّنُ أَنْ يَكُونُ

٢١٢ مَتَى وَقْعُ الْأَسْىِ مَعَ زَكِيٍّ فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَحْرِزَ مِنْهُ
١٨٦ فِي حَفْظِ السُّرِّ ذَائِتُ أَكْثَرِ النَّاسِ لَا يَتَمَكَّنُ مِنْ
إِفْشَاءِ سِرِّهِ .

٢١٣ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا وَرَدَ بِغَيْرِهِ
الرَّجُلُ الْحَازِمُ الَّذِي لَا يَتَعَدَّاهُ سِرِّهِ وَلَا يَفْشِيهِ لَا حَدْ وَسْطَرُ
الْمَصَابِ مِنْ جَهَةِ كِتْمَانِ السُّرِّ

١٨٧ مَارَأَيْتُ أَصْعَبَ عَلَى النَّفْسِ مِنْ الْحَفْظِ لِلْعِلْمِ وَالتَّكْرَارِ

١٨٨ مَا أَعْرَفُ نَفْعًا كَالْعَزْلَةِ عَنِ الْخُلُقِ خَصْوَصًا لِلْعَالَمِ وَالْمَاهِدِ

١٨٩ مَا أَبْلَهَ مِنْ لَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِيهِ الْمَوْتُ وَهُوَ لَا يَسْتَعْدِدُ لِلْقَاتِلِ

وَاجِبَاتُ الْأَنْسَانِ فِي تَنَقْلَاتِهِ فِي مَنَازِلِ عُمْرِهِ

١٩٠ مَا نَهَى السَّلْفُ عَنِ الْخُوضِ فِي الْكَلَامِ إِلَّا مَرْعَظِيمٌ

إِذَا نَظَرْنَا إِلَى ذَاتِ الْخُلُقِ حَارِ الْعُقْلِ

١٩١ لَقَدْ غَفَلَ طَلَابُ لَذَّةِ الدُّنْيَا عَنِ الْمَذْدَةِ فِيهَا وَالْمَذْدَةِ فِيهَا شَرْفُ

الْعِلْمِ الْخَ

بَنِيتُ الْفَتْنَةَ عَلَى ثَلَاثِ النِّسَاءِ وَهُنْ فَخْ إِبْلِيسِ الْمَنْصُوبِ

وَالشَّرَابُ وَهُوَ سَيْفُهُ الْمَرْهُوفُ وَالْدُّنْيَا وَالدرَّهُ وَهُمَا سَهْمَاهُ

الْمَسْمُومَانِ .

الصيغة الفصل	نحوه	نحوه
١٩٢	أصل كل مخنة في العقائد قياس أمر الخالق على أحوال	الخلق .
١٩٣	كل من قاس صفة الخالق على صفات المخلوقين خرج إلى	الكفر كالفلسفه والجسمه ونحوهم
١٩٤	تأملت عجباً وهو أن كل شيء نفيس خطر	ليس المؤمن بالذى يؤدى فرائض العبادات صوره ويتجنب
١٩٥	المظاهرات	المؤمن الكامل الأيمان الذي لا يختلي في قلبه اعتراض
١٩٦	ولا وسواس وكلما استند البلاء عليه زاد إعانته	قال الحسن استوى الناس في العافية فإذا نزل البلاء تباينوا
١٩٧	أن الله سبحانه وتعالى نصب اعلاماً تأنس بها النفوس وتطمئن	أضر ما على العوام المتكلمون
١٩٨	اليها كالسمكة وسمها بيته	من لم يقنع بعقيدة مثل الصحابة ولا بطريق مثل طريق أحمد
١٩٩	والشافعى في ترك الخوض فلا كان ما كان	ماذلت على عادة الخلق في الحزن على من يموت الخ
٢٠٠	ينبغي للعاقل أن لا يتكلم في الخلوة عن أحد بشيء حتى يمثل	ذلك الشيء والخ
٢٠١	رأيت كثيراً من المغفلين يظهر عليهم السخط بالأقدار	

- من تقىكر علم أن واهب العقل أعلا من العقل
ليس لنا إلا أن نضيف العجز إلى أنفسنا ونقول هذا فاعل عالم
حكيم ونكون مع الخالق كوسى عليه السلام مع الخضر
من أجهل الجهل العبد المملوك اذا طلب أن يتعلم على
سر مولاه
- ١٩٩ لا ينبغي للمؤمن أن ينزعج من صرط أو نزول موت
السعيد من وفق لاغتنام العافية ثم اختيار الأفضل فالافضل
في زمن الاغتنام
- ٢٠٠ حضرنا يوم جنازة شاب مات أحسن ما كانت الدنيا له
انما خلق هذا البدن ليحمل النفس كما تتحمل الناقة اراكب
لابد من التلطف بالناقة ليحصل المقصود من السير
كان صلى الله عليه وسلم يعدل ما عندـه من الخوف فيما ذبح
ويسابق عائشة الخ
- غفلة الناس عن الموت نعمة من الله تعالى اذا كانت باعتدال
والمدحوم هو الافراط والتفريط
- ٢٠١ ما يكاد يحب الاجتماع بالناس الا فارغ لأن المشغول القلب بالحق
يفر من الخلق
- ٢٠٢ من رأى الخلق عبدهم وهو لا يعلم
كل العاصي قبيحة وبعضها أقبح من بعض
- (م - ٢٨)

- لزنا أقبح الذنوب فإنه يفسد الفرش ويقبر الأنساب
 وبالجارة أقبح
 من أقبح الأشياء أن يطول المرض بالشيخ الكبير ولا يتوب
 من ذنب الخ ٢٣٠
- ٢٠٣ اعتبرت على أكثر العلماء والزهاد انهم يعطون الكبر
 من تلمح خصال نفسه وذنوبها علم أنه على يقين من الذنوب
 والتقصير وهو من حال غيره على شك
- ٢٣١ ٢٠٤ متى رأيت صاحبك قد غضب وأخذ يتكلم عالا يصلح فلا
 ينبغي الخ
 اصبر على حدة الغضبان فإن حاله كحال السكران والاكتفت
 كعاقل قابل مجمنا فإذا انتبه ندم على ما فرط وعرف لك
 فضل الصبر
- ٢٠٥ ليس في الدنيا أبله من يسيء إلى شخص ويعلم أنه قد بلغ إلى
 قلبه بالأذى
 متى آذيت شخصاً بأذى أثر فيه فاحترس منه ولا تثق بموعداته فان
 لم تحتمل عليه فلا يصف لك
- ٢٣٣ ٢٠٦ كل من لا يتلمح المواقف ويستعد لما يجوز وقوعه فيليس
 بكلام العقل
 بقدر صعود الإنسان في الدنيا تنزل مرتبته في الآخرة

نوع الفصل الصحيحة	العنوان
٢٣٤	الصعود بسبب مخالطة السلاطين بعيد أن يسلم معه الدين مخاوف السلطنة وغوايئها المركبة المعيشية
٢٣٥	لاعيشة هنية الانعاماء الخلصين
٣٦	٠٨ من عرف الشرع كما ينبغي وعلم حالة الرسول الله صلى الله عليه وسلم الخ
٣٧	الكمال عزيز والكمال قليل الوجود دليل كمال صورة البدن حسن الصمت والأدب ودليل كمال
٣٨	صورة الباطن حسن الطيائع ١٠ ليس في الدنيا أبله من يرید معاملة الحق سبحانه وتعالى على
٣٩	بلغ الأغراض
٤٠	١١ من الابتلاء العظيم اقامة الرجل في غير مقامه ذكر عدة من أنواع البليات المشتقة لهم والمقدرة لعيش
٤١	ومداواتها .
٤٢	١٢ لاينكر ان الطياع تحب المال لأنها سبب بقاء البدان
٤٣	١٣ ينبغي لمن عرف شرف الوجود أن يحصل أفضل موجود
٤٤	١٤ من عرف قرب الرحيل من مكانته استكثر من الطواف ذكر عدة من بلاياته صلى الله عليه وسلم وصبره عليها .
٤٥	١٥ من أراد أن يعلم حقيقة الرضا عن الله عز وجل في أفعاله الخ
٤٦	١٦ أكثر شهوات الحسن النساء

نمرة الفصل	نمرة الفقرة
------------	-------------

- السبب في الاستكثار من زواج النساء
المعنى الذي أوقع الزناة في الفواحش
ليقمع المتزوج بما ظاهره الستر وباطنه الدين والقناعة ومن
استكثر فانما يستكثر من شغل قلبه ورقة دينه
- ٢٤٢ سبحان من شغل كل قلب بفن لفnam العيون في الدنيا
١٨ عالم الحديث هو الشريعة لأنه مبين للقرآن وموضع للحلال
والحرام الخ
- ٤٥ سبحان من حفظ هذه الشريعة باخبار أخبار ينفون عنها
تحريف الغافلين واتحالف المبطلين
- ١٩ فدسانى بعض أصحاب الحديث هل في سند أحمد ماليس
بصحيح فقلت نعم
اما روى أحمد في مسنده ما اشتهر ولم يقصد الصحيح ولا
السقيم
- ٢٠ بلغى عن بعض فساق القدماء أنه كان يقول ما أرى العيش
غير أن تتبع النفس هوها
- ٤٧ ٢١ قد تبعثت العقوبات وقد يؤخرها الحلم
العاقل من اذا فعل خطيئة بادرها بالتوبة
- أسرع المعاصي عقوبة ماحلا عن لذة تنسى النهى
مطلوب كاتب من خراسان كتب المصحف في ثلاثة أيام

الصيغة الفصل	غرة	الصفحة
٢٤٨	٢٢٢	اعلم أن الآدمي قد خاق لأمر عظيم
٤٩	٢٣	» قد ركب في الطياع حب التفضيل على الجنس
٥٠	٢٤	يفبغى اظهار التجلجل عند نزول المصائب حذرا من شهادة
الاعداء .		
٥١	٢٤	يحدى الافرات في اظهار النعم خوفا من اصابة العين
٥٢	٢٥	» انا خلقنا لنجاهنا معا الخالق في معرفته وحاجاته الخ
٥٣	٢٥	تمثيل لطيف للدنيا وأهلها بالمسكوب وصبيانه
٥٤	٢٦	» تأملت حالة عجيبة في الخ
٥٤	٢٦	تفاوت الهمم في طلب الفضائل
٥٥	٢٧	تفكرت في بقاء اليهود والنصارى بيننا وأخذ الجزية منهم
٥٦	٢٨	فرأيت في ذلك حكم عجيبة
٥٦	٢٨	قد ثبت بالدليل شرف العلم وفضله الا ان طلاب العلم افتقروا
٥٥	٢٩	طال تعجبى من اقوام لهم ائفة وعندهم كبر زائد في الحد
٥٦	٣٠	قد سمعنا بجماعة من الصالحين عاملوا الله عز وجل على طريق
٥٦	٣٠	السلامة والحبة واللطف فعاملهم كذلك
٥٦	٣٠	منهم أبخ العابدين الا وائل وأنس بن النضرير من الصحابة
٥٦	٣٠	رأيت جماعة من العلماء يتقسمون ويظنون ان العلم يدفع
٥٦	٣٠	عهم .
٥٦	٣٠	العلم النافع هو فهم الاصول ومعرفة المعبود وما يستحقه

- والنظر في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الحـ ٢٣١ سبب تغليس العيش فوات الحظوظ العاجلة ٢٥٩ إياك أن تساكن من آذيه بل أحسن إليه وتلطف به تأمين مكره وقدر عليه ٦٠
- ـ ٣٢ تفكرت في قول شيبان الراعي لسفيان ياسفيان عد منع الله أياك عطاء منه ٦١
- ـ ٣٣ رأيت جماعة من الخلق يتعللون بالقدر الحـ اذا كنت تسعى بأدوات استعدادك في تحصيل غرضك وهو أياك فاسع بها في اقامة مفروضاتك ٦٢
- ـ ٣٤ افتحت عين الفكر في ضوء العبر لعلك تبصر موقع خطابك نظرت في قول أبا الدرداء رضي الله تعالى عنه ما أعرف ما كانا عليه اليوم إلا قبلة
- أسباب الانحراف عن طريقه صلى الله عليه وسلم الجهل والاعراض عن العلوم الشرعية وتخاذل البدع عاداتـ ٣٥ كنت أسمع على بن الحسين الواعظ يقول والله لقد بكيت البارحة من يد نفسي
- ـ ٣٦ مطلب في النكاح وشروطه ومحاذيره
- ـ ٣٧ أعجب لا شيء أغتراد الإنسان بالسلامة الحـ

نمرة الفصل	الصحيحة
٢٦٧	تأملت سبب تخييط العقائد فإذا به الميل الى الحسن وقياس الغائبات على الحاضر
٦٨	ذكر الشبه المفضي الى ذلك
٧٠	بسط هذا المقام ورد الشبه التي فيه ردا مقنعا
٣٨	ينبغي للمؤمن بالله سبحانه وتعالى اذا نظر في الفصل المتقدم أن لا يعترض على الله سبحانه وتعالى في شيء
٧١	«والله اني لا تخايل دخول الجنة ودوام الاقامة فيها الح
٧٢	نبذة في نعيم الجنة والترغيب في الاخذ باسبابه
٤٠	رأيت سبب الهموم والغموم الاعراض عن الله عز وجل والافعال على الدنيا
٤١	تفكرت في نفسي فرأيتها مفلسها من كل شيء
٧٣	ينبغي لمن صح سلطانا أو محتسا أن يكون ظاهره معه وباطنه سواء
٧٥	امتحان ابر او يز لرجل من خاصته وبطشه به
٤٣	رأيت النفس بعد علو السن يقوى أملها ويزداد حرصها
٤٤	شكلى بعض الاشياخ فقال الح
٨٦	أبله الناس من عمل على الحالة الحاضرة ولم يتصور تغيرها الح العقل من كان مراقبا للعواقب تحرزا مما يجوز وقوعه عاملا
٧٧	بالاحتياط حافظا للمال والسر

نحو
الصلوة
الصحيحة

- ٢٤٦ من أتعجب الأمور طلب الاطلاع على تحقيق العرفان لذات الله تعالى عز وجل وصفاته وأفعاله
- ٢٧٨ الفقيه من عالم أحكام الله تعالى بما يمكن فإذا عجز استطرح للتسليم وعلم أن ادراك حكمه ليست في قوى البشر الله تعالى ستر كثيراً من حكمه على خلقه وليس من الأدب طلب الاطلاع عليها
- ٤٧ «من رزقه الله العلم والنظر في سير السلف رأى أن هذا العالم ظلمة الخ تحذير من مخالطة عموم أنواع الناس وبيان محاذيرها الدنيوية والأخروية .
- ٨٠ «٤٨» من البله أن يبادر عدواً أو حسوداً بالخاصمة وصيحة ذافعة في كيفية معاملة الأعداء والتخلص من أذاهم والتغلب عليهم
- ٨١ «٤٩» اذا وقعت في حنة يصعب الخلاص منها فليس لك الا الداء والابجا بعد أن تقدم التوبة
- ٥٠ «٥٠» نظرت إلى الناس فرأيتهم ينقسمون بين عالم وجاهل الخ تقسيم الناس إلى أنواع وبيان ضرر المخالطة والترغيب في الوحدة والانفراد عنهم
- ٨٢ «٥١» من تأمل بعين الفكر دوام البقاء في الجنة في صفاء بلا كدر الخ

- | نمرة
الصفحة الفصل | المحتوى |
|----------------------|---|
| ٢٨٥ | ٢٥٢ من أراد اصطفاء محبوب فالمحبوب نوعان |
| — | التحذير من إفشاء الأسرار للمرأة والولد والصديق |
| ٨٦ | ٥٣ وأما إذا أبغضت شخصاً فلا تظern ذلك |
| — | ٥٤ طال تعجبى من مؤمن بالله عز وجل مؤمن بجزائه يؤثر |
| — | خدمة السلطان الخ |
| ٨٧ | ٥٥ العجب من الذى أنف من الذل كيف لا يصبر على جلف الخبر |
| — | ولا يتعرض لمن الانذال |
| ٨٨ | ٥٦ يتضمن وصية للشباب والتحذير من الافراط في الجماع |
| — | المعنى المقصود من الجماع |
| ٨٩ | ٥٧ ليس على العوام أضر من سماعهم علم الكلام |
| — | ينبغي أن يحذر العوام من الخوض فيه كما يحذر الصبي من |
| — | شاطئ النهر خوف الغرق |
| ٩٠ | بحث ذل فيه كثير من العلماء فكيف بالعوام العشم |
| — | على العامي اليمان بالأصول الخمسة بالله وملايكته وكتبه |
| — | ورسله واليوم الآخر ويقنع بما قاله السلف |
| — | النبي صلى الله عليه وسلم لم يكلف الأعراب الابعد عن اليمان |
| — | من مات على طريقهم مات سليمان من البدعة |
| — | أشد الناس جهلاً منهوم باللذات |
| ٩٠ | ٥٩ تأملت على الخلق فإذا هم في حالة عجيبة يكادون يقطع منها بفساد العقل |

للرجوع الى المعصية بعد سماع الموعظ ثلاثة أسباب رؤية
الهوى العاجل والتسويف بالتوبة رجاء الرجمة والغفلة
عن الخوف

٢٩١ نظرت في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بس الخاتم ثم
دمي به شفائي نظره اليكم ونظره اليه
ينبغى ترك كل ما يوجب النظر الى النفس بعين الاعجاب
لتكون دامنة دليلة اخلاقها
من اراد اجتماع همه واصدلاح قلبه، فليحذر من مخالطة الناس
في هذا الزمان

قد كان الاجتماع على ما ينفع فصار الاجتماع على ما يضر
العزلة حمية والنظر في سير القوم دواء واستعمال الدواع مع الحمية
عن التخليل نافع

٢٩٣ تفكرت في سبب هداية من يهتمى وانتباه من يتيقظ من
رقاد غفاته فوجدت الح
السبب الاكبر في الهداية اختيار الحق عز وجل كما جرى
لأهل الكهف

الطريق الموصلة الى الله سبحانه وتعالى ليست مما يقطع بالاقدام
وانما تقطع بالقلوب والشهوات هي قطاع الطريق
عين الموفق هي بصر فرس يرى في الظلمة كما يرى في الضوء

- ٢٦٣ عجبت لمن يعجب بصورته وينتال في مشيته وينسى مبدأ أمره
- ٢٦٤ هيهات أن يجتمع الهم مع القلبس بأمور الدنيا
- ٢٩٥ ان وجدت ما يكفيك من الدنيا فاقنع به والافعال به بالصبر
- أصلاح لك من الخاطرة
- حكاية أبي عمرو بن نعيم مع أبي عثمان المغربي
- ٢٩٦ » كان المرید فى بداية الزمان اذا اظلم قلبه أو مرض له قد زياره الصالحين الخ
- ٦٦ » تأملت الذين يختارهم الحق عز وجل لولايته والقرب منه
- ٩٧ » أى ثالث على طبع ردى لا تقومه الرياضة
- ٦٨ » رأيت بعض المقدمين سئل عن من يكتسب حلالا وحراما من السلاطين الخ
- فتوى في حكم بناء الأضراء والسلاطين المساجد والأربطة من مال حرام وحلال
- ٣٠٠ ٦٩ عجبت لمن يتصنف للناس بالزهد يرجو بذلك قربه من قلوبهم متى نظر العامل إلى التفات القلوب إليه فقد زاحم الشر
- ٧٠ قدم علينا بعض فقهاء من بلاد العجم الخ
- ٣٠١ وصايا نافعة في التحذير من التساهل في أمر الدين
- ٧١ من تفكك في عظمة الله تعالى عز وجل طاش عمله
- ٣٠٣ ٧٢ العجب بمن يقول أخرج إلى المقابر فاعتبر بأهل البلا

٢٧٣ مَتى تكامل العقل فقدت لذة الدنيا

اذا تامح العاقل العواقب أعرض عن الدنيا وذهل عن التلذذ
بالماجل .

٢٧٤ ادعى الطبيعيون ان مادة الموجودات الماء والترب و النار
والهواء الخ .

من قال الروح عرض فقد جحد البعث
لطفة في البداية دليل على النهاية

٣٠٤ ٧٥ سُبّحان من ظهر خلقه حتى لم يبق خفاء ثم خفي حتى كانه
لا ظهور له .

٣٠٥ ٧٦ قد يدعى أهل مذهب الاجتہاد في طلب الصواب الخ
يدعى كثير من أهل الاجتہاد انه لم يقصد إلا الحق ومع
ذلك نقطع بضلال الاكثرين
لا يكون الاجتہاد معتبرا الا بوجود الالات وتوفر الاسباب
والشروط .

٣٠٦ ٧٧ للنفس ذخائر في البدن منها الدم والمني وأشياء تتقوى بها

من ذخائرها تتقوى في المال والجاه وما يوجب الفرح .

- ٧٨ رأيت في زهد زماننا من الكبر وحفظ الناموس الخ

٣٠٧ ٧٩ كثيرا ما أعيد هذا المعنى الذي أنا ذاكره في هذا السكتاب
بعبارات .

٢٨٠ ينبغي للعاقل أن يحترز غاية ما يمكنه فإذا جاء القدر مع

الاحتراز لم يلم

مر دسول الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحت حائط مائل فاسرع

ينبغي أن يحترز في زمن شبابه ادخاراً لزمن شيبه ولا يشق
معاملة إلأبوئية

يحترز من صديقه فضلاً عن عدوه ولا يشق بعوده من آذاه هو

٨١) تأملت خصومات الملوك وحرص التجار ونفاق المزهدين

فوجدت جهور ذلك على لذات الحس

إذا تفكك العاقل علم ان أمر الحسيات قريب وان الغاية
لا يمكن نيلها

٨٢) تأملت حالة تدخل على طلاب الالم توجب الغفلة عن القصود

٨٣) ما اعتمد أحد أمرا إذا هم بشيء مثل التثبت

من عمل من غير تأمل للعواقب كان الغالب عليه الندم

ما قيل خير الرأى خير من فطيره

٨٤) سألني سائل قد قال بعض الحكماء من لم يحترز بعقوله هلك بعقله

٨٥) أنس خاق كثيرون يبدية العقل والعادات وقياس الأخلاق

على الخلوق في أمور لا حكمة فيها فضلوا أو لهم إبليس

بعد ثبوت الكمال المطلق للخلق وانه حكيم لا يumbt لم

يحق للعقل الا التسليم وان لم يعقل

اذا خفيت مصلحة العواقب على موئي عليه السلام مع
الاخضر فاولى أن تخفي علينا

٢٨٥ باغنى عن بعض الكرماء ان رجل اسأله فقال الخ

٣١٢ سبحان من جعل الخلق بين طرق نقيض الخ

٣١٤ » كان لنا أصدقاء وإخوان اعتد بهم فرأيت منهم الخ

٣١٥ » رأيت المعافي لا يعرف قدر العافية إلا في المرض

٣١٦ » إذا تم عم الانسان لم ير لنفسه عملا

٣١٨ » ٩٠ ينبعى للعقل أن يكون على خوف من ذنبه وان تاب عنها
وبكي عليها.

٣١٩ ٩١ » نعوذ بالله من سوء الفهم الخ

— ٩٢ » تأملت على متزهدى زماننا أشياء تدل على النفاق

٣٢١ ٩٣ » من الجهل أن يخفى على الانسان مراد التكليف

— ٩٤ » رأيت خلقا من العلماء والقصاص تضيق عليهم الدنيا الخ

٢٣ ٩٥ » تأملت أحوال الناس فرأيت جهورهم منسلا من دبة
العبودية.

٢٤ ٩٦ » من العجيب سلامه دين ذى العمال اذا ضاق به الکسب

٢٦ ٩٧ » شكي رجل من بغضه لزوجته وقال الخ

٢٧ ٩٨ » لاريب ان قلب المؤمن بالله سبحانه وتعالى وأوامره يحتاج
إلى الانعكاف الخ.

نمرة الفصل الصحيحة	نمرة الكتاب
٣٢٨	٢٩٩ مارأت عيني مصيبة نزلت بالخلق أعظم من سببهم للزمان الخ
٣٢٩	٣٠٠ من عجائب ما أرى من نفسي ومن اخلاقهم كلهم الميل إلى الغلبة .
٣٠١	قد كررت هذا المعنى في هذا الكتاب وهو الامر بحفظ السر
٣٠٢	تأملت على أكثر الناس عبادتهم فاذا هي عادات
ـ	لا يصفو التعبد والتزهد والاشتغال بالآخرة إلا بالانقطاع
٣٠٤	من رزق قلبا طيبا ولذة مناجاة فليراع حاله
٣٠٥	همة المؤمن متعلقة بالآخرة
٣٠٦	لقد اعتبرت على مولاي سبحانه وتعالي أمرا عجيبا
٣٠٧	تأملت على قوم يدعون العقول معترضون على الخالق
ـ	ينبغى لمن وعظ سلطانا أن يبالغ في التلطف
٣٠٩	الحق لا يشتبه بباطل الخ
٣١٠	واعجبا من موجود لا يفهم معنى الوجود
٤٠	أعجب من عاقل يرى استيلاء الموت على أقرانه الخ
ـ	نظرة في قول الله تعالى ألم تر ان الله يسجد له من في السماوات
ـ	ومن في الأرض الآية
ـ	مارأيت أكثر أذى للمؤمنين من مخالطة من لا يصلح
ـ	كلما نظرت في تواصل النعم على تحيرت في شكرها
٣٤٤	أكثر العلماء يتشاركون بصورة العلم الخ

نمرة الفصل	نمرة
------------	------

- | | | |
|-----|-----|--|
| ٣١٦ | ٣٤٥ | قد جاء في الأثر اللهم أرنا الاشياء كما هي |
| ٣١٧ | ٣٤٦ | ان قال قائل أى فائدة في خلق ما يؤذى الخ |
| ٣١٨ | ٣٤٧ | كما أوجلت الفهوم في معرفة الخالق الخ |
| ١٩ | ٤٨ | في سبب تبذير الولاة |
| ٢٠ | | من المخاطرات العظيمة تحديث العوام بما لا يحتمله عقولهم |
| ٢١ | ٤٩ | لا يغرك من الرجل طنطنته وما تراه يفعل |
| ٢٢ | ٥٠ | رأيت خلقا يفرطون في أدیانهم ثم يقولون احملونا إذا متنا إلى مقبرة أحد |
| ٢٣ | | رأيت الناس يذمون الحاسد الخ |
| ٢٤ | ٥١ | من أعظم الضرر الداخل على الإنسان كثرة النساء الخ |
| ٢٥ | ٥٢ | إذا رأيت قليل العقل في أصل الوضع فلا ترج خيره |
| ٢٦ | | يجب الاحتراز من كل ما يجوز أن يكون الخ |
| ٢٧ | ٥٣ | يبين إيمان المؤمن عند الاتقاء |
| ٢٨ | ٥٤ | تذكرة في سبب دخول جهنم فإذا هو المعاصي |
| ٢٩ | ٥٥ | من وقف على موجب الحسن هلك ومن تبع العقل سلم |
| ٣٠ | | العجب لمؤثر شهوات الدنيا |
| ٣١ | ٥٦ | قد أشكل على الناس رؤية النبي ﷺ في المنام |
| ٣٢ | ٥٧ | غزير الفائدة |
| ٣٣ | ٥٨ | معرفة الله سبحانه وتعالى لا تحصل إلا لتكامل العقل الخ |

نمرة الصفحة الفصل	المحتوى
٣٦٠	٣٣٤ ما رأيت أظرف من لعب الدنيا بالعقل
٣٦٢	٣٣٥ رأيت نفسي تأنس بخلطاء تسميهم أصدقاء
٦٣	٣٦) رأيت أكثـر العـلمـاء مشـتـغلـين بـصـورـة الـعـلـم الـحـ
٦٥	٣٧) لـفـقـيـهـ أـن يـطـالـعـ مـن كـلـ فـنـ طـرـفـاـ مـن تـارـيخـ وـحـدـيـثـ وـلـغـةـ
	وـغـيرـ ذـلـكـ
٦٦	٣٨) كـانـتـ هـمـ الـقـدـماءـ مـنـ الـعـلـمـاءـ عـلـيـةـ الـحـ
٦٧	٣٩) لـيـسـ لـلـادـمـيـ أـعـزـ مـنـ نـفـسـهـ
٦٨	٤٠) لـاـ يـبـغـيـ لـلـعـاقـلـ أـنـ يـظـهـرـ سـراـ حـتـىـ يـعـلـمـ أـنـ ظـهـرـ لـاـ يـتـأـذـىـ
	بـظـهـورـهـ .
٤١	٤١) مـاـ يـتـنـاهـىـ فـيـ طـلـبـ الـعـلـمـ إـلـاـ عـاشـقـ الـعـلـمـ
٧١	٤٢) لـاـ يـبـغـيـ لـلـإـنـسـانـ أـنـ يـحـمـلـ عـلـىـ بـدـنـهـ مـاـ لـيـطـيقـ
٧٢	٤٣) أـذـاـ تـكـامـلـ الـعـقـلـ قـوـىـ الـذـكـاءـ وـالـفـطـنـةـ
٧٣	٤٤) الـآـدـمـيـ مـوـضـوعـ عـلـىـ مـطـلـوـبـاتـ تـشـتـمـتـ الـهـمـ
٧٤	٤٥) الـعـزـلـهـ عـنـ الـخـلـقـ سـبـبـ لـطـيـبـ الـعـيشـ
٧٥	٤٦) مـنـ سـادـ مـعـ الـعـقـلـ وـخـالـفـ طـرـيـقـ الـهـوـىـ وـخـافـ الـعـوـاقـ
	أـمـكـنـهـ أـنـ يـتـمـتـعـ مـنـ الدـنـيـاـ الـحـ
٤٧	٤٧) يـبـغـيـ أـنـ يـكـونـ الـعـمـلـ كـلـهـ لـلـهـ الـحـ
٧٦	٤٨) نـظـرـتـ فـيـ حـكـمـ الـمـطـعـمـ وـالـمـشـرـبـ وـالـلـبـسـ وـالـنـكـحـ الـحـ
٧٧	٤٩) فـيـ خـالـطـةـ الـأـمـرـاءـ

الصحيحة الفصل نمرة
٣٥٠ من الغلط العظيم أن يتكلم في حق ممزول بما لا يصح
٣٥١ لما جمعت كتابي المسمى بالمنتظم الخ
٣٨٠ » من رزق همة عالية يعذب بقدر علوها
٣٨١ » المصيبة العظمى رضى الإنسان عن نفسه
٣٨٢ » ينبغي تأمله .
٣٨٤ » تفكرت في نفسي يوماً تفكراً محقق
٣٧٦ » عداوة الاقارب صعبة
٣٨٧ » رأيت كلاب الصيد اذا مرت بكلاب الحلة نجحتها
٣٨٨ » ملاحظتها من أهم الاشياء
٣٨٩ » رأيت الناس يوم العيد فشبّهت الحال بالقيامة
٣٩٠ » يتضمن نصيحة للعلماء والشهداء
٣٩١ » رأيت جهور الناس حائدين عن الشريعة الخ
٣٩٤ » ان الله عز وجل جعل أحوال الآدمي أمثلة ليعتبر بها
٣٩٥ » إنما فضل العقل بتأمل العواقب
٣٩٦ » ليس في الدنيا عيش إلا لعلم أو زائد
٣٩٦ » ما أكثر تفاوت الناس في الفهوم
٣٩٧ » من تأمل الدنيا علم انه ليس فيه الذهمة أصلا
٣٩٨ » رأيت إبليس قد احتال بفنون الحيل على الخلود
٣٩٩ » رأيت العادات قد غلبت الناس في تضييع الزمان

نمرة الفصل الصحيفة	٤٠٠
٣٦٩ في معاشرة النساء	٤٠١
٣٧٠ لا يعيش في الدنيا إلا للقائهم باليسير	٤٠٢
٧١) قد تذكر رمناه في هذا الكتاب الحـ	٤٠٣
٧٢) من تلمح أحوال الدنيا علم أن مراد الحق سبحانه وتعالى اجتنابها .	٤٠٤
٧٣) العاقل يدبر بعقله عيشته في الدنيا	٤٠٥
خاتمة الكتاب	

خاتمة الكتاب

حمدًا لمن أبدع صنع الإنسان وأنار عقله بنور العلم والعرفان. وتوجه بتاج الشريعة الغراء وحلاه بخلية الإسلام والإيمان. وصلة وسلاماً على أشرف هاد إلى أقوم دين بسواطع الأدلة والبراهين. وأعظم ما ح لظلمات الشكوك والأوهام بنور الحق واليقين. وعلى آلـهـ المـتـخـلـقـينـ باـخـلـافـهـ المـهـتـدـينـ بـهـدـاهـ. وأصـحـاحـابـهـ مـصـايـحـ الـظـلـامـ وـسـفـنـ النـجـاهـ.

وبعد . فـمـاـ بـرـزـ فـيـ مـرـايـاـ الـأـظـهـوـرـ وـمـنـ خـزـائـنـ الـأـسـرـادـ. وأـشـرـقـ فـيـ سـماءـ الـوـجـودـ مـنـ شـمـوسـ عـرـائـسـ الـأـفـكـارـ. الـكـتـابـ الـمـوـسـومـ بـصـيـدـ الـخـاطـرـ. الـذـىـ جـلـ فـيـ بـابـهـ عـنـ شـبـيهـ أـوـ مـنـاظـرـ. مـؤـلـفـهـ الـعـلـامـ الـمـحـقـقـ اـبـوـ الـفـرجـ عـبـدـ الرـحـمـنـ اـبـنـ عـلـىـ بـنـ مـحـدـدـ بـنـ الـجـوـزـىـ طـابـ ثـرـاءـ. وـأـفـاضـ الـكـرـيمـ عـلـيـهـ سـوـابـنـ جـوـدـهـ وـرـحـمـاهـ. وـمـذـ اـشـرـأـبـ أـعـنـاقـ الـطـالـبـيـنـ لـاجـتـلـاءـ مـحـاسـنـ الـبـاهـرـةـ. وـتـاقـتـ نـفـوسـ الـمـتـعـطـشـيـنـ لـارـتـشـافـ رـحـيقـ فـوـأـنـدـهـ الـزـاهـرـةـ. هـبـتـ نـسـيـاتـ التـوـفـيقـ لـاـبـرـازـهـ فـيـ قـالـبـ الطـبـيعـ. وـاهـتـزـيـارـ الـهـمـمـةـ لـاـبـرـازـ مـحـاسـنـ عـرـائـسـهـ عـلـىـ الـطـفـ طـرـازـ وـأـحـسـنـ وـضـعـ. فـبـرـزـ بـحـمـدـ اللـهـ تـعـالـىـ رـاـفـلـاـ فـيـ حـلـلـ الـبـهـاءـ وـالـفـخـارـ. مـتـوـجاـ بـتـاجـ الـقـبـولـ وـالـاعـتـبـارـ. مـقـمـيـلاـ طـبـعـهـ بـعـنـايـةـ اـدـارـةـ الـهـمـامـ الـمـفـضـالـ السـيـدـ أـمـيـنـ اـفـنـدـىـ اـخـانـجـىـ عـلـىـ ذـمـةـ أـوـلـادـهـ الـمـحـترـمـيـنـ أـصـحـاحـ الـمـكـبـتـةـ الـخـانـجـيـةـ. وـذـلـكـ بـطـبـةـ الـشـرـقـ الـوـاقـعـةـ بـحـارـةـ الـمـدـرـسـةـ نـمـرـةـ ٦ـ بـجـوـارـ الـأـزـهـرـ الشـرـيفـ بـبـصـرـ. بـادـارـةـ صـاحـبـهـ السـيـدـ عـبـدـ الرـحـمـنـ مـحـمـودـ فـاـيدـ. وـذـلـكـ فـيـ السـنـةـ الـخـامـسـةـ وـالـأـرـبعـينـ بـعـدـ الشـلـاـمـةـ وـالـأـلـفـ منـ هـجـرـةـ مـنـ هـوـ عـلـىـ أـكـمـلـ وـصـفـ عـلـىـهـ وـسـلـيـلـهـ

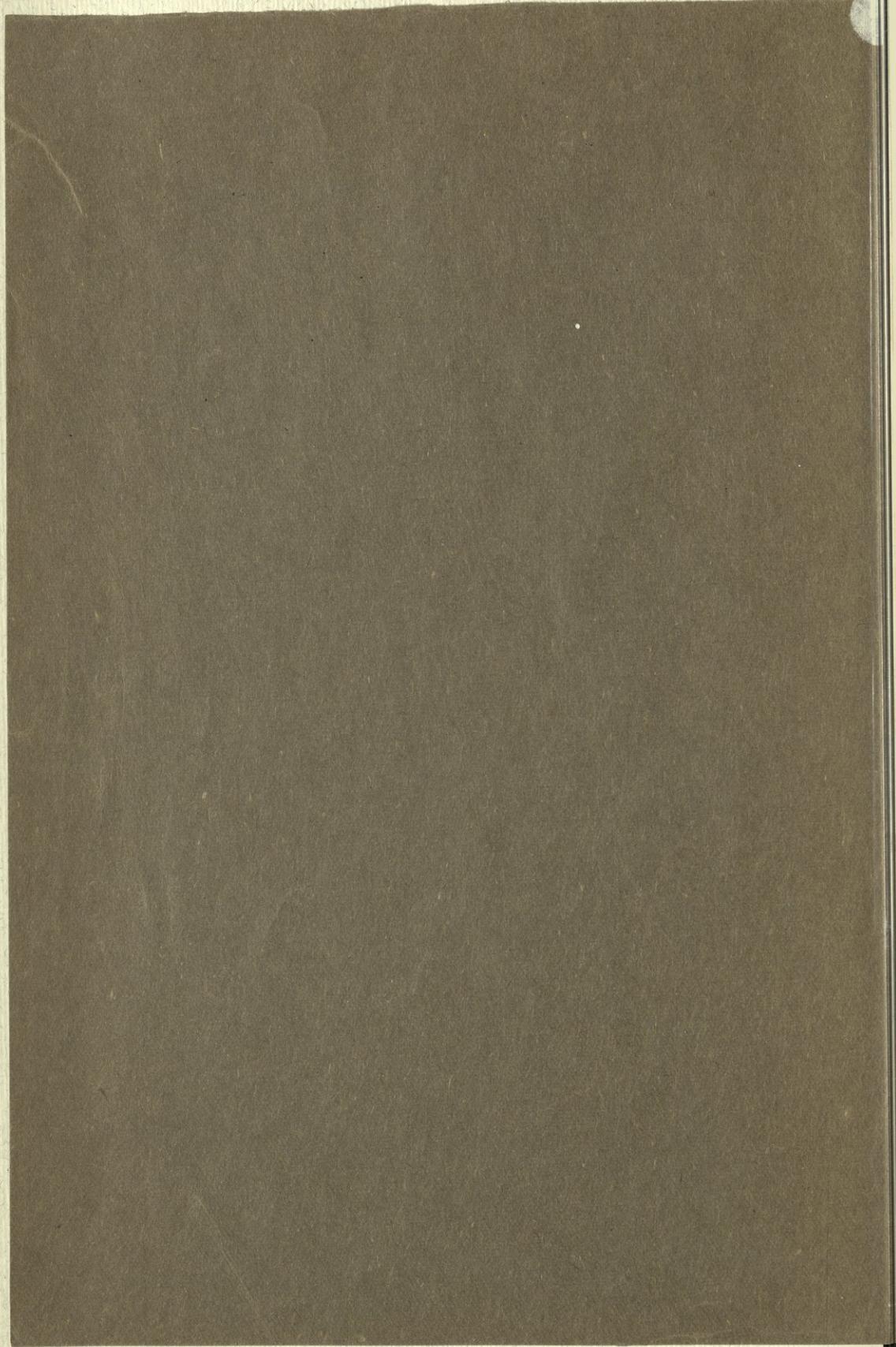
بيان الخطأ والصواب المطبعي الواقع في هذا الكتاب

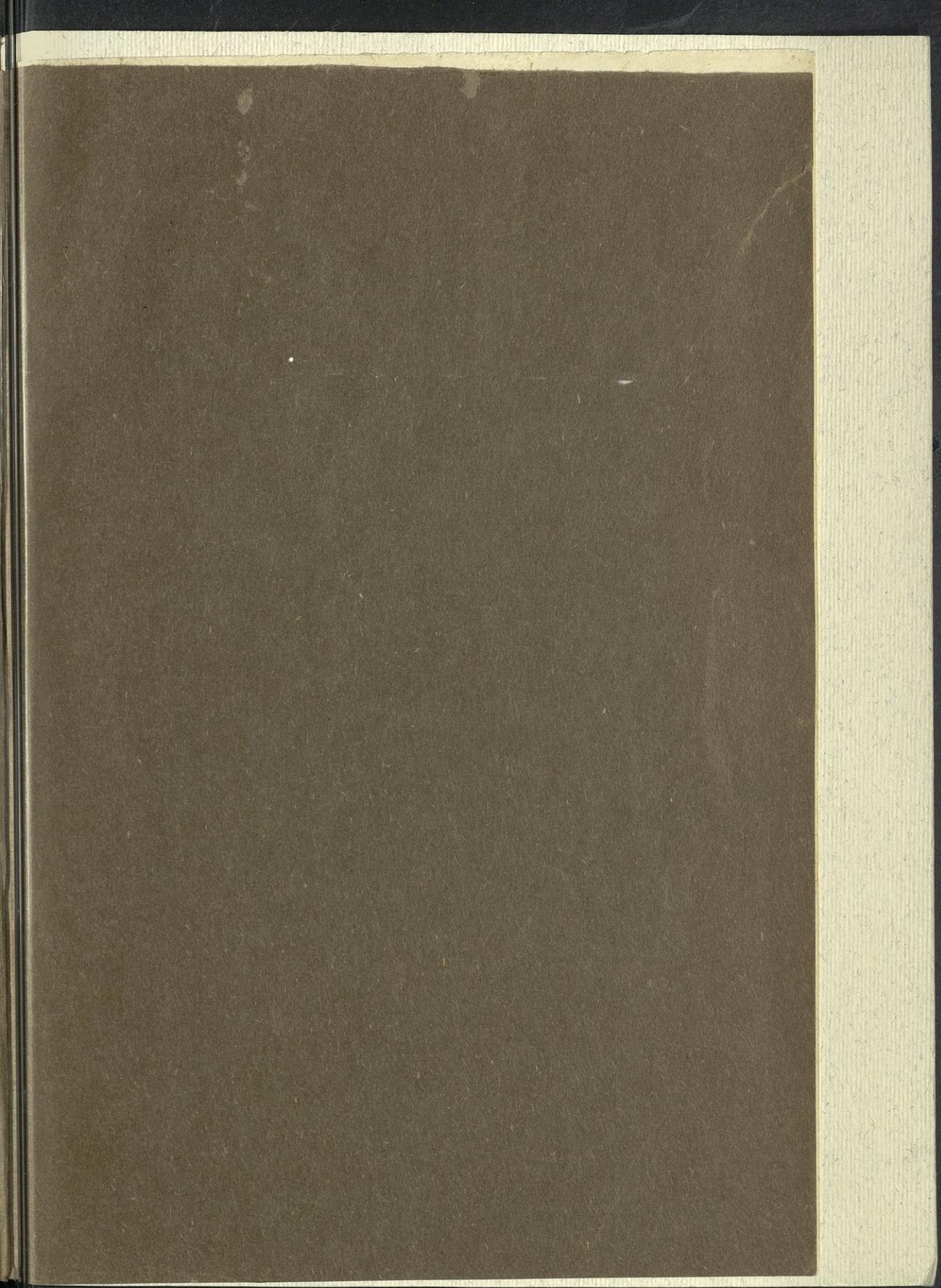
صواب	خطأ	خطأ	سطر	صحيفة
بل	بلي		٢	٤
أقدام	أقدام		١٧	١١
يترصد	يترصده		١٦	١٢
أنتي	أني		١٩	٢٢
رایاهم	رایاهم		٠٢	٢٤
ونهیهم	ونهیم		١٩	٢٧
عليّاً بن أبي	عليّاً ابن أبي		٣	٢٩
ماوراءها	ماورأها		٢٠	٢٩
فقال لأنّي	فقال لأنّي		٢٠	٣٠
علّه	علل		٢٠	٣٠
وحضرت العشاء حضر فابدؤا	وحضرت العشاء حضر فابدؤا		٢	٣٤
مسهوم	مسهوم		١٨	٣٥
مااغتنسلت	مااغتنسلت		٠٥	٣٦
بأنضادها	بأنضادها		٠١	٣٨
وكان	وكان		٥	٦٠
فإن	فإن		٦	٧٨
اسلام	اسلام		١٩	٠٠
الإثبات	الإثبات		٢٠	٠٠
إثبات	أثبات		٣	٧٩
ابتدىء	ابتداء		٢٠	٠٠
عن الاختلاف	على الاختلاف		٤	٨٠
وتحذر	ويحذر		٥	٨١

صواب	خطأ	صحيفة سطر
إما في البداية	أما في البداية	٩ ٨٢
أو لقله	أولقة	٠ ٠٠
ابن مسعود	ابن سعوٰد	٣ ٨٣
أنجح	المح	٢ ٨٤
فأى اب	فأى لبا	١٧ ٨٤
صوابا	صواب	١٩ ٨٨
قال	فقالوا	٠١ ٨٩
فيه فتوسلوا	فيه فتوشلوا	٠٣ ٠٠
رؤيه	رؤبة	٠٦ ٠٠
أغضب	اعضب	٠٨ ٠٠
المهنا	المهنا	٤ ٩٠
فمن طلب	فن طلب	٧ ١٠٧
شاغلا	شاغل	٢٠ ١١١
مشهدـا	مشهدـ	٠٢ ٠٠٠
وما عمالك	وماعملك	١١ ٠٠٠
قيام للتعبد	قيام التعبد	٠٩ ١٢٥
٠٠	بما نزل المبارك	٠٦ ١٢٨
٠٠	ابن المبارك واما	٠٧ ١٢٩
ولا يبالون	ولا يبالغون	٠٥ ١٣٠
بعد الفعل	بعد العقل	١ ١٤٤
أن لا يحسن	الايحسن	١٢ ٠٠٠
فحملني	فيحملنى	١٧ ٠٠٠
إما واما	اما وأما	٢٠ ١٤٥

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
مبارك	مباركا	١٠	١٤٦
إن	أن	١٥	١٤٨
يقع	وَقْع	٢	١٥٢
إخواني	أخوانِي	٦	٠٠٠
خبر	خبرا	١١	٠٠٠
ليلك	لبك	٧	١٠٥
وابن الخلل	وابن الجلا	٣	١٥٦
إيلائه	إيلاؤه	١٢	١٥٨
التصفح	التتصفح	١٦	١٦٠
ما أقاموا	ما أقامو	١٩	٠٠٠
مراده	مرادك	١٥	١٦٣
سنح	نسخ	١٩	٠٠٠
مزاحمة العلة	مزاحة العلة	١٣	١٦٥
بقوله	بقول	١٥	١٧١
الحسن	الحس	١٠	١٧٢
هذه	هذا	٠٦	١٧٣
تحبني	تحبني	١٣	١٧٧
فائدته	فائدته	١١	١٩٦
مراده	مرده	١٢	١٩٦
ونعلاه	ونعليه	٠٣	٢٠٦
بالرذائل	بالرذائل	٢١	٠٠٠
عن يعقوب	ابن يعقوب	١٠	١٢٢
لأننا نقوله	لأننا نقوله	١٦	٢٢٢

صواب	خطأ	صحيحة سطر	خطأ
من رأى	من رأى	٢١	٢٢٨
منعت	منعت		
فأثره	فافره	١٣	٢٤٩
واذا كان لا	وان كان لا	١١	٢٠٥
شيئا الا وعندك	شيئا وعندك	١٩	٢٦١
فما آمن	فما امن		٢٧٣
الرذائل	الرذائل	٠٣	٢٩٠
بحبيبه	بحبيبه	٢١	٢٩١
في طلب الصواب لا يقصد		٣٠٤	
فالعين	لعين		٣٧٣





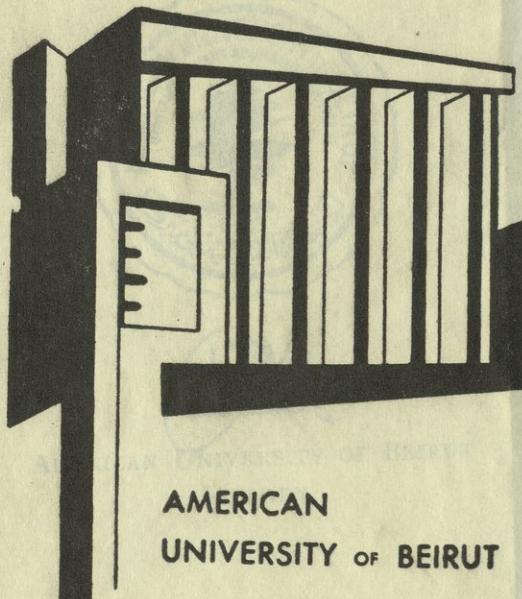
297.41:133sA:c.1

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن
صَدِيقُ الْخَاطِر

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01008983



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

141
1A